المقالاتُ الذَّهَبِيّة

في

نَقْضِ عَقائِدِ ابن تَيميّة

تأليف

محمد عوض

« إنَّ الحَقَّ لا يُعرف بالرِّجال،
اعرف الحَقَّ تعرف أهله »

قاله الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنه

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

1434 هجري
2013 ميلادي

الدهيشة – بيت لحم

فلسطين

المقالاتُ الذَّهَبِيَّة
في
نَقْضِ عَقائِدِ ابن تيميّة

مُقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾[1]، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلّا الله وحده، لا شريكَ له ولا شبيهَ له ولا نظيرَ له، خَلَقَ كُلَّ شيءٍ مِن ماء، وخلقَ الماء مِن العَدَم، ﴿ إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾[2]، وهو خالقُ المكان ومُجْري الزّمان، كُلُّ شيءٍ يَجري بعِلْمه وتقديره، لا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّبَ لحكمه، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، بَلّغَ رسالة رَبِّه، وبَيّنَ ما أُوحِيَ إليه، ونصحَ الأُمّة، وتركها على مِحجّة بيضاء لا يزيغ عنها إلّا ضال.

أما بعد: قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ وَأنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتَّبِعوهُ ﴾[3]، وقال: ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ ﴾، والصِّراطُ المستقيم يَكمنُ في كتاب الله، قال اللهُ تبارك وتعالى :﴿ إنَّ هذا القُرآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أقْوَمُ ﴾[4]، وفي سُنَّة رسوله ﷺ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمآ آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانتَهواْ ﴾[5].

وقد حَذّرنا اللهُ الرَّحيمُ مِن إتِّباع سُبل أهل الأهواء، لأنها تحول بيننا وبين صِراطه المستقيم، فقال جَلّ ثناؤه: ﴿وَلا تَتَّبِعواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ ﴾[6]. وأهلُ الأهواء هُم أصحابُ الفِرَق الضالّة، الذين ابْتَدعوا وِفْق أهوائهم في الدِّين ما لم يُنزل اللهُ به سلطانا، قال الرسول ﷺ: « إنَّ أُمتي سَتفترقُ على ثنتين وسَبعين

[1] سورة الأنعام : آية رقم 1.
[2] سورة يس: آية رقم 82 .
[3] سورة الأنعام: آية رقم 153.
[4] سورة الإسراء: آية رقم 9.
[5] سورة الحشر: آية رقم 7.
[6] سورة الأنعام: آية رقم 153.

فِرقة كُلها في النّار إلّا واحدة وهي الجماعة »[7]، ورواه التِّرمِذي بلفظ: « ما أنا عليه وأصحابي»[8]، ورواهُ الطَّبراني بلفظ: «كُلّها في النار إلّا السَّواد الأعظم»[9]، ولا فَرْقَ في المعنى بين الرِّوايات الثلاث، لأنَّ السّوادَ الأعظم، وهو جماعة المسلمين، لم يخرج عمّا كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه. وقد حَدَثَ ما أخبر عنه الصادق الأمين ﷺ، فاختلف الناس بعده بزمن فِرَقا، وكُلُّ فِرقة مِن هذه الفِرَق ادّعَت لنفسها الهداية ولغيرها الضلالة، ولكنَّ المَرْجِعَ في الحُكْم على كُلِّ فِرقة مِنها هو كتابُ الله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فيهِ مِن شَيءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللهِ ﴾[10]، وسُنَّة رسوله ﷺ وعُلماء الأمَّة مِن بعده ﷺ، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسولِ وإلى أُوْلي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطونَهُ مِنْهُمْ ﴾[11].

فمِن الناس مَن نَفَى صِفاتَ اللهِ الأزَلِيّة، كالعِلم، مع أنَّ اللهَ تبارك وتعالى يقول: ﴿أنْزَلَهُ بِعِلمِهِ﴾[12]، ويقول: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّا بِمَآ شَاءَ ﴾[13]،

ونَفَى أن يكون لله قوة (قُدرة)، مع أنَّ اللهَ يقول: ﴿ذو القُوَّةِ المَتينُ ﴾[14]، وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دُعاء الإستخارة: «اللهُمَّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدْرتك... »[15]،

ونَفَى أن يكون لله سَمْعٌ وبَصَر، مع أنّ اللهَ يقول: ﴿وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[16]،

ونَفَى رُؤية اللهِ في الآخِرة، مع أنّ اللهَ يقول: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرةٌ، إلى رَبِّها نـاظِرةٌ ﴾[17]، وهؤلاء الناس هُم المُعْتَزِلَة[18].

---

[7] رواه ابن ماجه في سننه بسند صحيح، أنظر "سنن ابن ماجه"، رقم الحديث 3993 بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض. ورواه أبو داود في سننه بسند حسن، أنظر " سنن أبي داود"، كتاب السُّنة، باب شرح السُّنة ، رقم الحديث 4597 بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1 ، الرياض.

[8] "سنن التِرمذي"، كتاب الإيمان (رقم 38): باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث 2641 بتعليق الألباني، قال الإمام الترمذي عقب الحديث: حسن غريب، وصححه الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض.

[9] "المعجم الكبير" للطبراني، جزء 8 / ص 274، رقم الحديث 8054 ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط 2 ، بيروت 2002.

[10] سورة الشورى: آية رقم 10.

[11] سورة النساء: آية رقم 83.

[12] سورة النساء: آية رقم 166.

[13] سورة البقرة: آية رقم 255.

[14] سورة الذاريات: آية رقم 58 .

[15] أخرجه الحافظ أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 147 بتعليق المُحَدِّث الكوثري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

[16] سورة الشورى: آية رقم 11.

[17] سورة القيامة: آية رقم 22 ، 23.

[18] راجع "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1 / جزء 1 / ص 55 مِن الكتاب المطبوع على هامش "الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" للإمام ابن حزم الأندلسي، **الناشر**: دار صادر، بيروت، وهذه الطبعة مصوّرة عن الطبعة الأولى التي صدرت عام 1317 هـ بالمطبعة الأدبية بمصر.

ومِنَ النـاس مَـن نَفـى تقديرَ اللهِ لأفعال العِباد خَيْرها وشَرِّها، وادّعى أنّ العبادَ يَخلقونَ أفعالهم، مع أنَّ اللهَ يقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْديراً ﴾[19]، ويقول سُبحَانَه وَتَعَالَى: ﴿ قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ ﴾[20]، ويقول اللهُ عزّوجلّ: ﴿ واللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلونَ ﴾[21]، وقال الرسول ﷺ: « إنّ اللهَ يَصنعُ كُلَّ صانعٍ وصنعته »[22]، قال الإمامُ البُخاري رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّقا على هذا الحديث: «فأخبرَ أنّ الصناعات وأهلها مخلوقة»[23]. وهؤلاء الناس هم القَدَرِيّة[24] - وجُمهور المُعتزلة قَدَريّة -، قال الرسول ﷺ : « القَدَريّة مجوس هذه الأُمَّة »[25].

ومِن الناس مَن افترى بأنَّ اللهَ لا يتكلم، وإن أرادَ اللهُ الإخبارَ عن شيءٍ خَلَقَ كلاما، مع أنّ الله سُبحَانَه وَتَعَالَى يقول: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليماً ﴾[26]، وهؤلاء الناس هم الجَهْمِيّة[27]، وقد نفوا أيضا صفاتَ اللهِ ورؤيته تعالى في الآخرة.

ومِن الناس مَن ادّعى أنه لا إرادة ولا قُدرة للعبد أصلا، وهو مُجْبرٌ في أفعاله، وهذا باطلٌ لأنّ اللهَ أثبت للعبد إرادة وقدرة وكَسْباً، فقال سُبحَانَه وَتَعَالَى: ﴿ اعْمَلواْ ما شِئْتُمْ ﴾[28]، وقال عزّوجلّ: ﴿ جَزآءً بِما كانواْ يَعْمَلونَ ﴾[29]، وقال تبارك وتعالى اسمه: ﴿ لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ ﴾[30]، وقال ذو الجلال والإكرام: ﴿ وَما تَشآءونَ إلآّ أن يَشآءَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ ﴾[31]. وهؤلاء الناس هُم الجَبْرِيّة[32] - وجُمهور الجَهْمِيّة جَبْرِيّة-.

ومِن الناس مَن ادّعى بأنّ اللهَ جِسْم، مع أنّ اللهَ يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾[33]، وادّعى أنّ للهِ أعضاءً، مع أنّ اللهَ يقول: ﴿ يآ أيُّهَا الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَريمِ ، الَّذي خَلقكَ فسَوَّاكَ

---

[19] سورة الفرقان: آية رقم 2.
[20] سورة الرعد: آية رقم 16.
[21] سورة الصافات: آية رقم 96.
[22] "خَلْقُ أفعالِ العباد"، للإمام البخاري، ص 46 بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة، **الناشر**: دار عكاظ، ط 1، جدة. وهذا الحديث أخرجه أيضا الحافظ البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد"، ص 73. **الناشر**: دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 2003.
[23] "خلق أفعال العباد"، ص 46.
[24] راجع "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 31 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.
[25] رواه أبو داود بسند حسن، وغيره، أنظر "سنن أبي داود"، كتاب السُّنة، باب القدر، رقم الحديث 4691 بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض.
[26] سورة النِّساء: آية رقم 164.
[27] راجع "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 109 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.
[28] سورة فصلت: آية رقم 40.
[29] سورة السجدة: آية رقم 17.
[30] سورة البقرة: آية رقم 286.
[31] سورة التكوير: آية رقم 29.
[32] راجع "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 108 - 109.
[33] سورة الشورى: آية رقم 11.

فعَدَلكَ، فيّ أيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[34]. ويقول جَلّ ثناؤُه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ، ولِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[35]، فبَيّنَ اللهُ في الآيات الكريمة السابقة أنّ الصّورةَ والتَّركيبَ مِن أعضاء، كاليد والقَدَم، والأدوات كالعين واللسان والشفاه، هو مِن أوصافِ المخلوق.

وادّعى أيضا أنّ اللهَ محدود، مع أنّ اللهَ يقول: ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ﴾[36]، وافترى أنّ اللهَ يقوم ويقعد ويرتفع ويهبط ويتحرك ويَزول، مع أنّ اللهَ سُبحانه وتعالى نَزَّهَ ذاته وصفاته عن ذواتِ وصفات وأوصاف المخلوق فقال: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ﴾ [37]، وهؤلاء الناس هم المُجَسِّمَة. والتَّجسيمُ جاء مِن جِهة الشيعة، فأوّل « مَن عُرِفَ عنه في الإسلام أنه قال: اللهُ جسم، هو هشام بن الحَكم - ت حوالي 187 هـ - **»[38]. وتَبِع الشيعة في عقيدة التّجسيم مقاتل بن سليمان** (ت 150 هـ) **المحسوب على أهل السّنة كَوْنه كان يُقِرُّ بخلافة الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان** رضي الله عنهم **أجمعين، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي عبدالله محمد بن كَرَّام السجستاني، المتوفي في القدس سنة 255هـ.**

ولقد تَصدَّى علماء أهل السُّنة لهذه الفِرق الضالّة، فناظروها، وألّفوا الكُتب للرّدِّ عليها، وبيّنوا فساد عقيدة هذه الفِرَق بأدلة نَقليّة وحُجج عقلية.

وأخطر هذه الفِرق على عوامِّ الناس كانت فرقة المُعْتَزِلة، لأنها وافقت أهل السُّنّة في تنزيه الله عن الجِسْمِيّة والأعضاء والمكان، وخالفت في إنكارها لصفات اللهِ الأزَلِيّة (صفات المعاني) كالعِلْم والإرادة والقُدْرة والسَّمع والبَصَر والكلام، واحتجوا على ذلك بقولهم: أنه لو كانت للهِ صفاتٌ لكانت أزَلِيّة كذاته وعلى هذا لشاركته في الألوهية[39]، وهذا مُنافٍ للتّوحيد، لهذا قالوا: اللهُ عالمٌ بذاته وليس بصفة عِلم، وسميعٌ بذاته وليس بصفة سَمْع. قَوْلهم: لو كانت للهِ صفاتٌ لكانت أزلية كذاته، هو حقّ، فصفاتُ اللهِ أزلية، أي لا بداية لوجودها، وعلى هذا فهي غير مخلوقة. وقولهم: وهذا مُنافٍ للتّوحيد، هو قولٌ باطل، لأنّ صفاتَ اللهِ ليست أشياءً منفصلة عنه حتى تُشاركه في الألوهية، بل هي صفاتٌ مَعْنَويّة قائمة بذاته تعالى، وهذه هي عقيدة أهل السُّنّة.

---

[34] سورة الإنفطار: آية رقم 6 – 8.

[35] سورة البلد: آية رقم 8 ، 9.

[36] سورة الحديد: آية رقم 3.

[37] سورة الصافات: آية رقم 180.

[38] "مِنهاج السُّنة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 72 – 73 ، وجزء 2 / ص 220 بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 1، 1986. كتاب "منهاج السُّنّة" ألّفه ابن تيمية رَدّا على كتاب "مِنهاج الكرامة في إثبات الإمامة" لابن المُطهر الحّلي الشيعي المتوفي سنة 726 هـ.

[39] راجع "المِلل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 55 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

ومِن المُعتزلة مَن زعَمَ أنّ صفاتَ الله هي عَيْنُ الذّات، أي الله، بمعنى: أنَّ صِفةَ العِلْم مثلا هي اللهُ وليست غيره، وصفة القُدْرَة هي اللهُ وليست غيره، وهكذا الأمر في باقي الصفات كالكلام والإرادة والحياة. وزعْمُهم هذا مُتهافت، لأنه لو كانت الصفاتُ عَيْنَ الذّاتِ لجاز أنْ ندعو اللهَ بالقول: يا قُدْرَة، يا سَمْع، يا بَصر، يا كلام، يا إرادة، يا حياة. وهذا لا يجوز قطعاً. وعلاوة على ذلك: لو كانت الصفاتُ عَيْنَ الذّات، لكان معنى قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلمِهِ ﴾ هو: أنزله بذاته! وهذا باطل.

ولقد تعاظم خطر المُعتزلة في عصر المأمون، لتقريبه إيّاهم لأنه وافقهم في القول بأنّ القرآنَ مخلوق، وبقيَ لهم منزلة خاصة عند المعتصم بعد وفاة المأمون سنة 218 هـ، وعند الواثق مِن بعد المعتصم.

أمّا فرقة المُجسِّمَة فلم تكن تُشكل خطرا كبيرا وذلك لظهور فساد عقيدتها. فكُلّما قام لهم شيخٌ يُدافع عن عقيدتهم، تَصدّى له أئمة أهل السُّنة وأفحموه وأسكتوه. ومِن شيوخ المُجَسِّمة الأوائل محمد بن كَرّام السجستاني، وأبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي[40] (ت 280هـ) **وأبو بكر الخَلّال** (ت 311 هـ). **ومِن المُتأخرين عبدالله بن حامد** (ت 403 هـ)، **وأبو إسماعيل الهَرَوي الأنصاري** (ت 411 هـ)، **والقاضي أبو يَعلى الفَرّاء** (ت 458 هـ) **وابن الزّاغوني** (ت 527 هـ).

وفي بداية القرن الثامن الهجري استلم راية المُجَسِّمَة الشيخ أحمد بن تيمية. مما لا شك فيه أنّ كثيراً مِن المسلمين سوف يتفاجأون مِن ذِكْر ابن تيمية في عداد شيوخ فِرقة المُجَسِّمَة، ومِن أسباب ذلك أنّ كثيراً منهم، وغالبية أتباعه ومُحبيه، لا يعرفون الكثير عن عقائده وحياته. فهو عندهم "شيخ الإسلام"، والعالم المُجتهد، والمُجاهد المِغوار الذي لا يُشَقُّ له غبار. حارب البِدَعَ والتّتار، وأظهر عقيدة السَّلف وحفظها مِن الضياع، إلى آخره. هكذا يُرَوِّجُ له أتباعه مِن على المنابر وفي حلقات الدروس، وفي الكتب، والتي غالبيتها تُطبع وتُوَزّع بدعم مِن السعودية، ناهيك عن الدَّعم المادي الذي تدفعه لِدُعاة عقيدتها، والمِنح الدراسية التي تُقدمها للطلاب لدراسة عقيدة التَّجسيم - عقيدة ابن تيمية - في جامعاتها، وبعد التَخَرجِ يعود هؤلاء إلى بلادهم يلهجون بحمدها، وينشرون عقيدتها في بلادهم. ولكن: هل عقيدة الشيخ ابن تيمية هي عقيدة سَلَفِ أهل السُّنة؟ أم هي عَيْنُ عقيدة فِرقة المُجَسِّمة، كالكَرّاميّة وغيرها، ونُشِرت باسم السَّلف[41]**؟ المَرْجع في الحُكم عليها هو**

---

[40] هو غير الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي صاحب السنن والمتوفي سنة 255 هـ.

[41] **السَّلف** هم أوائل هذه الأُمَّة مِن القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وتشمل عصر الرسول ﷺ والصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، رحمهم الله أجمعين.

كِتـابُ الله وسُنَّة رسـوله ﷺ، وأقـوال علمـاء سَلف أهل الـسُّنة، ألـيس كـذلك؟ كل مُـسلم سيجيب بنعم.

في هذا الكتاب سوف أعرضُ بعضا مِن عقائد ابن تيمية، وأرُدُّ عليها مُبيِّناً مُخالفتها لعقيدة أهل الـسُّنّة بنـصوص نقليّة وأدلـة عقليـة، حتـى تتكشف الحقـائق إنْ شـاءَ الله، أولا: أمـام أتباعه، وغالبية عوامِّهم لا تعرف حقيقة عقائد شيخها، وتَتْبعه فقط لشهرته، ولِمَ لا ؟ فهو "شيخ الإسلام"، والحقيقة هي أنه كان شيخ المُجَسِّمَة.

وثانيا: حتى تتكشف الحقائق أمام عَوامّ أهل السُّنّة حتى يكونوا على بَيِّنة مِن الأمر، لِيَثبتوا بمشيئةِ اللهِ على عقيدة سلفهم الـصالح كالأئمـة عبدالله بـن عبـاس رضي الله عنهما، والـضَحّاك بـن مُـزاحِم (ت 102 هـ) ومُجاهـد بـن جبـر (ت 104 هـ) وأبـي حنيفـة النُّعمـان (ت 150 هـ) وسُـفيان الثَّوْريّ (ت 161هـ) والنَّضْر بن شُمَيْل (ت 203هـ) والقاضي أبي عُبيْد القاسم بن سلّام (ت 224 هـ) والإمـام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) وأبـي جعفر الطَّحـاوي (ت 321 هـ)، ومَن تـبعهم فـي المُعتقد كالإمـام أبـي الحَسن الأشـعري (ت 324 هـ) والحـافظ ابـن حِبّـان (ت 354 هـ) والحـافظ الفقيه أبي سليمان الخَطّابي (ت 388 هـ) والقاضـي والأصـولي أبـي بكـر البـاقلاني (ت 403 هـ) والفقيـه أبـي عبـدالله الحَليمـي (ت 403 هـ) والحـافظ الفقيـه ابـن حَـزْم الأندلـسي (ت456 هـ) والحافظ الفقيه والأصولي أبي بكر البَيْهَقي (ت 458 هـ) والإمام الفقيـه أبـي حامـد الغزالـي (ت 505 هـ) والحـافظ أبـي بكـر بـن العربـي (ت 543هـ) والقاضـي المُحَـدِّث عِيـاض (ت 544 هـ) والحافظ والمؤرخ ابـن عَساكِر الدِّمشقي (ت 571 هـ) والإمـام المُفَسِّر فخرالـدين الـرّازي (ت 606 هـ) والإمام الفقيه العِز بن عبدالسّلام (ت 660 هـ) والإمام المُفَسِّر أبي عبدالله القُرْطُبي (ت 671 هـ)، والإمام الحـافظ والفقيـه مُحيي الـدين النَّـوَوي (ت 676 هـ) والإمـام المجتـهد، قاضـي القضاة تقيّ الدين السُّبْكي (ت 756 هـ) والإمـام الحـافظ والفقيـه ابـن حَجَـر العَسقلاني (ت 852 هـ)، وغيرهم كثير.

نَبْذَة عن حياة الشيخ ابن تيمية

هو أبو العباس أحمد تقي الدين، والده شهاب الدين عبدالحليم بن تَيميّة، كان « مُحَدِّثاً وفقيهاً حنبلياً »[42]. انتقل الشيخ شهاب الدين مِن حرَّان (شمال العراق) إلى دمشق في عام 667 هـ بسبب إغارة التّتار عليها[43]، وهناك اشتغل بالتّدريس في الجامع الأُموي وفي دار الحديث السُّكَّريّة[44].

وُلِدَ أحمد بن تيميّة في عام 661 هـ ، أي بعد ثلاث سنوات من انتصار المسلمين على التَّتار في معركة عين جالوت. في ذلك الوقت كان المماليك يحكمون مصر والشام منذ عام 647 هـ. وفي الفترة التي وُلِد فيها ابن تيميّة كان الحُكم بيد رُكن الدين الظاهر بيبرس، وذلك منذ عام 658 هـ، واستمر حُكمه إلى عام 676 هـ .

في عام 682 هـ توفي الشيخ شهاب الدين فخلفه ابنه أحمد بن تيميّة في التّدريس بدار الحديث السُّكَّريّة، وذلك في عام 683 هـ[45].

في عام 698 هـ قام عُلماء المسلمين ضد ابن تيميّة، والسبب في ذلك هو أنَّ بعضَ أهل حماة وجَّهوا إليه أسئلة في موضوع صفاتِ الله، فأجابهم ابن تيميّة، وعُرِف ذلك الجواب بإسم "الفَتوى الحَمويّة"، وتضمنت فتواه هذه نسبة الجِهة (العُلُوّ المكاني) إلى الله[46]، وصَرّح فيها أيضا أنّ صفاتَ التَّجسيم والتَّشبيه (كاليَد والوَجْه والعَيْن) الموجودة في التّوراة المُتداولة بين اليهود هي حق[47]، وأنّ اللهَ «مع خَلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة»[48].

وبسبب عقائده الفاسدة أُخْضِعَ ابن تيميّة لعدة استجوابات على يد عُلماء أهل السُّنّة، وسُجِنَ لعدة سنوات، حيث سُجِن مرتين في مصر، ثُمّ أُطلق سراحه، ثُمّ سُجن آخِر مرة عام 726 هـ في قلعة دمشق، وبقي مسجوناً فيها إلى أن توفيّ عام 728 هـ، وبموته هدأت نار

---

[42] "رجال الفكر والدعوة في الإسلام، خاص بحياة الحافظ ابن تيمية"، تأليف أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص 35، الناشر: دار القلم، ط 6 ، الكويت 1983.
[43] المرجع السابق، ص 19.
[44] المرجع السابق ، ص 37.
[45] المرجع السابق ، ص 42.
[46] ولقد أَلّفَ الإمامُ أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل (ت 733 هـ) رسالة في تَنْزيه الله عن الجِهة، رَدَّ بها على ابن تيمية. وهذا الرسالة موجودة في "طبقات الشافعية الكبرى" للإمام تاج الدين عبدالوهاب السُّبْكي، عقب ترجمة الإمام ابن جهبل، ترجمة رقم 1302، مجلد 9 / ص 69 بتحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمد محمود الطناحي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
[47] أنظر "شرح الفتوى الحموية" لابن تيمية ص 101 – 103، الشارح: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي وصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، الناشر: دار ابن الجَوْزي، ط 1، القاهرة 2007.
[48] المرجع السابق، ص 405.

الفِتنـة العقائديّـة التـي أثارهـا. وبقـي الأمْـرُ كـذلك إلـى أنْ اسـتلم لِـواء المُجَسِّمَـة محمـد بـن عبدالوهاب النَّجدي، وتمكن بتحالفه مع آل سعود مِن إحياء ونشر عقائد ابن تيمية.
ولقد نشر الشيخ ابن تيمية عقائده القائمة على تجسيم الله ونِسبة المكـان إليـه تعـالى باسـم السَّلَف، والسَّلَفُ الصالح برِيءٌ مِن ذلك كما سيلي بيانه إن شاء الله تعالى.

مذهب السَّلف في فهم النُّصوص الشَّرعية المتعلقة بصفات الله

تمـهيد:

أولاً: تعريف "السَّلف": السَّلف هم أوائل هذه الأُمّـة مِـن القـرون الـهجريّـة الثلاثـة الأولـى، وهذه تشمل عصر الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والتّابعين وتـابعي التـابعين رضي الله عنهم أجمعين، ويُطلق اسم "سَلَفي" على كُلِّ مَنْ تَبِعهم في المُعتقد. ولقد شَهد الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه القرون بالخيريّة، فقال: « خيرُ النـاس قرنـي، ثُمّ الذين يلُونـهم، ثُمّ الذين يلـونـهم »[49]، وهـذا لا يعنـي تلقائياً أنّ كُلَّ مَنْ عاش في القرون الثلاثة الأولى هو إنسان صالح أو أنَّ عقيدته سليمة، بل الواقـع المريـر هـو أنّ مُعْظَمَ الفِرَق الـضالّة كـالقَّدَرِيّـة[50] والجَـهْمِيّـة[51] والمُعْتَزِلـة والمُجَسِّمَة نشأت في القرون الثلاثة الأولى. وعلى هذا الأساس هناك سلف صالح وسلف طالح. فكيف نُفسِّر إذن حـديث الرسـول صلى الله عليه وسلم الـذي شـهد فيـه بـالخيريّـة لتلـك القـرون؟ الجـواب : صـفةُ الخيريّـة للقـرن الأول كانـت بوجـود الرسـول صلى الله عليه وسلم والـصحابة رضوان الله عليهم، وللقـرنين التـاليين كانت بتواجد عدد هائل مِن العلماء الأبرار العباقرة الذين نقلوا لنا هذا الدين خالياً مِن عقائد التّعطيـل والتَّـشبيه والتّجـسيم التـي حاولـت الفِـرَق الـضالة بهـا إفـساد العقيـدة الاسـلاميّة الصحيحة القائمة على تنزيه اللهِ عن الجِسْمِيَّة والأعضاء والحدود والمكـان وإثبـات صـفات الله التـي جـاءت بهـا نـصوص الكتـاب والـسُّنَّة الـصحيحة كـالعِلم والقُدْرَة والإرادة والـسَّمع والبَصَر والكلام.

---

[49] حديث صحيح أخرجه التِّرْمِذي في سننه، كتاب الفتن، رقم الحديث 2221 بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، وبنحوه رواه الإمام أحمد في مُسنده برقم 23024.

[50] سُمّوا كذلك لأنهم نفوا أنّ اللهَ يُقدِّر ويَخلقُ أفعال الخَلْق، فزعموا أنّ العبدَ يَخلقُ أفعالَ نفسه خيرها وشرّها وأنّه مستقلٌ بإرادته ليس لله في أفعاله مشيئة وخَلْق. وعقيدةُ أهل السُّنّة تَنُصُّ على أنّ اللهَ خالقُ كُلّ شيْ بما في ذلك أفعال العبد، فاللهُ يَخلق الفِعل والإنسان يكتسبه بإرادته الخاضعة لمشيئة الله، قال اللهُ تعالى: ﴿ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ ﴾ [سورة الرعد: 16]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ واللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: 96]، وقال اللهُ تعالى: ﴿ وما تشآءُونَ إلّآ أن يشآءَ اللهُ رَبُّ العَالمينَ ﴾ [سورة التكوير : 29]. ويُعتبر مَعْبد الجُهَني أوّل مَنْ تكلم في القَدَر.

[51] نِسبة إلى جَهْم بن صفوان السَمَرقندي. والجَهْميّة نفوا صفات الله الأزليّة كالعِلم والكلام فسُمّوا أيضاً مُعَطِّلة. ونفوا أنّ اللهَ يعلم عن الشيْ قبل خلقه وقالوا أنَّ كلامَ الله مخلوق. وبسبب عقائده الفاسدة قُتل جهم بن صفوان عام 128 هـ بمَرْو، راجع "المِلل والنِّحل" للشهرستاني، مجلد 1 / جزء 1/ ص 109 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

ثانياً: تعريف "أهل السُّنّة": أهل السنّة هم جمهور أُمَّة محمد ﷺ، وهم الصحابة ومَن تبعهم في العقيدة التي تلقوها عن الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

السَّلفُ الصالح بين مَذْهَبيّ التَّفويض والتَّأويل في فهم آيات وأحاديث الصفات

لِسَلف أهل السُّنّة مذهبان في فهم النُّصوص المُتعلّقة بصفات الله سبحانه وتعالى، وهما مذهب التَّفويض ومذهب التَّأويل، قال الإمام النَّوَوي[52] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم مُعلِّقاً على حديث النُّزول: « هذا الحديث مِن أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء، سَبقَ إيضاحهما في كتاب "الإيمان" ومختصرهما أنَّ أحدهما وهو مذهب جمهور السّلف وبعض المتكلِّمين[53] أنّه يُـؤمَن بأنّها حَقّ على ما يَليق بـاللهِ تعالى، وأنَّ ظاهرَها المُتعارف في حقِّنا غيرُ مُراد، ولا يُتكَلّم في تأويلها مع إعتقاد تنزيهِ اللهِ تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سِمات الخَلْق[54]، والثاني: مَذهب أكثر المتكلِّمين وجماعات مِن السَّلف وهو مَحكيٌّ هنا عن مالك[55] والأوْزاعيّ[56] أنّها <u>تُتَأوّل</u> على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأوّلوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه: تَنْزِلُ رحمتُه وأمْرُه وملائكته، كما يُقال: فعلَ السُّلطانُ كذا إذا فَعَلَه أتباعه بأمره. والثاني: أنّه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الدّاعين بالإجابة واللّطف، واللهُ أعلم»[57].

قَوْلُ الإمام النَّوَوي: « وأنَّ ظاهرها المُتعارف في حقِّنا غيرُ مُراد، ولا يُتكلّم في تأويلها مع إعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق » هو مضمون مَذهب التَّفويض، وهذا يقوم على تفويض معنى اللفظ الذي يوهم ظاهره التَّشبيه[58] والتّجسيم[59] إلى اللهِ تعالى، مع

---

[52] هو الإمام الحافظ والفقيه أبو زكريا مُحيي الدين النَّوَوي، شارح صحيح مسلم، ولد عام 631 هـ وتوفي في عام 676 هـ.

[53] المقصود بالمُتكلِّمين علماء علم التوحيد. **تنبيه**: هناك مُتكلمون مِن **السّلف الصالح** وهم المقصودون هنا، كأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ) وأبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ) وأبي منصور الماتريدي (ت 333 هـ) وأبي العباس القَلانِسي (ت حوالي 335 هـ). وهناك مُتكلمون مِن **السَّلف الطالح** كهشام بن الحكم (ت187 هـ) وابي الهُذَيْل العَلّاف (ت 226 هـ) وابراهيم بن سيّار النَّظّام (ت 231 هـ) ومحمد بن كرّام السجستاني (ت 255 هـ) ومحمد بن الهيصم.

[54] **هذا هو مذهب التّفويض**.

[55] هو الإمام الحافظ والفقيه مالك بن أنس، صاحب المذهب المالكي، ولد 93 هـ وتوفي 179 هـ.

[56] هو أبو عمرو عبدالرحمن، كان عالم أهل الشام في زمانه، ولد 88 هـ وتوفي 157 هـ.

[57] "صحيح مسلم بشرح النّوَوي" للإمام محيي الدين النَّوَوي، مجلد 3 / ص 2236، عند التعليق على حديث النزول (برقم 758 في صحيح مسلم)، **الناشر**: دار الفكر، ط1 ، بيروت 1996 .

[58] كقوله تعالى: ﴿ وَجآءَ رَبُّكَ ﴾ ، فظاهر الكلام أنَّ اللهَ يجيء، والمَجيءُ (وكذلك الذّهاب والقيام والجلوس) مِن صفات المخلوق، لا يجوز نِسبته إلى الله الخالق. ومعنى الآية الكريمة أعلاه هو: وجاء **أمْرُ** الله، فالآية فيها إضمار، وتقديره: **أمْر**، وهذا هو تفسير الإمام أحمد بن حنبل وغيره مِن علماء المسلمين كابن حَزْم الأندلسي، راجع: "الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" للإمام ابن حزم الأندلسي، مجلد 1 / جزء 2 / ص 173 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

[59] كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بأيْيْدٍ﴾ [سورة الذاريات: آية رقم 47]، ظاهر الآية يُوهم أنَّ للهِ يداً عُضواً، وهذا مستحيل، أي لا يجوز في حقِّ الخالق الذي أمره ﴿ إذآ أرادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فيَكونُ ﴾. فلفظ أيدٍ (وهي جَمع يَد) المُضاف إلى الله تعالى في الآية أعلاه معناه **القوة** (القدرة) كما قال الأئمّة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد←

الجَزْم بأنّ ظاهرَ اللفظ الموهم للتّشبيه والتّجسيم والمُضاف إلى اللهِ تبارك وتعالى غيرُ مُراد، وتنزيه اللهِ عن صفات المخلوق كالحركة والسّكون والصعود والنّزول والقيام والجلوس والأعضاء كاليد والعَيْن والوَجْه. ويُمكن استنباط مذهب التّفويض مِن الحديث النّبويّ الذي رواه الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد": « إنما هَلَكَ مَن كان قبلكم بهذا، ضربوا كتابَ الله بَعضه ببعض، وإنّما نَزَلَ كتابُ الله يُصدِّقُ بعضه بعضا، فلا تضربوا بعضه بعضا. ما علمتم منه فقولوا، وما لا - تعلمونه -، فكِلوه إلى عالمه»[60]، ما بين الشرطتين في الحديث إضافة للتوضيح. قوله ﷺ : « فكلوه إلى عالمه » أي فوّضوا معناه إلى الله تعالى.

وقال الإمام البخاري رحمه الله: « وكُلّ مَنْ اشتبه عليه شيء فأوْلى أنْ يكِلهُ إلى عالمه كما قال عبدالله بن عمرو[61] رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ : « وما أشْكلَ عليكم فكلوه إلى عالمه»][62].

وفيما يلي بعضٌ مِن أقوال الأئمة في التَّفويض:

1. سَألَ الوليد بن مسلم (ت 196 هـ) **الإمامَ مالك بن أنس عن أحاديث الصِّفات، فأجابه: «أمِرَّها كما جاءت بلا تفسير»[63].**

2. روى الحافظ حنبل بن إسحاق، وهو ابن عمّ الإمام أحمد بن حنبل، في كتابه "السُّنَّة والمِحنة" قال: « سألت أبا عبدالله - أي الإمام أحمد- عن الأحاديث التي تُروى « إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَنزلُ إلى سماء الدنيا » و « إنَّ اللهَ يُرى » و « إنَّ اللهَ يَضعُ قدمه » وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبدالله: «نُؤمن بها ونُصدِّق بها ولا كَيْف ولا معنى» »[64].

قوله: «ولا كَيْف» معناه نَفْيُ الكَيْف عن اللهِ سبحانه وتعالى، لأنَّ الكَيْفَ معناهُ صفة في المخلوق[65] كالحركة والسّكون والقيام والجلوس. فَنَفْيُ الكَيْف معناه نَفْي المعنى الظاهر المُتبادر إلى الذِّهن والمفهوم في حَقِّ المخلوق.

←وقتادة وابن جرير الطَّبري (صاحب التفسير) وغيرهم، راجع تفسير ابن جرير الطّبَري جزء 7 2 / ص 12 مِن طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001، عند تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بأَيْيْدٍ﴾ [سورة الذاريات: آية رقم 47].

60 "خلق أفعال العباد" للإمام البخاري، ص 63 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.

61 هو الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولد 7 ق.هـ ، ت 65 هـ.

62 "خلق أفعال العباد"، ص 63 من الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.

63 "سير أعلام النبلاء" للحافظ الذَّهبي، مجلد 8 / ص 105، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت 2001.

64 المرجع: "رسالة العقيدة" للشيخ حسن البنا رحمه الله، وهي مطبوعة ضمن "مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا"، ص 420، **الناشر**: العلميّة للنشر والتوزيع، بنها-مصر 2002.

65 قال العلّامة كمال الدين أحمد البياضي (ت 1097 هـ) في كتابه "إشارات المرام مِن عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين"، ص 155 بتحقيق أحمد فريد المزيدي، (الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 2007) ما نصه: «فإنّ **الكَيْفِيّة** في اللغة بمعنى الهيئة والصِّفة، كما في المصباح المنير. وفي الإصطلاح الكلامي: عَرَض لا يقتضي القسمة←

وقوله: «ولا معنى»، معناه بدون تفسير، وهذا يعني بدون تحديد للمعنى، مع تفويض المعنى إلى اللهِ سُبحَانَه وَتَعَالَى.

3. وقال الحافظ التِّرْمِذيّ (ت279 هـ) **في سُنَنِه: « قد قال غيرُ واحد مِن أهل العِلم في هذا الحديث[66] وما يُشبهُ هذا مِن الرِّوايات مِن الصِّفات، ونُزول الرَّب تبارك وتعالى كُلّ ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويُؤمَن بها ولا يُتَوهّمَ، ولا يُقال: كَيْف؟ هكذا رُوِيَ عن مالك وسفيان بن عُيَيْنَة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: "أمرُّوها بلا كَيْف"، وهذا قول أهل العِلم مِن أهل السُّنة والجماعة».**

قولهم: «بلا كَيْف» هو نَفيٌ للمعنى المفهوم في حَقِّ المخلوق، لأنّ الكَيْفَ صفة للمخلوق، واللهُ مُنَزّهٌ عن ذلك.

وقال الحافظ التِّرْمِذيّ أيضا في سُنَنِه: « وقد رُوِيَ عن النبيّ ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يُذكَرُ فيه أمْر الرُّؤية أنّ الناس يَرون رَبَّهم وذِكْرُ القَدَمِ وما أشبه هذه الأشياء. والمَذهبُ في هذا عند أهل العِلم مِن الأئمة مِثل سفيان الثَّوْريّ ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عُيَيْنَة ووكيع وغيرهم أنهم رَوَوْا هذه الأشياء ثم قالوا: «تُرْوى هذه الأحاديث ونُؤمِن بها، ولا يُقال: كَيْف؟»، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أنْ تُروى هذه الأشياء كما جاءت ويُؤمَن بها ولا تُفَسّرُ ولا تُتَوَهَّمُ ولا يُقال: كَيْف؟ وهذا أمْرُ أهل العِلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[67].

4. وقال الحافظ الذهبي (ت 748 هـ) **في كتابه "سِيَر أعلام النبلاء"** (مجلد 8 / ص 105)**:**

«فقولنا في ذلك وبابه: الإقرار - بما وَرَد - **والإمْرار** - أي بدون تفسير - ، **وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم »**، ما بين الشرطتين في هذا النَّص، وفي أيِّ نَصٍّ يُستشهدُ به في هذا الكتاب، هو إضافة مني للتوضيح.

5. وأخرج الإمام الحافظ أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات" عن الوليد بن مُسلم قال: [سُئِلَ الأَوْزاعيّ ومالك وسفيان الثَّوْريّ والليث بن سعد[68] عن هذه الأحاديث التي جاءت في التَّشبيه، فقالوا: «أمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْفِيَّة»][69].

←واللاقسمة إقتضاءً أولياً، وينقسم إلى الكيفيات المحسوسة، والكَيْفيّات النفسانية، والكيفيات المختصة بالكميات، والكيفيات الإستعدادية، كما في المواقف، **وكُلّ ذلك يَختص بالمخلوقات** ».

[66] أنظر "سنن الترمذي"، حديث رقم 661 ، باب (28) : "ما جاء في فضل الصدقة"، قال الرسول ﷺ: « ما تَصَدَّقَ أحدٌ بصدقة مِن طيِّب، ولا يقبل اللهُ إلّا الطيب، إلّا أخذها الرَّحمن بيمينه، وإن كانت تمرة ... »، الحديث.

[67] قال ذلك الحافظ الترمذي في سُننه، باب 20: ما جاء في خلود أهل الجَنّة وأهل النار، في تعليقه على الحديث رقم 2557.

[68] فقيه مصر، ت 175 هـ.

[69] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ والفقيه أبي بكر البَيْهَقي (ت 458 هـ)، ص 569 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

قولـه: «التي جاءت في التَّشبيه» معناه أنَّ هذه النُّصوص تؤدي إلى التَّشبيه، أي تشبيه الله بخلقه، إذا ما حُملت على ظاهرها المُتبادر إلى الذهن والمفهوم في حقِّ البشر.
وقوله: «أمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْفيَّة» معناه الإيمان بهذه الأحاديث مع نفي الكَيْفِيّة، أي نَفْيّ المعنى المُتبادر إلى الذهن والمفهوم في حقِّ المخلوق، لأنَّ الكَيْفِيّة (والكَيْف) هي صفة معهودة في المخلوق.
6. وروى الإمام أبو بكر البَيْهَقي بإسناده عن الإمام أبي داود الطيالسي[70] قال: « كان سفيان الثَّوريّ - ت161 هـ - **وشُعبة** - ت 160 هـ - **وحمّاد بن زيد** - ت 179 هـ - **وحمّاد بن سَلَمة** - ت 167 هـ - **وشَريك** – ت 177 هـ - **وأبو عَوَانة** - ت 176 هـ- **لا يَحُدّون ولا يُشَبِّهونَ ولا يُمَثِّلون، يَرْوون الحديثَ لا يقولون: كَيْف، وإذا سُئلوا أجابوا بالأثر. قال أبو داود: وهو قولنا. قلت -أي البَيْهَقي-: وعلى هذا مضى أكابرنا » [71].**
قوله: «لا يَحُدّون» معناه ينفون أنْ تكون ذاتُ اللهِ محدودة ولها نهاية، وهذا واضح لأنَّ الحَدَّ والنِّهاية يكونان للجسم، واللهُ سبحانه وتعالى ليس بجسم، فالذي يَنْفي الحَدّ والنهاية عن اللهِ يَنْفي عنه تلقائيا الجِسْمِيَّة والتَّركيب.
وقوله: «لا يُشَبِّهون» أي لا يُشبِّهون الله بخلقه، وذلك بعدم نِسْبَةِ معنى أيِّ صِفة مِنْ صفات المخلوق أو وصف مِنْ أوصافه إلى اللهِ تعالى (كالحركة والنّزول والصُّعود، واليَد والعَيْن كأعضاء). والنَّصُّ أعلاه دليلٌ واضح على أنَّ الأئمة المذكورين أعلاه كانوا يُنَزِّهون اللهَ عن الجسم والأعضاء.
تنبيه: المُجَسِّمَة يقولون: التَّشبيه هو أنْ تقول مثلا: اللهُ يَتحَرّك كحركتي، أو يَنْزِلُ كنزولي، أو له يَدٌ كيدي أو يدٌ عُضْوٌ مِثل يدي، إلى آخره. فَمَن مِن مجنون يعتقد هذا فضلا عن عاقل؟! فمتى قال الإنسان مثلا: لله يدٌ عُضْوٌ يُعَدُّ ذلك تشبيهاً للهِ بخلقه، ومِن الدّليل على ذلك قَوْل الإمام الحافظ والفقيه أبو بكر الإسماعيلي (ت 371 هـ)**: « ولا يُظن أنَّ اللهَ ذو أعضاء وجَوارح لِما في ذلك مِنْ مُشابهة المخلوقين، تعالى اللهُ عن ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ »[72]. وهذا الكلام ليس خاصا بالإمام الإسماعيلي فقط، بل هو مفهوم علماء أهل السُّنة قاطبة كابن حَجَر العسقلاني والنَّوَوي وابن الجَوْزي والقاضي عِياض وابن حَزْم الأندلسي والبَيْهَقي وأبي منصور البغدادي والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم. فالتَّشبيهُ عند**

---

[70] هو الإمام سليمان بن جارود،أول مَن ألّف المسانيد، ولد 133 هـ، ت 204 هـ.
[71] "الأسماء والصفات"للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 537 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[72] أُنظر "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، للإمام الحافظ ابن حَجَر العَسقلاني، عند شرح الحديث رقم 4919، باب "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن ساق"، مجلد 8/ ص 858 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1989.

أهل السّنة معناه الاشتراك في معنًى مِن المَعاني. قال الإمام أبو جعفر الطَّحَاوي في رسالة عقيدة أهل السُّنّة (وهي معروفة باسم "العقيدة الطَّحاويّة") ما نَصّه: « وَمن وصَفَ اللهَ بمعنًى مِن معاني البَشَر فقد كَفَر »، فمثلا معنى العَيْن في حَقِّ الإنسان هو أداة الرُّؤية، وعلى هذا فَمَن قال أنّ للهِ عَيْناً بها يرى، أي أداة للرُّؤية فقد كَفَر، لأنه شَبَّهَ اللهَ الخالقَ بالمخلوق وذلك بنسبة الأعضاء، هنا العَيْن، إلى الله تعالى.

مِثال على مذهب التّفويض: كان الإمام أحمد بن حنبل (ت241 هـ) **يقول في عقيدته عن لفظ اليَدَيْن المُضاف إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾: « إنَّ للهِ تعالى يديْن، وهما صِفة له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين ولا جِسم، ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المَحدود والتَّركيب ولا الأبعاض والجَوارح، ولا يُقاس على ذلك، ولا له مِرفق ولا عضد، ولا فيما يَقتضي ذلك مِن إطلاق قولهم "يد" إلّا فيما نَطَقَ القرآن به، أو صحّت عن رسول الله ﷺ السُّنة فيه »[73].**

فالإمام أحمد - كأصحاب مذهب التّفويض - كان يُجرى اللفظَ على ظاهره، أي بدون تفسير[74]، وقال عن لفظ اليدين المُضاف إلى الله تعالى صفة، والصِّفة كما هو معلوم هي شيءٌ مَعْنوي، ولَم يُحدِّد معناها، ونَفَى في الوقت نفسه أن يكون معنى اليدين المنسوبتين إلى الله لفظاً عضوين، حيث قال: «ليستا بجارحتين»، وليزيد في البيان قال: «وليستا بمركبتين» لا مِنْ أصابع ولا رُسْغ ولا غير ذلك. وللتأكيد على أنَّ مفهومهما في حقِّ الله ليس مِثل مفهومهما في حقِّ المخلوق، قال: «ولا جسم»، أي ليستا شيئاً محسوسا، وكَرَّرَ وزاد في التّوضيح فقال: «ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المَحدود»، وهذا شيءٌ واضح لأنَّ ذاتَ الله ليست بجسم وغير محدودة. وفصّل وبَيّنَ أنَّهما ليستا بأجزاء أو أعضاء لله، فقال: «ولا الأبعاض والجوارح». وحتى لا يَترك مجالاً للوَهم والخيال، قال: « ولا يُقاس على ذلك ... ولا فيما يقتضي ذلك مِن إطلاق قولهم "يد"»، وهذا واضح لأنَّ مفهوم اليدين في حقِّ الله ليس مِثل مفهومه في حقِّنا كمخلوقات - على عكس ما ادعى ابن تيمية تماما كما سيأتي بيانه إنْ شاء اللهُ تعالى -.

وهذا التَّفصيلُ الدَّقيقُ والتِّكرارُ مِن الإمام أحمد رحمه الله ما هو إلّا لقطع الطريق على مَنْ يُحاول أنْ يُجسِّم مفهوم لفظ اليدين المُضاف إلى اللهِ تعالى، أو يُحاول أنْ يُحَرِّفَ كلامه أو

---

[73] "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى الفرّاء، المتوفي سنة 526 هـ ، مجلد 2 / ص 254 ، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997.

[74] هذا هو مفهوم "إجراء اللفظ على ظاهره"عند أهل السُّنّة. أما عند المُجسِّمة فمعناه أنْ يكون مفهوم اللفظ في حقِّ اللهِ كمفهومه في حقِّ البشر، وعلى مذهبهم يكون معنى لفظ اليد في حقّ الله **العضو** (الكف) - سبحانه وتعالى عن الأعضاء -.

يَنْسِبَ إليه عقيدة التّجسيم. فأصحابُ مذهب التّفويض يُطلقون اللفظ المُضاف إلى الله تعالى، كما وَرَد في القرآن والسُّنة، كصفة مَعْنَويّة وبدون تحديد لمعناه، مع تنزيهِ اللهِ عن الجِسْمِيّة ولوزامها مِن تركيب وحدّ.

ما هو موقف ابن تيمية مِن مذهب التّفويض ؟

لقد أدانَ ابن تيمية مذهبَ التّفويض الذي أجازَه الرسول ﷺ ضِمناً كما ورد في الحديث النّبوي: «...وإنّما نَزَلَ كتابُ اللهِ يُصَدِّقُ بعضه بعضا، فلا تضربوا بعضه ببعضا. ما علمتم منه فقولوا، وما لا - تعلمونه - ، فكِلوهُ إلى عالمه »[75].

قال ابن تيمية في كتابه "دَرْء تعارض العقل والنّقل": [وما ذَكَرناهُ مِنْ لوازم قول أهل التّفويض هو لازمٌ لقولهم الظاهر المعروف بينهم، إذ قالوا: إنَّ الرسولَ كان يعلم معاني هذه النُّصوص المُشكِلَة المُتشابهة، ولكن لم يُبَيِّن للناس مُرادَه بها، ولا أوضحه إيضاحاً يقطع به النِّزاع. وأما على قول أكابرهم: «إنَّ معاني هذه النصوص المُشكلة المُتشابهة لا يعلمه إلّا الله، وأنَّ معناها الذي أرادَهُ اللهُ بها هو ما يوجب صَرفها عن ظواهرها»، فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل اللهُ عليهم مِنْ هذه النّصوص، ولا الملائكة، ولا السّابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصفَ اللهُ به نفسَه في القرآن، أو كثير مِمّا وصف اللهُ به نفسه، لا يَعلمُ الأنبياء معناه ... - إلى أن قال- : فتبَيَّنَ أنَّ قول أهل التّفويض الذين يَزعمون أنّهم مُتَّبعون للسُّنَّة والسَّلف مِنْ شَرِّ أقوال أهل البِدع والإلحاد][76].

وفيما يلي مقاطع مِن كلام ابن تيمية أعلاه مع التّعليق عليها:

- **قول ابن تيمية: «وما ذَكَرناه مِن لوازم أهل التّفويض: هو لازمٌ لقولهم الظاهر المعروف بينهم ... »، هو خِداع، لأنه سوف يَتبيَّن لنا إن شاء اللهُ أنّ ابن تيمية كان يُلزم أهل التّفويض بما ليس بلازمٍ لقولهم ويَنسبُ إليهم ما لم يقولوه.**
- **وقوله: «إذ قالوا: إنَّ الرسول كان يَعلم معاني هذه النّصوص المُشْكِلَة المُتشابهة، ولكن لم يُبيِّن للناس مُراده بها»، هو افتراءٌ على أهل مذهب التّفويض، فلم يَدَّعِ أحدٌ منهم أنّ الرسولَ ﷺ لم يُبَيِّن للناس معنى ما أُوحِيَ إليه.**

---

[75] "خلق أفعال العباد"، ص 63 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22، **وما بين الشرطتين في الحديث النّبوي أعلاه هو إضافة للتوضيح.**

[76] "دَرْءُ تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، جزء 1 / ص 204 - 205 بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 2، 1979. **ملاحظة**: للإختصار سوف أذكر الكتاب مِن الآن فصاعدا باسم "**درء التّعارض**".

● وقوله: «ولا أوضحه إيضاحاً يقطع به النِّزاع»، هو ادعاءٌ باطلٌ على أهل التّفويض، فلَم يَقُل أحدٌ منهم أنَّ الرسول ﷺ لم يُوَضِّح للصحابة هذه الأمور إيضاحاً يقطع به النِّزاع، فلو قال أحدٌ منهم ذلك لكان لازمُ قوله هو أنّ الرسولَ ﷺ تركَ الصحابة رضوان الله عليهم يتخبَّطون في عقيدتهم! لماذا؟ ألأنّه لم يستطع البيان وهو أفصحُ العرب لساناً؟! حاشاه. أم لأنّه أراد ذلك عامداً متعمِّداً؟! حاشاه. والغاية مِن هذه الإدعاءات الباطلة هو تشويه صورة أصحاب مذهب التّفويض لدى القُرّاء ليتسنى له فيما بعد كسبهم لِصفِّه - وتشويهُ صورة خصومه في العقيدة هو أحدُ أساليب ابن تيمية في الدعوة لعقيدته -.

● وقول ابن تيمية: «وأما على قول أكابرهم: "إنَّ معاني هذه النُّصوص المُشْكِلَة المُتشابهة لا يعلمه إلّا الله، وأنَّ معناها الذي أرادَهُ اللهُ بها هو ما يُوجِبُ صَرْفَها عن ظواهرها"» هو افتراءٌ مَحْض، فأهل التّفويض اعتبروا الآيات الكريمة والأحاديث النّبويّة التي يوهم ظاهرها التَّجسيم والتَّشبيه كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[77] مِن الآيات المُتشابهة التي لا يعلم تأويلها إلّا الله، لذلك لم يُفَسِّروا ولم يُحَدِّدوا معنى "يَدَيَّ" في الآية أعلاه، وقالوا عنهما صفة، وليستا بجارحتين، أي ليستا بعضوين. والذي مَنعهم مِنْ تفسير "النُّصوص المُشْكِلة والمُتشابهة" هو قوْلُ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُّحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغآءَ الفِتْنَةِ وابْتِغآءَ تَأويلِهِ، وَما يَعْلَمُ تَأويلَهُ إلّا اللهُ، والرَّاسِخونَ في العِلْمِ يَقولون آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنا، وَما يَذَّكَّرُ إلّآ أُوْلُواْ الألبابِ ﴾[78].

والحقيقة هي أنَّ هذه الآيات والأحاديث التي يُوهم ظاهرها التَّشبيه ليست مِن المُتشابه الذي لا يعلم تأويله إلّا الله، وذلك لسبب بسيط، وهو أنّها لو كانت مِن المُتشابه الذي لا يَعلمُ تأويله إلّا اللهُ لَمَا فَسَّرَها الأئمة الأوائل كالصحابيّ الجليل ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم[79]. وعلى أيِّ حال، فعَدَم تفسير أصحاب مذهب التّفويض لهذه الكلمات المُضافة إلى الله، وتفويضهم لمعناها إلى الله لم يُؤدِّ ذلك بهم إلى الوقوع في عقيدة

---

[77] سورة ص: آية رقم 75.

[78] سورة آل عمران: آية رقم 7.

[79] لقد فسّر الصّحابي ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر وسفيان وابن زيد وابن جرير الطَّبري اليد **بالقوة** (راجع **تفسير ابن جرير الطبري** عند تفسير الآية رقم 47 مِن سورة الذاريات، جزء 27 / ص 12 مِن **طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001**)، وفسّرَ ابن عباس رضي الله عنهما لفظَ الوَجْهِ المُضاف إلى الله **بالذّات، أي بذات الله** (راجع تفسير القُرطُبي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ، وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإِكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 26، 27])، وفسر العَيْن **بالحراسة** (راجع تفسير القرطبي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بأَعْيُنِنا ﴾ [سورة هود، آية رقم 37]). "تفسير القُرطبي" هو "الجامع لأحكام القرآن".

التّجسيم، لأنهم جزموا في الوقت نفسه أنَّ اللهَ مُنزَّهٌ عن الجسم والأعضاء وباقي صفات المخلوق.

قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني ناقلا عن الإمام الحافظ ابن دقيق العيد[80] في تقرير مذهبيّ التّفويض والتّأويل ما نصه: « وقال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات المُشْكِلة - أي المُشْكِل فهمها - إنّها حقّ وصدْق <u>على المعنى الذي أرادَهُ اللهِ</u>، ومَن تأوَّلها نظرنا فإن كان تأويله قريباً على مُقتضى لسان العرب لم نُنْكِر عليه، وإنْ كان بعيداً توقفنا عنه ورجعنا إلى التّصديق مع التَّنْزيه»[81]. قوله: «ورجعنا إلى التّصديق مع التَّنْزيه» هو فَحْوى مذهب التّفويض.

وبناءً على ما تقدم يَتبَيَّن بشكل جليٍّ أنّ مذهب التَّفويض هو أحد مذهبيّ أهل السُّنّة في فهم آيات الصِّفات.

فقول ابن تيمية عن أهل مذهب التّفويض: «وأنَّ <u>معناها الذي أرادهُ اللهُ</u> بها هو ما <u>يوجب</u> صرفها عن ظواهرها»، هو افتراءٌ ومغالطة، فأصحاب مذهب التّفويض فوَّضوا معنى النُّصوص المُتشابهة إلى الله لأنهم تَهَيَّبوا مِن تفسيرها، وقالوا: <u>إنّ قرينة التَّنْزيه</u>، كقَوْلِ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾[82] وكقوله سُبحَانهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[83] وكقوله جَلّ ثناؤُه: ﴿ فلا تَجْعَلواْ للهِ أَنْداداً ﴾[84]، <u>هي التي توجب صرف الألفاظ عن ظواهرها</u>، أي عن معناها المفهوم في حَقِّ البشر، أي عن تشبيه اللهِ بخلقه.

وبناءً على هذا يَتَبيَّنُ أنَّ ابن تيمية نَسبَ إلى أهل مذهب التفويض ما لم يقولوه.

● ثُمّ قال ابن تيمية مُستنتجاً: «فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياءُ والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزلَ اللهُ عليهم مِن هذه النُّصوص، ولا الملائكة، ولا السّابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف اللهُ به نفسَه في القرآن، أو كثير مِمّا وصَفَ اللهُ به نفسَه، لا يَعلمُ الأنبياءُ معناه...»، هذا استنتاج فاسد، وابن تيمية يُلْزم أهل مذهب التّفويض ما ليس بلازمٍ لقولهم ويَدَّعي عليهم ما لم يعنوه، لأنه عندما يقول فلانٌ مِن الناس: أنا لا أعلمُ تفسيرَ آية أو آيات

---

[80] هو العالم المجتهد محمد بن علي بن وهب، مِن كبار العلماء في عصره، مصري الأصل، ولد سنة 625 هـ، تولى منصب القضاء في مصر سنة 695 هـ واستمر في ذلك إلى أن توفي سنة 702 هـ.

[81] "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح حديث رقم 7402، مجلد 13 / ص 473، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 1989.

[82] سورة الشورى: آية رقم 11.

[83] سورة النحل: آية رقم 17.

[84] سورة البقرة: آية رقم 22.

كريمة فهذا لا يعني أنّه يَدّعي بأنَّ الأنبياءَ والمرسلين لم يعلموا معانيها كما حاول ابن تيمية إيهام القارئ.

وبعد الإدعاءات الباطلة والفَرَضِيّات الفاسدة وصل ابن تيمية إلى نتيجة أفسد، عامداً مُتعمداً ليُنفِّر القارئَ مِنْ مذهب التّفويض حِيال آيات وأحاديث الصِّفات، فالشيخ ابن تيمية كان يَدّعي بأنه يفهم معناها وتفسيرها، ومعناها حسب فهمه هو أنَّ مفهومَ ألفاظها في حَقِّ الله الخالق هو كمفهومها في حقِّنا كمخلوقات، ففهم مثلا - وأرادَ مِن الناس أنْ يفهموا مِثله - مِن لفظ اليد المُضاف إلى الله الخالق العُضْو، وأداة للفعل، كما سيأتي بيانه. بينما قال أصحاب مذهب التّفويض: معنى لفظ اليد المضاف إلى الله صفة، وليس عضواً، فعلى سبيل المثال قال الإمام أحمد بن حنبل: «إنَّ للهِ تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين - أي ليستا بعضوين-»، **وقال الإمام أبو بكر البَيْهَقي: « واليدُ للهِ تعالى صفة بلا جارحة »[85]، وقال الإمام الحافظ والفقيه أبو سليمان الخطّابي[86] : « وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنّما هو صفة جاء بها التّوقيف، فنحن نُطْلِقها على ما جاءت ولا نُكَيِّفها »[87]. قوله: «ولا نُكَيِّفها» معناه: لا نجعل معناها في حقّ الله كمعناها في حقّ المخلوق، لأنّ الكَيْفَ هو صفة للمخلوق.**

والنّتيجة النِّهائية الفاسدة التي وصل إليها ابن تيمية هي: « فَتَبَيَّنَ أنَّ قولَ أهل التّفويض الذين يَزعمون أنّهم مُتَّبعون للسُّنَّة والسَّلف مِن شَرِّ أقوال أهل البِدَع والإلحاد »!

وبناءً على هذه النتيجة التَيمِيّة تكون أقوال علماء السَّلف والأئمة الذين اتبعوا مذهب التّفويض ونقلوا لنا هذا الدين كأميريّ المؤمنين في الحديث سفيان الثَّوْريّ وشُعبة بن الحجّاج، وحمّاد بن زيد وحمّاد بن سَلَمة وشَريك بن عبدالله النَّخَعي وسُفيان بن عُيَيْنَة وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وأبي بكر البَيْهَقي وغيرهم مِنْ شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد!

---

[85] "الأسماء والصفات"، للإمام الحافظ البَيْهَقي ص 417 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[86] هو الإمام الحافظ والفقيه واللُّغوي حَمد بن محمد بن إبراهيم بن خَطّاب البُسْتي، وُلد 319 هـ، ت 388 هـ.
[87] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 419 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

مذهب أهل التَّأويل في فهم آيات وأحاديث الصفات

مذهب أهل التّأويل يقومُ على صَرْفِ اللّفظ عن معناه الظاهر والمُتبادر إلى الذِّهن إلى معنى آخر معروف في اللغة بوجود قرينة لفظيّة أو حاليّة معنويّة. ولقد دعا الرسول ﷺ لابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: « اللهُمَّ فقِّههُ في الدين، وعَلِّمه التأويل»[88].

ويُمكن استنباط مذهب التّأويل من الحديث القُدسي الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: « إنَّ اللهَ عزَّ وجلّ يقولُ يوم القيامة: يا ابن آدم، مَرضتُ فلم تعُدْني. قال: يا رَبِّ كَيْفَ أعودُكَ وأنتَ رَبُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مرضَ فلم تَعُدْه، أما علمت أنّك لو عُدْتَه لوجدتني عنده... »[89] الحديث.

المعنى الظاهر مِن هذا الحديث هو أنَّ اللهَ يمرض، ولكنَّ المرض لا يجوز نِسْبته إلى الله سُبحَانه وَتعَالى، لأنَّ المرضَ صفةُ نقصٍ بلا شك ومُستحيل في حقِّ اللهِ خالق كُلّ شيء. لهذا يَسأل العبد - المُنَـزِّه- : يا ربِّ كيف أزورك وأنت رَبُّ العالمين؟ والمعنى: يا ربِّ كيف أزورك وأنت مُنَزَّهٌ عن المرض والمكان؟ فلفظ «وأنتَ رَبُّ العالمين» قرينة التَّنزيه التي تَصْرِفُ لفظ المَرض المُضاف إلى اللهِ عن معناه الظاهر المفهوم في حقِّ البشر. فيكون الجواب مِن اللهِ تعالى: أما علمت أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْه؟. ففي الجواب دليلٌ واضح على التّأويل. فاللهُ سُبحَانه وَتعَالى أضافَ <u>لفظَ</u> المرض إلى ذاته المُقدَّسة، وهذا مَجاز، والحقيقة هي أنَّ العبدَ الذي يُحبُ اللهَ ويُحبّهُ اللهُ قد مَرِض. ولوجود هذه العلاقة بين العبدِ وربِّه، وهي المَحبّة، أُستعيرَ اللفظ، أي المرض، والذي معناه صفة ثابتة على سبيل الحقيقة للعبد، وأُضيفَ إلى اللهِ جَلّ ثناؤُه على سبيل المَجاز. قال الإمام البَيْهقي مُعَلِّقاً على الحديث المذكور آنفاً: « وفيه دليلٌ على أنَّ اللفظَ قد يَرِدُ مُطلقاً والمُرادُ به غير ما يَدلُّ عليه ظاهره، فإنّه أطلقَ المَرَضَ والاستسقاءَ والاستطعام على نفسه والمُرادُ به وَليٌّ مِن أوليائه »[90].

والتّأويل يجب أن يكون وِفْقَ أساليب اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآنُ المجيد، قال الإمام الحافظ ابن دقيق العيد (ت 702 هـ) **في العقيدة بعد تقرير مذهب التّفويض: « ومَن تأوَّلها نظرنا فإن كان تأويله قريباً على مُقتَضى لسان العرب لم نُنْكر عليه، ...»[91].**

---

[88] رواه الإمام أحمد، المرجع: "مباحث في علوم القرآن"، تأليف د. صبحي الصالح، ص 283، **الناشر**: دار العِلم للملايين، الطبعة العاشرة، بيروت 1977.

[89] "صحيح مسلم"، رقم الحديث 2569، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2001. ومعنى « لو عُدْتَه لوجدتني عنده » هو: لو زُرته لوجدت ثواب ذلك عندي.

[90] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ أبي بكر البَيْهَقي، ص 286 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[91] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 81.

ومِن قبله قال الإمـام النَّـووي (ت 676 هـ) **في شرحه على صحيح مسلم ما نصه: « وإنّما يسوغ تأويلها - يقصد تأويل آيات وأحاديث الصفات - لِمَن كان مِن أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ... »[92].**

ومِن قبلهما قال الإمام أحمد بن حنبل (ت241 هـ) **ما نصه: « وما وَرَدَ مِن اللهِ تعالى ومِن رسوله** ﷺ **فليُعْرَض على لغة العرب التي أرسَلَ اللهُ تعالى محمداً بلغتها »[93].**

ومِن قبلهم قال الإمـام الصحابيّ الجليل ابن عباس رضي الله عنهما**: « إذا خَفِيَ عليكم شَيءٌ مِن القرآن فابْتَغوهُ مِن الشِّعر، فإنّه ديوان العرب »[94]، والمعنى: إذا التَبَسَ عليكم فَهْم شيءٍ مِن آياتِ الله فاستعينوا بديوان شعر العرب، أي باللغة العربية لفهم ما أشْكَلَ عليكم فهمه. وعلى هذا إذا أردنا أن نفهم كلامَ الله، أي القرآن الكريم، فعليّنا أن نفهمه وفق أساليب اللغة العربية التي أُوحِيَ بها. ومن أساليب اللغة العربية في التَّعبير ما يُسَمّى بالمَجاز والكِناية والإضمار. والمَجاز هو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، مثال، نقول: خالد بن الوليد أسد، وهذا مَجاز وليس حقيقة، لأنَّ كلمة أسد وضعت أصلا لذلك الحيوان المعروف والمُسَمَّى أيضا ليث وضرغام. وأطلقنا الاسم "أسد" على خالد بن الوليد من باب المَجاز وذلك لوجود علاقة ما بين خالد والأسد وهي الشجاعة والإقدام. مثال مِن القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمآ أدْرَاكَ ما هِيَهْ، نارٌ حامِيَة ﴾[95]، فاسم الأم "الهاوية" هو مَجاز، أي كما أنَّ الأمَّ مأوى ومَلجأ لولدها، كذلك النار مأوى وملجأ للكافرين. والكِناية[96] نوع من أنواع المَجاز، وهي لفظ يراد به لازم المعنى، وبعبارة أخرى: الكِناية هي التّعبير عن الشيء بطريقة غير مباشرة. مثال: نقول عن رجل: إنّه رأس العشيرة، وهذا القول مَجاز وكِناية عن السِّيادة. والمَثل العاميّ: «ضربة إعمى في زاوية» هو كِناية عن حُسن الحَظ والتّوفيق. مثال من القرآن الكريم: ﴿ نِسآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فأتواْ حَرْثَكُمْ أنَّى شِئتُمْ﴾[97]، فكلمة "حَرْث" في هذه الآية الكريمة هي كِناية عن الغاية مِن المُعاشرة الزوجيّة وهي التّناسل.**

---

[92] "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي"، عند شرح حديث الرؤية (برقم 299)، مجلد 2 / ص 24 مِن **طبعة دار الفجر للتراث**، ط1، القاهرة 1999.

[93] أنظر "طبقات الشافعية الكبرى"، للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن علي السُّبْكي، مجلد 9 / ص 69 - في ترجمة الإمام أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل، ترجمة رقم 1302- ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمد محمود الطناحي، **الناشر**: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

[94] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 437 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[95] سورة القارعة: آية رقم 8-11.

[96] بخصوص المَجاز والكِناية: المرجع: " مباحث في علوم القرآن"، للدكتور صبحي الصالح، ص 327 وما بعدها.

[97] سورة البقرة: آية رقم 223.

وقولـه جَلّ ثناؤُه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطتان ِ يُنْفِقُ كَيْفَ يشآءُ﴾[98] هو كِنايـة عن الكَرم والعطـاء والإحسان، ولا تَدلُّ الآية بتاتاً على وجود يَديْن مفتوحتين لله تعالى، بهما يُنْفِق.

والإضـمار معنـاه أنَّ الكـلامَ يكـون فيـه كلمـة أو كلمـات محذوفـة، ومـع ذلـك يكـون المعنـى واضحا، مثال: « رُبَّ رَمْيةٍ من غير رام ٍ »، هذا المَثل فيه إضمار أي كلام مخفي، والمثل بدون إضمار يكون تقديره كالآتي: رُبَّ رَمْيَةٍ صائبة من غير رام ٍ ماهر أو حاذق.

مثال من القرآن الكريم، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَسْئَلِ القَرْيَةَ ﴾[99]، والمقصود أهل القرية، فالآية فيها كلمة مُضمرة وهي أهل، ومع ذلك معنى الآية واضح.

وقال اللهُ تعالى: ﴿ وأُشْرِبُواْ في قلُوبِهِمُ العِجْلَ بكُفْرهِمْ ﴾ أي حُبّ العجل[100]، فالآية فيها كلمة مضمرة، وهي حُب، ومع ذلك المعنى واضح.

وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَضِلّواْ﴾[101]، هذه الآيـة فيهـا إضمار، وتقديره: كلمة "لا"، وتقدير معنـى الآيـة هو: يُبَيِّنُ اللهُ لكم بـأن لا تضلوا (أنظر تفسير الإمام ابن جرير الطَّبري)**.**

وعلى هذا الأساس، أي بقواعد اللغة العربيّة وبأساليبها فـي الكلام، يجب علينـا أن نفهـم القرآن الكريم والأحاديث النّبويّـة الشريفة، وغير ذلك يُوَدي إلى الوقوع في أخطاء جسيمة سواءً في أحكام العبادات كالصَّلاة والصّوْم أو في العقيدة والعيـاذ بـالله. والعقيـدة الـصحيحة هي الأساس لقبول العبادات، فالّذي يَعبدُ اللهَ يجب عليـه أن يعرف صفاته، ومـا يجـوز فـي حقّه كإله وخالق وما لا يجوز، وكما قيل: مَن عَبَدَ اللهَ عن جهلٍ فكأنّما عصاه.

أمثلة على التّأويل:

1. قال اللهُ تعالى: ﴿ فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُواْ لِقآءَ يَوْمِهِمْ هذا ﴾[102]. صِفة النِّسيان لا يجوز نِسبتها إلى الله تعالى لأنها صِفة نَقْص، وهذا مِمّا لا شكَّ فيه. فإضافة لفظ النّسيان إلـى اللهِ هو مِن باب المَجاز وليس مِن باب الحقيقة. ولقد روى الإمام السَّلفي ابن جرير الطَّبَري (ت 310 هـ) **في تفسيره أنّ الصحابي ابن عباس** رضي الله عنهما **ومجاهد بن جبر أوّلا النِّسيان في الآية أعلاه بـالتَّرْك، وبهذا التَّأويل أخذ الإمام ابن جرير الطَّبَري حيث قال في تفسيره: « أي ففـي**

---

[98] سورة المائدة: آية رقم 64.
[99] سورة يوسف: آية رقم 82.
[100] راجع "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 588 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[101] سورة النساء: آية رقم 176.
[102] سورة الأعراف: آية رقم 51.

هذا اليوم، وذلك يوم القيامة ننساهم، يقول نَتْرُكهم في العذاب المُبين»[103]، فالكُفار تركوا الاستعداد ليوم الحساب لأنهم لم يؤمنوا به، لهذا يتركهم اللهُ تعالى في العذاب.

2. قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلآ أن يَأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِّنَ الغَمامِ والملآئكَةُ وقُضِيَ الأمرُ ﴾[104]. الإتيان أو المَجيء والذهاب مِن صفات المخلوق، واللهُ مُنَزّهٌ عن ذلك كُلّه. فلا بُدَّ إذن مِن تأويل الإتيان الذي وَرَدَ مُضافاً إلى الله في الآية الآنفة الذِّكْر.

هذه الآية الكريمة فيها كلمة أو كلمات مُضمرة تقديرها "أمْرُه" أو "آثار قدرته أو عذابه"، وعلى هذا يكون تقدير معنى الآية بدون إضمار: هل ينظرون إلّا أن يأتيهم عذابُ الله، وبهذا التأويل قال الإمام فخر الدين الرّازي في تفسيره[105]، وعلى هذا يكون معنى الآية: هل ينتظر هؤلاء الكفار أنْ يأتي أمْرُ الله، أي عذابه في الغمام الذي عادة يُنتظرُ منه الرّحمة وذلك بنزول المطر.

وقال الإمام ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التَّشبيه" ناقلا تأويل الإمام أحمد بن حنبل للآية السابقة ما نصه: « قال القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَأتِيَهُمُ﴾، قال: المُراد قُدْرته وأمْره، قال: وقد بَيّنَه في قوله تعالى: ﴿أوْ يَأتِيَ أمْرُ رَبِّكَ﴾[106]. ومثل هذا في القرآن: ﴿ وَجآءَ رَبُّكَ ﴾[107]، قال - أي الإمام أحمد بن حنبل -: «إنما هو قُدْرته»»[108]. وروى الإمامُ ابن حَزْم الأندلسي عن الإمام أحمد بن حنبل تأويله لقوله تعالى: ﴿ وَجآءَ رَبُّكَ ﴾ بمجيء أمْره[109].

وروى الإمام الحافظ أبو بكر البَيْهَقي أنّ الإمام البخاري (ت 256 هـ) رَحِمَهُ اللهُ **أوّلَ الضحك في الحديث الذي قال فيه الرسول** عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام **لرجل مِن الأنصار استضاف أحد المسلمين: « لقد ضَحكَ اللهُ الليلة مِن فِعالكما »[110]، حيث قال البخاري: «معنى الضحك: الرّحمة»[111].**

---

[103] تفسير ابن جرير الطبري، جزء 8 / ص 238، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001.

[104] سورة البقرة: آية رقم 210.

[105] "تفسير الفخر الرّازي"، مجلد 3 / جزء 5 / ص234 – 235 . **الناشر**: دار الفكر، ط 1، بيروت 1981.

[106] المقصود بذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرونَ إلآ أن تأتِيَهُمُ المَلآئِكةُ أوْ يَأتِيَ أمْرُ رَبِّكَ ﴾ [سورة النحل: آية رقم 33].

[107] سورة الفجر: آية رقم 22.

[108] "دَفْعُ شُبه التّشبيه بأكُفِّ التّنزيه" للحافظ والفقيه والمُفَسِّر ابن الجَوْزي (ت 527 هـ)، ص 141، الناشر: دار الإمام النَّوَوي، ط 3، عَمّان / الأردن 2005. قول الإمام أحمد: « إنما هو قدرته» معناه: آثار قدرته، لأنّ القدرة صفة قائمة بذات الله، لا تنفصل عنه.

[109] أُنظر " الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" للإمام ابن حزم الأندلسي، مجلد 1/ جزء 2 / ص 173 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[110] أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" له، ص 592 - 593 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 15.

[111] المرجع السابق، أُنظر كذلك ص 378 منه.

3. قال اللهُ عزّوجلّ :﴿ لَّا يَأتيهِ الباطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾[112] ، ظاهرُ الآيةِ يَنُصُّ على أنّ للقرآن الكريم يَدَيْن وخَلْف، ولكننا لا نرى للقرآن الكريم يدين ولا خَلْف، فالقرآنُ ليس جسماً حتى يكون له أعضاء، بل هو كلامُ الله، وهو صفة مَعنويّة قائمة بذاته. وتأويل هذه الآية الكريمة هو: «لا يستطيعُ ذو باطل بكَيْدِه تغييره بكيده، وتبديلُ شيءٍ مِن معانيه عَمَّا هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس مِنه فيه، وذلك إتيانه من خلفه»، وهذا هو تأويل الإمام المُفَسِّر ابن جرير الطَّبَري.

4. قال اللهُ سُبحانهوَتعالى: ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [113]، ظاهرُ الآية هو أنّ لله أيدٍ، وهذا مُستحيل في حَقِّ الله الخالق، فهو مُنزَّهٌ عن الأعضاء. وتأويل الآية هو: أنّ اللهَ خَلقَ السماوات بقوته أي بقدرته. ومِمّن أوَّل لفظ اليد بالقوة في الآية السابقة الصحابيّ الجليل ابن عباس رضيﷲعنهما، والأئمة مجاهد بن جبر وقَتَادة بن دعامة وسفيان وابن زيد وابن جرير الطبري[114]، والإمام ابن الجَوْزي كما في كتابه "دَفع شُبَهِ التَّشبيهِ بأكُفِّ التَّنزيه"[115]، وغيرهم.

ملاحظة: كلمة "بنيناها" في الآية الكريمة ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ معناها: خلقناها، والدَّليلُ على ذلك قوْلُ الله: ﴿ وَلَقدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُّغوبٍ ﴾[116]، وجاء لفظ بنيناها في الآية أعلاه بدلا مِن خلقناها للإشارة إلى أنَّ السماوات بُنيان، والدّليلُ على ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذي <u>خَلَقَ</u> سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ﴾[117]، أي طبقات فوق بعضها، وقال اللهُ تعالى: ﴿الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِراشاً وَالسَّمآءَ بنآءً﴾[118]. ولقد ضلّ مَنْ ادعى بأنَّ لله يَديْن عضوين بهما يَخلق، سبحانه: ﴿ إنّمآ أمْرُهُ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾.

في نقاش لي مع أحد أئمة المساجد مِمّن يعتقد بوجود أعضاء لله، قال: لله يدان ليستا كأيدينا. فقلت له: الصحابي ابن عباس رضيﷲعنهما فَسّر اليَد بالقوة. فرَدَّ عليّ: أخطأ ابن عباس. فقلت له: إذا أخطأ ابن عباس في العقيدة فهذا يعني أنّه كان ضالّاً ! فارتبك، ثُمّ قال:

---

[112] سورة فصلت: آية رقم 42.

[113] سورة الذاريات: آية رقم 47. كلمة "**أيدٍ**" في الآية الكريمة أعلاه هي صيغة جمع لليد الحقيقية والدّليل على ذلك قوْلُ اللهِ الحقّ: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشونَ بهآ أمْ لَهُمْ أيْدٍ يَبْطِشونَ بهآ ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم 195]، وعُبِّرَ عن القوة باليد لأنّ غالب الأفعال تكون باليد، وهي آلة الفِعل والقوة عند المخلوق.

[114] راجع تفسير ابن جرير الطبري جزء 7 2 / ص 12 مِن طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2001.

[115] " دَفْعُ شُبَه التَّشبيه بأكُفِّ التَّنزيه" للحافظ ابن الجَوْزي، ص 116 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[116] سورة ق: آية رقم 38.

[117] سورة المُلك: آية رقم 3.

[118] سورة البقرة: آية رقم 22.

كان على ابن عباس أن لا يلج في الموضوع - قصد موضوع آيات الصفات -. سبحان الله، فهذا الشيخ ابن القرن الخامس عشر الهجري - وأمثاله مِمّن درسوا العقيدة عند أساتذة عقيدة التّجسيم - يُحَرِّمُ على الصحابيّ ابن عباس رضي الله عنهما **أن يخوض ويفسِّر اليد بالقوة، وهو نفسه قد خاض منذ سنين في بحر عقيدة التَّجسيم وفسّر اليد بالعضو! حلالٌ عليه وحرام على ابن عباس. وللعلم: تفسيرُ اليد بالقوة والقُدرة موافق تماما للغة العربية التي كَلّمَ الرسولُ** صلى الله عليه وسلم **بها الصحابة** رضوان الله عليهم**، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم مِن طريق النّوْاس بن سمعان أنّ الرسولَ** عليه الصلاة والسلام **قال: «...ثُمَّ يأتي عيسى ابنَ مريمَ قومٌ قد عَصَمهم اللهُ منه - أي مِن الدَّجال - . فيَمسحُ عن وجوهِهم ويُحَدِّثُهم بدرجاتهم في الجَنّة. فبينما هو كذلك إذ أوحى اللهُ إلى عيسى إنّي أخْرجتُ عباداً لي لا <u>يدانِ</u> لأحدٍ بقتالهم ...»[119]، والمعنى: لا <u>قُدْرة</u> لأحدٍ بقتالهم وهم يأجوج ومأجوج.**

ولِلعِلم - لِمن لا يَعلم-: الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما **أخذ عِلمه عن الرسول** صلى الله عليه وسلم **وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأُبيّ بن كعب** رضوان الله عليهم **[120]، فتفسيره للآية هو التّفسيرُ الصحيح، وتفسير الصحابي إذا ثبتَ عنه مُلزِمٌ لِمن أرادَ الهُدى، ومَنْ حادَ عن تفسيره ضلّ وغوى وإنْ ادّعى الهُدى وأضفى على نفسه أسماءً حُسنى.**

فيا أخي المسلم، ويا أختي المسلمة، لا يستزلّكما الشيطان، ولا تتركا أنفسكما تُزيِّنان لكما سوء تفسيركما بتفسير لفظ اليد المُضاف إلى الله تعالى بالعضو، ولا يُجْدي بتاتا القول بعدها: ليست كأيدينا، أو له يدٌ كما يليق بجلاله. وهل يليق بجلال الخالق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾، والذي يقول للشيء ﴿كُن فَيَكونُ﴾ أوصاف البشر كاليد والعَيْن والوجه؟! لا وَرَبِّ العِزّة خالق الأعضاء وكُلِّ شيء.

5. قال اللهُ تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿ وَقالَتِ اليَهودُ يَدُ اللهِ مَغلولَةٌ ﴾[121]، ظاهر الآية هو أنَّ لله يداً مُوثقة! وهذا مستحيل في حقِّ الله. فقوْلُ الله مُخبراً عن اليهود: ﴿يَدُ اللهِ مَغلولَةٌ ﴾ هو كِناية عن البُخل، تعالى اللهُ عمّا قالوا. وقال الإمام ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التَّشبيه" في تفسير الآية أعلاه: «أي محبوسة عن النّفَقة»[122]. وَردَّ اللهُ الكريم على افترائهم فقال: ﴿ غُلَّتْ أيْديهِمْ وَلُعِنواْ بِما قالواْ، بَلْ يَداهُ مَبْسوطَتانِ ﴾، أي « نعمته وقدرته»

---

[119] "صحيح مسلم"، كتاب رقم 52 : كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب 20 : ذِكْر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث 2937 - 110. **تنبيه**: 110 هو رقم الحديث في الباب 20 ، و **2937 هو رقم الحديث التسلسلي في صحيح مسلم**. ما بين الشرطتين في الحديث النبوي أعلاه هو إضافة للتوضيح.

[120] "تاريخ التشريع الإسلامي" للشيخ محمد الخضري، ص 156، **الناشر**: دار الفكر، ط 7، بيروت 1981.

[121] سورة المائدة: آية رقم 64، راجع إن شِئت تفسير ابن جرير الطَّبري لهذه الآية الكريمة.

[122] "دفع شُبَه التّشبيه"، ص 114 ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

كما قال الإمام ابن الجَوْزِي في "دفع شُبه التّشبيه"[123] له، فقولُ اللهِ تعالى: ﴿ بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ هو كِناية عن النِّعمة والكَرم والإنفاق، وثُـنِّيت اليد لإفادة الكثرة، ولا تعني الآية بأي حال مِن الأحوال أنَّ لله يدين مفتوحتين دائما. ومِن المؤسف جدا أنْ تجد شيوخا يستشهدون بالآية السابقة وبقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على وجود يدين حقيقيّتين، أي عضوين، لله سبحانه وتعالى، فمثلا قال الشيخ السعودي صالح بن فوزان الفوزان في شرحه على "العقيدة الواسِطيّة" لابن تيمية ما نصه: « الشاهد مِن الآيتين الكريمتين أنّ فيهما إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى، وأنّهما حقيقيّتان لائقتان بجلاله، ليستا كيديّ المخلوق »[124].

قوله: «إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى» هو قَوْلٌ متناقض ومضحك، والسبب في ذلك أنّ الشيخ الفوزان - وكُلُّ مَن درس الشريعة الإسلامية في السعودية، إلّا مَن رحم ربيّ - لا يعي معنى لفظ "سُبحان الله"، ولو فهم معناه لَـما نَسبَ اليدين العضوين لله المُنَزَّهِ عن الأعضاء. فمعنى قوله حرفيا هو: إثبات اليدين لله المُنَزَّه عن صفات وأوصاف المخلوقات، وبعبارة أُخرى: إثبات اليدين لله المُنَزَّهِ عن الأعضاء كاليد، لأنّ الرسول ﷺ فسّر لفظ "سبحان الله" فقال: « تَنْزِيهُ اللهِ عَزَّ وَجَل عن كُلّ سوء »[125]، فالتَّسبيحُ هو التَّنزيه. والمُراد بالسوء في الحديث الشريف أعلاه النّقائص، ومنها: التّعب والحَركة والسّكون والنّوْم واليقظة والقيام والجلوس والذهاب والمَجيء والنّزول والصُّعود والتَّحَيُّز (الوجود في أو على مكان)، والجسم والأعضاء كاليد والوجه والقَدَم والأدوات كالعين والأنف واللسان والأصابع. وللتخفيف مِن بشاعة قوله قال الشيخ الفوزان عن اليدين: «لائقتان بجلاله»، وكيف يليق بجلال الخالق أنْ تكون له أوصاف المخلوق كاليد؟! ثُمّ أرْدَفَ الشيخ الفوزان قائلا: «ليستا كيديّ المخلوق»، وظنّ هذا الشيخ أنه بقوله هذا قد عَظَّمَ اللهَ الخالق! الحقيقة المُرّة هي أنّ المُجَسِّمة - ومنهم شيوخ الوهابية سواء أكانوا سعوديين أو غير سعوديين - يعتقدون أنَّ اللهَ على صورة المخلوق، بمعنى أنّ للهِ وجهاً عضواً، وعَينَيْن عضوين، ويدين عضوين، وأصابع حقيقية، وقدماً عضوا - يضعها في جهنم لِتَمتلئ - وساقاً عضوا. والفرق بين أعضاء الله التي يعتقد المجسمة بوجودها وأعضاء المخلوق هو

---

[123] "دفع شُبَه التّشبيه"، ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[124] ص 241 - 242 مِن كتاب "**شرح العقيدة الواسطيّة**" الذي جُمِع فيه شرح محمد خليل هرّاس وابن عثيمين وصالح الفوزان في كتاب واحد. **الناشر**: دار ابن الجَوْزي، القاهرة. وأينما ذُكِرَ "شرح العقيدة الواسطيّة" في هذا الكتاب فالمقصود به الكتاب الجامع للشروحات الثلاثة الآنفة الذِّكْر.

[125] أخرجه الحافظ أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 55 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

عدم المُماثلة، أي أنّ هذه الأعضاء ليست مِثل أعضاء المخلوق في الشّكل والحجم والحقيقة، وهم في ذلك يتبعون شيخهم ابن تيمية كما سيأتي بيانه إنْ شاء الله.

6. قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ إنَّ الَّذينَ يُبَايِعونَكَ إنّما يُبَايِعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ ﴾[126]. قال الإمام السَّلفيّ الحَسن البَصريّ[127] في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ ﴾ ما نصه: «أي مِنَّته وإحسانه »، ذَكَرَ ذلك الإمام ابن الجَوْزي في كتابه " دفع شبه التّشبيه"[128] وأقرّه. وللعلم وللتذكير: الإمام الحسن البصري شَبّ في كنف الإمام الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما وأخذ العِلم عنه. فتفسيره للفظ اليد المُضاف إلى الله تعالى في الآية السابقة بالمِنّة والإحسان دليلٌ - مِن أدلة كثيرة - على أنّ الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين كانوا ينزّهون الله عن الأعضاء. وتفسير الآية الآنفة الذِّكْر كالآتي: أنّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤيِّد المسلمين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت شجرة الرضوان، وتمّت المُبايعة باليد، فلفظ اليد المُضاف إلى الله في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ ﴾ هو استعارة للدلالة على المعونة والمُساعدة والتّأييد والنُّصرة، ولا تعني الآية بأيّ حال مِن الأحوال أنّ للهِ يداً كما يَتَوَهم المُجَسِّمَة.

وهكذا الأمر في باقي الآيات والأحاديث النَّبويّة التي وَرَدَ فيها لفظ اليد مُضافاً إلى اللهِ تعالى، فمَرَّة يكون معناه القُدْرَة كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿ أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا خَلَقنا لَهُم مِّمّا عَمِلتْ أيْدينآ أنعاماً فهُمْ لها مالكُونَ ﴾[129]، ومَرّة المُلْك وكِناية عن التَّصرّف المُطلق في الأمور كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتيهِ مَن يَشآءُ﴾[130]، والمعنى: أنّ الفَضْلَ، كالهداية والتّوفيق والإنعام، مُلكٌ لله.

7. قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنا وَوَحْيِنا ﴾[131]، قال الإمام الصحابيّ الجليل ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل لفظ " بِأعْيُنِنا ": بحراستنا[132]، « وقال الضَّحاك وسفيان: "بأعيننا": بأمرنا »[133]. فالآية لا تدُلُّ على وجود أعيُنٍ لله، بها صُنِعَت سفينة نوح عليه السلام.

---

[126] سورة الفتح : آية رقم 10.

[127] هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، كان إمام أهل البصرة في زمانه، ولد بالمدينة سنة 21 هـ، وتوفي بالبصرة سنة 110 هـ.

[128] "دفع شُبَه التّشبيه"، ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[129] سورة يس: آية رقم 71.

[130] سورة آل عمران: آية رقم 73.

[131] سورة هود: آية رقم 37.

[132] راجع تفسير الإمام القرطبي، مجلد 5 / ص 2543 مِن طبعة دار الفكر، ط 1 ، بيروت 1999.

[133] المرجع السابق.

وقال اللهُ تعالى مُخبرا عن سفينة نوح عليه السلام**: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنا ﴾[134]، أي بحفظنا ورعايتنا، وقيل بأمرنا[135]، وقال الإمام أبو منصور البغدادي** (ت 429 هـ) **في كتابه "أُصول الدّين" أنّ المقصود " بِأَعْيُنِنا " هو عُيُون الماء التي فَجّرها الله[136]، وذلك استناداً إلى قول اللهِ تعالى: ﴿وَفَجَّرْنا الأرضَ عُيُوناً ﴾** [سورة القمر: آية رقم 13]**.**

وكذلك المعنى في قوله تعالى مُخبراً عن موسى عليه السلام**: ﴿ وَأَلقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ ﴾[137]، ومعنى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ﴾ هو: تُربى بحفظي ورعايتي وحراستي كما قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني ناقلاً عن الرّاغب الأصبهاني[138] والإمام القُرْطُبي في تفسيره[139]، وقال قَتادة: « أي تُربَّى وتُغذَّى على مَرأى مني »[140].**

وهكذا الأمر في كُلّ آية وحديث وَرَدَ فيه لفظ العَيْن مُضافاً إلى الله عزّوجلّ**، وهو كِناية عن الحِفظ والرعاية.**

أما الشيخ السعودي ابن عُثَيمين - وكان مِن أتباع الشيخ ابن تيمية - فقد نَسَبَ للهِ بالآيات التي وَرَدَ فيها لفظ العَيْن مُضافا إلى الله تعالى عَيْنَين حقيقتين بهما يرى! فقال في شرحه على "العقيدة الواسطيّة"[141] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ ﴾ ما نصه: «أننا إذا قلنا أنها الرُّؤية - أي تفسير العَيْن بالرؤية - وأثبتَ اللهُ لنفسه عَيناً، فلازم ذلك أنّه يَرَى بتلك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها <u>عَيْنٌ حقيقية</u> ».

الآية أعلاه ليست دليلا على أنَّ للهِ عَيْنا حقيقية، أي أداة للرُّؤية، كما توهم ابن عثيمين، فالعَيْن كِناية عن الحفظ والرِّعاية كما سبق ذِكرُه. وفي صفحة 246 مِن المرجع السابق استشهد ابن عُثيمين بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **الذي وَصَفَ فيه الدّجال بالعَوَر، فقال** عليه الصلاة والسلام**: « إنّه أعْوَر، وإنّ رَبَّكُم ليس بأعور »[142] ليُثبتَ أنّ للهِ عينين اثنتين! فقال: « وهذا الحديث يَدُلُّ على أنّ للهِ تعالى عينين اثنتين فقط، ووجه الدلالة أنّه لو كان للهِ أكثرُ مِن اثنتين لكان**

---

[134] سورة القمر: آية رقم 14.

[135] راجع تفسير الإمام القرطبي، مجلد 9 / ص 4827 مِن طبعة دار الفكر، وتفسير الإمام ابن جرير الطّبري إن شئت.

[136] راجع "أُصول الدين" للإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ص 110 ، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 3، بيروت 1981، وهي طبعة مصورة عن طبعة تركية.

[137] سورة طه: آية رقم 39.

[138] أُنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 7408، جزء 13 / ص 480.

[139] راجع تفسير القرطبي ، مجلد 9 / ص 4786 مِن طبعة دار الفكر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فإنَّكَ بِأعْيُنِنا ﴾ [سورة الطور: آية رقم 48].

[140] راجع تفسير القرطبي، مجلد 6 / ص 3264 مِن طبعة دار الفكر.

[141] ص 252 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 124.

[142] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم 7127 و 7408، والإمام مسلم في صحيحه برقم 2931، وغيرهما.

البيان به أوضح مِن البيان بالعَوَر، لأنّه لو كان للهِ أكثرُ مِن عَيْنين لقال: إنّ ربّكم له أعين، لأنه إذا كان له أعين أكثر مِن اثنتين صار وضوح أنّ الدَّجال ليس بربٍ أبْيَن».

هذا ما فهمه ابن عثيمين مِن الحديث، وماذا فهم علماء أهل السُّنَّة منه؟

قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني ناقلا عن الإمام ابن بَطّال (ت 449 هـ) **ومُقِرّاً له: « إنّ المُرادَ نَفيُ النَّقص عنه - تعالى - »[143]، وبهذا قال أيضا الإمام الحافظ والمُفَسِّر ابن الجَوْزي** (ت 597 هـ) **والإمام ابن عقيل الحَنبلي** (ت 513 هـ)**[144].**

وتفسير الحديث الآنف الذِّكر كالآتي، واللهُ وليّ التّوفيق: إنَّ الدَّجّال سَيَدّعي بأنّه إله[145]، فالعَوَرُ فيه علامة واضحة على أنّ ذاتَ هذا المخلوق الذي سَيَدَّعي الألوهيّة ناقصة، ولو كان إلهاً كما يزعم لما أصَابه العَوَر، وهذا صفة نَقْص. والحقيقة أنّ هذه العلامة هي لضعيفي الإيمان الذين يُمكن أن تَنطلي عليهم حيلة الدّجال - واللهُ أعلم- ، خصوصا أنه سيأتي ومعه مِثال الجنّة والنار، أمّا المُسلم المُنَزِّه للهِ عن الأعضاء وصفات المخلوق فلن يُصَدِّقه لأنّه يَعلم أنّ اللهَ مُنزَّهٌ عن الظُّهور في أيّ صورة مِن صور المخلوقات، أو أن يَحُلَّ في شيء. والعلامة الثانية - وهي الأكبر - التي تُثْبت كَذِب الدّجال هي أنه مكتوبٌ بين عينيه "كافر"[146]، ومِن معاني كلمة كافر في الاصطلاح الشّرعي: إنكارُ وجود الله[147]، فالدَّجّال الذي سيدّعي بأنه الله يُنكر وجود ذاته كإله!

ثُمّ قال ابن عُثَيْمين بعد كلامه السابق مباشرة: « وأيضا لو كان للهِ عَزَّ وَجَلَّ أكثر مِن عينين لكان ذلك مِن كَماله، وكان تَركُ ذِكْره تفويتا للثّناء على الله، لأنّ الكَثْرة تدُلُّ على القُوّة والكَمال والتّمام »[148]. لازمُ كلام الشيخ ابن عثيمين هو أنّ اللهَ أقلُّ قوة وأقلُّ كمال وأقل تمام مِمّا يَجبُ له - سبحانه -، لأنّ له عينين اثنتين فقط، فلو كان له أكثرُ مِن عينين اثنتين لكان أكثرَ قوة وأكثر كمال وأكثر تمامٍ «لأنّ الكَثْرة تدلُّ على القوة والكمال والتمام» كما قال

---

143 "فتح الباري"، عند شرح الحديث رقم 7408، جزء 13 / ص 480 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

144 "دَفعُ شُبه التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي، صفحة 114، وصفحة 263 - 264 مِن طبعة دار الإمام النووي، ط 3.

145 أخرج الحافظ ابن خُزَيْمة بإسناده مِن طريق جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «... يأتي - الدَّجال- الناس فيقول: **أنا ربّكم**، وهو أعْور، وإنّ ربكم ليس بأعور » [**"كتاب التوحيد"** لابن خزيمة، ص 44 بتعليق محمد خليل هراس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 1992.]، وانظر كذلك صحيح مسلم، حديث رقم 2938 / 113.

146 روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب 19: ذِكْر ابن صياد، حديث رقم 2931 / 169، وباب 20: ذِكْر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم 2933 / 101، 102، 103، والحافظ ابن خزيمة في "كتاب التوحيد"، ص 44 بتعليق محمد خليل هرّاس.

147 وتعني كذلك إنكارُ أيِّ شيء معلوم مِن الدين بالضرورة كإنكار فرضيّة الصَّلاة مثلا، فمَن يُنكر أنّ الصّلاة فرضٌ فهو كافر حتى لو اعترف بوجود الله.

148 "شرح العقيدة الواسطيّة"، ص 246 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 124.

الشيخ الوهابي السعودي ابن عثيمين، هذا ما تفعله عقيدة التّجسيم بأهلها - تُعمي القلوب، وحينئذٍ تفتري الألسن -.

تنبيه: هذه العقيدة، أنّ للهِ عينين اثنتين، وكذلك أعضاء، ليست عقيدة ابن عثيمين وحده، بل هي عقيدة كُلِّ الشيوخ الوهابيين، سواء أكانوا سعوديين أو غير سعوديين، فكُلّهم ينهلون مِن نفس المَنبع، أقصد مِن عقائد الشيخ ابن تيمية.

وأكتفي بهذا القدر مِن الأمثلة السابقة، ففي ذلك دليلٌ كافٍ على أنَّ سَلَف أهل السُّنَّة الصالح أخذوا بمذهب التّأويل كما أخذوا بمذهب التّفويض بخصوص آيات وأحاديث الصفات، واللهُ هو الهادي إلى سواء السبيل.

مذهب ابن تَيمية في فهم النُّصوص الشّرعيّة المُتعلّقة بصفات الله

أولا: الأخذ بظواهر النُّصوص الشَّرعيّة حَرْفيّاً دون مراعاة لأساليب اللغة:

في فهم النُّصوص الشرعيّة المُتعلّقة بصفات الله أخذ ابن تيمية بظاهر النَّص، ورفضَ مَذهبيّ التّفويض والتّأويل اللّذين أخذ بهما عُلماء السَّلف مِن أهل السُّنّة، فوقع في التَّشبيه والتَّجسيم. قال ابن تيمية في "الرسالة التَّدمريّة" له: « وبَيانُ هذا أنَّ صفاتنا مِنها ما هي أعيان وأجسام وهي أبعاض - أي أجزاء -[149] لنا كالوجه واليد، ومنها ما هو معانٍ وأعراض وهي قائمة بنا كالسَّمع والبَصر والقُدْرَة. ثُمّ إنّ مِن المعلوم أنّ الرَّبَّ لَـمّا وصَفَ نفسَهُ بأنّه حَيٌّ عليمٌ قدير لمْ يَقُل المسلمون إنّ ظاهرَ هذا غيرُ مُراد، لأنّ مفهوم ذلك في حَقِّه مِثل مفهومه في حقِّنا، فكذلك لَمّا وصف نفسَه بأنه خَلقَ آدمَ بيديْهِ لم يُوجب ذلك أن يكون ظاهرهُ غير مُراد، لأنَّ مفهومَ ذلك في حقِّه كمفهومه في حقِّنا، بل صفة الموصوف تُناسِبه »[150].

التّعليق: لقد قَسَّم ابن تيمية صفاتنا كبشر إلى صفات أعيان، أي صفات ماديَّة (أجسام) كاليد والوجه، وإلى صفات معانٍ، أي صفات مَعنويّة، كالسَّمع والبَصر، وإلى أعْراض، أي صفات لا تدوم كالاجتماع والافتراق والحركة والسُّكون والقيام والجلوس.

تَسميةُ ابن تيمية لأعضائنا كاليد والوجه - والعين والسّاق والقَدَم - صفات أعيان مُغالطة،

---

[149] **ما بين الشرطتين إضافة مني للتوضيح، وأيُّ كلام ما بين شرطتين في أيّ نَصّ يُستشهد به في هذا الكتاب فهو إضافة مني للتوضيح، وإذا كان غير ذلك فقد أشَرتُ إليه في موضعه.**

[150] "الرسالة التدمرية"، **المرجع**: **"مجموع الفتاوى"** لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 26 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2000 ، **وهذه الطبعة هي المرجع المعتمد في هذا الكتاب.**

لأنَّ الصفاتَ أشياءٌ غير ماديّة، كالقُدْرَة والكَرَم. فالقُدْرة مثلاً هي صفة مَعْنَويّة ولكن لها آثاراً ماديّة كَرَفعِ كُرسيٍّ عن الأرض مثلا. أمّا اليدُ والوجه والعين فليست صفاتً، بل هي أجزاء وأعضاء ماديّة. فابن تيمية سَمّى الأعضاءَ صفات لِيُمَهِّد الطريق أمامه لِيَنسِبَ الأعضاء لذاتِ الله، فلفظُ الصفات ألطف مِن لفظ الأعضاء. ثُمّ انتقل ابن تيمية بعد ذلك إلى الخطوة التالية، فقال: «أنَّ الرَّبَّ لَمَّا وصف نفسَهُ بأنّه حيٌّ عليمٌ قديرٌ لمْ يَقل المسلمون إنّ ظاهر هذا غيرُ مُراد، لأنّ مفهومَ ذلك في حَقِّه مثل مفهومه في حقِّنا »، وكلامه هذا هو مُغالطة ثانية، لأنَّ مفهوم صفة العِلم مثلاً في حَقِّ اللهِ الخالق يَختلفُ اختلافاً كُليّاً عن مفهوم صفة العِلم في حقِّ الإنسان كمخلوق، لأنَّ حقيقة ذاتِ اللهِ الخالق تَختلفُ عن حقيقة ذات لمخلوق، قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[151]، فعِلمُ الله أزَليّ، أي لا بداية لوجوده، وأبَديّ، أي لا نهاية لوجوده. وعِلمُ اللهِ لا يَتغيَّر، قال الإمام الشافعي (ت 204 هـ) رَحِمَهُ: « لا يجوز عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته »[152]. أمّا عِلمُ الإنسان فله بداية، ويَتغيّر بتغيّر الزّمان، فعندما يولد الإنسان يكون عِلمه صفراً، ويَزداد مع الزّمن، ويَتغَيَّر كذلك بالنِّسيان، وينتهي بانتهاء أجله.

نعم، لقد وَصفَ اللهُ نفسَهُ بالعِلم، ونحن نُثبتُ له صفةَ العِلم، ولكن لا نقول أنَّ مفهوم صفة العِلم في حَقِّ اللهِ كمفهومه في حقِّنا كما ادّعى ابن تيمية. وعلى هذا يَتبَيّن فساد قول ابن تيمية أنَّ مفهومَ صفاتِ اللهِ الخالق كالعِلم والقُدْرَة والبَصر والسَّمع كمفهومه في حقِّنا كمخلوقات. وأراد ابن تيمية بهذه القاعدة - الفاسدة - وَضْعَ حَجر الأساس للبرهنة - وأنَّى له ذلك- على أنَّ ذاتَ الله مُركبّة مِن أعضاء كاليد والوجه والعين، فقال: « فكذلك لَمّا وصفَ نفسَه بأنّه خلقَ آدمَ بيديه[153] لَم يُوجب ذلك أنْ يكون ظاهرهُ غيرَ مُراد، لأنّ مفهوم ذلك في حقِّه كمفهومه في حقِّنا، بل صفة الموصوف تُناسبه». وشرح كلام ابن تيمية - مع النَّصِّ السابق- يكون كالآتي، واللهُ وليُّ التّوفيق: فكما أنَّ مفهوم صفة العِلم (مثلاً) في حَقِّ الله مِثل مفهومه في حقِّنا، فكذلك مفهوم اليدين في حقِّ الله كمفهومه في حقِّنا! هذا ما أرادَ ابن تيمية قوله. ومِن المعلوم لدى الجميع أنَّ مفهوم اليدين في حقِّنا كبشر العُضْو (الكَف)، وبناءً على نظريّة ابن تيمية يكون مفهوم اليدين في حقِّ الله هو العضو (الكف)! وادَّعى ابن تيمية أنّ صفات الأعيان تليق بالله كصفات المعاني، حيث قال: «بل صفة الموصوف تُناسبه». وكيف تُناسب أوصاف المخلوق كاليد والوجه الخالق؟! وعلى هذا نَسَبَ ابن

---

[151] سورة النحل: آية رقم 17.

[152] ذَكَرَ ذلك عنه الإمام محمد مُرتضى الزَّبيدي في كتابه "إتحاف السّادة المُتّقين بشرح إحياء علوم الدين"، مجلد 2 / ص 24، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي، بيروت 1994.

[153] قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ معناه لِما خلقت بقدرتي كما سيأتي بيانه إن شاءَ الله.

تيمية لله اليدين كعضو، وكذلك كآلة عَمَل وفِعل[154] .
وادعاءُ ابن تيميـة أنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عليه السلام بيدين عضوين مَردودٌ بقولـه تعالى: ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ اللهِ كَمَثلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فيَكونُ ﴾[155]، وبقولـه جَلّ ثناؤُه: ﴿ إنّمـآ أمْرُهُ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقـولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾[156]، فـاللهُ إذا أراد شيئا يخلقه بقولـه "كُن"، وليس بيَدَيّه، فهو مُنَزَّهٌ عن الأعضاء.
ولقد رَدَّ الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت 321 هـ) رحمه الله **في رسالة العقيدة ـ الّتي أجْمَعَ علماء أهل السُّنَّة على صحّتها ـ قبل ما لا يقل عن ثلاث مائـة وأربعين سنة مِن مولد ابن تيميـة على كُلِّ مَن يعتقد أنَّ لله أعضاءً، فقال: « ومَن وَصَفَ اللهَ بمعنًى مِن معاني البَشَر فقد كَفَرْ»[157]، ومعنى اليد في حَقِّ البشر العضو (الكف)، فمَن ادّعى أنَّ معنى لفظ اليد المُضاف إلى اللهِ كما في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ العضو فقد كَفَر. وعلى هذا فالأخذ بظواهر النُّصوص دون مُراعاة لأساليب اللغة يؤدي إلى التَّشبيه والتّجسيم، أي إلى الضَّلال. وابن تيمية لم يَكُن أوّلَ مَن أخذ بظاهر النُّصوص حَرْفيّاً دون مُراعاة لأساليب اللغة العربيـة، فقد سبقه في ذلك أبو سعيد عثمان ابن سعيد الدارمي[158] والكَرَّاميّة[159] .**

ثانيا: كُلُّ صفة كمال للمخلوق فالخالقُ أوْلى بها

هذه هي القاعدة الثانية التي اعتمدها ابن تيمية في إثبات صفات الله. قال ابن تيميـة في "الرسالة التدمريّـة" لـه: « وهو أنَّ كُلَّ ما اتّصَفَ بـه المخلوق مِن كمال فالخالقُ أوْلى بـه»[160]. كلام ابـن تيميـة هذا ظاهرهُ الهدى وباطنـه الضَّلال، وبيانـه كـالآتي واللهُ ولـيُّ التّوفيق:

---

[154] قال ابن تيمية في "الرسالة التَدمريّة" له: « والكبدُ والطحال.ونحو ذلك: هي **أعضاءُ** الأكل والشرب، فالغنيُّ المُنَزّه عن ذلك مُنّزهٌ عن **آلات** ذلك، **بخلاف اليد فإنها للعمل والفِعل** »، المرجع: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 44 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

[155] سورة آل عمران: آية رقم 59.

[156] سورة يس : آية رقم 82.

[157] المرجع: "إظهار العقيدة السُّنيّة بشرح العقيدة الطَّحاوية"، المتن / ص 380 ، تأليف الشيخ المُحدِّث عبدالله الهَرَري، **الناشر**: شركة دار المشاريع للنشر والطباعة والتوزيع، ط 4، بيروت 2007.

[158] توفي عام 280 هـ، وهو القائل بإمكانيّة استقرار اللهِ على ظهر بعوضة، حيث قال في كتابه النَّقض على بِشر المَريسي: « ولو قد شاء ـ اللهُ ـ لاستقرّ على ظهر بعوضة، فاستقلّت به ـ أي رفعته- بقدرته ولطف ربوبيّته ».واستشهد ابن تيميّة بهذا النّص مُستحسناً غير مستنكر في كتابه "بيان تلبيس الجَهْمِيّة"، كما سيأتي بيانه، ليُبَرهن على استقرار الله على العرش ـ ﴿سُبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية رقم 91]- .

[159] **الكَرَّامِيّة** نِسبة إلى محمد بن كَرّام السّجستاني، المتوفي في عام 255 هـ ، ومن عقائده أنّ اللهَ جِسمٌ وله أعضاء وهو مُستقرٌ على العرش.

[160] **المرجع**: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 18 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

مثال: الحركة هي صِفة كمالٍ في حَقِّ المخلوق، كالإنسان مثلا، فالمخلوق الذي يَتحرّك أكْمَلُ مِن المخلوق الذي لا يتحرّك. والمَشي أيضاً هو صفة كمال في حقِّ المخلوق، فالمخلوق الذي يمشي أكملُ مِن المخلوق الذي لا يستطيع المَشي. والجلوس هو صفة كمال في حقِّ المخلوق، فالمخلوق الذي يجلس أكملُ مِن المخلوق الذي لا يستطيع الجلوس. واللّمس هو صفة كمال في حقِّ المخلوق، فالمخلوق الذي يلمس أكملُ مِن المخلوق الذي لا يستطيع اللمس[161]. "وَدَكُّ الكوع" هو صفة كمالٍ في حقِّ المخلوق، فالذي "يَدُك الكوع" أكمل مِمَّن لا يستطيع ذلك لأي سبب كان، وهكذا الأمر في باقي صفات الكمال للإنسان كالصعود والنُّزول. فهل يجوز نِسبَة صفاتِ الكَمال السّابقة الذِّكْر إلى الله تعالى؟ بالتأكيد لا.

لنأخذ مثلاً صفة الحركة، فالحركة مع كَوْنها صفة كمال في حقِّ المخلوق إلّا أنها تَدُلُّ في الحقيقة على نَقْصٍ في ذات المخلوق. فالمخلوقُ يتحرك مِن أجل إنجاز عَمَلٍ ما، فلو كان عاجزاً عن الحركة لَما استطاع إنجاز ذلك العمل. فذاتُ المخلوق مُحتاجة إلى صفة الحركة حتى تؤدي أعمالا مُعيَّنة، بينما ذاتُ اللهِ الخالق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ كاملةٌ وقادرة قُدْرَة مُطلقة، فما شاء اللهُ كان، قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾[162]، ولم يَقُل اللهُ أنّه إذا أراد شيئاً يتحرك مِن أجل إنجازه - سبحانه -. وهكذا الأمر في باقي الصفات التي هي صفات كمال في حقِّ المخلوق كالجلوس والقيام والصعود والنُّزول إلى آخره، فلا يجوز نِسبتها إلى الله الخالق.

تنبيه: مِن أجل تسهيل نشر عقيدة التَّشبيه والتَّجسيم بين عَوامّ الناس يقول المُجَسِّمَة مثلاً: اللهُ يَنْزِلُ ولكن نُزوله ليس كنزولنا، أو ينزلُ كما يليق بجلاله! ويجلس ولكن ليس كجلوسنا، أو يجلس كما يليق بجلاله! بهذه الكلمات البرّاقة (ليس كنزولنا، وكما يليق بجلاله) يُحاول المُجَسِّمَة التّلطيف مِن بشاعة عقيدتهم، فهم يَنسبون إلى الله صفات المخلوق ثُمّ يقولون بعدها: كما يليق بجلاله! وكيف يَليقُ بجلال اللهِ الخالق أن تكون له صفاتُ المخلوق؟! فكُلُّ نَوْعٍ مِن أنواع المخلوقات له صفاتٌ تليق به: فالإنسانُ يجلس جلوساً يليق به كإنسان، والقِردُ يَجلس جلوساً يليق به كَقِرد، والقِطُّ يجلسُ جلوساً يليق به كَقِط ، إلى آخره. فكُلُّ كَيْفِياتِ الجُلوسِ للمخلوقات الآنِفة الذِّكْرِ تُسَمَّى جلوسا. فلو كان للهِ

---

[161] لقد نَسَبَ ابن تيمية صِفة اللّمس لله تعالى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

[162] سورة يس: آية رقم 82.

جُلوسٌ - كما يليقُ بجلاله - لشاركَ مخلوقاته في صفة الجلوس، واعتقادُ هذا يُعَدُّ تشبيها للهِ الخالق بخلقه، قال الرسولُ عليه الصلاة والسلام: « المُشَبِّهَة يهودُ هذه الأُمَّة »[163].

قد يقول قائل: السَّمْعُ هو صفة مِن صفات الإنسان كمخلوق، والسَّمْعُ هو أيضا صفة مِن صفات الله الخالق، فهل هذا تشبيه للهِ الخالق بالمخلوق؟

الجواب: لا، لأنَّ اللهَ أثبتَ صفة السَّمْع لذاته بقوله:﴿ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[164]، فنحن نثبتُ له صفة السَّمْع، وهي صفة أزَليّة له تعالى. وصفة السَّمْع ثابتة أيضاً للإنسان، ولكنّ اللهَ خلقها له، فكانت بعد أن لم تكن. قال اللهُ تعالى في حقِّ الإنسان: ﴿ فَجَعَلْناهُ سَميعاً بَصيراً﴾[165]. ولكن بما أنَّ حقيقة ذاتِ الله تَختلفُ عن حقيقة ذاتِ المخلوق فتكون حقيقة السَّمْع مثلا في حَقِّ الله الخالق مُغايرة تماماً لحقيقة السَّمْع عند المخلوق كالإنسان مثلاً. فسَمْعُ الله أزلي، أي لا بداية لوجوده، وأبدي، أي لا نهاية له، وسَمعُ الله لا يتغيّر، ولا شيء يَحجبُ سَمعَ اللهِ ولا شيء يغيبُ عن سمعه، واللهُ يسمعُ بلا أداة سَمْع كالأُذن، فهو مُنَزَّهٌ عن الأدوات والأعضاء. أما سَمْعُ الإنسان فلا يتم إلّا بآلة سليمة كالأُذن والقناة السَّمْعِية والطبلة، ويَحدثُ السَّمعُ عنده بارتطام الموجات الصوتية بطبلة الأُذن ونقل ذبذباتها إلى الدِّماغ، وسَمْعُ الإنسان يَتغيّر بتغيّر الزّمان، وينتهي بانتهاء أجله، وقد يوجد عند إنسانٍ ما أدوات سَمْعٍ سليمة ومع ذلك يُحْرَم مِن صفة السَّمْع، فالصفات فينا مخلوقة.

فحصل إذن مُوافقة فقط في لفظ السَّمع المنسوب إلى اللهِ وإلى المخلوق وليس في حقيقته. وهكذا الأمر في باقي صفات المعاني الثابتة لله، كالحياة والقُدرة والإرادة والبَصر والكلام، وهي صفات أزليّة وأبديّة، أما صفات المخلوقات فهي حادثة، فاللهُ خلقها.

وقد يقول قائل: لفظُ اليد يُنسب للإنسان، ومعناه العُضو المعروف (الكف)، وهو وصفٌ ثابت له. ولفظ اليد وَرَدَ كذلك مُضافا إلى اللهِ تعالى كما في الآية الكريمة: ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ ﴾[166]، فكيف ذلك؟ الجواب : إنَّ لفظَ اليدِ في هذه الآية الكريمة والمُضاف إلى الله تعالى لَم نُطلقه نحن على الله، بل اللهُ سبحانه أضافه إلى نفسه، فنحنُ نُثْبِتُه، ولكن بما أنَّ حقيقة ذاتِ الله تختلفُ عن حقيقة ذات المخلوق، فيكون معنى لفظ اليد في حَقِّ اللهِ مُغايراً تماماً لمعنى لفظ اليَدِ في حَقِّ المخلوق كالإنسان مثلا. فلفظُ اليد المُضاف إلى اللهِ في الآية الكريمة

---

[163] ذَكَر ذلك الإمام الشهرستاني بدون إسناد في كتابه "المِلل والنِّحل"، مجلد 1 / جزء 1/ ص 16 مِن الطبعة المذكورة في الحاشية رقم 18.

[164] سورة الشورى: آية رقم 11.

[165] سورة الإنسان: آية رقم 2.

[166] سورة الذاريات ، آية رقم 47 ، و**"الأيد" هي صيغة جمع لليد العضو، راجع إن شئت الحاشية رقم 113.**

الآنفة الذِّكْر معناه القدرة أو القوة[167]، ولفظُ اليد في حَقِّ المخلوق كالإنسان مثلا معناه العضو (الكف)، فحصل توافق فقط في اللفظ وليس في المعنى. وقد يأتي معنى لفظ اليد المُضاف إلى الله كِناية عن الكَرَم والعطاء كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[168]، وذلك حسب سياق النَّص.

أسلوب ابن تيمية في الدعوة إلى عقيدته

لترويج عقيدته اتَّبعَ الشيخ ابن تيمية أساليبَ شَتّى، منها:
أوّلا: التّأكيدُ دائما على أنَّ ما يقوله عن اللهِ مُوافق تماما لكتاب اللهِ وسُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، قال ابن تيميِّة في بداية رسالته "العقيدة الواسِطِيَّة": « ومِن الإيمان باللهِ الإيمانُ بما وصفَ به نفسَهُ في كتابه، وبما وصَفَهُ به رسولُه مِن غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومِن غير تكييف ولا تَمثيل ». هذا الكلام حقّ، ولكنَّ ابن تيمية أراد أن يُثبت به باطلاً. وفي ما يلي شرح المفردات التي وَرَدَت في النّص أعلاه:
أرادَ ابن تيميِّة بقوله: «مِن غير تحريفٍ» نفيَ مذهب التّأويل، وهو أحد مذهبيّ سلف أهل السُّنَّة في فهم صفات الله كما سبقَ بيانه. وقوله: «ولا تعطيل»[169] قصد به عَدَم نَفي الأعضاء عن ذات الله، والتي سَمّاها "صفات أعيان"[170] ليَسْهل عليه تمرير عقيدة التّجسيم على عوامّ الناس، فالأعضاءُ في الحقيقة ليست صفاتً، بل أجزاء، لأنَّ الصفة شيءٌ مَعنوي كالقوة والكَرم مثلا، وليست شيئاً مادياً. وقوله: «ومِن غير تكييف ولا تمثيل» أراد به ابن تيميِّة نفيَ الشَّكل والحَجم (التَّكْيِيف) والمُماثلة بين أعضاء اللهِ التي اعتقد ابن تيميِّة بوجودها وأعضاء المخلوقات، بينما نَفَى أهلُ السُّنّة <u>أصلَ الكَيْف</u> عن الله، لأنّ الكَيْفَ معناه صفة في المخلوق[171]، وقول ابن تيميِّة: «ومِنَ الإيمان بالله الإيمانُ بما وصفَ به نفسَهُ في كتابه، وبما وصَفَهُ به رسولُه» هو حُجَّة عليه وليس له: فأين يوجد في كتاب الله وسُنَّة رسوله أنَّ اللهَ جسمٌ وأنَّه محدودٌ وأنَّ ذاتَ الله مَحَلٌ للحوادث كما ادّعى ابن تيميِّة ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله ـ. وأراد ابن تيميِّة بكلامه السابق أن يوهم القارئ

---

167 هذا تفسير الصحابي الجليل، تُرجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقَتادة وغيرهم، راجع تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله، جزء 27 / ص 12 مِن دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001.
168 سورة المائدة ، آية رقم 64.
169 "التَّعطيل" معناه النفي.
170 "**أعيان**" تعني هنا الأشياء العَيْنِيَّة أي الماديّة، "والصفاتُ" الماديّة هي الأعضاء والأجزاء.
171 راجع الحاشية رقم 65 إن شئت.

مِنَ البداية أنّه إنسانٌ ورع، تقيٌّ لا يقول إلّا ما قالَـه اللهُ ورسولُه، وأنّـه يَصفُ اللهَ فقط بما وصفَ به نفسَه وبما وصَفَهُ به رسولُه حرفياً. ولقد أُضيف لفظ المرض إلى الله تعالى كما وَرَدَ في الحديث القدسيّ[172]، فهل نأخذ الكلام حرفياً وننسبُ المرضَ إلى الله سُبحَانهُ وَتَعَالَى؟ بالطبع لا، لأنَّ المرضَ صفةُ نقص، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك. وعلى هذا يجب أن نفهم كلامَ الرسول عليه الصلاة والسلام باللغة العربية وأساليبها. ولكنَّ ابن تيمِّية أخذ بظواهر بعض الآيات والأحاديث النّبويّة حرفياً فوقع في التّشبيه والتّجسيم، أي أنّه شَبَّه اللهَ الخالق بالمخلوق وادّعى أنَّ ذاتَ اللهِ جسمٌ ولها أعضاء كما سيأتي بيانه. والحقيقة هي أنَّ ابن تيمِّية لم يَكُن أوّلَ مَن أخذ بظواهر النّصوص الشَّرعِيّة، فقد سبقه في ذلك شيوخ التّجسيم كهشام بن الحكم الشيعي، وهو أوّلُ مَن ادَّعى بأنَّ ذاتَ الله جسم، ومحمد بن كرَّام السجستاني والقاضي أبي يعلى الفرّاء (ت 458 هـ) **الذي قال: « لا يَمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث في إمرارها على ظاهرها مِن غير تأويل »[173]، وبناءً على ذلك نَسبَ إلى الله اليَدَ والقَدَم والسّاعد والذِّراع والصّدر والحركة والنّزول والهرولة والضَحك والأضراس واللهاة! والذي يأخذ بظواهر النّصوص حرفيا دون مراعاة لأساليب اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآنُ الكريم سوف يؤدي به الأمر إلى عقيدة التّجسيم لا مَحالة، قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني[174] ناقلاً عن الإمام القاضي عِياض[175] ومُقراً له: « فمَن أجْرى الكلامَ على ظاهِره أفضى به الأمرُ إلى التَّجسيم »[176].**

ثانيا: ومن أساليب ابن تيمية لتمرير عقيدته الاستشهاد بنصوص لعلماء مشهورين مِن أهل السُّنَّة، فقد استخدم عبارات أئمة أهل السُّنَّة التي عَبَّروا بها عن معنىً مُعيّناً، فَعَبّرَ بها عن معنىً آخر مخالف للمعنى الذي أرادوه مِن تلك العبارات والمُصطلحات ليُظهر لعوامِّ الناس أنَّه موافق لهم في أقوالهم وعقائدهم ليسهل عليه نشر عقيدة التّجسيم - وكذا يفعل أتباعه الوهابيون مِن مُجَسِّمَة العصر - . قال ابن تيميّة في التسعينيّة[177]: « وأما السَّلفيَّة

---

[172] قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « يقول اللهُ يوم القيامة: مَرضتُ عبدي فلم تَعُدني...يا ابن آدم استطعمتُكَ فلم تُطعمني ... » الحديث، رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم 2569 ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2001.

[173] ذَكَرَ ذلك عنه الإمام ابن الجَوْزي (ت 597 هـ) في كتابه "دفع شُبَه التّشبيه بأكُفِّ التّنزيه"، ص 183 مِن مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[174] هو الإمام الحافظ، قاضي القضاة، أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي العسقلاني، المشهور بابن حَجَر العسقلاني، ولد 773 هـ، ت 852 هـ رَحِمَهُ الله.

[175] هو الإمام عِياض بن موسى بن عِياض، إمام أهل الحديث في وقته وعالم أهل المغرب، ولد 496 هـ، ت 544 هـ.

[176] أنظر "فتح الباري شرح صحيح البخاري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 7444 : « جنتان مِن فضة آنيتهما وما فيهما ... »، مجلد 13 / ص 530 - 531 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 1989.

[177] التسعينيّة هي المجلد الخامس مِن كتاب "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية.

فعلى ما حكاه الخَطَّابي وأبو بكر الخطيب[178] وغيرهما، قالوا: مَذهبُ السَّلف إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكَيْفِيّة والتَّشبيه عنها، فلا نقول إنَّ معنى اليد القُدْرَة ولا إنّ معنى السَّمع العِلم وذلك أنَّ الكلامَ في الصفات فرعٌ على الكلام في الذَّات يُحتذى فيه حَذْوه ويُتبع فيه مثاله، فإذا كان إثباتُ الذات إثبات وجود لا إثبات كَيْفِيّة فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كَيْفيّة، فقد أخبرك الخَطّابي والخطيب وهما إمامان مِن أصحاب الشافعي رضي الله عنه مُتفقٌ على عِلمهما بالنَّقل، وعِلمُ الخطّابي بالمعاني أنّ مذهب السَّلف إجراؤها على ظاهرها مع نَفي الكَيْفِيّة والتَّشبيه عنها،»[179].

التّعليق: الشيخ ابن تيمية استشهد بإمامين مشهورين مِن أئمة أهل السُّنَّة، بأبي سليمان الخطّابي وبأبي بكر الخطيب البغدادي، لإثبات عقيدة السَّلف، وعلى هذا فيجب عليه أنْ يوافقهما في فهمهما لنصوص آيات وأحاديث الصفات، أليس كذلك؟ وإلّا فلا معنى للاستشهاد بأقوالهما، اللّهُمّ إلّا إذا أرادَ فقط أنْ يوهم القارئ أنّه على عقيدتهم، وهذا ما أراده بالفعل وللأسف، وبيانه كالآتي واللهُ المُوفِّق:

لقد نَفى عُلماء أهل السُّنَّة الكَيْفِيَّة عن اللهِ وعن صفاته كما وردَ في النَّصِّ أعلاه، وأرادوا بنفي الكَيْفِيّة نَفْيَ الجِسْمِيَّة والأعضاء وصفات المخلوق عن الله تعالى مع تفويض المعنى إلى الله، وهذا هو عَيْنُ مذهب التّفويض. وكان الإمام أبو سليمان الخطّابي رحمه الله يأخذ بمذهبيّ التّفويض والتّأويل في فهم آيات وأحاديث الصفات[180] - وابن تيمية رفض المذهبين-. فعلى سبيل المثال قال الإمام أبو سليمان الخطَّابي في تفسير لفظ اليد المُضاف إلى الله[181]: «وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنّما هو صفة جاء بها التّوقيف، فنحن نُطْلِقها على ما جاءت ولا نُكَيِّفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة »[182]. فهذا نصٌ صريحٌ مِن الإمام الخطّابي رحمه الله في نَفْي الأعضاء عن الله تعالى - والتي يُثبتها ابن تيمية -، فلفظ اليد في حَقِّ الله لا

---

[178] هو الإمام الحافظ المُحَدِّث أبو بكر الخطيب البغدادي، ولد 392 هـ ، ت 463 هـ.

[179] "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية ، مجلد 5 / ص 126 ، **الناشر**: دار المعرفة، ط 1، بيروت 1988، أو ص 112 مِن طبعة دار الغد العربي، ط 3 ، القاهرة 1991.

[180] قال الإمام أبو سليمان الخَطّابي رحمه الله بخصوص التّفويض والتّأويل في موضوع الصفات ما نصه: « والأصلُ أنَّ كُلَّ صفة جاء بها الكتاب أو صَحّت بأخبار التّواتر أو رُويت مِن طريق الآحاد وكان لها أصلٌ في الكتاب، أو خرجت على بعض معانيه فإنا نقول بها ونجريها على ظاهرها مِن غير تَكْييف – **وهذا هو مذهب التفويض** – ، وما لم يكن له في الكتاب ذِكْرٌ، ولا في التّواتر أصل، ولا له بمعاني الكتاب تعلق، وكان مجيئه مِن طريق الآحاد وأفضى بنا القول إذا أجريناه على ظاهره إلى التّشبيه، **فإنا نتأوله على معنى يَحْتمله الكلام ويزول معه معنى التّشبيه** » ("الأسماء والصفات"، للإمام الحافظ أبي بكر البَيْهَقي - رحمه الله- ، ص 446 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15).

[181] كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيَّ ﴾، وكما وَرَدَ في الحديث الشريف: « وكِلتا يديه يمين ».

[182] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 419 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

يعني الجارحة (= العضو)، «إنّما هو صفة»، والصفة كما هو معلوم شيءٌ معنوي وليست شيئاً مادياً محسوساً. وهذه الصفة «جاء بها التّوقيف»، أي وَرَدَت في القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة، «فنحن نُطْلِقها على ما جاءت»، أي نُطلِق هذا اللفظ كما جاء على ظاهره، أي بدون تفسير[183]، ولكن بمعنى الصفة وليس الجارحة (العضو)، «ولا نُكَيِّفها»، أي ننفي الكَيْفَ (= الكَيْفِيّة) عنها، أي نَنْفي أنْ يكون مفهومها في حَقِّ الله كمفهومها في حقّ المخلوق. هذا هو تفسير كلام الإمام الخطّابي، وهو «وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة»، أي مذهب أهل التّفويض. فمذهب أصحاب التَّفويض مِن أهل السُّنَّة هو إجراءُ اللفظ الذي يوهم ظاهره التَّشبيه والتّجسيم على ظاهره، أي بدون تفسير، مع تفويض معناه إلى الله تعالى والجَزْم بأنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الأعضاء (الجوارح).

أمّا ابن تيمية فأراد مِن «إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها» أنْ يكون مفهوم ألفاظها في حَقِّ الله كمفهومه في حقِّ المخلوق، لأجل إثبات الأعضاء لله سبحانه وتعالى. لذلك أراد أنْ يَفْهَم ويُفْهِم القارئ أنَّ معنى لفظ اليد في حَقِّ الله هو نفس معنى لفظ اليد في حقِّنا، أي العضو[184]! ولهذا رفض ابن تيمية أنْ يكون معنى لفظ اليد في حَقِّ الله القُدْرة (على مذهب أهل التّأويل) **أو صفة مَعنويّة دون تحديد لمعناها** (على مذهب أهل التّفويض)**، بل أداةً للعمل والفِعل[185]، مع أنّ الصحابي الجليل، تُرجمان القرآن، عبدالله بن عباس** رضي الله عنهما **فسَّر لفظ اليد المُضاف إلى الله تعالى بالقوة (القدرة)، وبهذا التفسير قال الأئمة مجاهد بن جبر** (ت 104 هـ) **وقَتَادة بن دعامة** (ت 118 هـ) **وابن جرير الطبري** (ت 310 هـ) **وغيرهم[186]، وفَسَّرَهُ الإمام الحسن البصري** (ت 110 هـ) **بالمِنّة والإحسان** (راجع ص 27)**. والمذكورون كانوا مِن كِبار علماء السَّلف، وبأسمائهم تمَسّح ابن تيمية في كُتبه لنشر عقيدته القائمة على التَّجسيم. وكما سبق ذِكْرُه، ذَكَرَ لنا ابن تيمية أنَّ الإمامين الخطّابي والخطيب البغدادي «مُتفقٌ على عِلمهما بالنّقل»، فلماذا لَمْ يأخذ بنقلهما لنا مذهب السَّلف في التّفويض والتّأويل ونَفْيِّ الأعضاء والجِسميَّة والحَدِّ عن الله تعالى؟! وبناءً على هذا**

---

[183] قال الإمام الحافظ والفقيه والأصولي أبو بكر البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات" (ص 447) : « وأما المتقدمون مِن أصحابنا فإنهم لم يُفسروا أمثال هذه ولم يشتغلوا بتأويلها، مع اعتقادهم أنّ الله تعالى واحدٌ **غير مُتَبَعض، ولا ذي جارحة**»، قوله: «لم يُفسروا أمثال هذه» معناه لم يُفسروا أمثال الأحاديث التي إذا أُجريت على ظاهرها أفضت إلى التّشبيه والتّجسيم، وعلى هذا فَوّضوا معناها إلى الله، مع اعتقادهم أنّ اللهَ غيرُ مُتَبَعِّض، أي غير مُركب مِن أجزاء، وليس بذي جوارح (= أعضاء).

[184] قال ابن تيمية - كما سبق ذِكْره -: « ثمَّ إنَّ مِن المعلوم أنَّ الربَّ لَمَّا وصف نفسَهُ بأنّه حيٌّ عليم قدير لمْ يقل المسلمون إنّ ظاهرَ هذا غيرُ مُراد، لأنّ مفهوم ذلك في حقِّه مِثْل مفهومه في حقِّنا » (سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 150).

[185] راجع الحاشية رقم 154 إن شئت.

[186] راجع تفسير ابن جرير الطبري جزء 7 2 / ص 12 ، عند تفسير الآية رقم 47 مِن سورة الذاريات.

يَتبيَّن أنَّ استشهاد ابن تيمية بالإمامين أبي سليمان الخطّابي وأبي بكر الخطيب البغدادي، وقوله عن الإمام الشافعي: «رضي الله عنه»، ما هو إلّا ذَرٌّ للرّماد في العيون لإيهام القارئ أنّه على عقيدة السَّلف الصالح. فلا تنخدع أخي المسلم، ولا تنخدعي أُختي المُسلمة بذِكْر ابن تيمية لأسماءِ عُلماءٍ مِن أهل السُّنّة في كتبه كالإمام مالك ابن أنس (ت 179 هـ) **والإمام سفيان الثَّوْريّ** (ت 161 هـ) **والإمام أبي الحسن الأشعري[187] والإمام أبي جعفر الطَّحاوي[188] والإمام البَيْهَقي** (ت 458 هـ) **والإمام أحمد بن حنبل[189] وغيرهم، فما ذلك إلّا لإيهام القارئ بأنّه مُوافقٌ لهم وعلى عقيدتهم. والأفضل أنْ لا يقرأ العاميّ كتبَ ابن تيمية. والذي يقرأ في كتبه يُلاحظ أنّ له أسلوبيْن في الكتابة: أحدهما سهلٌ واضح وذلك عندما يكتب في الفِقه، وثانيهما مُعقّدٌ ومُلْتَوٍ، أحيانا يُصَرِّح وغالبا يُلمِّح، عندما يكتب في العقيدة! والسببُ في ذلك أنّه كان مُخالفاً في العقيدة لأهل السُّنَّة، فالمسلمون ـ علماؤهم وعامّتهم ـ آنذاك كانوا يُنزِّهونَ اللهَ عن الجِسمِ والأعضاء والحدود والمكان والجهات. فما كان ابن تيمية ليجرؤ أنْ يُجاهر بعقائده. فلجأ إلى أُسلوب التّلميح والتّصريح حسب الظروف ووفقاً للسائل، فإن كان السائلُ مِن الموثوق به صَرَّح وإلّا فلا. ولكن أُسلوبه ما كان ليخفى على علماء المسلمين، فأخضعوه للاستجواب مراتٍ عديدة، فكان يُنْكر ما يُنسَبُ إليه مِنَ التَّجسيم ويتظاهر بأنّه مُوافقٌ لهم في العقيدة، فمثلا عندما سُئِلَ في أثناء استجوابه بخصوص "العقيدة الواسِطِيّة" التي كتبها: هل يجوز«أنْ يُقال ـ عن اللهِ ـ هو جسمٌ لا كالأجسام؟» استهجن ابن تيمية أنْ يُطرح مِثل هذا السؤال ـ لأنَّ اللهَ ليس بجسم ـ! حيث أجاب: «...وليس في الكتاب والسُّنَّة إنَّ اللهَ جِسمٌ حتى يَلزم هذا السؤال»[190]. فقد أنكر إذن في أثناء التّحقيق معه بأنَّ اللهَ جسم واستغرب طرحَ مثل هذا السؤال عليه! ولكنه في كتابه "بيان تلبيس الجَهْمِيَّة في تأسيس بدعهم الكَلامِيّة" قال بانَّ اللهَ جسمٌ لا كالأجسام، كما سيأتي بيانه.**

ومِمّا يجب الإشارة إليه أنَّ ابن تيمية لم ينشأ مُجسِّما ـ واللهُ أعلم متى بدأ انحرافه عقائديا، حيث لم يظهر ذلك إلّا بفتواه الحَمويَّة ـ. فبالتأكيد كانت عقيدته في البداية موافقة لعقيدة

---

[187] هو الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، إمام أهل السُّنة في زمانه، يعود نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد 260 هـ، ت 324 هـ رَحِمَهُ اللهُ.

[188] قال عنه الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (مجلد 15 / ص 27 – 33) : « هو الإمام العلاّمة الحافظ الكبير، مُحَدِّث الديار المصرية وفقيهها ...برَز في عِلم الحديث والفقه ...مَن نظر في تواليف هذا الإمام عَلِم مَحلّه مِن العلم وسعة معارفه ... »، والإمام أبو جعفر الطحاوي هو مُصَنِّف العقيدة المشهورة باسم "العقيدة الطحاويَّة"، ولد الإمام الطحاوي سنة 239 هـ، ت 321 هـ رَحِمَهُ اللهُ.

[189] هو الإمام الفقيه المجتهد أحمد بن محمد بن حنبل، إمام المذهب الحنبلي، ولد 164 هـ، ت 241 هـ رَحِمَهُ اللهُ.

[190] "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ، ص 99 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

أهل السُّنّة القائمة على تنزيه اللهِ عن الجسم والأعضاء، ولكنّ قلبَهُ لم يَعُد يرتاح لها! فبدأ بالبحث عن العقيدة "الصحيحة"، قال ابن تيمية في التّسعينيّة[191] له: « واللهُ تعالى يعلم أنّي قد بالغت في البحث عن مذاهب السَّلف فما عَلِمتُ أحداً منهم خالف ذلك »، هذا الكلام قاله مباشرة بعد كلامه السابق الذي استشهد فيه بأقوال الإمامين أبي سليمان الخطابي وأبي بكر الخطيب البغدادي موهما القارئ أنَّ عقيدة السَّلف قائمة على الأخذ بظاهر النّصوص حرفيا ـ حسبَ ادِّعائه ـ، وقد تمَّ تفنيد ذلك وللهِ الحمد. ووجد الشيخ ابن تيمية عقيدته الجديدة "والصحيحة حسب فهمه" في كتب المُجَسِّم أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت 280 هـ)، **الذي جَوَّزَ استقرار الله على ظهر بعوضة! وجَوَّز عليه أيضاً الارتفاع والهبوط والحركة والقيام والقعود. وابن تيمية كان يعتبرُ المُجسِّم أبا سعيد الدارمي إماماً ويستشهد بأقواله لإثبات عقيدة التّجسيم والتَّشبيه، وكان يَحُضُّ أتباعه على قراءة كتبه لأنّها تحوي التّوحيد الخالص كما توهم. فبدأ يدعو إلى عقيدته الجديدة في كتبه، وفي شكل رسائل وأجوبة على أسئلة كانت تُطرح عليه، فانكشف أمره. وبتبني ابن تيمية للعقيدة الجديدة ـ عقيدة التَّجسيم ـ بدأ ينظر إلى المسلمين في عصره على أنّهم مرتدون عن الدين ـ أي كُفّار!ـ: يروي ابن تيمية في "التِّسعينيّة"[192] أحداثا حصلت معه وهو في السِّجن، وذلك في رمضان سنة 726 هـ، منها أنّ القضاة والأمراء أرسلوا في طلبه للمثول أمامهم لسؤاله عن عقيدته، فمِمَّا قاله للرسولين، وبصوت مرتفع: « يا مُبدِّلين يا مُرتدين عن الشريعة، يا زنادقة »! اللهم لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وامتنا مؤمنين مُنزِّهين.**

---

[191] "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية، مجلد5 / ص 126 مِن طبعة دار المعرفة، **أو ص 112** مِن طبعة دار الغد العربي.

[192] المرجع السابق، مجلد 5 / ص 7 مِن طبعة دار المعرفة ، **أو ص 5** مِن طبعة دار الغد العربي.

مِن عقائد ابن تيمية

أولا: اللهُ جِسمٌ ومُركّبٌ مِن أعضاء

قال ابن تيمية في كتابه "بيـان تلبيس الجَهْمِيَّة فـي تأسيس بِدَعِهم الكلاميَّة"[193]: « فلفظ "الجسم" لم يَتكلم به أحدٌ مِن الأئمة والسَّلف في حقّ اللهِ نفياً ولا إثباتا »[194].

وقال أيضا في الرِّد على ابن المُطّهر الشيعي: « وأمّا ما ذَكَرَهُ مِنْ لفظ الجسم وما يتبع ذلك، فإنّ هذا اللفظ لم يَنطق به في صفات اللهِ تعالى لا كتابٌ ولا سُنّة لا نفيا ولا إثباتا، ولا تكلّم به أحدٌ مِن الصحابة والتّابعين وتابعيهم »[195].

الرَّد: أولا: الشيخ ابن تيمية يُخبرنا بنفسه أنّ إطلاقَ لفظ الجسم على اللهِ لم يأت ذِكْره لا في القرآن الكريم ولا في السُّنَّة الشريفة لا بالنفي ولا بالإثبات، ولم يتكلم بذلك أحدٌ مِن الصحابة والتّابعين وتابعيهم! فما هو الهدف مِن وراء ذلك؟ الغاية مِن ذلك هو محاولة إيهام القارئ أنّ مسألة إطلاق لفظ الجسم على الله أو نَفْيه عنه هي مسألة خلافية وبالتالي يَحِقُّ له الاجتهاد فيها، وعلى هذا الأساس يحق له إطلاق لفظ الجسم على الله، كما سيأتي بيانه.

ثانيا: وكلامُ ابن تيمية السابق يوهم القارئ أنّ القرآنَ والسُّنّة والصحابة والتّابعين نسبوا معنى الجِسْمِيّة لذات الله دون استخدام لفظ الجسم، وهذا باطل، فأهل السُّنَّة نفوا الجِسْمِيَّة عن ذات الله ولذلك لم يُطلقوا على الله لفظَ "جسم". والبرهان على ذلك كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق:

1. نفى الإمام أبو حنيفة في كتابه "الفِقه الأكبر" الجِسْمِيَّة عن الله، فقال: « إثباته - تعالى- بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض »[196]، والإمام أبو حنيفة، المولود في سنة 80 هـ والمتوفي سنة 150 هـ ، كان مِن كبار أئمة السّلف، وكلامه السابق نَصٌّ صريح في نفي الجِسْمِيّة عن الله، ونفي الجِسْميّة يستلزم تلقائيا نفي لفظها.

---

[193] **تنبيه**: للاختصار سوف أذكر هذا الكتاب مِن الآن فصاعدا باسم "تلبيس الجَهْمِيّة"، وهذا الكتاب ألّفه ابن تيمية منتصرا لمذهب التّجسيم للرَّدِّ على كتاب "أساس التّقديس" للإمام فخرالدين الرّازي (ت 606 هـ)، في "أساس التقديس" يذكر الإمام الرّازي عقائد المُجَسِّمة ويَردُّ عليها.

[194] "تلبيس الجَهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 93 . **الناشر**: الدار العثمانيّة، ط 1 ، عَمّان / الأردن 2008.

[195] "مِنهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 2/ ص 192 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[196] أنظر"شرح الفقه الأكبر"، **تأليف**: الإمام مُلّا علي القاري ، **المتن**/ ص 302، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1984.

2. وَرَدَ في "طبقات الحنابلة" عن الإمام أحمد (ت 241 هـ) **ما نصه: [وأنكر - أي الإمام أحمد بن حنبل - على من يقول بالجسم، وقال: « إنَّ الأسماءَ مأخوذة بالشّريعة واللغة، وأهلُ اللغة وضعوا هذا الاسم - أي الجسم - على كُلِّ ذي طول وعَرْض وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف واللهُ تعالى خارج عن ذلك كُلّه، فلم يَجُز أن يُسَمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجِسْميّة، ولم يَجِئ في الشريعة ذلك فبطل»][197]. وكلام الإمام أحمد، وهو مِن كبار أئمة السَّلف، يَدُلُّ على أنَّه كان يُنَزِّهُ اللهَ عن الجسم والصورة والتّأليف وعن التّركيب، أي أنّ ذاتَ اللهِ غيرُ مُركّبة من أعضاء. فالإمام أحمد نَزَّهَ اللهَ عن لفظ وعن معنى الجِسْمِيّة. وكلام الإمام أحمد السابق يَدْحَضُ ادعاء ابن تيمية مِن أنَّ السَّلف والأئمة لم ينفوا لفظ ومعنى الجِسميَّة عن ذات الله المُقدّسة.**

3. وذَكَرَ الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) **في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلين" عقيدة أهل السُّنَّة في الله، فقال: « وقال أهلُ السُّنَّة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يُشبهُ الأشياء »[198]. وهذا نَصٌّ صريحٌ على أنّ أهل السُّنَّة نفوا الجِسْمِيّة عن الله، ونفي الجِسْمِيّة يستلزم نفي لفظها. والنصُّ يُبطل أيضا بلا شك ادعاء ابن تيمية بأنّ السَّلفَ والأئمة لم يتكلموا في لفظ الجسم ومعناه المنسوبين باطلا إلى الله تعالى.**

4. ذَكَرَ ابن تيمية بنفسه في كتابه "منهاج السُّنَّة" أنّ أئمة المسلمين وجمهورهم لم يُطلقوا على الله لفظ الجسم، حيث قال: « وأما مَن لا يُطلق على الله اسم "الجسم" كأئمة الحديث والتَّفسير والتَّصوف والفِقه، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم، وشيوخ المسلمين المشهورين في الأمة، ومَن قبلهم مِن الصحابة والتّابعين لهم بإحسان، فهؤلاء ليس فيهم مَن يقول: إنّ اللهَ جسم، وإن كان أيضا ليس مِن سَلَف الأُمّة والأئمة مَن قال: إنّ الله ليس بجسم »[199].

الرَّد: ● قول ابن تيمية: «وإن كان أيضا ليس مِن سَلَف الأُمّة والأئمة مَن قال: إنّ اللهَ ليس بجسم» لا قيمة له ومتناقض، لأنه ذَكَر قبل ذلك أنّ سَلَف الأُمَّة مُمثّلٌ في الصحابة ومَن تبعهم نفوا عن اللهِ الجِسْمِيّة، لأنه ليس فيهم مَن قال «إنّ اللهَ جسم»، كما صرح بنفسه، فلو كان اللهُ جسماً لقالوا بذلك. ومِن شيوخ سَلَف الأمة بلا نزاع الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد، وكلاهما نفيا الجِسْمِيّة عن الله، كما سبق بيانه.

---

[197] "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

[198] "مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 125 بتحقيق أحمد جاد، **الناشر**: دار الحديث، القاهرة 2009. **المقصود "باختلاف المصلين" اختلافهم في العقيدة.**

[199] "منهاج السُّنّة" لابن تيمية ، جزء 2 / ص 105 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

● **ذَكَرَ ابن تيمية في كتابه "منهاج السُّنَّة" أنّ أوّلَ مَن قال في الإسلام إنَّ اللهَ جسمٌ هو هشام بن الحَكَم الشيعي**[200] (ت حوالي 187 هـ)، **وفي ذلك الضلال تبعه محمد بن كرَّام السجستاني** (ت 255 هـ) **المحسوب على أهل السُّنَّة. وبالتأكيد رَدَّ علماء أهل السُّنَّة في القرون الثلاثة الأولى على بدعتيهما، حتى لو لم تصلنا كُلّ ردودهم. فكلام الإمام أحمد السابق على سبيل المثال وكتاب "الفِقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة وكتاب "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري يُثبت ردود علماء أهل السُّنَّة على أهل البدعة كالمُجَسِّمَة. وهذا يعني أنّ علماءَ السَّلف خاضوا في لفظ ومعنى الجِسْمِيَّة المنسوبين باطلا إلى الله سبحانه وتعالى، على عكس ادعاء ابن تيمية تماما.**

● **ومع أنَّ ابن تيمية صَرَّحَ أنّ لفظ الجسم «لم يَنطق به في صفاتِ اللهِ تعالى لا كتاب ولا سنّة لا نفيا ولا إثباتا، ولا تكلّم به أحد مِن الصحابة والتابعين وتابعيهم» سمح لنفسه إطلاق لفظ الجسم واثبات معناه لله تعالى، فقال في كتابه "تلبيس الجَهْمِيَّة" ذاكرا عقيدة المُجَسِّمَة، الذين أطلق ابن تيمية عليهم اسم أهل الإثبات**[201]**، ما نصه: « ثُمّ المتكلمون**[202] **مِن أهل الإثبات لَمّا ناظروا المُعتزلة، تنازعوا في الألفاظ الاصطلاحيّة، فقال قوم: العِلم والقُدرة ونحوهما لا تكون إلّا عَرَضَاً، وصفة حيث كان، فعِلمُ اللهِ وقُدرته عَرَض**[203]**. وقالوا أيضا: إنَّ اليدَ والوجهَ لا تكون إلّا جسما. فَيَدُ الله ووجهه كذلك - أي جسم -، والموصوف بهذه الصفات لا يكون إلّا جسما، فاللهُ تعالى جسم لا كالأجسام. قالوا: وهذا مِمّا لا يُمكن النزاع فيه إذا فُهِم المعنى المُراد بذلك »**[204]**.**

التّعليق: قولُ المُجَسِّمَة، الذين يُسمّيهم ابن تيمية بأهل الإثبات: «إنَّ اليدَ والوجه لا تكون إلّا جسما. فيدُ اللهِ ووجههُ كذلك» هو مِن باب قياس الخالق على المخلوق. اليدُ والوجه في حَقِّ المخلوق لا تكون إلّا جسماً، وهذا حَقّ، والباطلُ هو تفسير لفظ اليد والوجه المُضاف إلى الله الخالق بنفس تفسيره في حَقِّ المخلوق أي بالجسم والأعضاء، مع أنّ اللهَ يقول:

---

[200] "منهاج السُّنة"، جزء 1 / ص 72 - 73 وكذلك جزء 2 / ص 220 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[201] اسم "**أهل الإثبات**" يُطلق على الذين أثبتوا صفات الله التي وَرَدَت في الشَّرع، وكذلك التي أثبتها العقل. ولكن ابن تيمية كان يقصد بذلك أيضا الذين أثبتوا لله الصفات **العَيْنِيَة**، أي الأعضاء، وهم **المُجَسِّمَة**.

[202] المقصود بالمتكلمين (أو أهل الكلام) العلماء الذين خاضوا في عِلم التَّوحيد، سواء أكانوا مِن أهل السُّنَّة أو مِن الفِرَق الضالّة.

[203] **العَرَض** هو اسم لِما لا دوام له، أي حادث، كالحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق، والقدرة والإرادة. وابن تيمية كان يعتقد أنَّ صفاتَ الله القائمة بذاته كالقدرة والإرادة أزليّة النوع، حادثة الأفراد، وعلى هذا تكون ذاتُ الله مَحَلاً للحوادث أي للمُتغيّرات وهذا مُخالفٌ لعقيدة أهل السُّنَّة. فاللهُ ليس مَحلاً للحوادث، قال الإمام الشافعي رحمه الله: « **لا يجوز عليه التّغيّر في ذاته ولا التّبديل في صفاته** »، سبقَ ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 152.

[204] "تلبيس الجَهميّة" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 132- 133 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾. قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في رسالة عقيدة أهل السُّنَّة: « ومَن وصَفَ اللهَ بمعنًى مِن معاني البَشَر فقد كَفَرْ »[205]، فمعنى لفظ اليد والوجه والعين في حَقِّ البشر العضو - والأشياءُ المذكورة أجسام-. فمن قال أنّ معنى لفظ اليد والوجه والعين في حَقِّ الله مِثل معناه في حقِّ البشر، أي العضو، فقد كَفَرْ.

وبالقياس الفاسد، أي قياس الخالق على المخلوق، وصلَ المُجَسِّمَة إلى نتيجة أفسد: «والموصوف بهذه الصفات لا يكون إلاّ جسما فاللهُ تعالى جِسمٌ لا كالأجسام».

الإدعاءُ بأنَّ اللهَ جِسم هو تشبيهٌ للهِ الخالق بالمخلوق، لأنَّ ذاتَ كُلِّ مخلوق جسم، سواءً أكانَ جسما حيّاً أم جامداً، أم ناميّاً كالأشجار والأعشاب.

والقول: اللهُ جسم لا كالأجسام ما هو إلّا خداع لتمرير عقيدة التَّجسيم على عوامّ الناس، فمعنى الجِسم معروف، وهو كُلُّ ذي طول وعَرْضٍ وسُمْكٍ ومُرَكَّب. فالقولُ بأنَّ اللهَ جسمٌ، ثُمَّ القول بعد ذلك: لا كالأجسام معناه أنّه ليس بجسم، لأنَّ لفظ: «لا كالأجسام» هو نَفيٌ لمعنى الجِسم.

● وبعد أنْ نقل لنا ابن تيمية عقيدة المُجَسِّمَة- الذين سمّاهم بأهل الإثبات، لأنَّ هذا الاسم ألطف -، أعلن عن انضمامه إلى عقيدتهم، فقال بعد النَّصِّ السابق مباشرة: « لكن أيّ محذور في ذلك، وليس في كتاب اللهِ ولا سُنَّة رسوله ولا قول أحدٍ مِن سَلَف الأُمَّة وأئمتها أنّه ليس بجسم وأنَّ صفاته ليست أجساما وأعراضا، فَنَفْيُ المعاني الثّابتة بالشَّرع والعقل بنَفْي ألفاظ لم يَنْفِ معناها شرعٌ ولا عقل، جهلٌ وضلال »[206].

التّعليق: هذا نصٌّ واضح، فيه وَصَفَ ابن تيمية اللهَ بأنه جسم، مع أنّه في أثناء التّحقيق معه على يدِ عُلماء أهل السُّنّة بسبب "العقيدة الواسِطيّة" التي كتبها نَفَى أن يكون اللهُ جسماً، حيث قال: « وليس في الكتاب والسُّنَّة إنَّ اللهَ جسم »[207]، وهنا قال كما في النَّصِّ أعلاه: « وليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ولا قول أحدٍ مِن سلف الأُمَّة وأئمتها أنّه ليس بجسم ». **ونحن أهل السُّنة نقول:** وليس في كتاب اللهِ ولا سُنّة رسوله ولا قول أحد مِن سلف أهل السُّنَّة وأئمتها أنّ اللهَ جسم، فقولُ اللهِ تعالى: ﴿ أفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾، وقولهُ عزّوجلّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ هو نَصٌّ صريحٌ على أنّ ذاتَ اللهِ الخالق مُغايرةٌ تماما لذات المخلوق. فذاتُ المخلوق جسم، سواء أكان جسماً حَيّاً أم جامداً، فاللهُ إذن ليس بجسم.

---

[205] سَبَقَ ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 157.

[206] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 133 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194..

[207] "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ، ص 99 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

وقولُ ابن تيمية أنّ سَلَفَ الأُمّة وأئمتها لم يَنفوا الجِسْمِيّة عن اللهِ هو ادعاءٌ باطل، ثَبَتَ بُطلانه بكلام الأئمة أبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري السابق. وأئمة أهل السُّنَّة كالإمام الحافظ النَّضر بن شُمَيْل[208] (ت 203 هـ) **والإمام أبي زكريا الفرّاء** (ت 207 هـ) **والإمام القاضي أبي عُبَيْد القاسم بن سَلّام** (ت 224 هـ) **والإمام أحمد بن حنبل** (ت 241 هـ)، **والإمام أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي** (ت 243 هـ) **والإمام الحافظ والمُفَسِّر ابن جرير الطّبري** (ت 310 هـ) **والإمام المُحَدِّث الفقيه أبي جعفر الطّحاوي** (ت 321 هـ) **والإمام الحافظ ابن حبَّان، صاحب الصحيح،** (ت 354 هـ)، **والإمام الحافظ والفقيه اللغوي أبي سليمان الخطّابي** (ت 388 هـ) **والإمام المجتهد أبي عبدالله الحَليمي** (ت 403 هـ) **والإمام الحافظ والفقيه أبي منصور البغدادي** (ت 429 هـ) **والإمام ابن بطّال (ت 449 هـ) والإمام ابن حزم الأندلسي** (ت 456 هـ) **والإمام الحافظ والأصولي والفقيه أبي بكر البَيْهَقي** (ت 458 هـ) **والإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي** (ت513 هـ) **والإمام الحافظ أبي بكر بن العربي** (ت 543 هـ) **والإمام القاضي والمُحَدِّث عِياض** (ت 544 هـ) **والإمام الحافظ والمؤرخ ابن عساكر الدمشقي** (ت571 هـ) **والإمام العِز بن عبدالسّلام** (ت660 هـ) **والإمام المُفسِّر أبي عبدالله القُرْطُبي** (ت 671 هـ) **والإمام الحافظ والفقيه مُحْيي الدين النَّوَوي** (ت 676 هـ) **وأمير المؤمنين في الحديث الإمام ابن حَجَر العسقلاني** (ت 852 هـ) **- وغيرهم كثير - كُلّهم نَزَّهوا اللهَ عن الجِسْمِيّة والأعضاء، وأقوالهم في ذلك لا مجال هنا لذكرها، وأكتفي فقط بذِكْر قول الإمام أبي حامد الغزالي** (ت 505 هـ)**: « أنّه - أي الله - ليس بجسم مُصَوَّر، ولا جوهر محدود مُقَدّر »**[209]**.**

● **وقولُ ابن تيمية أنَّ صفاتَ الله أجسامٌ مُغالطة وقَوْلٌ فاسد، فكما سبق ذِكْرُه كان ابن تيمية يُسَمّي الأعضاءَ التي ينسبها إلى ذاتِ اللهِ المقدَّسة صفاتٍ مع أنها أعضاءٌ وأجزاء ماديّة، والصِّفاتُ أشياء معنوية كما هو معلوم لدى العقلاء.**

● **وقوله أنَّ صفاتَ الله - هنا قصد صفات المعاني كصفة القُدْرة والعِلْم والإرادة – أعْراضٌ، أي صفات حادثة، هو مِن أعجب العجب. فالقول بذلك يعني أنَّ ذاتَ الله مَحَلٌ للحوادث، أي للمتغيِّرات! ولهذا الإعتقاد - ولغيره - كَفَّرَ علماء أهل السُّنَّة فِرقة الكرَّاميّة الضالّة. وفي الحقيقة، كان ابن تيمية غالبا يأخذ مِن عقائد الكرّاميّة دون أن يُصرِّح بذلك. فمحمد بن كَرّام السجستاني نَسَبَ الجِسْمِيّة لذات الله واعتقد بأنّ صفاتَ اللهِ أعراضٌ، قال**

---

[208] الحافظ واللّغوي النَّضْرُ بن شُميَل ولد سنة 122 هـ وتوفي سنة 203 هـ رَحِمَهُ، وكان أحد شيوخ إسحاق بن راهويه (ت 238 هـ) شيخ الإمام البخاري (ت 256 هـ).

[209] "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي (ت 899 هـ)، ص 25 بتحقيق د. محمد عبدالقادر نصار، **الناشر**: دارة الكرز، ط1، القاهرة 2007.

ابن تيمية في كتابه "دَرْء تعارض العقل والنّقل": « وأما ابن كَرّام وأتباعه فلم يمتنعوا مِن تسمية صفات الله أعراضاً، كما لم يمتنعوا مِن تسميته جسماً »[210].

● وقولُ ابن تيمية: « فنفيُ المعاني الثابتة بالشَّرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينفِ معناها شرع ولا عقل، جهل وضلال » أراد أن يقول به: لماذا ننفي معنى الجِسْمِيَّة عن ذاتِ الله وهي ثابتة بالشّرع والعقل، بنفي ألفاظ أثبت معناها الشّرع والعقل، فنفي الجِسْمِيَّة عن اللهِ هو جهلٌ وضلال! ادعاء ابن تيمية هذا هو افتراءٌ على الشَّرع وَتَعَدٍّ على العقل، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ ينفي الجِسْمِيَّة عن ذاته المُقدّسة. وبالعقل: لو كان اللهُ جِسماً لأشبه خَلْقَه، لأنَّ ذواتَ المخلوقات أجسام، ولجاز عليه ما يجوز على الأجسام.

والإمامان السَّلَفِيّان أبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل نفيا الجِسْمِيَّة عن الله، وكلاهما كانا مِن كِبار تابعي التّابعين، وهؤلاء أخذوا علمهم عن الصحابة مباشرة وأعطوه لتابعيهم، فالإمامان أبو حنيفة وأحمد بن حنبل أعلم وأفقه مِن ابن تيمية المولود سنة **661** هـ والمتوفي سنة **728** هـ في السجن لمخالفته لعقيدة أهل السُّنَّة. ومِن الجدير بالذِّكْر أنَّ ابن تيمية كان يُرَكِّزُ كثيرا على اسم "السَّلف" في كتبه ليسهل عليه نشر عقيدة التَّجسيم باسم السَّلف. فالقارئ غير المُطَّلع الذي يقرأ اسم "السَّلف" في كتب ابن تيمية يعتقد أنّ ابن تيمية كان يقصد بذلك علماء أهل السُّنَّة مِن القرون الثلاثة الأولى كالأئمة ابن عبّاس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر وأبي حنيفة النعمان وسفيان الثَّوْريّ وحمّاد بن زيد وابن جرير الطَّبَري صاحب التفسير وأبي جعفر الطحاوي رحمة الله عليهم أجمعين. والحقيقة هي أنَّ ابن تيمية كان يقصد بذلك سَلَفَهُ في التّجسيم كالمُجَسِّم عثمان بن سعيد الدارميّ (ت 280 هـ) صاحب كتاب "النَّقض على بِشر المَريسي" والذي كان ابن تيمية يستشهد بأقواله ـ كما سيأتي بيانه ـ ويَحُضُّ أتباعه على قراءة كتبه، والمُجسِّم أبي إسماعيل الأنصاري الهَرَوي (ت 481 هـ) الذي جمع بين عقيدة التَّجسيم وعقيدة الإتحاد.

● والنَّصُّ السابق ليس هو الوحيد الذي صَرَّحَ فيه ابن تيمية أنّ اللهَ جسم، بل هناك العديد مِن النّصوص التي نَسَبَ فيها الجِسْمِيَّة لله، فعلى سبيل المثال قال في كتابه "تلبيس الجَهْمِيّة": « ومعلوم أنّ كَوْن البارئ ليس جسماً ليس هو مِمَّا تعرفه الفِطرة بالبديهة ولا بمقدمات قريبة مِن الفطرة، ولا بمقدمات بَيِّنَة في الفطرة، بل بمقدمات فيها خفاء وطول، وليست مُقدمات بَيِّنة، ولا متفقاً على قبولها بين العقلاء ... وأنَّ الموجود القائم بنفسه لا

[210] "دَرْءُ التّعارض " لابن تيمية، جزء1 / ص 306 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

يكون إلّا جسماً، وما لا يكون جسما لا يكون إلّا معدوما، ومِن المعلوم أنّ هذا أقرب إلى الفطرة والعقول مِن الأوّل »[211].

التّعليق: يقول الشيخ ابن تيمية أنّ كَوْن الله ليس جسماً ليس معلوما بالفِطرة، وبعبارة أخرى: كَوْن الله جسماً يُعرف بالفِطرة. والفِطرة أصل مِن الأصول التي اعتمدها ابن تيمية في إثبات صفات الله ومنها الجِسْمِيَّة والأعضاء. وكَوْن الله ليس بجسم لا يُعرف إلّا بأدلّة غير واضحة وطويلة، وهذه غير مقبولة لدى العقلاء، على حَدّ قول ابن تيمية. فالمقبول لدى عقلاء ابن تيمية هو ما تُقِرُّهُ الفطرة. فالفِطرة عند ابن تيمية لا تعترف بقائم بذاته ليس بجسم، واللهُ قائمٌ بذاته، إذن فهو جسم. وما لا يكون جسماً فهو معدوم، أي غير موجود، وبما أنّ اللهَ موجود، إذن فهو جسم - ومَن ينفي الجِسْمِيَّة عن الله حاله كحال مَن ينفي وجودَ الله -، وهذه القاعدة التّيْمِيّة «أقرب إلى الفطرة والعقول» مِن الأوّل، أي مِن مذهب المنزِّهين لله عن الجِسْمِيّة ! وأيضا العقلُ عند ابن تيمية لا يَعقلُ موجوداً إلّا إذا كان جسماً، قال ابن تيمية ناقلا ومُقِرّاً لعقيدة طائفته المُجَسِّمَة: « لا موجود إلّا الجسم أو الجسم وما يقوم به - أي الصفات -، وقالوا: لا يُعقل موجودٌ إلّا كذلك، ومَن ادَّعى وجود موجودٍ غير ذلك فقد خالف العقل الصريح »[212].

هذا هو مبلغ عقل المُجَسِّمَة مِن الإدراك، فحتى يستطيع عقلُ المُجَسِّم معرفة صفات الغائب يقيسه على الشاهد، واللهُ غائب، أي لا نراه ولا نحُسّه، والشاهدُ هو المخلوق، فيقول المُجَسِّم: اللهُ موجود، والمخلوق موجود، وبما أنَّ المخلوق جسم، إذن فاللهُ جسم - ولكن ليس كالأجسام-. المخلوق له أيدٍ وهي صفاتُ كمال في حقِّه، واللهُ أوْلى مِن مخلوقه بصفات الكمال، إذن للهِ يدان - بالطبع ليستا كأيدينا - .

وكُلُّ مخلوق حيّ متحرك، والحركة صفة كمال في حَقِّه، واللهُ حيٌّ، وهو أوْلى بصفات الكمال مِن عباده، إذن فهو يتحرّك[213]. وكُلُّ مخلوق حيّ يلد، والولادة صفة كمال في حقِّه، و«كُلّ ما اتّصفَ به المخلوق مِن كمالٍ فالخالقُ أوْلى به»[214] كما قال الشيخ ابن تيمية، فهل يَلد اللهُ الخالق؟ بالطبع لا، عند أهل السُّنّة والمُجَسِّمَة. ولكن: لو لم يَذكُر اللهُ في كتابه أنه لا

---

[211] "تلبيس الجَهْمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 127 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[212] المرجع السابق، جزء 2 / ص 884.

[213] قال ابن تيمية في كتابه "درء التعارض" (جزء 2 / ص 72) ناقلا عن أبي سعيد الدارمي ومقرا له: « فإنّ أمارة ما بين الحيّ والميّت **التّحرك**، وما لا يتحرك فهو مَيّت ... فاللهُ الحيّ القيوم القابض الباسط **يتحرك** إذا شاء ».

[214] "الرسالة التَدمُريّة" لابن تيمية، **المرجع**: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 18 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150، أُنظر كذلك "**مجموعة الرسائل والمسائل**" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 450 مِن الطبعة التي أشرف عليها محمد رشيد رضا، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1983.

يلد، فهل كان المُجَسِّمَة يا تُرى سيقولون: اللهُ يلد، ولكن ليس كولادتنا؟! أنا أظن أنّ المُجَسِّمة كانوا سيختلفون في ذلك، واللهُ أعلم. فريقٌ سيتوقف في ذلك، وفريق سوف يُجيز ذلك، ويقول - واللهُ أعلم-: «لم يَرِد ضد ذلك نَصٌّ سَمْعي، فهو يلد كما يليق بجلاله»، ولا حُكم للعقل عندهم، فمِن المُجَسِّمَة مَن افترى أنّ اللهَ ذو لون وطعم ورائحة، كما ذَكَرَ ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" (ص 28 بتحقيق أحمد جاد)**. وماذا سيكون رأيُ أهل السُّنّة فيما لو لم يذكر الله أنه لا يلد؟ بالتأكيد سوف يُنَزِّهونه عن الولادة وذلك بحُكْم العقل: فالولادة حادث، وكُلُّ حادثٍ مُتغيِّر، فلو كان اللهُ مُتَّصفاً بالولادة فستكون ذاتُه مَحلاً للتغيّرات والحوادث، وما لا يخلو مِن الحادث فهو حادث، أي مخلوق، إذن فاللهُ مُنزَّهٌ عن الولادة.**

والمقصود مِن هذا الكلام هو أنّ المُجَسِّمَة مُعطِّلون للعقل في فهم النُّصوص الشّرعية، وإن ادّعوا باستمرار أنّ ما يقولونه مُوافقٌ لصريح العقل وصحيح النَّقل.

فقول المُجَسِّمَة السابق: « لا يُعقل موجودٌ إلّا كذلك - أي جسم -، ومَن ادَّعى وجود موجود غير ذلك فقد خالف العقل الصريح » هو مخالف للعقل والنّقل، لأنّ هناك موجودات ليست أجساماً كالجَوْهر الفَرْد مثلا (وهو الذرة في لغة الكيميائيين والفيزيائيين)[215].

والقولُ السّابق مخالفٌ أيضا للنّقل، لأنّ اللهَ عزّوجلّ **يقول: ﴿ ويَخْلُقُ ما لا تَعْلمونَ ﴾، وهذا نَصٌّ صريحٌ على أنّ هناك مخلوقات لا نراها ولا عِلم لنا بِكُنْهِها إن كانت أجساماً أو غير ذلك. نعم، الموجوداتُ المُشاهدة هي أجسام، ولكن حَصْرَ الموجودات فقط في الأجسام - أو فيها وما يقوم بها - مخالفٌ لصحيح النّقل وصريح العقل.**

فما هي الغاية إذن مِن حصر الموجودات في الإجسام؟ الهدفُ مِن وراء ذلك هو محاولة إثبات الجِسْمِيَّة لله الخالق. فكلمة "موجود" تُطلق على الله الخالق وعلى المخلوق. والمخلوق جسم، واللهُ موجود ولا يُعقلُ وُجودهُ إلّا إذا كان جسماً، فهو إذن جسم، هكذا يُفَكِّر المُجَسِّم. وكما سبق ذِكْره قال ابن تيمية: «وأنّ الموجودَ القائم بنفسه لا يكون إلّا جسما، وما لا يكون جسماً لا يكون إلّا معدوما، ومِن المعلوم أنّ هذا أقرب إلى الفِطرة والعقول مِن الأوّل»، والموجودُ القائم بنفسه يشمل الخالق والمخلوق، وعلى هذا فمعنى كلام ابن تيمية هو: الخالقُ والمخلوق جسم - بالطبع مع نفي المُماثلة -.

---

[215] راجع إن شئت كلام الإمام أحمد بن حنبل في تعريف الجسم، ص 42.

● وقَوْلُ ابن تيمية: «وما لا يكون جسماً لا يكون إلّا معدوما» هو نفيٌ صريحٌ لوجود غير الأجسام، وهذا يعني أنـه يستحيلُ وجود اللهِ إذا لـم يكن جسماً! بهذه البساطة، وبهذه السَّذاجة، بل بهذا المَنْطق السّقيم يُثبتُ المُجَسِّمَة الجِسْمِيَّة للهِ خالق الأجسام وغيرها.

فصل

ابن تيمية نَسبَ الأعضاء لذات الله الخالق

تمهيد

إنّ سَلفَ أهل السُّنّة أثبتوا لله تبارك وتعالى **صفاتً أزليّـة كالحيـاة والعِلـم والإرادة والقُدْرة والسَّمع والبَصر والكلام، وهي صفاتٌ معنوية قائمة بذات الله، وَرَدَت في الشّرع وثبتت أيضا بطريق العقل. وتُسَمَّى هذه الصفات "بصفات المعاني". وهناك ألفاظٌ وَرَدَت مُضافة إلى اللهِ تعالى كاليَدِ والوجهِ والعَيْن والأصابع، وحيال هذه الألفاظ افترق السَّلف إلى فرقتين: فمنهم مَنْ أوّلها على مُقتضى اللغة وبوجهٍ يحتمله اللفظ، وعلى هذا أوّلوا لفظ اليد المُضاف إلى الله تعالى كما في قوله** سُبحَانَه وَتَعَالَى: **﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأَيْيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ بالقوة (القدرة)، وهذا تأويل الأئمة الصحابيّ الجليل ابن عباس** رضي الله عنهما **ومجاهد وقَتَادة ومنصور وابن زيد وسفيان وابن جرير الطَّبَري، كما سبق ذِكْره.**

وأوّلوا لفظَ الوجه كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرام ﴾[216]، بذات الله، والمعنى: ويَبقى رَبُّكَ. وهذا هو تأويل الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما [217] **والضحّاك بن مُزاحِم** (ت 102 هـ)[218] **ومجاهد بن جبر** (ت 104 هـ)[219].

وأوّلوا لفظ العَيْن المُضاف إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنا وَوَحْيِنا﴾ [سورة هود، آية رقم 37]، **وقوله تعالى: ﴿ تَجْري بِأَعْيُنِنا ﴾** [سورة القمر، آية رقم 14] ، **وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فإنَّكَ بِأعْيُنِنا﴾** [سورة الطور، آية رقم 48] **بالحراسة والعِلم والحِفظ والرِّعاية[220] .**

---

[216] سورة الرحمن: آية رقم 27.

[217] راجع تفسير الإمام أبي عبدالله القُرْطُبي: "الجامع لأحكام القرآن".

[218] أُنظر "دفع شُبَه التَّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي رحمه الله، ص 113 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[219] أُنظر تفسير الإمام القُرطبي عند تفسير الآية الكريمة ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: آية 88].

[220] راجع تفسير القُرطبي عند تفسير الآيات الكريمة المذكورة أعلاه، التي وَرَدَ فيها لفظ العَيْن مُضافا إلى الله تعالى.

والفريق الثاني مِن السَّلف لم يُؤوِّل هذه الألفاظ، بل أطلق عليها اسم "الصفات الخَبَريّة"، لورودها في الخبر، أي في القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة، وأُجْرِيَت الألفاظ على ظاهرها، أي بدون تفسير، مع الجَزْم بأنّ المعنى المُتبادر منها والمفهوم في حقّ البشر غير مُراد، لأنَّ حقيقةَ ذاتِ الله تختلفُ اختلافاً كُليّا عن حقيقة ذات المخلوق. والفريق الثاني هم أصحاب مَذهب التَّفويض. أمثلة على ذلك:

● **قال الإمامُ أحمد بن حنبل عن لفظ اليدين المُضاف إلى الله تعالى: « إنَّ لله تعالى يديْن، وهما صفةٌ له في ذاته، ليستا بجارحتين** - أي ليستا بعضوين-، **وليستا بمركبتين ولا جسم، ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود والتَّركيب ولا الأبعاض والجوارح، ولا يُقاس على ذلك »[221]. وهذا نَصٌّ صريحٌ على أنَّ الإمامَ أحمد لم يأخذ بالمعنى الظاهر مِن لفظ اليدين المُضاف إلى اللهِ** جَلّ ثناؤُه، **وهو العضو.**

● **وَقبْلَ الإمام أحمد قال الإمام أبو حنيفة النُّعمان في كتابه "الفقه الأكبر": « فما ذَكَرَهُ اللهُ تعالى في القرآن مِن ذِكْرِ الوَجْهِ واليَدِ والنَّفس فهو له صفات بلا كَيْف »[222].**

قوله: «بلا كَيْف» هو نفيٌ للكَيْف عن هذه الألفاظ المذكورة والمُضافة إلى الله عزّوجلّ **وإثباتها له كصفات مَعنويّة. ونَفْيُ الكَيْفِ عند أهل السُّنّة هو نَفْيٌ للمعنى المُتبادر إلى الذِّهن والمفهوم في حَقّ المخلوق، لأنّ الكَيْفَ هو صفة أو هيئة أو وصف معهود في الخَلق، فكَيْفُ اليد والوجه والعَيْن في حقِّ المخلوق هو العضو. فالقول: " لله يدٌ بلا كَيْف" معناه عند علماء أهل السُّنّة: يدٌ كصفة معنوية وليست بعضو، وبفهم هذه المسألة تَنْحَلُّ عقد كثيرة بإذن الله.**

وقال الإمامُ أبو حنيفة في كتابه " الفقه الأبْسَط ": « ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ﴾، ليست كأيدي خلقه وليست بجارحة، وهو خالقُ الأيدي، ووجههُ ليس كوجوه خلقه، وهو خالقُ كُلِّ الوجوه...»[223].

قوله: « وليست بجارحة » معناه ليست بعضو، وقوله بعد ذلك مُباشرة: «وهو خالقُ الأيدي» فيه إشارة إلى استحالة المُشابهة بين الخالق والمخلوق، فمعنى اليدِ في حَقِّ الخالق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ مُغايرٌ تماما لمعناه في حق المخلوق، وكذلك الأمْرُ بالنسبة إلى الوجه والعين والأصابع.

---

[221] "طبقات الحنابلة" ، مجلد 2 / ص 254 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 73.

[222] "شرح الفقه الأكبر"، ص 58 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

[223] " الفِقه الأبْسَط" للإمام أبي حنيفة، وهو مطبوع ضِمن رسائل أبي حنيفة في كتاب "العالِم والمُتَعَلِّم" له، ص 57 بتعليق الشيخ الكَوْثري رَحِمَهُ، **الناشر**: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

● **وقال الإمامُ ابن بَطّال المالكي** (ت 449 هـ) **في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ما نصه: « في هذه الآية إثباتُ يَدْين لله، وهما صفتان مِن صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافا للمُشَبِّهة مِن المُثْبِتة، وللجَهْمِيّة مِن المُعطلة »[224].**

● **وقال الإمامُ أبو المَعالي الجُوَيْني** (ت 478 هـ) **في كتابه "الإرشاد": «فصل: ذهب بعض أئمتنا – يعني الأشاعرة - إلى أنّ اليدين، والعينين[225] والوجه صفاتٌ ثابتة للرَّبِّ تعالى، والسَّبيلُ إلى إثباتها السَّمع دون قضية العقل. والذي يَصِحُّ عندنا حَمْلُ اليدين على القُدْرَة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود »[226]. وهذا النَّصُّ يَدُلُّ على أنّ مِن أئمة الأشاعرة مَن أوّلَ لفظ اليدين والعين والوجه، ومنهم مَن فَوَّض، وأطلق على اليدين والعين والوجه اسم "صفات"، وليس أعضاء.**

● **وقال الإمامُ أبو بكر البَيْهَقي عن لفظ العين المُضاف إلى الله جَلّ ثناؤُه: « والذي يَدُلُّ عليه ظاهرُ الكتاب والسُّنّة مِن إثبات العَيْن له صفة لا مِن حيث الحَدَقة »[227]. والإمام البَيْهَقي** رَحِمَهُ الله **كان يأخذ بمذهب التّفويض، وأحيانا كان يُؤوِّل إذا اقتضى السِّياق ذلك عنده.**

● **وقال الإمام أبو سليمان الخَطّابي عن لفظ اليد المضاف إلى الله تعالى: « واليدُ لله تعالى صفة بلا جارحة »[228] ، وقال أيضا: « وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هو صفة جاء بها التّوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نُكيّفها »[229]، ولقد سبق شرح كلام الإمام أبي سليمان الخطّابي في صفحة 37 - 38.**

ثُمّ إنَ جماعة مِن المتأخرين مِن عصر السَّلف شذّوا وحادوا عن الطريق القويم، فأجْروا الألفاظ على ظاهرها، بمعنى أنّ مفهومها في حَقِّ اللهِ كمفهومها في حقِّ المخلوق، فوقعوا في التَّشبيه والتَّجسيم[230]. ولهذا قالوا أنّ معنى لفظ اليد المُضاف إلى اللهِ كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ هو نفس معناه في حقّنا كبشر، أي العضو (الكَف)، لكنّهم نفوا أن تكون يدُ اللهِ الحقيقية، أي العضو، مِثل أيدينا، وبيّنوا ذلك بقولهم: " يدٌ بلا كَيْف"، أو يدٌ بلا كَيْفِيّة، أو يدٌ بدون تَكْيْيف، وقصدوا بذلك نَفْيَ تحديدِ شَكْلِ اليد وحجمها وماهيَّتِها.

---

224 أُنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7415**، جزء 13 / ص 485 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

225 لم يرد لفظ العين بصيغة التّثنية لا في القرآن الكريم ولا في حديث صحيح.

226 "الإرشاد" للإمام أبي المعالي الجُوَيْني، ص 155 بتحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، **الناشر**: مكتبة الخانجي بمصر، 1950.

227 "الأسماء والصفات"، للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 396 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

228 المرجع السابق ، ص 417.

229 المرجع السابق ، ص 419.

230 راجع "المِلل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، جزء 1 / ص 117 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

فالمُجَسِّمَة استخدموا مُصطلح أهل السُّنّة "بلا كَيْف" ولكن بمعنًى آخر مُخالفٌ للمعنى المُتعارف عليه بين علماء أهل السُّنّة. والشيخ ابن تيمية سار على نفس هذا المِنهاج فوقع في التَّشبيه والتَّجسيم كغيره مِمّن سبقه، فنَسَب الجسمَ للهِ الخالق، كما سبق بيانه، ونسَبَ أيضا الأعضاء لله كما سيلي بيانه إن شاء الله:

- أوْرَدَ ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجَهْمِيّة" قولَ الإمام الرّازي مِن كتابه "أساس التَّقديس" في الرَّد على المُجَسِّمَة مِن الحنابلة الذين نسبوا للهِ الأجزاءَ والأعضاءَ كاليد والوجه، قال الإمامُ الرّازي: « وأما الحنابلة الذين التزموا الأجزاء والأبعاض »[231]، وعلّق ابن تيمية على كلام الإمام الرّازي فقال: « فيُقال: إن أردت بهذا الكلام أنهم وصفوه بلفظ الأجزاء والأبعاض، وأطلقوا ذلك عليه مِن غير نَفْي للمعنى الباطل، وقالوا إنّه يَتَجزأ أو يَتَبَعَّض، وينفصل بعضه عن بعض، فهذا ما يُعلم أحدٌ مِن الحنابلة يقوله، هم مُصرِّحون بنفي ذلك »[232]. في هذا النَّصِّ يُقِرُّ ابن تيمية أنّ هناك حنابلة نسبوا لله الأبعاض، ويُصرِّحُ أيضا أن الذين أطلقوا هذه الألفاظ (الأجزاء والأبعاض) على الله فإنهم نفوا في الوقت نفسه اللوازم الباطلة لهذه الألفاظ ، واللوازم الباطلة هي: أنّ أجزاءَ الله كاليد والوجه والعين والقدم يُمكن أن تتفكّك وتنفصل عن ذاته. وقال ابن تيمية مُؤَكِّداً لنفي المعنى الباطل للفظ التجزي والتّبعيض: « ولم يَقُل أحدٌ مِن الحنابلة، بل ولا احدٌ مِن المسلمين ، فيما علمناه، أنه يتجزأ ويتبعض بهذا المعنى ... - إلى أن قال-: ولم يقل أحدٌ مِن المسلمين أنَّ الخالقَ سبحانه يُمكن أن يتفرق وينفصل بعضه عن بعض، بل هو أحدٌ صمد »[233].

التّعليق: إنَّ الإمامَ الرّازي لم يقصد بتاتا بلفظ الأجزاء والأبعاض إمكانية التّفكك والإنفصال، كما حاول ابن تيمية أن يوهم القارئ، وهذا ما كان ابن تيمية يعلمه تماما، كما سيأتي بيانه، بل قصَدَ الإمام الرّازي المعنى المفهوم منه في عِلم الكلام وهو أنَّ الذّاتَ مُركّبة مِن أجزاء وأعضاء.

وقول ابن تيمية: «ولم يقل أحدٌ مِن المسلمين أنَّ الخالقَ سبحانه يُمكن أن يَتفرق وينفصل بعضه عن بعض» يوهم أنَّ المسلمين نسبوا الأجزاء لذاتِ لله، وهذا ادِّعاءٌ باطل، فالذين نسبوا للهِ الأعضاءَ هم شِرْذِمة شاذّة مِن المسلمين، وهم المُجَسِّمَة. ولقد استشهد ابن تيمية باسمَيّ الله "الأحد" و "الصَّمد" للدلالة على أنَّ أعضاءَ اللهِ لا يُمكن أن تنفصل عن ذاته!

---

[231] "تلبيس الجهمية" لإبن تيمية، جزء 1 / ص 83 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[232] المرجع السابق، جزء 1 / ص 83.
[233] المرجع السابق، جزء 1 / ص 95.

فهو كان يَفهم مِن هذين الاسمَيْن الجليلَيْن عدم انفصال الذّات الإلهية عن بعضها البعض[234]، وهذا فهم سقيم كنتيجة طبيعية وحتميّة لتبني عقيدة التّجسيم.

إنَّ معنى اسمه تعالى "أحد" هو "الذي ليس له شَبيهٌ ولا نظير"[235]. ومعنى اسمه تعالى "الصمد" هو: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، وهذا هو تفسير الصحابي الجليل أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه **لاسمه تعالى "الصَّمَد"[236]، والمعنى هو: أنَّ اللهَ ليس مَحَلّاً للحوادث وليس بحادث، وأنه ليس بجسم ومُنَزَّهٌ عن الأعضاء كما سيأتي شرحه إن شاء الله. ومن معاني "الصمد" أيضا: «السَّيِّد الذي يُصمد إليه في الأمور ويُقصد إليه في الحوائج والنَّوازل» وهذا هو تفسيرُ الإمامِ أبي سليمان الخطّابي[237]، وهو أيضا تفسير صحيح، فاللهُ الخالق الرّازق هو مُدبِّر الأمور ويُلجأ إليه في الحوائج، ولا ملجأ سواه.**

- **ثُمَّ واصل ابن تيمية رَدّه على الإمام الرّازي فقال: « وإن أردت أنهم وصفوه بالصِّفات الخَبَرِيّة، مِثل الوجه واليد، وذلك يَقتضي التّجزئة والتَّبعيض، أو أنهم وصفوه بما يقتضي أن يكون جِسما[238]، والجِسمُ مُتَبَعِّضٌ ومُتجزِئ[239]، وإن لم يقولوا هو جِسم. فيُقال له: لا اختصاص للحنابلة بذلك، بل هو مذهب جماهير أهل الإسلام، بل وسائر أهل المِلل وسَلَفِ الأُمَّة وأئمتها »[240].**

التّعليق: أولا: في النَّصِّ أعلاه أطلق ابن تيمية على اليد والوجه اسم "صفات خَبَرِيّة"، والصفاتُ الخبرية عنده ليست صفاتٍ مَعْنَوِيّة، بل عَيْنِيّة، أي ماديّة، وبلفظ آخر: أعضاء، حيث قال بعد كلامه السابق بأسطر: «... كما بَيّنَه هؤلاء - أي المُجَسِّمَة مِن الحنابلة - ونحوهم في هذه الصفات العَيْنِيّة الخَبَرِيّة كالوجه واليدين وغيرهما - أي كالعَيْن والأصابع والقدم - »[241].

ومع أنّ ابن تيمية نَسَب الأعضاء لذاتِ الله الخالق إلّا أنه مَيّزَ "أعضائه" عن أعضاء المخلوق بفروق: 1. عَدَمُ المُماثلة، أي أنَّ "أعضاءَ" اللهِ ليست مِثلَ أعضاء المخلوق في الشَّكل، ولا في الحَجْم، ولا في الماهية، أي أنَّ "أعضاء" الله ليست مِن دم ولا مِن لحم،

---

[234] قال ابن تيمية في "تلبيس الجَهمية"، جزء 2 / ص 993 ما نصه: « فَكَوْنُه تعالى لا يتفرق ولا يَنحل ولا يتمزق هو مِن معنى صَمَديته وقيوميَّته ».

[235] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 49 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[236] "الأسماء والصفات" للبَيْهَقي، ص 50، و "المُستدرك" للحاكم، حديث رقم **4939**، طبعة دار المعرفة، ط 1.

[237] "الأسماء والصفات" للبَيْهَقي، ص 79- 80 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[238] أي وصفوه مثلا بالحَدّ والتَّحَيّز، وهذا يستلزم الجِسْمِيّة وإن لم يُصَرِّحوا بلفظ الجسم.

[239] أي أنّ الجسم مُرَكَّبٌ مِن أجزاء.

[240] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 84 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[241] المرجع السابق، جزء 1 / ص 84. ما بين الشرطتين في النَّص أعلاه إضافة مني للتوضيح.

قال ابن تيمية: « وقد عُلِمَ أنّ الخالق ليس مُماثلاً للمخلوق، وأنَّ هذه الصفات وإن كانت أعيانا - أي أجزاء مادية - فليست لحماً ولا عصبا ولا دما ولا نحو ذلك، ولا هي مِن جنس شيءٍ مِن المخلوقات »[242].

والشيخ ابن تيمية ليس أوّل مَن نسبَ الأعضاءَ للهِ وليس أوّل مَن نَفَى أن تكون "أعضاء" الله مُشابهة لأعضاء المخلوق، فقد سبقه في ذلك المُجَسِّمَة مِن الشيعة كهشام بن الحَكَم وداود الجواربي كما سيأتي بيانه.

2. والفرق الثاني بين الأعضاء التي نسبها ابن تيمية للهِ وبين أعضاء المخلوق هو أنَّ "أعضاءَ" الله لا يُمكن أن تنفصل عن ذاته، على عكس أعضاء المخلوق، فيمكن مثلا فصل يد المخلوق عن ذاته، قال ابن تيمية في "تلبيس الجَهْمِيّة" له: « ولم يَقل أحدٌ مِن المسلمين أنَّ الخالق سبحانه يُمكن أنْ يتفرق وينفصل بعضه عن بعض، »[243]، وهذا أيضا تصريحٌ مِن ابن تيمية بأنّ لذات الله أبعاضا - سبحانه-.

وقال أيضا: « إنَّ هذه الصفات <u>والأجزاء</u> ذاتيّة للموصوف لا يَقبل مُفارقتها »[244].

3. والفرق الثالث هو أنَّ"أعضاءَ" اللهِ لا يجوز عليها الفناء، على عكس أعضاء المخلوق، قال ابن تيمية مُدافعا عن طائفته المُجَسِّمة: « وأنهم لا يُجوِّزون عليه ما يجوز على الأجسام مِن الفَناء والآفات »[245].

ثانيا: ادَّعى ابن تيمية في كلامه السابق أنَّ نِسبة الأعضاء للهِ هو مذهب جمهور المسلمين وسَلَف الأُمّة وأئمتها! ولقد عكس الأمر، وهذا ما يفعله غالبا تحت تأثير عقيدة التَّجسيم. فجُمهورُ المسلمين نَزَّهوا اللهَ عن الجِسْمِيَّة ولوازمها مِن أعضاء وحَدّ وتَحَيُّز. والذين شذّوا عن ذلك - ولكل قاعدة شواذ - هم فِرقة المُجَسِّمَة الضئيلة في العدد، والسّقيمة في التّفكير، وكانوا يُخفون عقيدتهم في اللهِ القائمة على التَّجسيم، ولا يُظهرونها إلّا أمام البُسطاء، وهذا ما كان يفعله ابن تيمية أيضا. فعندما كتب "العقيدة الواسطيّة"، وعَلِم بها أئمة المسلمين المُنَزِّهين للهِ عن عقائد ابن تيمية، تَمَّ استجوابه، وفي أثناء التحقيق معه أنكَرَ أنه يقول بالجِسْمِيّة في ذاتِ الله. والتّحقيق معه دليلٌ على أنَّ عقيدة التَّجسيم لم تكن عقيدة جمهور

---

[242] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 126 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[243] المرجع السابق، جزء 1 / ص 95.
[244] المرجع السابق، جزء 2 / ص 989.
[245] المرجع السابق، جزء 1 / ص 128.

المسلمين، ولو كانت كذلك لحماةُ الجمهور. ونرى ابن تيمية هنا في كتابه "تلبيس الجَهْمِيّة" يُصرِّحُ بهذه العقيدة البشعة ويُدافع عنها وعن زُمْرَته المُجَسِّمَة.

ثالثًا: أمّا ادِّعاؤه بأنَّ عقيدة إثبات (أي نِسْبة) الصفات العَيْنِيّة الخَبَرِيّة، أي الأعضاء، لله هي عقيدة سَلَف الأُمّة وأئمتها لَهُوَ مِن أبطل الأباطيل، ومِن الدّليل عليه أنّ الأئمة ابن عباس رضي الله عنهما **ومجاهد بن جبر وقَتَادة وغيرهم أوّلوا لفظ اليد المُضاف إلى الله تعالى كما في الآية الكريمة ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ ﴾ بالقوة، كما سبق ذِكْره (ص 24).**

وأوّلَ الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما **لفظ الوجه المُضاف إلى الله تعالى بذات الله[246]، وكذلك فعلَ الأئمة الضَّحاك بن مُزاحم[247] وابن حَزْم الأندلسي[248] والمُفَسِّر أبو عبدالله القُرْطُبي[249] وابن الجَوْزي والنَّوَوي[250] وغيرهم مِن كبار العلماء.**

وأوّلَ حَبْرُ الأُمَّة ابن عباس رضي الله عنهما **لفظَ العَيْن المُضاف إلى اللهِ بالحراسة[251].**

وأيضا الإمامُ أبو حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ) **نَزَّهَ اللهَ عن الجِسْمِيّة ولوازمها كالتَّركيب مِن الأعضاء، كما في كتابه "الفقه الأكبر"، حيث قال: « إثباته – تعالى - بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض ... فما ذَكَرَه الله تعالى في القرآن مِن ذِكْر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كَيْف »[252]. وقد تقدم شرح عبارة «بلا كَيْف» في صفحة 50.**

وكذلك الإمامُ أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) **كان مِن المُنَزِّهين لله عن الجِسْمِيّة ولوازمها، فقد جاء في "طبقات الحنابلة" عن الإمام أحمد ما نصه: « وأنكر - أي الإمام أحمد بن حنبل - على من يقول بالجسم، وقال: «إنَّ الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الإسم - أي الجسم - على كُلّ ذي طول وعَرْض وسُمكٍ وتركيب وصورة وتأليف واللهُ تعالى خارجٌ عن ذلك كُلّه، فلم يَجُز أن يُسمّى جسماً لخروجه عن معنى الجِسْمِيّة، ولَمْ**

---

[246] راجع تفسير الإمام القُرطبي: "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 27]، مجلد 9 / ص 4850 مِن طبعة دار الفكر، ط 1، بيروت 1999.

[247] راجع "دفع شُبه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 113 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[248] "الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحل" لابن حَزْم، جزء 2 / ص 166 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[249] راجع تفسير الإمام القُرْطُبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 27] ، مجلد 9 / ص 4849 مِن طبعة دار الفكر، ط1.

[250] انظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7447**، جزء 13 / ص 530.

[251] قال الإمام القُرطبي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بأعْيُنِنا ﴾ [سورة هود، آية رقم 37] ما نصه: « قال الرّبيع بن أنس - ت 140 هـ -: بحفظنا إياك حِفظ مَن يَراك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **بحراستنا**، والمعنى واحد، ... وذلك كُله عِبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه مُنزَّهٌ عن الحواس والتّشبيه والتّكْييف، لا رَبّ غيره ... وقيل: " بأعْيُنِنا " أي **بعلمنا**، قاله مقاتل، وقال الضّحاك وسفيان: " بأعْيُنِنا " **بأمرنا**، وقيل: **بوحينا** ... »، تفسير الإمام القرطبي، مجلد 5 / ص 2534 مِن طبعة دار الفكر.

[252] أنظر المتن ص 302 مِن "شرح الفِقه الأكبر" لمُلّا علي القاري، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

يَجئ في الشريعة ذلك فبطل»][253]**. وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول في عقيدته: « إنَّ للهِ تعالى يدين، وهما <u>صفةٌ</u> له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين ولا جسم، ولا مِن جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود والتركيب <u>ولا الأبعاض والجوارح</u> »**[254]**. فهذه نصوصٌ صريحة مِن الإمام أحمد في تَنزيه الله عن الجِسْمِيَّة والأعضاء. وكان ابن تيمية وطائفته المُجسِّمة يتظاهرون بأنهم مُتّبعون للإمام أحمد في العقيدة ليُحبّبوا الناس إلى عقيدتهم، عقيدة التَّجسيم.**

ومِن الأئمة المُنَزّهين للهِ عن الأعضاء أيضا الإمام مجاهد بن جبر (ت 104 هـ)**، والإمام الحسن البصري** (ت 110 هـ)**، والحافظ النَّضْر بن شُمَيْل** (ت 203هـ)**، والإمام أبو زكريا الفرّاء** (ت 207 هـ)**، والقاضي أبو عبيد القاسم بن سَلّام** (ت 224 هـ)**، والإمام أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي** (ت 243 هـ)**، والإمام الحافظ التِّرْمِذي** (ت 279 هـ)**، والإمام المُحَدِّث والفقيه أبو جعفر الطحاوي** (ت 321 هـ)**، والإمام أبو الحسن الأشعري** (ت 324 هـ)**، والإمام أبو منصور الماتريدي** (ت 333 هـ)**، والحافظ ابن حِبّان البُسْتي** (ت 354 هـ)**، والإمام الفقيه أبو سليمان الخطّابي** (ت 388 هـ)**، والقاضي أبو بكر الباقلاني** (ت 403 هـ)**، والإمام الفقيه أبو عبدالله الحَليمي** (ت 403 هـ)**، والإمام الأصولي والفقيه أبو بكر بن فورَك** (ت 406 هـ)**، والإمام أبو إسحاق الإسفراييني** (ت 418 هـ)**، والإمام الفقيه أبو منصور البغدادي** (ت 429 هـ)**، والإمام ابن بَطّال** (ت 449 هـ)**، والإمام ابن حَزْم الأندلسي** (ت 456 هـ)**، والإمام الحافظ والفقيه أبو بكر البَيْهَقي** (ت 458 هـ)**، والإمام أبو المُظَفّر الإسفراييني** (ت 471 هـ)**، والإمام الفقيه أبو إسحاق الشيرازي** (ت 476 هـ)**، والإمام أبو حامد الغزالي** (ت 505 هـ)**، والإمام أبو الوفاء ابن عقيل** (ت 513 هـ)**، والإمام ابن رُشد الجَد** (ت 520 هـ)**، والإمام أبو بكر بن العربي** (ت 543هـ)**، والإمام القاضي عِياض** (ت544هـ)**، والإمام الحافظ والمؤرخ ابن عساكر الدمشقي** (ت 571 هـ)**، والإمام المُفَسِّر فخرالدين الرّازي** (ت 606 هـ)**، والإمام العز بن عبدالسّلام** (ت 660 هـ)**، والإمام المُفَسِّر القُرْطُبي** (ت 671 هـ) **والإمام مُحيي الدين النَّوَوي** (ت 676 هـ) **وغيرهم كثير.**

وبمَن اقتدى الشيخ ابن تيمية في نِسبة الأعضاء لله؟ اقتدى بهشام بن الحَكَم الشيعي (ت 187 هـ)**، وداود الجواربي وهشام بن سالم الجواليقي وكلاهما أيضا مِن الشيعة، ومُقاتل بن سليمان** (ت 150 هـ) **ومحمد بن كرّام السجستاني** (ت 255 هـ) **الذي سُجِن، ونُفِيَ من نيسابور بسبب عقيدة التَّجسيم، وأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي** (ت 280 هـ) **الذي جَوَّزَ استقرار**

---

[253] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

[254] المرجع السابق، مجلد 2 / ص 254.

الله على ظهر بعوضة، وأبي بكر الخَلّال (ت 311هـ) **والقاضي أبي يعلى الفرّاء** (ت 458 هـ) **الذي تَمّ التّحقيق معه سنة 429 هـ بسبب كتابه "إبطال التأويلات".**

وبناء على ما تقدم: إما أن يكون المُسلم مُنَزِّهاً لله عن الجِسْمِيّة والأعضاء فيكون تابعا لفريق التَّنْزيه، فريق العلماء المذكورين سابقا كابن عباس ومجاهد بن جبر وقتادة وابن جرير الطَّبَري وأبي جعفر الطحاوي وغيرهم مِن العلماء الأجلّاء، أو يكون تابعاً لفريق التَّجسيم، فريق ابن تيمية وشيوخه، فيكون مُجَسِّماً مثلهم وإن ادّعى بأنّه سَلَفِيّ. وعلى كِلا الخيارين سوف يكون الجزاءُ يوم القيامة إن شاء الله.

رابعا: أما قوْلُ ابن تيمية أنَّ عقيدة نِسبة الأعضاء لله هي مذهب "سائر المِلل" فهذا حق، فمثلا مذهب اليهود قائم على التَّشبيه والتَّجسيم ومذهب النّصارى على التّشبيه والحلول. ومِن المعلوم مِن الدين بالضرورة أنّ اليهودَ مِن المغضوب عليهم، والنَّصارى مِن الضالين. فالاستشهاد بمذهبهم لإثبات الأعضاء لله هو مِن الضلال المُبين. وليَعلم مَن لا يعلم أنّ الإحتجاج بعقائد اليهود أصلٌ ثابت في مذهب ابن تيمية، حيث قال في تعليقه على قول الإمام الرّازي: { إنّ اليهودَ كانوا على دين التّشبيه، وكانوا يُجَوِّزون المَجيء والذَّهاب على الله}، « فيُقال: إنه لا ريب أنَّ التّوراة مُشتَملة على صفاتِ اللهِ تعالى التي تُسَمّيها الجَهْمِيّة[255] تشبيهاً، وهي إلى الآن كذلك مِثل ما ذَكَرَه، فلا يخلو: إما أن يكون ذلك مِن التّوراة المُنزلة، أو مِمّا بدلوه. فإن كان الأول: كان ما سَمّاه تشبيها هو الحَقُّ المُنزل مِن عند الله تعالى. وإن كان الثاني: كان إنكاره ذلك عليهم وذمّهم عليه أولى بالإنكار والذّم على أمور دون ذلك، كأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل. ومعلومٌ أنَّ الكتابَ والسُّنّة لم تُنكر على اليهود قط ما عندهم مِن هذه الصفات ... - إلى أن قال -: ولم يَعبهم -الله - قط بإثبات الصفات التي يُسميها الجَهميّة تشبيها، ولا ذَكَرَ ذلك مِن ذنوبهم ﴿ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾[256]، وهذا دليلٌ قاطع على أنَّ هذه الصفات في الجُملة مُنزلة مِن عند الله، وأنها حَقّ ليست مِمّا افتراه اليهود وابتدعوه، بل ذمّهم على كِتمان ذلك، وعلى تحريف الكلام عن مواضعه »[257].

الرَّدُ على أباطيل ابن تيمية في النَّصِّ أعلاه:

أولا: قوله: «... وأنها حَقّ ليست ممّا افتراه اليهود وابتدعوه، بل ذمّهم على كِتمان ذلك» هو افتراءٌ مَحْض، فأين وَرَدَ في كتاب اللهِ أنَّ اللهَ قد ذمَّ اليهود على كِتمان التَّشبيه؟ لم يَرِد

[255] هكذا يَصِفُ المُجَسِّمُ ابنُ تيمية أهلَ السُّنّة المُنزِّهين لله عن الأعضاء: بالجَهْمِيّة!
[256] سورة مريم: آية رقم 64.
[257] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1114 – 1115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

البَتّة، بل وَرَدَ عكس ذلك، أي وَرَدَ ذَمّهم على التّشبيه، حيث تلا الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّماواتُ مَطوياتٌ بِيَمينِهِ سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكونَ ﴾[258] عندما وصَفَ حَبْرٌ يهوديٌّ اللهَ، فقال: «أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يحمل السّماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع»[259]، فالحَبرُ اليهودي شَبّهَ اللهَ بخلقه وذلك بِنسبة الأصابع إليه تعالى[260]، وهذا إشراكٌ للهِ مع خلقه في صفة الجِسْمِيّة لأنَّ الأصابعَ هي "صفات أجسام"، أي "صفات عَيْنِيّة" على حَد تعبير ابن تيمية.

ثانيا: قَوْلُ ابن تيمية: «إما أن يكون ذلك مِن التَّوراة المُنزلة، أو مِمّا بَدَّلوه. فإن كان الأول: كان ما سَمّاه تشبيها هو الحَقّ المُنزل مِن عند الله تعالى. وإن كان الثاني: كان إنكاره ذلك عليهم وذمّهم عليه أولى بالإنكار والذّم على أمور دون ذلك ... » يُوهم أنه وضعَ احتمالين: إما أن يكون التّشبيهُ حقّا أو باطلا، والأمر ليس كذلك، بل وضع احتمالا واحداً ولكن بصيغتين، وهو أنّ التّشبيهَ حقّ! لأنه ادَّعى في الاحتمال الثاني أنّ اللهَ لم يَعِبْ اليهودَ على التَّشبيه ولم يُنكره عليهم، وعلى هذا فالتّشبيهُ حقّ! والحقيقة هي أنّ كلام ابن تيمية سِحر، يَحْسبه السّامع أو القارئ شيئا، فإذا ما تَمَعّن فيه وجَدَهُ سرابا، وهذا أسلوبُ كُلّ مُبْتدع، وهو مَبنيٌّ على سَفْسَطة، ظاهرُ الكلام يوهم الحقّ وباطنه ضلال.

---

[258] سورة الزمر: آية رقم 67.

[259] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **4811** ، **7414**، **7415** ، **7451** ، **7513**، والإمام مسلم في صحيحه برقم **2786** ، وأخرجه البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 412 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[260] **حديثُ حَمْلِ السّماوات على إصبع** ... جاء بروايات مختلفة، ورد فيها أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم **ضحك حتى بَدَت نواجِذه** عندما سمع قول الحَبر اليهودي (أنظر صحيح البخاري، حديث رقم **7414**، و **7415** ، و**7451**)، وفي روايات أُخر **زيدَ فيها**: "تصديقا لقول الحَبر" (صحيح البخاري، حديث رقم **4811**)، وفي رواية (صحيح البخاري، حديث رقم **7513**)**:** "تعجبا وتصديقا لقوله" أي لقول الحَبْر اليهودي، ولقد أشار الإمام البخاري في نهاية الحديث رقم **7414** نقلا عن الإمام يحيى بن سعيد أن فُضيل بن عِياض **زاد** في روايته: " تعجبا وتصديقا له"، حيث قال هناك: « قال يحيى بن سعيد: **وزاد** فيه فضيل بن عِياض، عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم **تعجبا وتصديقا له** »، **وهذه الزيادة**، كما هو ظاهر، جاءت مِن أحد الرُّواة، حيث تَوَهّمَ مِن ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان موافقا له، والحقيقة هي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ضحك مِن **تخريف** اليهودي، وليس تصديقا لحديثه، ومِن الدّليل عليه أنه تلا قوله تعالى: ﴿ وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّماواتُ مَطوياتٌ بِيَمينِهِ سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكونَ ﴾ (راجع صحيح مسلم ، حديث رقم **6786** / 19)، فقوله تعالى: ﴿ سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكونَ ﴾ دليلٌ واضح على أنّ قوْلَ اليهودي**:** أنّ الله يحمل السّماوات على إصبع... هو **شِرك**، لأنه أشرك الله الخالق وخَلْقه في الجِسْمِيّة، وذلك بنسبة الأصابع إليه تعالى. ولو كان اللهُ يحمل الأرضَ على **إصبع واحدٍ** فقط - وهذا دليل على عظمة قوَّته - **لَمَا** قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ ﴾، فالذي يحملُ الشيءَ على إصبع واحدٍ فقط أعظمُ قوة مِن الذي يحمل نفسَ الشيءِ بكُلّ قبضته. فقوله تعالى**:** ﴿ والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ ﴾ هو **كِناية** عن "**قُدْرة** اللهِ وعَظمة شَأنه" (راجع "الأسماء والصفات"، ص 423 بتعليق الشيخ الكَوْثري، وتفسير الإمام القرطبي)، وكذا الأمر في قوله تعالى**:** ﴿ والسَّماواتُ مَطوياتٌ بِيَمينِهِ ﴾، **أي بقوته**، فاليمين **كناية** عن **القُوّة**. وقوله تعالى: ﴿ وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ وقوله تبارك تعالى: ﴿ سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكونَ ﴾ هو **تَنْزيهٌ** للهِ عن الأصابع - والجِسْمِيّة -. **ولقد رَدّ الإمام القرطبي لفظة**: "وتصديقا له" كما في "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7415**، جزء 13 / ص 491 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

ثالثا: وقوْله: «... وإن كان الثاني: كان إنكاره ذلك عليهم وذمّهم عليه أوْلى بالإنكار والذّم على أمور دون ذلك، كأخذ الرِّبا وأكلهم أموال النـاس ... » هو قوْلٌ مُنْكَر، لأنّ معناه: إذا كان التّشبيهُ الموجود في التّوراة المُتداولة بين اليهود في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام باطلا لكان إنكارُ اللهِ ذلك عليهم أوْلى مِن إنكاره أمورا دون ذلك في الأهميّة! ومَن أنت يا ابن تيمية حتى تقول ما هو الأوْلى عند اللهِ بالإنكار وما ليس بالأوْلى؟ فاللهُ قال لرسوله الحبيب المُصطفى ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيءٌ ﴾[261]، فإذا كان هذا حال الرسول عليه الصلاة والسلام أمام أمر الله، فكيف بحالك؟

رابعا: وقوْلُ ابن تيمية: « ولم يعبهم - الله- قط بإثبات الصفات التي تُسَمّيها الجَهميّة تشبيها، ولا ذَكَرَ ذلك مِن ذنوبهم ... وهذا دليلٌ قاطعٌ على أنّ هذه الصفات في الجملة مُنزلة مِن عند الله، وأنها حقّ ليست ممّا افتراه اليهود وابتدعوه » هو مُغالطة، لأنَّ ابن تيمية اتَّخَذَ عَدَمَ ذَمّ صِفةِ تشبيهٍ (كاليد والعَيْن) منسوبة إلى اللهِ في نُسَخِ التّوراة المُتداولة - والمُحَرّفة - بين اليهود دليلٌ على ثبوت هذه الصفة لله! وهذا باطلٌ قطعا وبيانه كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق:

- **التّوراة المُتداولة بين اليهود تُخبر بأنّ اللهَ قد حَزِنَ ونَدِمَ على خَلْقِهِ للإنسان[262]! ولم يَرِدْ قَط في القرآن الكريم أنَّ اللهَ رَدَّ هذا الإدعاء، فهل نُثبتُ للهِ بناءً على ذلك صفةَ الحُزْن والنَّدم؟! بالتأكيد لا، عندنا نحن أهل السُّنّة، ولكن استناداً إلى قول ابن تيمية أعلاه نعم.**

- **وجاء في التّوراة المُتداولة بين اليهود أنّ للهِ قلباً[263] وأنفاً[264]، ولم يَرِدْ قَط في القرآنِ الكريم أنَّ اللهَ رَدَّ هذا الافتراء، فهل نُثبِتُ على ضوء ذلك قلباً وأنفاً لله؟! بالتّأكيد لا.**

- **ولقد افترى اليهودُ أنَّ اللهَ « بكى على طوفان نوح حتى رَمَدت عيناه »[265]! ولم يَرِدْ في القرآن ولا في السُّنّة أنّ اللهَ أنْكَرَ ذلك على اليهود ولا ذَكَرَ ذلك مِن عيوبهم، فهل نُثبت للهِ على ضوء ذلك صفة البُكاء ومرض العيْنيْن؟ جوابنا نحن أهل السُّنّة: بالطبع لا، وِفْقَ مذهب ابن تيمية: نعم ولا بُدّ، ولا يُنكر ذلك إلّا مُراوغ. قد يقول أحد أتباع ابن تيمية: صفة البُكاء - وكذلك مرض العيْنين - لا يجوز نِسبتها إلى اللهِ لأنها صفة نقص؟ وأقول له: إنّ ما تَفِرُّ منه، وهو إثبات صِفة البُكاء لله، لأنها صفة نقص، يَلزمك فيما تحاول أنّ تُثبته لله، أي**

---

[261] سورة آل عمران: آية رقم 128.

[262] سِفر التّكوين: الأصحاح 6/ جملة 6.

[263] المرجع السابق، والأصحاح 8 مِن سفر التّكوين / جملة 21.

[264] سفر الخروج: الأصحاح 15/ جملة 8.

[265] "المِلَل والنِّحَل" للإمام الشّهْرَستاني، مجلد 1 / جزء 1 / ص 141 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

العَيْن، لأنّ هذه مِن أوصاف المخلوق، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك. وقد يعترض فيقول: ولكن العَيْنَ وَرَدَت في القرآن الكريم مُضافة إلى الله، وهذا دليلٌ على أنّ العَيْنَ المُضافة إلى اللهِ في نُسَخ التّوراة المُتداولة بين اليهود حَقّ. وجوابه، واللهُ وليُّ التّوفيق: ولقد وَرَدَ في القرآن الكريم أيضاً: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾[266]، وهذا يعني أنَّ كُلَّ صفات التَّشبيه المَنسوبة للهِ كالعَيْن واليد والأصابع والقَدَم سوف تفنى، ولن يبقى منها سوى صفة تشبيه واحدة وهي الوجه! وهل يُعقل أن تفنى صفاتُ الله؟! بالطبع لا، ولا ذاته، وعلى هذا فلفظ الوجه المُضاف إلى اللهِ معناه ذاتُ الله، فكُلُّ شيءٍ فانٍ سوى الله. وبناء على ذلك، فالعَيْنُ المُضافة إلى اللهِ لا تعني العضو، أو صفة عَيْنِيّة، أو أداة رؤية، بل هي كِناية عن الحِفظ والرعاية، كما سبق بيانه.

وبناءً على ما تَقدَّم أقول: إنَّ عَدَمَ ذَمِّ القرآن الكريم لصفة تشبيهٍ وَرَدَت في التّوراة المُتداولة بين اليهود لا يعني بتاتاً أنّ هذه الصفة ثابتة للهِ تعالى. وعلاوة على ذلك: لم يُوحِ اللهُ القرآنَ الكريم لرسوله عليه الصلاة والسلام **فقط للرَّد على تخريفات وافترآت اليهود.**

خامسا: وقَوْلُ ابن تيمية السابق: «ومعلوم أنّ الكتابَ والسُّنّة لم تُنكِر على اليهود قط ما عندهم مِن هذه الصفات ... وهذا دليلٌ قاطع على أنَّ هذه الصفات في الجملة مُنزلة مِن عند الله، وأنها حقّ ليست مِمّا افتراه اليهود وابتدعوه» يَدُلُّ على أنه كان يعتقد أنّ نسخ التَّوْراة التي كانت مُتداولة بين اليهود في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام **وفي عصره غير مُحَرّفة - على الأقل فيما يَخُصُّ صفاتَ الله-.**

الرَّد: قال اللهُ تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعونَ أن يُؤمِنواْ لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَريقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعونَ كَلامَ اللهِ ثُمّ يُحَرِّفونَهُ مِن بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمونَ ﴾[267]، وقال اللهُ عزّوجلّ**: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[268]، قال الإمام المُفسِّر ابن عطية الأندلسي** (ت 541 هـ) **في تفسير هذه الآية ما نصه: «هُم الأحْبار الّذين بَدّلوا التّوراة»، وفَسَّرَ الإمامُ ابن جرير الطَّبري** (ت 310 هـ) **هذه الآية الكريمة فقال: « فأعْلَمَ رَبُّنا بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ عِبادَهُ المؤمنين أنَّ أحْبارَ اليهود تَلي كِتابة الكَذِب والفَريّة على اللهِ بأيديهم، على عِلمٍ منهم وعَمْد للكذب على الله، ثُمّ تَنحله إلى أنه مِن عند اللهِ وفي كتاب اللهِ تَكَذُّبا**

---

[266] سورة القصص: آية رقم 88.
[267] سورة البقرة: آية رقم 75.
[268] سورة البقرة: آية رقم 79.

على اللهِ وافتراءً عليه. فَنَفَى جَلَّ ثناؤه بقوله: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أن يكون وَلِيَ كتابة ذلك بعضُ جُهّالهم بأمْرِ عُلمائِهم وأحبارهم ». فالآية الكريمة انفة الذِّكْرِ تُثبت أنَّ اليهودَ بَدّلوا في نُصوص التّوراة. إذن فمَن يَضْمَن أنَّ صفاتَ التَّشبيهِ كاليد والعَيْن والمَشي والنَّدم الموجودة في التَّوراة المُتداولة ليست مِمّا كَتبهُ أحبارُ اليهود بأيديهم، أي مِمّا افتروه؟

وفيما يلي نصان آخران يُثبتان أنّ ابن تيمية كان يستشهد بعقائد اليهود في التَّشبيه لإثبات أنّ ذلك مِن العقيدة الإسلاميّة!

● قال ابن تيمية في تعليقه على الروايات المُتعددة لحديث الرسول ﷺ: « إنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته[269] »: « وهذه الوجوهُ كُلّها مع أنها مُبطلة لقول مَن يُعيد الضَّمير في قوله إلى آدم، فهي أدلّة مستقلة في الإخبار بأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ على صورة نفسه »[270].

فالشيخ ابن تيمية كان يعتقد بأنَّ آدمَ عليه السلام خُلِقَ على "صورة" الله. ومِن الأدلة التي استشهد بها على ذلك نصٌّ مِن نُسخ التّوْراة المتداولة، حيث قال: « وأيضا فهذا المعنى عند أهل الكتاب مِن الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتّوْراة فإنَّ في السِّفر الأول منها: "سَنخلقُ بشراً على صورتنا يُشبهها"»[271]، فلا غرابة إذن أن يغرق ابن تيمية في بحر التَّشبيه. ولخطورة التّشبيه سأعقد له فصلا مستقلا إن شاءَ اللهُ في نهاية هذا الموضوع.

ثُمَّ قال ابن تيمية بعد كلامه السّابق بسطرين: « ثُمَّ إنَّ هذا مِمَّا لا غَرَضَ لأهل الكتاب في افترائه -أي التَّشبيه - على الأنبياء، بل المعروف مِن حالهم كَرَاهة وجودِ ذلك في كتبهم وكِتمانه وتأويله كما رأيتُ مِمّا شاءَ اللهُ مِن عُلمائهم، ومع هذا الحال يمتنع أن يكذبوا كلاما يُثبتونه في ضمن التّوْراة وغيرها، وهم يكرهون وجوده عندهم ... »[272].

التّعليق: في هذا النَّصِّ يُصرِّحُ ابن تيمية أنَّ أهلَ الكتاب - وهنا قصد اليهود بالذّات لأنه ذَكَرَ التّوْراة- يكرهون وجود صفات التَّشبيه كاليد والوجه والعين في كتبهم! وليس هذا فحسب، بل يكتمونها ويؤوّلون معانيها! وعلى هذا فوجود صفات التَّشبيه في التّوْراة

---

[269] الضمير في "صورته" يعود إلى المضروب وليس إلى اللهِ كما ادّعى ابن تيمية، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، ويَدُلُّ على ذلك ما رُويَ عن الرسول ﷺ أنه قال: « إذا **قاتل** أَحَدُكُم أخاه فليَجتَنِبِ الوجهَ فإنَّ اللهَ خَلَق آدمَ على صورته »، أي على صورة المضروب، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2612**، والإمام البَيْهَقي في"الأسماء والصفات"، ص 370 ، وغيرهما. وفي رواية أخرى قال الرسول عليه الصّلاة والسّلام: « إذا **ضرب** أَحَدُكُم فليَجتَنِبِ الوجه فإنّ اللهَ خَلَق آدم على صورته »، أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 371.

[270] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1150 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[271] المرجع السابق، جزء 2 / ص 1150.

[272] المرجع السابق ، جزء 2 / ص 1150 – 1151.

وغيرها مع كراهة اليهود لها هو دليلٌ قاطع على أنها حَقّ - على مذهب ابن تيمية- ، وأنّ اليهود لم يفتروا ذلك على أنبيائهم! وبناء على ذلك " فالصفات العَيْنِيّة الخبرية " المُضافة إلى الله كاليد والوجه والعين والوارد ذِكرها في القرآن هي حَقّ! هكذا كان يُفكّر ويعتقد ابن تيمية.

وما رواه ابن تيمية "بإسناده" عن مجاهيل مِن عُلماءِ أهل الكتاب - ومنهم اليهود- مِن كراهيتهم لوجود التَّشبيه في كُتبهم فهو مَرْدودٌ لأنَّ الرِّواية عن مجاهيل مردودة بالإجماع، وعلاوة على ذلك لم يَكُن ابن تيمية ثقة في النَّقل، وكان أيضا مُتّهماً في عقيدته المُؤسّسة على التَّشبيه والتّجسيم، وسُجن بسبب ذلك مرارا.

وقَوْلُ ابن تيمية: «ومع هذا الحال - أي مع كراهيّة اليهود للتَّشبيه - يَمتنع أن يكذبوا كلاما يُثبتونه في ضِمن التّوْراة وغيرها، وهم يكرهون وجوده عندهم» هو تخليط كرواية حديث الأطيط، لأنه يَشْهَد لليهود بالوَرَع والصِّدقِ والأمانة وعَدَمِ التَّحريف، مع أنه نفسه قال قبلَ ذلك مُباشرة أنّه شهد بنفسه أنّ علماء أهل الكتاب يكرهون وجود التَّشبيه - مع أنه مُنزلٌ مِن عند اللهِ على رأي ابن تيمية- ويكتمونه ويؤولونه، أي يخرجون الألفاظ عن مدلولاتها الظاهرة والمفهومة في حَقِّ المخلوق. إذن كَيْف يكون علماء أهل الكتاب صادقين وثقات وهم يكرهون، ويؤولون ويكتمون "ما أنزل الله مِن صفات التَّشبيه " على رأي ابن تيمية؟!

وقبل هذا وذاك، لقد شهد اللهُ بأنَّ اليهودَ قد حَرَّفوا كلامه، ﴿ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾[273] .

وبعد هذا الاستطراد، والذي هو في صُلب الموضوع، أوَدُّ الرجوع إلى موضوع الأجزاء والأعضاء، والتي سَمّاها ابن تيمية "صفاتً عَيْنِيّة خَبَرِيّة" ونَسبها إلى الله إلحادا في وصْفِ ذاته المُقدّسة والمُنَزّهة عن صفات ذواتِ كُلِّ المخلوقات.

إنّ نِسبةَ الأعضاءِ إلى اللهِ ملزومها أنَّ ذاتَ اللهِ مُركّبةٌ لا مَحالة. ومعنى التّركيب هنا، أي في لغة علماء التوحيد، أنَّ ذاتَ اللهِ مُؤلّفة مِن أجزاءٍ مختلفة، وكُلُّ جُزءٍ منها غيرُ الآخر وغير الذّات. وعلى هذا فذاتُ اللهِ هي عبارة عن مجموع هذه الأجزاء - أي "الصفات العَيْنيّة" على حدّ تعبير ابن تيمية -. وهذا المعنى مِن التّركيب، بل وأصل التّركيب أيضا، ينفيه أهل السُّنّة عن الله، بينما يَنْسبهُ ابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة لله، قال ابن تيمية محاوراً الإمام الرّازي، ومنتصراً لطائفته المُجَسِّمَة: « وأما إن أراد بلفظ "الأجزاء والأبعاض" ما

[273] سورة النساء: آية رقم 79، و 166، وسورة الفتح: آية رقم 28.

يُريده المتكلمون بلفظ الجِسم والتَّركيب - وهو الذي أراده-[274] فإنّ الجسمَ كُلّ جسم عندهم له أبعاضٌ وأجزاء، إما بالفعل على قَوْل مَن يُثبتُ الجَوْهر الفَرْد، وإما بالإمكان على قول مَن ينفيه »[275]، ثُمَ قال: « فإن أردت هذا المعنى فلا ريب أنّ الحنابلة هم مِن مُثْبِتة الصفات»[276]، والمقصود بالحنابلة هنا المُجَسِّمَة منهم الذين يُثبتون لله الأعضاء - أي الصفات العَيْنِيّة-، حيث قال ابن تيمية في موضع آخر ولكن بخصوص نفس الموضوع: [أنّ هذا الذي حكيته عن هؤلاء الذين قلت: «أنهم التزموا الأجزاءَ والأبعاض»: غايته أنهم يُثبتونَ ما هو الموصوف الذي تُسَمِّيه جسما، وأنهم لا يُجوِّزون عليه ما يجوزُ على الأجسام مِن الفناء والآفات، ومضمون ذلك أنه - أي الله - جسمٌ يمتنع عليه أن يوصف بما توصف به سائر الأجسام، بل هو مختلف عنها في الحقيقة. وكذلك ما ذكرته مِن «أنهم يُصَرِّحون متى تمسكوا بآية أو خبر يوهم ظاهرهُ شيئا مِن الأعضاء والجوارح، بأنا نُثبتُ هذا المعنى للهِ على خلاف ما هو ثابت للخَلْق، فأثبتوا للهِ وجها بخلاف وجوه الخَلْق، ويداً بخلاف أيدي الخلق» فهذا الذي ذكرته غايته أنهم يُثبتون وجها ويدين مخالفا لوجوه الخَلْق وأيديهم، كما يقال: جسمٌ لا كالأجسام][277]. تنويه: كلمة "يُثبت" في النّصِّ أعلاه، وفي لغة علماء التّوحيد، تعني يَنسب.

التّعليق: قوْلُ ابن تيمية: « ومضمون ذلك أنه - أي الله - جسم ... فهذا الذي ذكرته غايته أنهم يُثبتون وجهاً ويدين مُخالفاً لوجوه الخَلْق وأيديهم، كما يقال جسم لا كالأجسام » هو نَصٌّ صريحٌ منه على إثبات الجسم والأعضاء للهِ مع نفي المُماثلة بينها وبين أجسام وأعضاء المخلوقات، وعلى هذا فذاتُ الله مُركَّبة مِن أعضاء وفق عقيدة ابن تيمية.

- **واعتبر ابن تيمية أنَّ التَّركيبَ هو مِن لوازم كُلِّ موجود، حيث قال موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: « وأنّ الانقسام المعروف غيرُ لازم بالاتفاق، وأما ما سَميّته أنت إنقساماً فقد تقدم أنّه لازمٌ لِكُلِّ موجود، وأنه لا محذور فيه-!- »[278].**

المقصود "بالانقسام المعروف" هو فصلُ الشَّيءِ بعضه عن بعض أو تجزئته، وهذا ما كان ينفيه أيضا ابن تيمية عن الله كأهل السُّنّة، ولكن بفارق جَوْهري وهو أنّ ابن تيمية كان يعتقد أنّ لذاتِ اللهِ أبعاضاً وأجزاءً، وأهل السُّنة يُنَزِّهون اللهَ عن ذلك. أما معنى الانقسام في مفهوم عِلم الكلام فيُثبته ابن تيمية لله، بل يَعتبره مِن لوازم كُلِّ موجود، واللهُ موجود، إذن

---

[274] الكلام ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.

[275] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 96 – 97 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[276] المرجع السابق ، جزء 1 / ص 97 .

[277] المرجع السابق ، جزء 1 / ص 128.

[278] المرجع السابق ، جزء 2 / ص 943.

فهو منقسم، والمقصود بذلك في لغة علماء التّوحيد هو «أنَّ ما في هذه الجهة منه - أي الله- غير ما في هذه الجهة »[279]، والمعنى هو أنّ ذاتَ اللهِ مُرَكَّبة مِن أجزاء، ولكُلِّ جزءٍ مِن ذاتِ الله مكانٌ هو غير مكان الجزء الآخر، وهو غير الذّات. فاليدُ لها مَحَلٌ غيرُ مَحَلِّ الوجه، ومَحَلُّ العَيْنين هو غيرُ مَحَلِّ القَدَم، وهكذا الأمر في باقي "الصفات العَيْنِيّة" التي نَسَبها ابن تيمية لله.

● وادّعى ابن تيمية أنّ نَفْيَ التّركيب يستلزم نَفْيَ كُلِّ موجود، حيث قال موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: « فيُقال له: قولك: {إن كان -اللهُ- مُنقسماً كان مُرَكّباً وقد تقدم إبطاله} وتقدم الجواب عن هذا الذي سَميّته مُرَكّباً، وتَبيّنَ أنه لا حُجة أصلا على امتناع ذلك، بل تَبَيَّنَ إنّ إحالة ذلك تقتضي إبطال كُلِّ موجود »[280]، وبناء على قول ابن تيمية هذا يستحيلُ وجود الله بدون تركيب في ذاته! ثُمَّ قال مباشرة بعد كلامه السابق: « وقد تقدم ما في لفظ (التّركيب) و (الحَيِّز) و(الافتقار) مِن الإجمال، وأنّ المعنى الذي يقصدونه بذلك يجب أن يَتَّصفَ به كُلُّ موجود سواءً كان واجبا - أي الله- أو ممكنا - أي المخلوق-، وأنّ القوْلَ بامتناع ذلك يستلزم السَفْسَطة المَحضة »[281]. وهذا اعترافٌ صريحٌ مِن ابن تيمية على أنه كان يعتقد بأنّ اللهَ مُرَكَّبٌ ومُتَحَيّزٌ ومُفتقرٌ بالمعاني التي أرادها الإمام الرّازي، بل بالمعاني المفهومة مِن هذه المصطلحات في علم التّوحيد.

إنّ التّركيب والتَّحَيّز والافتقار مِن لوازم كُلِّ مخلوق، لأنّ اللهَ الخالق هكذا خَلَق المخلوق: مُركّبٌ ومُتحيِّز ومُفتقر، ويمتنع وجود مخلوق بغير ذلك، أما تعميم ذلك على الخالق فهذا ليس سفسطة فحسب، بل إلحادا في الاعتقاد في ذاتِ الله. والنَّصُّ السابق ليس هو الوحيد الذي ربط فيه ابن تيمية بين وجود اللهِ والتَّركيب في ذاته، بل هناك نصوص عديدة، منها ما قاله في موضع آخر: « ولا بُدّ مِن ثبوت معاني متعددة لكُلِّ موجود، فإنْ كانت هذه المعاني المُتميّزة في العِلم مِن ضرورة الوجود الواجب - أي الله - وغير الواجب <u>كان ما سَمّوهُ تركيبا مِن ضرورة كُلِّ موجود</u>، فلا تكون مُحالاً، بل تكون واجبا ويمتنع وجود موجود بدون هذه المعاني التي سمّوها تركيبا، <u>ويكون نفيها نفياً للوجود</u> »[282].

الرَّد: قوله: «كان ما سَمّوهُ تركيبا ... هذه المعاني التي <u>سَمُّوها</u> تركيبا» يوهم به القارئ أنّ إثبات الأعضاء لذاتِ اللهِ يُسَمّى تركيباً فقط عند خصومه، أي عند علماء أهل السُّنّة.

---

[279] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 480 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[280] المرجع السابق، جزء 1 / ص 480.
[281] المرجع السابق، جزء 1 / ص 480.
[282] المرجع السابق، جزء 2 / ص 988.

ومـاذا يُسَمّى إذن إثبـات الأعضاء لـذات الله إن لـم يُسَمَّ تركيبـا؟! ولكـن هـذا أسـلوب مِـن أساليب ابن تيمية في تشكيك القارئ في مفاهيم ومصطلحات خصومه.

● وقال أيضا بخصوص التّركيب: « وأما ما يُسَمّيه بعضهم تركيبا، وهو ثبوت المعاني المتميِّزة فـي أنفسها فهذا أمر لا بُدّ منـه لكُلّ موجود، فنفيـهُ نفـيٌ للوجود، ولواجب الوجود -أي الله-»[283].

فنفيُ التَّركيب يستلزم إذن نَفْيَ الوجود على مذهب ابن تيميـة، بل وأيضا نَفْيَ واجب الوجود، وهو الله! فـي أيّ وادٍ كـان يهيم هذا الرجل؟! ألـهذه الدرجـة وصل مفعول عقيدة التَّجسيم على عقل الشيخ ابن تيمية ؟!

وعلاوة على هذا الضلال، لازمُ قول ابن تيميـة أنَّ التَّركيبَ « أمرٌ لا بُدَّ منـه لكُلّ موجود، فنفيه نَفْيٌ للوجود» هو أنَّ اللهَ غيرُ قادر على خَلْقِ مخلوق غير مُركّب أو لـم يَخْلُق مخلوقـا غير مُرَكّب! وكيف كان ابن تيمية يُجزم بأنّ اللهَ لم يَخْلُق مخلوقا غيـر مُركّب؟! أشـهدَ خَلْق الله؟ أم مَنْ وَسْوَس له بذلك؟ أم عقله، أو أوهامه قادته لافتراء ذلك؟ فالجرثومة على سبيل المثال هي كائنٌ حَيّ وغير مُركّبة مِن أعضاء. والمقصود مِن هذا الكلام هو أنَّ ادعـاء ابـن تيمية أنَّ نَفْيَ التّركيب يستلزم نفي الوجود هو ادعاءٌ باطل، بل ضلال.

● وقوْلُ ابن تيمية في النَّص السابق: «وأمـا مـا يُسَمّيه بعضهم تركيبـا» هـو تلبيسٌ علـى القارئ، ليْس البعض، بل كُلُّ علماء أهل السُّنّة قالوا أنّ إثباتَ الأعضاءِ للهِ هو تركيب.

وأود التّنويه إلى أنّ ابن تيمية نَفَى في موضع واحد - حسب علمي حتى الآن - التّركيبَ والتَّجسيم في ذاتِ الله، وأرادَ بذلك التّركيب والتّجسيم الباطل، حيث قال في تفسير اسمه تعالى "الصَّمد": « فكان اسمه الصَّمد مُستلزما ثبوت هذا المعنى الذي هو الاجتماع نافيا ذلك المعنى الذي هو التّركيب والتَّجسيم المَنْفي عنه»[284]. وكلامـه هذا - وغيره- يَدُلُّ علـى أنّ هناك تركيبا وتجسيما غيرُ مَنفيٍّ عن ذاتِ الله، أما المَنْفي عنه تعالى فقد وضحه بقولـه: « وكذلك التّركيب والتّجسيم يجب تنزيهه عن أن يكون مُركَّبا مُجَسَّماً ركَّبـهُ مُركّب، أو أن يكون بحيث يقبل التّفريق والتّفصيل »[285].

فالتركيبُ الجِسماني المَنْفي عن الله هو ما قد حصل بفعل مُرَكِّب، أو أن يكون هذا التّركيبُ قابلا للتّفريق والتّفكيك. ولهذا المعنى قال أيضا مدافعا عن المُجَسِّمَة الكَرّامِيّة: « هَبْ أنّ هؤلاء - أي الكَرّاميّة- معتقدون كونه مُرَكّبا مُؤَلفاً ... وليس على مَن اعتقدَ معنى صحيحا

---

[283] "تلبيس الجهميّة"، لابن تيمية، جزء 2 / ص 1373 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[284] المرجع السابق، جزء 2 / ص 1373.

[285] المرجع السابق، جزء 2 / ص 1373.

دَلَّ عليه القرآن والعقل واتَّفقَ عليه سَلَفُ الأُمّة وأئمتها حَرَج وإن كان ذلك المعنى يُسَمّى في بعض الإصطلاحات تركيبا وتأليفا ... ولفظ التّركيب والتأليف ليس مَنْفِياً عن الله بهذا اللفظ في شيء مِن الكلام المقبول، ولا هو المعنى الذي يقصدونه هم - أي الكَرّامِيّة - بهذا اللفظ منفيا في شيء مِن الكلام المقبول، لا في كلام الله ولا في كلام رسوله ولا كلام أحدٍ مِن سَلَف الأُمّة ولا أئمتها»[286].

هذا الكلام هو نَصٌّ صريحٌ مِن ابن تيمية على أنّ لفظ التّركيب والتَّأليف جائزٌ إطلاقه على الله إن كان استخدامه ضِمن كلام مقبول، بمعنى أن لا يَدُلُّ الكلام على أنّ هذا التّركيب قابلٌ للتّفرق والتّفكيك كما سبق ذِكْره. وكذلك معنى التّركيب كما هو مفهوم عند المُجَسِّمَة الكَرّامية ليس مَنفيا عن الله لا في القرآن ولا في السُّنّة ولا في كلام أحدٍ مِن سَلَفِ الأُمّة ولا أئمتها، هذا ما كان يعتقده ابن تيمية !

الرَّد: إن كان ابن تيمية قد قصد بسلف الأُمّة وأئمتها محمد بن كَرّام السجستاني وأبا سعيد عثمان بن سعيد الدارمي وأبا بكر الخلّال والقاضي أبا يعلى الفرّاء وأمثالهم - وهذا ما قصده- فقد أصاب، فهؤلاء نسبوا لذاتِ اللهِ الأعضاءَ والأجزاء وهذا هو عين التّركيب، بغض النظر إن كان هذا التّركيب قابلا للتّفريق أم لا.

وأمّا إن كان قد قصدَ بسلف الأُمّة وأئمتها ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر وقتادة وأبا حنيفة النُّعمان وصاحباه القاضي أبا يوسف ومحمد بن الحسن الشيْباني، وحمّاد بن زيد وأحمد بن حنبل وابن جرير الطَّبَري وأبا جعفر الطَّحاوي وأبا منصور البغدادي وابن حَزْم الأندلسي وابن الجَوْزي وأبا بكر البَيْهَقي وأبا حامد الغزالي ومُحيي الدين النَّوَوي - ونحوهم - فقد افترى، لأنّ الأئمةَ المذكورين نَزّهوا اللهَ عن الأعضاء، ونَفْيُ الأعضاء عن الله يَستلزمُ نَفْيَ التّركيب في ذاته لا مَحالة. وعلى هذا فعقيدة هؤلاء الأئمة حُجة دامغة ودليلٌ ساطعٌ على أنّ معنى التّركيب في ذاتِ اللهِ غيرُ ثابتٍ في القرآن ولا في السُّنّة، فهؤلاء العلماء أفقه وأعْلَمُ بمدلولات ألفاظ القرآن والسُّنة مِن محمد بن كرّام السجستاني وعثمان بن سعيد الدارمي وابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة.

ومِن الأدلة الشّرعية والعقليّة التي استدل بها علماء أهل السُّنّة على نفي التّركيب في ذات الله هو أنّ التّركيب مِن أجزاء وأعضاء يُنافي مفهوم اسمه تعالى "الواحد" و "الأحد". قال الإمام أبو بكر بن فورَك (ت 406 هـ) في معنى اسمه تعالى "الواحد": «أنه سُبحانه واحدٌ

---

[286] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 979 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

في ذاته لا قسيم لـه، وواحد في صفاته لا شبيه لـه، وواحد في أفعالـه لا شريك لـه»[287].
قوله: «واحدٌ في ذاته لا قسيم له» معناه أنَّ اللهَ أحدٌ مُنْفَردٌ في ذاتـه، فلا توجد ذاتٌ كذات الله، وذواتُ المخلوقات المُشاهدة أجسام مُؤلّفة مِن أجزاء وأعضاء، أما ذاتُ الله الـذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ فليست جسما وغير مُنقسمة، بمعنى غير مُؤلّفة مِن أجزاء وأبعاض.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478 هـ): « قال أصحابنا: "الواحد" هو الشّيءُ الـذي لا ينقسم، أو لا يصح انقسامه »[288]. إنّ معنى الإنقسام في لغة علماء الكلام هو التأليف مِن أجزاء، كما سبق ذِكْره. وعلى هذا فقول الإمام أبي المعالي: «"الواحد" هو الشيء الذي لا ينقسم » معناه أنّ ذاتَ الله غير مُركّبة مِن أعضاء وأجزاء.

وقال الإمام فخر الدين الرّازي (ت 606 هـ): «إنّ قوله تعالى : ﴿أحَد﴾ يَدُلُّ على نَفْي الجِسْمِيّة ونفي الحَيِّز والجهة، أما دلالته على أنه تعالى ليس بجسم، فذلك لأنّ الجسمَ أقلـه أن يكون مُركّبا مِن جَوْهرين، وذلك يُنافي الوحدة. وقوله ﴿أحَد﴾ مبالغة في الوحدانيّة، فكان قوله ﴿أحَد﴾ منافيا للجِسْمِيّة... »[289]. فصفةُ الوحدانيّة لله تنفي التّركيب عن ذاته المُقدّسة.

ولكن كان للشيخ ابن تيمية رأيٌ آخرُ - كالمعتاد - ولا غرابة في ذلك، فقد كان يُمثِّل تيار التّجسيم والتّركيب، فاستشهد بنص مِن كتاب "الرّد على الجهميّة" المنسوب كَذبا إلى الإمام أحمد بن حنبل[290] ليُثبت أنّ التّركيبَ في ذات الله لا يُنافي الوحدانيّة، فقال على لسان الإمام أحمد: « ولكن إذا قلنا: إنّ اللهَ لم يزل بصفاته كُلّها أليس إنما نصفُ إلهاً واحداً بجميع صفاته؟! وضربنا لهم مثلا في ذلك، فقلنا: أخبرونا عن هذه النّخلة، أليس لها جَذعٌ وكَرَبٌ وليف وسَعَف وخُوص وجُمّار؟ واسمها اسم شيء واحد، وسُمِّيَت نخلة بجميع صفاتها؟ فكذلك اللهُ - ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأعلى﴾ -[291] بجميع صفاته إلهٌ واحد، ... وسَمّى اللهُ رجلا كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ ذَرْني وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[292] وقد كان

---

[287] **المرجع**: "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 405 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[288] المرجع السابق، جزء 1 / ص 404 .
[289] المرجع السابق ، جزء 1 / ص 399.
[290] قال الحافظ الذهبي في كتابه "سِيَر أعلام النبلاء"، مجلد 11 / ص 286 ،287 ، في ترجمة الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل: « لا كرسالة الإصطخري، ولا كالرد على الجهمية **الموضوع** على أبي عبدالله، فإنّ الرجلَ كان تقيّا ورعاً لا يتفوّه بمثل ذلك ». وعلاوة على ذلك يوجد في سند كتاب "الرّد على الجهميّة" مجهول وهو الخَضِر بن المثنى، **والرِّواية عن المجهول مردودة باتفاق.** (راجع إن شئت تعليق مُحقق "سير أعلام النبلاء" على كتاب "الرَّد على الجَهْمِيّة"، مجلد 11 / ص 287 / حاشية رقم **1**) . **ومِن الجدير بالذِّكر:** أنّ المُجَسِّمة كذبوا أشياء كثيرة على الإمام أحمد بالذّات لنشر عقيدة التّجسيم، وذلك لشهرة الإمام أحمد في وقوفه في وجه فرقة المُعتزلة الضالة ومِمّا لاقاه مِن تعذيب بسبب ذلك.
[291] ما بين الشرطتين في هذا النص هكذا في النُسخة المطبوعة، والآية أعلاه مِن سورة الروم: آية رقم 27.
[292] سورة المدثر: آية رقم 11.

الذي سَمّاه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارحٌ كثيرة وقد سمّاه وحيدا بجميع صفاته، فكذلك اللهُ - ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأعلى﴾ - بجميع صفاته إلهٌ واحد»[293].

التّعليق: 1. النصُّ السابق يُعَدُّ بمنزلة كلام ابن تيمية نفسه لأنه استشهد به ليُبَرهن على أنَّ ذاتَ اللهِ مُركَّبة مِن أعضاء - وأنّى له ذلك -.

2. معنى النصِّ السابق يدلُّ على أنه ليس مِن كلام الإمام أحمد بن حنبل بتاتا، لأنّ الإمام أحمد نَزَّهَ اللهَ عن الجِسْمِيّة والأعضاء والتّركيب، كما سبق بيانه، وفيما يلي كلام الإمام أحمد مرة أخرى، جاء في "طبقات الحنابلة" عن الإمام أحمد ما نصه: [وأنكر - أي الإمام أحمد بن حنبل - على من يقول بالجسم، فقال: «إنَّ الأسماءَ مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الإسم -أي الجسم- على كُلِّ ذي طولٍ وعَرْض وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف والله خارجٌ عن ذلك كُلّه، فلم يَجُز أن يُسمّى جسما لخروجه عن معنى الجِسْمِيّة، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل »][294]**. وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول في عقيدته: « إنَّ لله تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين ولا جسم، ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود والتّركيب ولا الأبعاض والجوارح»**[295]**. وكلام الإمام أحمد هذا هو شوكة في عيون المُجَسِّمَة، الذين ينشرون التّجسيم باسمه، وجمرة في حلوقهم.**

3. والنَّصُّ السابق فيه قياس اللهِ الخالق على المخلوق لإثبات صفات الله، وهذه القاعدة رفضها كُلّ علماء أهل السُّنَّة بدون استثناء لأنَّ حقيقة ذاتِ الله الخالق تختلفُ اختلافا كُليا عن حقيقة ذات المخلوق. وقياسُ اللهِ الخالق على المخلوق لإثبات صفاته هو أساس مِن الأسس التي بَنَت عليها فِرقة المُجَسِّمَة عقائدها في الله، فأدى ذلك بها إلى التّشبيه والتّجسيم.

4. تسميةُ الجذع والكَرَب والليف والسَعف بالصفات هو مُغالطة، لأنَّ الصفاتَ أشياءٌ مَعنويّة، والأشياءُ المذكورة هي أجزاءٌ ماديّة، فهي إذن ليست صفات. فعندما نقول مثلا: نخلة عالية وقوية وذاتُ ظلٍّ وارف، فهذه الأشياء المذكورة -العُلُوّ والقوة والظِّل- صفاتٌ للنخلة. أما عندما نقول: للنخلة جَذعٌ وليف وسَعَف، فهذه الأشياء المذكورة أجزاءٌ ماديّة

---

[293] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 400 -401 ، و "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية، مجلد 5 / ص 78، طبعة دار المعرفة، ط 1.

[294] "طبقات الحنابلة" ، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم **73**.

[295] المرجع السابق، مجلد 2 / ص 254 .

للنخلة، وليست صفات لها. وكما سبق ذِكْره كان ابن تيمية يُسَمّي الأعضاء التي نسبها إلى الله "صفاتَ عَيْنيّة" ليُلَبِّس على عوام الناس، فلفظ "صفات" ألطفُ مِن لفظ أعضاء.

5. أراد ابن تيمية بمثاله السابق أنْ يقول لنا: كما أنَّ للنّخلة جذعا وكربا وليفا ... ومع ذلك فهي شيء واحد بجميع "صفاتها" - الحقيقة أجزائها- وسُمِّيت نخلة، فكذلك الله: له صفاتُ أعضاء كاليد والوجه والعينين ومع ذلك فهو إلهٌ واحد واسمه الله. وهذا الكلام معناه أيضا: لا حَرَج أن يكون هذا الإلهُ الواحد مُركّبا مِن أعضاء، فذاتُ النّخلة مُرَكّبة كذلك مِن أجزاء ومع ذلك فهي نخلة واحدة!

وكذلك الوليد بن المغيرة سَمّاه اللهُ وحيداً مع أنّ له جوارحا كثيرة، فكذلك الله - ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأعلى﴾ -: له وجهٌ وعينان ويدان وقَدَم وأصابع - إلى آخره- ومع ذلك فهو إلهٌ واحد بجميع أجزائه وصفاته العَيْنِيّة - بالطبع مع نفي المُماثلة بين "أعضاء" الله وأعضاء المخلوق -، هذا هو عَيْن عقيدة ابن تيمية.

إنَّ المسلمَ المُنَزِّه لله يقف حيرانا ومتعجبا مِن جُرأة ضرب هذا المَثَل لمحاولة البرهنة على أنَّ اللهَ مُركّبٌ مِن أعضاء وأجزاء، وذلك بقياس اللهِ الخالق على نخلة! وعلى إنسان! وفي الحقيقة لا غرابة في ذلك، فابن تيمية كان يعتقد أنّ اللهَ خلق آدم على صورة نفسه! قال اللهُ الخالق: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ﴾[296].

6. إنَّ قوْلَ ابن تيمية: «وسَمّى اللهُ رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ذَرْني وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ وقد كان الذي سمّاه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة وقد سمّاه وحيدا بجميع صفاته، فكذلك اللهُ - ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأعلى﴾ - بجميع صفاته إلهٌ واحد»[297] فيه تلبيس وبيانه كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق:

في حال المخلوق الاسم يَدُلُّ على المُسَمّى وليس على حقيقة ذاته وصفاته، مثال: رجلٌ اسمه كريم، فالاسمُ "كريم" يَدلُّ على شخصٍ مُعيّن، ولا يَدُلُّ تلقائيا على أنّ ذلك الشَّخصَ يتَّصفُ بالكَرَم. وكذلك الاسم "باسل" يَدُلُّ على رجلٍ مُعيّن، ولا يَدُلُّ بأي حال على أنّ المُسمّى يَتَّصِفُ بالبسالة.

والشَّخصُ الذي اسمه "وحيد" لا يَدُلُّ اسمه بأي حال مِن الأحوال على أنه فريدٌ في نوعه، أو أنه وحيدٌ في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله. "فوحيد" هو إنسانٌ ويُشاركه في إنسانيّته، وذاته - التي هي جسم ومُركّبة - وصفاته وأفعاله ملايين مِن البَشر. أما اللهُ

---

[296] سورة الصافات، آية رقم 180.

[297] **معنى** هذا النَّص ذكره ابن تيمية أيضا في "تلبيس الجهمية"، جزء 1 / ص 493 – 494.

الخالقُ الواحدُ الأحد الفَرْد الصّمد الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾، والذي يقول للشَّيء ﴿كُن فَيَكونُ﴾ فأسماؤه تَدلُّ على صفاته وعلى ذاته يا ابن تيمية. فاسمه "الكريم" يدلُّ على كَرَمه وعطائه. واسمه "الرّحيم" يَدُلُّ على رحمته. وأسماءُ اللهِ هي الله، فعندما ندعو ونقول: "يا رحمن"، فالرّحمنُ هو الله، وهو اسمه.

واسمه "الواحد" يَدُلُّ على أنه وحيد في ذاته، ووحيد في وجوده، ووحيد في صفاته، ووحيد في أفعاله: فذاتُ الله ليس مثلها ذات، ولا تُشبهها ذات، وذاتهُ لا تُشبه الذّوات. وذوات المخلوقات هي أجسام - سواء أكانت أجساما حيّة أم جامدة أم نامية كالأشجار، وكُلُّ جسم مُرَكّب -، أما ذاتُ اللهِ الخالق فليست بجسم وغير مُركّبة.

وكَوْن الله الخالق سَمّى الوليد بن المغيرة وحيدا، مع أنّ جسمه مُركّبٌ ومخلوق، لا يعني أنّ اللهَ الوحيد في ذاته وصفاته وأفعاله جِسمٌ ومُرَكّبٌ مِن أعضاء. وعلى هذا، فالاستشهادُ بقوله تعالى: ﴿ ذَرْني وَمَنْ خَلَقْتُ وَحيداً ﴾ لإثبات التّركيب في ذاتِ اللهِ هو مغالطة وخِداع، ويَدُلُّ على قِلّة التّقوى، ولا يَسْتدِلُّ بذلك إلّا مُجَسِّم أو غير مُكَلّف.

ابن تيمية نَسَبَ الأعضاءَ لله

اليَد: في "الرسالة التّدْمريّة" صَرّح ابن تيمية بوجود يَدٍ عضو لله كآلة عمل، حيث قال: «والكبدُ والطحال ونحو ذلك هي أعضاءُ الأكل والشرب، فالغنيُّ المُنَزَّهُ عن ذلك مُنَزّهٌ عن آلاتِ ذلك بخلاف اليد فإنها للعَمَل والفِعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفِعل... »[298].

ادّعاءُ ابن تيمية بوجود يدٍ للهِ كآلة فِعْلٍ وعَمَلٍ يُبْطله قوْلُ اللهِ الحقّ: ﴿ إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾[299]. وجاء في الحديث القدسي: «عطائي كلام، وعذابي كلام، وإنّما قولي لشيءٍ إذا أردت، أنْ أقول له: كُن فيكون »[300]، فعطاءُ اللهِ وعذابه وفِعله بِـ "كُن" وليس بآلة عملٍ وفِعْل كاليد.

ومِن باب الاطِّلاع على عقائد مُجَسِّمَة العصر أوَدُّ أن أنقلَ عقيدة الشيخ الوهابي صالح بن فوزان الفوزان بخصوص نِسْبَة اليد إلى اللهِ تعالى، قال الشيخ صالح بن فوزان في شرحه على "العقيدة الواسطيّة" في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [301]،

---

[298] **المرجع:** "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 44 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

[299] سورة يس: آية رقم 82.

[300] هذا جزءٌ مِن حديث نبوي أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص157- 158.

[301] سورة ص: آية رقم 75.

وقوله تعالى: ﴿ وَقالَتِ اليَهودُ يَدُ اللهِ مَغلولَةٌ ﴾[302] ما نصه: « الشاهدُ مِن الآيتين الكريمتين أنّ فيهما إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى، وأنهما حقيقيتان لائقتان بجلاله، ليستا كيدي المخلوق »[303]. واليدان الحقيقيتان هما العضو (الكَف) كما هو معلوم، وقول الشيخ صالح بن فوزان: «ليستا كيدي المخلوق» هو فقط نَفَيٌ للماثلة بين "يديّ" اللهِ وبين يديّ المخلوق. ومِن الجدير بالذِّكْر أنّ الوهابيين يدّعون، كما ادّعى قبلهم ابن تيمية، أنهم مُتّبعون للإمام أحمد بن حنبل! كيف هذا والإمام أحمد قد نَزَّهَ الله عن الجِسْمِيّة ولوازمها كالتّركيب، فقال عن اليدين في حقّ الله تعالى: « وهما صفة ... <u>ليستا بجارحتين</u> ... ولا جسم ... ولا مِن جنس الأجسام ... ولا الأبعاض والجوارح » ، النَّصُّ الكامل في صفحة 15 فارجع إليه إن شئت.

السّاق: في كتابه "تلبيس الجَهْمية" نَسَبَ ابن تيمية بالتّأمل والتّفكير السّاقَ لله، فقال: [والذين جعلوا ذلك - أي السّاق- مِن صفاتِ الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المُفَسِّر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخُدْري المُخْرَج في الصّحيحين، الذي قال فيه: « فَيَكْشِفُ الرّبُّ عن ساقه ». وقد يُقال: إنّ ظاهرَ القرآن يَدُلُّ على ذلك مِن جهة أنه أخبر أنه يُكشفُ عن ساق ويُدْعون إلى السّجود، والسّجودُ لا يصلح إلّا لله، فعُلِم أنه هو الكاشفُ عن ساقه،...- إلى أن قال- : لكن هذا الظاهر ليس ظاهراً مِن مُجرد لفظ ساق، بل بالتّركيب والسِّياق وتدبر المعنى المقصود][304].

الرّد: 1. قوْلُ ابن تيمية: « إنَّ ظاهرَ القرآن يَدُلُّ على ذلك مِن جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويُدْعَوْن إلى السّجود، والسُّجود لا يصلح إلّا لله، فعُلِم أنه هو الكاشف عن ساقه» هو قولٌ باطل، لأنه تحريفٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن ساقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فلا يَسْتَطيعونَ﴾[305]، فاللهُ يُخبر أنّ يومَ القيامة تظهرُ <u>شدائد</u> وأهوال، فيُدعى الكُفارُ إلى السّجود لله تعالى - وقد استكبروا في الحياة الدنيا عن السّجود له - فيَهِمّون بالسّجود، ولكنّ السّجودَ لله شرف، لهذا يَنزعُ اللهُ منهم القُدْرة على ذلك، فلا يستطيعون.
وتفسيرُ لفظ السّاق في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن ساقٍ ﴾ بالشِّدّة هو تفسيرُ أئمة أهل السُّنة، قال الإمام ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التَّشبيه": [قال ابن عباس ومجاهد

---

[302] سورة المائدة: آية رقم 64.
[303] "شرح العقيدة الواسطية"، ص 241 – 242 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 124.
[304] "تلبيس الجَهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1008 – 1009 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[305] سورة القلم: آية رقم 42.

وإبراهيم النَّخَعي وقَتادة وجمهور العلماء: يَكشِفُ عن شِدة[306]، وأنشدوا: «وقامت الحرب بنا على ساق»، وقال آخرون: «إذا شمّرت عن ساقها الحربُ شمّرا». قال ابن قتيبة: وأصل هذا أنّ الرجلَ إذا وقع في أمرٍ عظيم يحتاج إلى معاناة الجِّدِ فيه، شَمَّرَ عن ساقه، فاستعيرت السّاق في موضع الشِّدة. وبهذا قال الفرّاء وأبو عبيد، وثعلب واللّغويون. ... وقال عاصم بن كليب: رأيت سعيد بن جبير غضِبَ وقال: يقولون: يَكْشِفُ عن ساقه، وإنما عن أمر شديد»[307].

2. إنّ الحديث بلفظ: «فَيَكْشِفُ الرَّبُّ عن ساقه» لا يَصِح، لأنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الأعضاء، ولقد وَرَدَ هذا الحديث أيضا بلفظ: « يَكشِفُ عن ساق » بدون هاء، قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني: «ووقع في هذا المَوْضع « يَكشفُ رَبُّنا عن ساقه » وهو مِن رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثُمَّ قال: في قوله "عن ساقه" نَكِرَة، ثُمَّ أخرجه مِن طريق حفص بن مَيْسرة عن زيد بن أسلم بلفظ: «يكشف عن ساق»، قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يُظنّ أنّ اللهَ ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك مِن مُشابهة المخلوقين، تعالى اللهُ عن ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾»[308]، وعلى هذا فالرسول ﷺ إنّما قال لفظا واحدا: إمّا «فيكشفُ الرّبُّ عن ساقه» أو «يكشفُ عن ساق»، والرواية الثانية مِن طريق حفص هي الصحيحة لموافقتها لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن ساقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فلا يَسْتَطيعونَ﴾.

القَدَم: في رسالته "العقيدة الواسطية" نَسَبَ ابن تيمية القَدَم لله مستشهدا بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تزالُ جَهنّمُ يُلقى فيها، وهي تقول: هل مِن مزيد؟ حتى يَضع رَبُّ العِزّة فيها رجله - وفي رواية: فيها قدمه - ، وفي رواية: عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط »[309].

قال الشيخ السّعودي ابن عُثيمين - وكان مِن أتباع ابن تيمية - في شرحه على "العقيدة الواسطية" في تفسير الحديث السابق ما نصه: [أنّ لله تعالى رِجْلاً وقَدَما حقيقية، لا تُماثل أرجل المخلوقين، ... وخالف الأشاعرة وأهلُ التّحريف في ذلك فقالوا: «يَضَعُ عليها رِجْله،

---

306 أُنظر كذلك "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 4919، جزء 8 / ص 857 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72، وانظر إن شِئت تفسير الإمام ابن جرير الطّبري.

307 "دفع شُبه التّشبيه"، ص 118 – 119 دفع مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

308 أُنظر "فتح الباري"، عند شرح الحديث رقم 4919، جزء 8 / ص 857 – 858.

309 رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **4848** ، **4849** ، والإمام مسلم في صحيحه برقم **2848**.

يعني طائفة مِن عباده مُستحقين للدخول، والرِجْل تأتي بمعنى الطائفة، كما في حديث أيوب عليه الصلاة والسلام: «أرسلَ اللهُ إليه رِجْلَ جَرادٍ مِن ذهب»[310]، يعني طائفة مِن الجراد». وهذا تحريفٌ باطل، لأنّ قوله: "عليها" يمنع ذلك، ... والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأنّ للهِ تعالى قَدَما، وإن شئنا، قلنا رِجلاً، على سبيل الحقيقة، مع عدم المُماثلة، ولا نُكيِّف الرِّجْل، لأنّ النَّبيَّ ﷺ أخبرنا بأنّ لله تعالى رِجْلاً أو قَدَماً ، ولم يُخبرنا كَيْفَ هذه الرِّجْل أو القَدم][311].

الرّد: 1. قَوْلُ ابن عُثَيْمين: «وخالفَ الأشاعرة وأهلُ التّحريف في ذلك ... » هو افتراءٌ، لأنّ المُجَسِّمَة هم الذين خالفوا أهلَ السُّنّة، ومنهم الأشاعرة والماتريدية، الذين نَزَّهوا اللهَ عن الأعضاء كاليد والوجه والعَيْن والسّاق والقَدَم، وهذه الأعضاء نَسبها المُجَسِّمَة لله إلحاداً في وصف ذاته المُقدّسة عن ذوات المخلوقات، وأطلقوا على أنفسهم مِن باب الخِداع اسم "أهل السُّنّة أو السَّلفِيّة"، والسَّلَفُ الصالحُ بريءٌ منهم.

2. إجراءُ الحديث الآنف الذِكْر على ظاهره يؤدي إلى عقيدة الحلول، فظاهر الحديث يَنُصُّ على أنّ اللهَ يضع بعضاً منه، أي القَدَم أو الرِّجْل، في بعض خلقه، أي في النار. وهذا لا يجوز في حَقّ الله الخالق، فهو مُنَزَّهٌ عن الأبعاض والأجزاء والحُلول في شيء، هذه عقيدتنا نحن أهل السُّنّة.

3. إذا أُجْرِيَ الحديث على ظاهره يكون معناه أنّ جهنم تمتليء فقط عندما يضعُ اللهُ "قدمه أو رجْله" فيها، وهذا يعني أنّ "قَدَمَ" الله، أي جُزءاً مِن ذاته، سوف تبقى في النار لكي تبقى مُمتلئة! وعلاوة على ذلك: كَوْن جهنم تمتليء "بقدم" الله معناه أنّ حَجْمَ "قدمه" تعالى مُساوٍ لحجم الجُزءِ المُتبقي في جهنم قبل أن تمتليء، وهذا يعني أيضا أنّ "قَدَمَ" اللهِ محدودة! ولا يُؤمن بهذه الأمور المذكورة إلّا مَن أعمى اللهُ قلبَه، وإن ادّعى لنفسه الهدى. وبناءً على ذلك يَتبيّنُ بشكل جَليّ أنّ إجراء الآيات والأحاديث المُتشابهة على ظاهرها في حقِّ الله يُؤدي إلى أقبح العقائد وأفسدها، أي إلى عقيدة التَّجسيم.

4. وفيما يلي تفسيرُ أئمة أهل السُّنة للحديث السابق:

أولا: قال الإمامُ ابن الجَوْزي في "دفع شُبه التشبيه" له: [وقد حكى أبو عُبَيْد الهَرَوي (ت 224 هـ) **عن الحسن البصري** (ت 110 هـ) **أنه قال: القَدَمُ: هم الذين قدّمَهم اللهُ تعالى مِن شِرار**

---

[310] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم **7493**.

[311] "شرح العقيدة الواسطية"، ص 410 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 124.

خلقه وأثبتهم لها. ... وروى أبو بكر البَيْهَقي[312] **عن النَّضر بن شُميْل** (ت 203 هـ) **أنه قال: القَدَمُ ههنا الكفار الذين سَبَقَ في عِلم اللهِ أنّهم مِن أهل النار. وقال أبو منصور الأزهري** (ت 370 هـ)**: القَدَمُ هم الذين قَدَّمَ اللهُ بتخليدهم في النار... يُقال لِما قُدِّم قَدَم، ولِما هُدِّمَ هَدَم، ويؤيد هذا قوله - عليه الصلاة والسلام - في تمام الحديث: « وأما الجنّة فيُنشئ لها خلقا »**[313]]**[314].**

ثانيا: قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حِبّان (ت 354 هـ) **في صحيحه: « هذا الخبرُ مِن الأخبار التي أطلقت بتمثيل المُجاورة، وذلك أنّ يومَ القيامة يُلقى في النار مِن الأمم والأمكنة التي عُصِيَ الله فيها، فلا تزال تستزيد حتى يَضعُ الرّبُّ جَلَّ وعلا موضعا مِن الكُفار والأمكنة في النار، فتمتلئ، فتقول: قط قط، تُريد: حَسْبي حسبي، لأنّ العربَ تُطلق في لغتها اسم القَدَم على المَوْضع، قال اللهُ تعالى: ﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾**[315] **يُريد مَوْضع صِدق، لا أنَّ اللهَ جَلَّ وعلا يضعُ قدمه في النار، جَلّ رَبُّنا عن مِثل هذا وأشباهه »**[316]**.**

ثالثا: وقال الإمامُ ابن عَقيل الحَنبلي (ت 513هـ)**: « تعالى اللهُ أن يكون له صفةٌ تشغل الأمْكِنة، هذا عَيْنُ التَّجسيم، وليس الحَقُّ بذي أجزاء وأبعاض يُعالج بها، ثُمَّ: أليس يعمل في النار أمرُه وتكوينه؟ فكيف يستعين بشيء مِن ذاته ويُعالجها بصفة مِن صفاته وهو القائل: ﴿كُوني بَرْداً وَسَلاماً﴾**[317] **؟! فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مُكَوِّن الأملاك والأفلاك فقد كَذَّبهم اللهُ تعالى في كتابه إذ قال: ﴿لَوْ كانَ هؤُلآءِ آلِهَةً مَّا وَرَدوها﴾**[318] **فكيف يُظَنُّ بالخالق أنه يَردُها؟! تعالى اللهُ عن تجاهل المُجَسِّمَة »**[319]**.**

رابعا: وقال الإمام ابن حَزْم الأندلسي (ت 458 هـ)**: « ومعنى هذا ما قد بَيّنَهُ رسولُ الله عليه الصلاة والسلام في حديثٍ آخر صحيح أخبرَ فيه أنَّ اللهَ تعالى بعد يوم القيامة يَخْلُقُ خلقا يُدخلهم الجَنّة، وأنه تعالى يقول للجنة والنار لكُلٍّ واحدة منكما ملؤها، فمعنى القَدَم في الحديث المذكور إنما هو كما قال تعالى: ﴿ أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ، يُريد سالفَ صِدق،**

---

[312] أُنظر "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 444 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[313] أُنظر "صحيح البخاري" حديث رقم **4850** **وفيه:** « وأَمّا الجَنّةُ فإنّ اللهَ عزّ وجَلّ يُنشئ لها خلقا ».
[314] "دَفْعُ شُبَه التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي - رحمه الله- ، ص 170 – 171 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.
[315] سورة يونس: آية رقم 2.
[316] أنظر "صحيح ابن حِبّان بترتيب ابن بلبان"، مجلد 1 / ص 502 بتحقيق شعيب الأرنؤوط، عند شرح الحديث رقم **268**، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط 3 ، بيروت 1997.
[317] سورة الأنبياء: آية رقم 69.
[318] سورة الأنبياء: آية رقم 99.
[319] ذَكَرَ ذلك عنه الإمام ابن الجَوْزي في "دفع شُبه التّشبيه" له، ص 174 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

فمعناه ـ أي القَدَم- الأُمّة التي تَقدم في عِلمه تعالى أنه يَملأ بها جهنم، ومعنى رِجْله نحو ذلك، لأنَّ الرِّجْلَ الجماعة في اللغة، أي يضعُ فيها الجماعة التي سَبقَ في عِلمه تعالى أنه يملأ بها جهنم »[320].

وعلى هذا فجهنم تمتلئ بآخر رِجْلٍ، أي جماعة، أو فوج مِن الكفار، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذينَ كَفَرَواْ إلى جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾[321]، أي جماعات.

وفي تمام هذا الموضوع أوَدُّ أن أنقلُ تفسير الشيخ المُجَسِّم محمد خليل هرّاس مِن باب الاطلاع على عقيدة المُجَسِّمَة، حيث قال في تفسير الحديث المذكور ما نصه: [قوله: « لا تزالُ جهنم » إلخ: في هذا الحديث إثباتُ الرِّجْل والقَدَم للهِ عَزَّ وجَلّ، وهذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات فتثبت للهِ على الوجه اللائق بعظمته سبحانه، والحِكمة في وضع رِجْله سبحانه في النار أنه قد وَعَدَ أن يملأها كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنّاسِ أجْمَعينَ ﴾[322]][323].

الرَّد: كلامُ الشيخ هرّاس يَنصُّ على أنَّ اللهَ سيضع رِجْله في النار لكي تمتلىء، واستشهد الشيخ هرّاس على ذلك بالآية الكريمة أعلاه، مع أنّ الآية حُجّة عليه وليست دليلا له على افترائه، فالآية تَنُصُّ على أنَّ اللهَ سَيَملأُ جهنم بالجنّ والإنس، أي بكُفّارهم، وليس بقدمه، سبحانه وتعالى عن الأعضاء وافتراءات المُجَسِّمَة.

الوَجْه: قال الرسولُ ﷺ: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجتَنِبِ الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورَته »[324]، وفي رواية: « إذا ضَربَ أحدُكُم فليَجتَنِبِ الوجه، فإنَّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورَته »[325] ، وفي رواية: « إذا ضَربَ أحدُكُم فليَجتَنِبِ الوجه، ولا يَقُل: قَبَّحَ اللهُ وجهَكَ، ووجه مَن أشبه وجْهَك، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورتِه »[326]، بهذا الحديث نَسَبَ الشيخ ابن تيمية الوجْهَ والصورة لله، وادّعى بأنَّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورة نفسه تعالى، حيث قال في كتابه "تلبيس الجهمية" تعليقا على الحديث الآنف الذِّكْر ـ برواياته المختلفة-: « هذا

---

[320] "الفِصَل في المِلَل" للإمام ابن حَزْم الأندلسي، جزء 2 / ص 167 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[321] سورة الزمر: آية رقم 71.

[322] سورة هود: آية رقم 119.

[323] "شرح العقيدة الواسطيّة"، ص 408 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 124.

[324] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **2559**، بلفظ: « إذا **قاتلَ** أحدُكُم فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ »، والإمام مسلم في صحيحه برقم **2612**، وأخرجه الحافظ البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 370، واللفظ له، وابن خزيمة في "**التّوحيد**" ص 36 بتحقيق محمد خليل هرّاس (**طبعة دار الكتب العامية، بيروت 1992**) بلفظ: « ذا **ضرب** أحدكم ... ».

[325] أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" له، ص 371 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[326] المرجع السابق، ص 371، و "التّوحيد" لابن خزيمة، ص 36 - 37.

الحديث لم يَكُن بين السَّلفِ مِن القرون الثلاثة نِزاعٌ في أنَّ الضَّميرَ عائدٌ إلى الله -!-، فإنه مُستفيضٌ مِن طُرُق مُتعددة عن عددٍ مِن الصحابة، وسياق الأحاديث كُلِّها يدلُّ على ذلك. وهو أيضا مذكور فيما عند أهل الكتابين مِن الكتب، كالتوراة وغيرها»[327].

الرَّد: 1. قوْلُ ابن تيمية: « هذا الحديث لم يكن بين السَّلف مِن القرون الثلاثة نِزاعٌ في أنَّ الضميرَ عائدٌ إلى اللهِ » هو ادعاءٌ باطل، ومِن الدّليل عليه أنه نفسُه ذَكَرَ[328] أنّ أبا ثوْر (ت 240 هـ) وابن خزيمة (ت 311) وأبا الشيخ الأصبهاني (369 هـ)، و**غيرهم**، أرجعوا الضمير إلى المضروب وليس إلى الله تعالى.

وقال الإمام الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في كتابه "فتح الباري" ما نصه: « واختُلِفَ في الضَّمير على مَن يعود؟ فالأكثرُ على أنه يعود على **المَضروب** لِما تَقَدّم مِن الأمْر بإكْرام وجْهِه، ولولا أنَّ المُرادَ التَّعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها»[329].

2. وقوْلُ ابن تيمية: « فإنه مُستفيضٌ مِن طُرق مُتَعدِّدة عن عدد مِن الصحابة »، هو مُجَرّدُ ادعاءٍ ليس له أساسٌ مِن الصِّحة، ولو كان إرجاعُ الضّمير إلى اللهِ في الحديث السابق مُستفيضا عن عدد مِن الصحابة، ومِن طُرُق متعددة، لذكَرَ ابن تيمية ذلك، ولتَواتر أو اشتهر عند الرُّواة العدول الضابطين مِن سَلفِ أهل السُّنّة. وفي صفحة **1148** (المرجع السابق، الوجه الثامن) ذكَرَ ابن تيمية بخصوص ذلك أثراً عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: [وقوْلُ ابن عباس فيما يَذكُرهُ عن اللهِ تعالى: « تَعْمَدُ إلى خَلْقٍ مِن خَلْقي، خلقتهم على صورتي فتقول لهم: اشربوا يا حمير »]. هذا الأثرُ مردودٌ بالإجماع، لأنّ ابن تيمية قد أورده دون ذِكْر السَّنَد - ودون المناسبة-، ولو كان السَّنَدُ غيرَ معلولٍ لذَكَرهُ كما ذَكَرَ أسانيد الرِّوايات المختلفة للحديث السابق: « إذا ضرب أحدكم ... »، وكما هو معلوم يُحكم على الحديث أو الأثر بالصِّحة أو بالوضع أو بالنَّكَارة استناداً إلى الإسناد والمَتْن، قال الإمام عبدالله بن المبارك: « الإسنادُ مِن الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء»[330].

ومَتْنُ الأثر السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما مُنْكَر، لأنّ فيه تصريحٌ بأنَّ البَشَرَ مخلوقون على صورة الله! وهذا لا يَصحُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، لأنه نَزَّهَ اللهَ عن الصّورة، وهي التّركيب مِن أجزاء كالوجه والعين واليد، ومِن الدّليل عليه أنه فسّر لفظ اليد المضاف إلى

---

327 "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1131 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

328 المرجع السابق، ص 1132.

329 "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **2559**: « إذا قاتل أحدُكُم فليجتَنبِ الوجهَ».

330 **المرجع**: "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 429، **الناشر**: دار الفكر، ط 4 ، بيروت 1981.

الله بالقوة وليس باليد الحقيقية، أي العضو، وفَسّرَ لفظ الوجه بالذّات وليس بالعضو، ولفظ العين بالحراسة وليس كأداة رؤية، كما سبق بيانه.

3. وقوْلُ ابن تيمية: « وسياق الأحاديث كُلها يَدُلُّ على ذلك » معناه أنَّ آدمَ عليه السلام خُلِقَ على "صورة" الله! ولقد صَرّح ابن تيمية بذلك في موضع آخر، فقال: « وهذه الوجوه كُلِّها مع أنها مبطلة لقول مَن يُعيد الضمير في قوله إلى آدم[331]، فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ على صورة نفسه »[332]، كلامُ ابن تيمية هذا معلومٌ فساده مِن الدّين بالضرورة، وأيضا سياق الأحاديث يُدُلُّ على أنّ الضّميرَ في "صورته" راجع إلى المضروب وليس إلى الله، وبيان ذلك كالآتي، واللهُ وليُّ التوفيق:

أولاً: اللهُ الخالق مُنَزَّهٌ عن الصّورة، قال إمامنا الحافظ والفقيه أبو بكر البَيْهَقي (ت 458 هـ)**: « الصُّورة هي التّركيب، والمُصوَّر - هو- المُرَكَّب، قال اللهُ تعالى:﴿ يآ أَيُّهَا الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَريم ِ، الَّذي خَلقكَ فسَوَّاكَ فعَدَلكَ، فيٓ أيِّ صُورَةٍ مَا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[333]، ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مُصَوَّراً ولا أن يكون له صورة، لأنَّ الصّورة مختلفة، والهيئات متضادة، ولا يجوز اتصافه بجميعها لتضادها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلّا بمُخَصِّص، لجواز جميعها على مَن جاز عليه بعضها، فإذا اختَصَّ ببعضها اقتضى مُخَصِّصاً خَصَّصَهُ به، وذلك يوجب أنْ يكون مخلوقا، وهو مُحال، فاستحال أن يكون مُصَوَّراً، وهو الخالقُ البارئ المُصَوِّر »[334].**

- **وقال إمامنا الحافظ والفقيه أبو سليمان الخَطّابي** (ت 388 هـ)**: « فإنَّ الذي يجبُ علينا وعلى كُلِّ مسلم أن يعلمه أنَّ ربّنا ليس بذي صورة ولا هيئة، لأنَّ الصورة تقتضي الكَيْفِيّة وهي عن اللهِ وعن صفاته مَنْفِيّة »[335].**
- **وقال إمامنا الحافظ والمُفسِّر عبدالرحمن بن الجَوْزي** (ت 597 هـ) **في كتابه "دفع شُبَه التّشبيه": « إعلم أنه يجبُ على كُلِّ مسلم أن يعتقد أنَّ اللهَ سُبحانه تعالى لا تجوز عليه الصورة التي هي هَيْئَة وتأليف »[336].**

---

331 المقصود بذلك هو أنّ بعضَ العلماء وضعوا احتمالاً وهو أنّ الضَّميرَ في كلمة "صورته" يعود إلى آدم عليه السلام، وذلك وفقا للقاعدة اللغوية، وهي إعادةُ الضمير إلى أقرب اسم صريح، وفي الحديث المذكور أقرب اسم صريح هو آدم عليه السلام. **والصحيح** هو أنّ الضمير يعود إلى المضروب، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

332 "تلبيس الجَهْمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1150 تلبيس الجهمية مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

333 سورة الانفطار: آية رقم 6 – 8.

334 "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي، باب ما ذُكِر في الصورة ، ص 369 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 15.

335 المرجع السابق، ص 376.

336 "دفع شُبه التشبيه"، ص 159 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

● **وقال إمامنا الأصولي أبو الحسن الأشعري** (ت 324 هـ)**: « ليس لـه صورة تُقال، ولا حَدٌّ يُضرَبُ له المِثال »**[337]**.**

ثانيا: وعلاوة على ذلك: لو كان لله صورة، أي أنَّ ذاتَه مُركّبة مِن أجزاءٍ وأعضاء كالوجه والعين واليد والساق والقدَم لجاز الفناء عليها كُلِّها سوى الوجه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾، ولقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾، فهل يُعقل أنْ تفنى أعضاءُ اللهِ الخالق - هذا إن كانت له أعضاء -، أو صفاته العَيْنِيّة، يا ذوي العقول؟! بالتأكيد لا. إذن لفظُ الوجه المُضاف إلى الله هو عِبارة عن الله، كما قال الأئمة ابن عباس رضي الله عنهما **ومجاهد والضّحاك بن مُزاحم وابن الجَوْزي والنَّوَوي وابن حَجَر العسقلاني، وغيرهم كثير.**

ثالثا: وِفْقَ عقيدتنا نحن أهل السُّنة أنّ اللهَ خلقَ كُلَّ العالم على غير مِثالٍ سابق، وهذه العقيدة داخلة في معنى اسمه تعالى "البديع"، قال إمامنا الفقيه المُجتهد أبو عبدالله الحَليمي (ت 403 هـ) **في معنى "البديع": « إنه المُبْدِعُ وهو مُحْدِثُ ما لم يَكُن مِثله قط ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَديعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي مُبْدعهما، والمُبْدع مَن له إبداع »**[338]**.**

فلو خَلَقَ اللهُ آدمَ - وهو جزءٌ مِن العالم- على صورة نفسه لكانت خِلْقَةُ آدم عليه السلام **على مِثالٍ سابق، أي على "صورة" الله، وهذا باطلٌ لأنه مُخالفٌ لمعنى اسمه تعالى "البديع". وعلاوة على ذلك: لازمُ القوْل أنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على"صورة" نفسه هو أنَّ اللهَ لم يَكُن قادراً على إبداعه على صورة أُخرى، والتزامُ هذا الأمر كُفْر.**

رابعا: سِياقُ الأحاديث يَدلُّ على أنّ الضميرعائدٌ إلى المضروب وليس إلى اللهِ كما ادّعى ابن تيمية، قال الرسولُ صلى الله عليه وسلم**: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجهَ، فإنَّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورته »**[339]**، وفي رواية: « إذا ضربَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجه، فإنّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورته »**[340] **، وفي رواية: « إذا ضَربَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجْهَ، ولا يَقُل: قبَّحَ اللهُ وجهكَ، ووجهَ مَن أشبهَ وجْهكَ، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته »**[341]**، وفي رواية ابن أبي عاصم**

---

[337] "الإبانة عن أصول الديانة" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 5 بتعليق عبدالله محمود محمد عمر، **الناشر**: دار الكتب العلمية، بيروت.

[338] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 40 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[339] رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2612** ، وأخرجه الإمام الحافظ البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 370، واللفظ له، وابن خزيمة في "كتاب التّوحيد"، ص 37 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 324.

[340] أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 371 .

[341] أخرجه ابن خُزيمة في "كتاب التّوحيد" له، ص 36 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 324.

بلفظ: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجْهَ فإنّ اللهَ خلق آدمَ على صورة وجهه »[342]. ولقد ذكَرَ الإمام الحافظ ابن الجَوْزي في "دفع شُبه التشبيه" لـه مناسبة الحديث فقال: « أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ برجلٍ يَضربُ رجلاً وهو يقول: قبَّحَ اللهُ وجهكَ، ووجهَ مَن أشبهَ وجْهكَ،، فقال: «إذا ضَربَ أحدُكُم فليَتقِ الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ على صورته »][343].

وقال الإمام ابن الجَوْزي مُعلِّقا على الحديث: « وإنّما خَصَّ آدمَ بالذِّكْر، لأنه هو الذي أُبْتدِأت خِلْقةُ وجهه على هذه الصورة التي أُحْتُذِيَ عليها مِن بعده، وكأنـه نَبّه على أنك سَبَبْتَ آدمَ وأنت مِن أولاده وذلك مبالغة في زجره، فعلى هذا تكون الهاءُ كِناية عن المضروب، ومِن الخطأ الفاحش أن تُرجع إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ »[344].

وبنحو هذا التّفسير قال أيضا الحافظ ابن خزيمة في كتابه "التّوحيد": « توَهَّمَ بعضُ مَن لم يَتبَحَّر العِلم أنَّ قوله «على صورته» يُريد صورة الرَّحمن، عَزَّ وجَلَّ عن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «خَلقَ آدمَ على صورته» الهاء في هذا الموضع كِناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد عليه الصلاة والسلام أنّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورة هذا المضروب، الذي أُمِرَ الضاربُ باجتناب وجهه بالضَّرب، والذي قبّح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: ووجه مَن أشبه وجهك، لأنّ وجهَ آدم شبيهُ وجوه بنيه، فإذا قال الشَّاتمُ لبعض بني آدم: قبَّحَ اللهُ وجهَكَ ووجه مَن أشبَهَ وجهك، كان مُقبِّحاً وجهَ آدمَ صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهٌ بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم اللهُ تعالى معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تُغالطوا فتضلّوا عن سواء السَّبيل وتَحْملوا على القول بالتَّشبيه، الذي هو ضلال »[345].

وبنحو تفسير الحافظ ابن خزيمة والحافظ ابن الجَوْزي قال أيضا الحافظ والفقيه أبو سليمان الخَطّابي[346].

ولكن كان للشيخ ابن تيمية رأيٌ آخر، فقد طعن في تفسير ابن خزيمة الآنف الذِكْر، فقال: [وقوله في التّأويل: «أراد ﷺ أنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورة هذا المَضروب، الذي أُمِرَ الضاربُ باجتناب وجهه بالضَّرب، والذي قبّح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول ووجه مَن أشبه وجهك». يُقالُ لـه: لم يتقدم ذِكْرُ مَضروبٍ فيما رويته عن النَّبيّ ﷺ ولا في لفظه ذُكِرَ

---

[342] ذَكّرَ ذلك الإمام ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري"، عند شرح الحديث رقم **2559**، جزء 5 / ص 229 (في آخر خمسة سطور) مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

[343] "دفع شبه التشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 144 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[344] المرجع السابق، ص 145.

[345] "كتاب التوحيد" لابن خزيمة، ص 37 – 38 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 324.

[346] راجع "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي – رَحِمَهُ اللهُ - ، ص 371 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

ذلك، بل قال: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجهَ، فإنّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورته »، ولم يَقُل: إذا قاتل أحدُكُم أحداً وإذا ضربَ أحداً][347].

الرَّد: أولا: قَوْلُ ابن تيمية: «لم يتقدم ذِكْرُ مضروب» هو مِن أعجب العجب، وأمْرهُ كُلّه عجب، فالحديث يدور حول ضَرْبِ الوجه - وتقبيحه[348] -، وقَوْلُ الرسول ﷺ: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجه... »، وفي رواية: « إذا ضربَ أحدُكُم... » يدلُّ على ذلك، فإذا كان هناك ضَربٌ، فلا بُدَّ مِن وجود ضارب، وإذا كان هناك ضاربٌ فلا بد مِن وجود مضروبٍ، والرسول ﷺ الذي أُوتيَ جوامع الكَلِم لَمْ يكن بحاجة إلى أن يقول: " إذا قاتل أحدُكُم أحَداً أو إذا ضربَ أحدُكُم أَحَداً..." كما كان يشتهي الشيخ ابن تيمية، فعندما قال الرسول ﷺ: « فإذا قتلتم فأحْسِنوا القِتْلة، وإذا ذَبَحتُم فأحسنوا الذِّبْحَ »[349]، دَلَّ كلامه على وجود إنسانٍ يقع عليه فِعلُ القَتل، وعلى وجود بهيمة أو طير يقعُ عليه فِعلُ الذّبح، ولم يكن الرسول ﷺ بحاجة إلى أن يقول: إذا قتلتم إنساناً فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم بهيمة أو طيراً فأحسنوا الذّبح. فالرسول ﷺ كان يُخاطب قوماً بأسلوب لغتهم في الكلام، وكانوا يفهمون ما يقول. فعندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام للصحابية أم حارثة رضي الله عنها: « القَصاصُ كتابُ اللهِ»[350] فهمت الصحابية مِن قوله ﷺ أنّ القصاصَ هو حُكْم كتابِ الله، ولم يكن الرسول ﷺ بحاجة إلى أنْ يذكر كلمة "حُكْم"، لأنّ موضوع الحديث كان يدور حول الحُكم في حادثة معينة. وهكذا الأمر في حديث "الصورة" السابق الذِكْر.

ثانيا: ابن تيمية كان يريد حديثا مُحْكَماً فيه ذِكْرُ مضروب، كالقول: " إذا قاتل أحدُكُم أحَداً وإذا ضربَ أحَداً "، ولقد وَرَدَ بالفعل ذِكْرُ مضروب كما في رواية الإمام مسلم في صحيحه، مِن طريق أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا قاتلَ أحدُكُم أخَاهُ فليَجْتَنِب الوَجْهَ»[351]، وفي رواية: «إذا ضَرَبَ أحدُكُم ... » بدلاً مِن "قاتلَ"، وفي رواية: « إذا قاتلَ أحدُكُم أخَاهُ ، فلا يَلطِمَنَّ الوَجْهَ »، وفي رواية: « إذا قاتلَ أحدُكُم أخَاهُ ، فليَجتَنِبِ الوجهَ،

---

[347] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1142 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[348] قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري"، جزء 5 / ص 229 عند شرح الحديث رقم **2559** (آخر فقرة) ما نصه: « وقد أخرج **البخاري** في "الأدب المفرد" **وأحمد** من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة مرفوعا: "لا تقولن قبّحَ اللهُ وجهَكَ ووجه مَن أشبهَ وجهك فإنّ اللهَ خَلقَ آدمَ على صورته"، **وهو ظاهر في عَوْدِ الضمير على المَقول له ذلك ».**

[349] رواه الإمام أحمد في مُسنده برقم **17113** و **17116**، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، "مُسند الإمام أحمد بن حنبل"، بإشراف شعيب الأرنؤوط، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت 1999.

[350] أنظر صحيح مسلم، رقم الحديث **1675**، وصحيح البخاري برقم **4500** و **4611** بلفظ: **"**كتابُ اللهِ القصاص**".**

[351] أُنظر "صحيح مسلم"، كتاب 45: البر والصلة، باب 32: النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم **2612 – بروايا‍ته المتعددة - .**

فإنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ على صورَتِه»، أي على صورة المضروب كما هو واضح، وليس على صورة الله، ولا يُنكر ذلك إلّا معتوهٌ أو مُجسِّم. وابن تيمية لم يتعرض لروايات الإمام مسلم الآنفة الذِّكْر، لأنها حُجّة عليه.

فصل

حديث: « لا تُقَبِّحوا الوجهَ، فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورة الرَّحمن »

هذا الحديث ذكَرَهُ ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجهمية" عن المُجسِّم أبي بكر الخَلّال عن حرب بن إسماعيل الكِرْماني عن إسحاق بن راهويه، قال إسحاق: «حدثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء - بن أبي رباح - عن ابن عمر، عن الرسول ﷺ قال: « لا تُقَبِّحوا الوجهَ، فإنَّ اللهَ خلقَ آدم على صورة الرَّحمن »][352].

هذا الحديث مطعونٌ في إسناده: قال الحافظ ابن خزيمة، « وروى الثَّوْريُّ هذا الخبرَ مُرْسَلا غير مُسْنَد ... - إلى أن قال- : فإنَّ للخبر عِللاً ثلاثا: إحداهن: أنّ الثَّوْريّ قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسلَ الثَّوْريُّ ولم يَقُل عن ابن عمر. والثانية: أنّ الأعمش مُدَلِّس، لم يَذْكُر أنه سمعه مِن حبيب بن أبي ثابت. والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضا مُدَلِّس، لم يُعْلِم أنه سمعه مِن عطاء»[353]. فالحديث أعلاه إسناده ضعيف، وبالتالي فهو مردود.

ومَتْنُ الحديث السابق بلفظ "على صورة الرَّحمن" مُنْكَر، لأنه يتناقض مع مَتْن الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (بروايات مختلفة) مِن طريق أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجه، فإنّ اللهَ خَلقَ آدمَ <u>على صورته</u>». وفي رواية ابن خزيمة، أيضا مِن طريق أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ عليه الصلاة والسلام قال: «إذا ضربَ أحَدُكُم <u>فليَجْتَنِب</u> الوجه، <u>ولا يَقُل: قبّحَ اللهُ وجهَكَ، ووجهَ مَن أشبهك</u>، فإنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته»[354]. وفي رواية ابن أبي عاصم مِن طريق أبي رافع، أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: « إذا قاتلَ أحدُكُم فليَجْتَنِب الوجه فإنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورة وجهه»[355].

---

[352] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1141 ، طبعة الدار العثمانيّة، ط 1.
[353] "كتاب التوحيد" لابن خزيمة، ص 38 بتحقيق محمد خليل هرّاس.
[354] "كتاب التوحيد" لابن خزيمة، ص 36 بتحقيق محمد خليل هرّاس.
[355] ذَكَرَ ذلك الإمام ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري"، جزء 5 / ص 183 (في آخر خمسة سطور) عند شرح الحديث رقم **2559**.

فالرسولُ ﷺ إنَّما قال لفظا واحدا: إما "على صورته"، أو "على صورة وجهه" أو "على صورة الرَّحمن"، واللفظ الأخير لا يَصِح لأنَّ في سَنَدِه مُدلِّسان، ومَتْنُه مُنْكر، لأنَّ فيه تصريحٌ بالتّشبيه.

وعلاوة على ذلك: مَتْنُ (أي نَصُّ) الحديثِ المُدَلَّس، أي بلفظ: "على صورة الرَّحمن" فيه تصريحٌ بأسماء ثلاث ذوات: اللهُ، وآدم والرّحمن، وعلى هذا يكون معنى الحديث: اللهُ خَلَقَ آدمَ على صورة الرَّحمن، وكأنّ الرّحمنَ غيرُ الله! وهذا يَدُلُّ على أنّ راوي هذا الحديث المُدَلَّس قد روى لفظ "على صورته" بالمعنى الذي فهمه، أي بلفظ "على صورة الرَّحمن".

المانع مِن تقبيح وجه المضروب

كما سبق ذِكْره، المانع مِن تقبيح الوجه في قوله ﷺ: « ولا يَقُل: قبّحَ اللهُ وجهك، ووجهَ مَن أشبهك، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته » هو مُشابهةُ وجْهِ المشتوم لوجه أبي البشر آدمَ عليه السلام. ولكنّ ابن تيمية جَعلَ المانع مِن تقبيح وجْهِ المضروب هو مشابهته لوجه الله، حيث قال: « الوجه السابع: أنّ قوله - ﷺ -: « لا يقولنّ أحدُكُم قبّحَ اللهُ وجهكَ ووجهَ مَن أشبه وجهَكَ فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته »، يَدُلُّ على أنّ المانعَ - مِن التّقبيح - هو مُشابهة وجهه لصورة الله »[356]، ومعنى كلام ابن تيمية هذا هو أنَّ وجوهَ البَشَر تُشبهُ "وجْهَ" الله!! واستشهد ابن تيمية لدعم عقيدته الفاسدة بنَصٍّ مِن سِفر التّوْراة المُتداولة المُحرّفة، فقال: « وأيضا فهذا المعنى عند أهل الكتاب مِن الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتّوْراة فإنَّ في السِّفر الأول منها: "سَنخلقُ بشراً على صورتنا يُشبهها"[357]»[358].

وأخيراً: إمّا أن يأخذ القارئ بعقيدة أهل السُّنّة، فيُنَزِّهُ اللهَ عن الصّورة، التي هي التّركيبُ مِن أجزاءٍ كاليد والوجه، أو يعتنق عقيدة ابن تيمية والتي تَنُصُّ على أنّ آدمَ عليه السلام وذريته مخلوقون على صورة الله! نعوذ باللهِ مِن هذه العقيدة، ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ﴾، والحمدُ للهِ على عقيدة التَّنْزيه.

---

[356] "تلبيس الجَهْمِيّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1177 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[357] سِفر التّكوين، الأصحاح الأول، جملة رقم 26 ، بلفظ : "وقال اللهُ: نعملُ الإنسانَ على صورتنا كشَبَهِنا ".

[358] "تلبيس الجَهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1150.

العَيْن: لقد نَسَبَ ابن تيمية في العديد مِن رسائله (كما في الفَتوى الحَموية والعقيدة الواسطية) وكتبه (كما في تلبيس الجهمية) العَيْنَ لله، واستدلَّ على ذلك بآياتٍ كريمة، كقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ ﴾[359]، وقوله تعالى: ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا﴾[360]، وغيرهما مِن الآيات، واستشهد ابن تيمية بأقوال إمامه في التّجسيم أبي سعيد عثمان بن سعيد الدّارميّ للبرهنة على وجود عَيْنٍ لله، حيث قال في كتابه "تلبيس الجهمية"ناقلا عن إمامه المذكور، مُستحسنا ومُقِرّاً له، ما نصه: « وأمّا تفسيرك[361] عن ابن عباس في قوله - تعالى- : ﴿فإنَّكَ بأعْيُنِنا﴾ أنه قال: بحفظنا وكلاءتنا: فإن صَحَّ قولك عن ابن عباس فمعناه الذي ادّعينا – يقصد وجودَ عَيْن لله – لا ما ادعيت أنت، نقول بحفظنا وكلاءتنا: بأعيننا، فإنه لا يجوز في كلام العرب أنْ يُوصف أحدٌ بكلاءةٍ إلّا وذلك الكالئُ مِن ذوي الأعين، فإن جهلت فسمِّ شيئاً مِن غير ذوي الأعين يُوصف بالكلاءة »[362].

الرَّد: إنَّ معنى كلام أبي سعيد الآنف الذِّكر هو: فكما أنَّ الإنسانَ يوصف بالحِفظ والرِّعاية، وله عينان، فكذلك للهِ عينان لأنه يُوصف بالكلاءة! وهذا كلامٌ مُنْكر، بل ضلال لأنّ فيه قياسَ اللهِ الخالق على المخلوق لإثبات صفاته تعالى. نحن أهل السُّنّة نُنَزِّهُ اللهَ عن صفات المخلوقات، ولهذا لا قياسَ للخالق على المخلوق لإثبات صفاته تعالى، ولو جاز ذلك لأجزنا أن يكون لله لسانٌ ولُهاة وأوتارٌ صوتية لأنه يتكلم.

لهذا أقول: فسمّ يا أبا سعيد، بل يا أبا الضّلال، شيئاً مُتكلما ليس له شفاهٌ ولسانٌ وأوتارٌ صوتية. الإنسان يتكلم، وله أدواتٌ للكلام كالأوتار الصوتية واللسان، واللهُ يتكلم، فهل يعني هذا أنَّ للهِ أوتاراً صوتية ولسانا؟! سبحانه عن ذلك.

وسَمِّ يا أبا سعيد شيئا مِن غير ذوي الآذان يُوصف بالسَّمع؟ الإنسان يوصف بالسَّمع، وله أذنان، بهما يسمع.

واللهُ يسمع، فهل نَنْسبُ للهِ الآذان والقناة السّمعية والطبلة؟ بالتّأكيد لا، لأنّ ذاتَ اللهِ الخالق مُغايرةٌ تماما لذوات المخلوقات، هذه عقيدتنا نحن أهل السُّنّة، والمُجَسِّمة يَدّعون ذلك، ولكن مِن باب الخداع. فيقولون: اللهُ يختلفُ عن المخلوقات، لذلك له يدان ليستا كيدي

---

[359] سورة طه: آية رقم 39.

[360] سورة هود: آية رقم 37.

[361] هنا يوجه أبو سعيد كلامَه إلى بِشر المَريسي (ت 218 هـ) مِن المُعتزلة المُرجئة، وكان يقول بخُلْقِ كلام الله. وقد نَزّهَ المُعتزلة اللهَ عن الجِسْميّة والأعضاء، ولكنهم **ضَلّوا** بنَفيهم لصفات الله كالعِلم والإرادة والسّمع، وقد ضَلّ أيضا أبو سعيد الدّارمي بإثباته الأعضاء والمكان والحركة والارتفاع والهبوط لله تعالى، **فضالّ رَدَّ على ضال.**

[362] "تلبيس الجَهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1022مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

المخلوق، وله أصابع لا تُماثل أصابع المخلوق، وله عينان تليقان بجلاله، وله ساقٌ، وله قَدَمٌ حقيقية - يضعها في جهنم لتمتلئ -! فأين أنتم يا مُجَسِّمَة مِن قَوْلِ اللهِ الحَقّ: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلَّا وجْهَهُ ﴾ ؟ فهل يُعقل أن تهلك يدا الله وأصابعه وعيناه وساقه وقدمه - هذا إن كانت له أعضاء - ولا يبقى سوى وجهه؟! سبحانه عن الأعضاء، وصفات المخلوق. ومعنى الآية، كما سبق ذِكْره، هو: كُلُّ شيء فانٍ سوى الله، فالوجه كِناية عن الله، وهذا هو تفسير الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره مِن علماء أهل السُّنّة، كما سبق ذِكْره.

وبناء على ذلك: قوْلُ أبي سعيد: « فسمِّ شيئاً مِن غير ذوي الأعين يوصف بالكِلاءة» هو تلبيسٌ مِن تلبيسات إبليس على عوامّ الناس لإثبات العين كعضو لله.

فصل

ابن تيمية يدّعي أنّ التَّجسيمَ والتَّشبيه غيرُ مذمومَيْن

بناءً على ما سبق يتبيّن أنّ مذهبَ الشيخ ابن تيمية العقائدي كان مؤسسا على التَّجسيم والتّشبيه، ولهذا ادّعى ابن تيمية أنَّ التّجسيم والتّشبيه غيرُ مذمومَيْن! حيث قال في كتابه "تلبيس الجهميّة" ما نصه: « ولم يذم أحدٌ مِنَ السَّلف أحداً بأنه مُجَسِّم ولا ذمَّ المُجَسِّمَة»[363]، هكذا إذن! وقال أيضا (المرجع السابق)**: «وإذا كان كذلك فاسمُ المُشبِّهة ليس له ذِكْرٌ بذم في الكتاب والسُّنَّة ولا كلام أحد مِن الصحابة والتّابعين، ولكن تكلم طائفة مِن السَّلف مثل عبدالرّحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ونُعَيم بن حمّاد، وغيرهم بذم المُشَبِّهة، وبيّنوا المُشَبِّهة الذين ذموهم، أنهم الذين يُمثِّلون صفاتَ اللهِ بصفات خلقه»[364]. وقال أيضا** (المرجع السابق)**: « ... ومِمّا يُبيّن ذلك أنه ليس في كتاب الله ولا سُنّة رسوله، ولا كلام أحد مِن الصحابة والتّابعين، ولا الأكابر مِن أتباع التّابعين، ذَمُّ المُشبِّهة وذمّ التّشبيه، أو نَفْيُ مذهب التّشبيه،»[365].**

وللرَّد على هذه الإدعاءات الباطلة لا بُدَّ مِن مقدمة بسيطة، واللهُ المُوَفِّق:

- **عندما يقول إنسان: اللهُ يتحرك، فهذا تشبيه، لأنه شَبَّه اللهَ الخالق بالمخلوق، ووجْهُ الشَّبَهِ هو صفة الحركة. ولا يُجدي القول بعد ذلك: ليس كحركتنا، أو كما يليق بجلاله، فمِمّا لا شك فيه أنه لا يليق بجلال الخالق صفات المخلوق ومنها الحركة (والجلوس والقيام).**

- **وعندما يقول إنسان: للهِ يدٌ حقيقية أي عضو، أو لله يدٌ كصفة عَيْنِيّة، فهذا مِن ناحية تشبيه، وذلك بنسبة وصفٍ ثابتٍ للمخلوق وهو اليد إلى اللهِ الخالق، ومِن ناحية أخرى أيضا تجسيم، لأنَّ اليدَ الحقيقية هي العضو، واليدُ العضو شيءٌ ماديّ أي جسم.**

فالتّشبيهُ عند أهل السُّنَّة هو نسبةُ معنى صفة أو وصف ثابت للمخلوق إلى الله تعالى[366].

---

[363] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 132 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[364] المرجع السابق، جزء 1 / ص 138.

[365] المرجع السابق، جزء 2 / ص 1166.

[366] قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478 هـ) ناقلا عن الإمام أبي الحسن الأشعري ما نصه: « قلنا: قال أبو الحسن الأشعري في بعض كتبه: نُسميهم - أي غلاة المُجَسِّمة - مُشَبِّهة وإن لم يُصرِّحوا بلفظ التّشبيه بل أبوه وامتنعوا منه، **فإنّ الأُمّة مُجمعة على أنّ مَن أثبتَ للهِ الجوارح والأعضاء، والصورة واللحم والدم والتّأليف، فقد شبَّه رَبَّه بخلقه،** فلا ينفعه بعد ذلك نفي سِمَة التَشبيه عن نفسه بالقول: بأنه جسم وشخص **بلا كيف**، أو أنه على صورة إنسان **بلا كيف** »، ذَكَرَ ذلك عنه ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجهميّة"، جزء1 / ص137.

يتبع ←

أما التّشبيهُ عند المُجَسِّمَة[367] فهو أن يقول إنسان مثلا: اللهُ يتحرك كحركتي أو مثل حركتي، فالمُجَسِّمَة ينسبون الحركة للهِ ولكن ينفون فقط أن تكون حركته مِثْل حركة المخلوق.

أو أنْ يقول إنسان مثلا: لله يدٌ كيدي، بمعنى أنَّ للهِ يداً مِثل يد المخلوق في الشَّكل والجنس، أي من لحم ودم وعظم. فالمُجَسِّمَة يَنسِبون أيضا الأعضاء لله ولكنهم ينفون فقط المُماثلة بينها وبين أعضاء المخلوق، قال ابن تيمية في "مِنهاج السُّنَّة" له: « مَنْ جَعلَ صفاتَ الخالق مِثل صفات المخلوق فهو المُشَبِّه المبْطل المَذموم»[368]. وهذا الكلام هو نفس معنى ادعاء ابن تيمية أنّ طائفة مِن السَّلف مثل عبدالرّحمن بن مهدي ويزيد بن هارون وغيرهم ذمّوا المُشَبِّهة «الذين يُمثِّلون صفاتَ اللهِ بصفات خلقه»، يُريد ابن تيمية بهذا الكلام أن يوهم القارئ أنَّ الأئمة المذكورين أثبتوا التّشبيهَ مع نَفْي المُماثلة، وعلى هذا فالذي يُشبِّهُ الله بخلقه بنسبة الأعضاء إليه (كاليد مثلا) وينفي المُماثلة بين أعضاء الله وأعضاء المخلوق فهو مُشَبِّهٌ غير مذموم! والمُشَبِّه المذموم هو فقط مَن يقول أنَّ أعضاء الله مِثل أعضاء المخلوق في الهيئة والحقيقة. فابن تيمية كان ينفي فقط المُماثلة وليس التَّشبيه، لذلك قال: « وإذا كان كذلك فاسم المُشَبِّهة ليس له ذِكْرٌ بذم في الكتاب والسُّنَّة ولا كلام أحدٍ مِن الصحابة والتّابعين»، هذا ما أردّتُ الإشارة إليه.

- **فقول ابن تيمية السابق أنّ التّشبيهَ ليس له ذِكْرٌ بذم في القرآن السُّنَّة ولا في كلام أحد مِن الصحابة والتّابعين وأنّ التّجسيم ليس بالشيء المذموم هو ادعاء باطل، وبيان بُطلانه كالآتي والله وليُّ التّوفيق:**

1. قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾، وفَسَّرَ الصحابيّ الجليل أُبَيُّ بن كعب هذه الآية فقال: «لم يَكُن له شَبيهٌ ولا عِدْل - أي مِثل-»[369]، فالصحابيّ أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه**- وهو أعلم بكلام اللهِ مِن ابن تيمية - نفى التَّشبيه والمُماثلة بين اللهِ الخالق والمخلوق بقول**

→ وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي (ت 371 هـ): « لا يُظن أنَّ اللهَ ذو أعضاء وجوارح لِما في ذلك مِنْ **مُشابهة** المخلوقين، تعالى الله عن ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾» (**المرجع**: "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 4919، جزء 8 / ص 858 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

[367] كان ابن تيمية يُفضل استخدام لفظ "المُثبتة" أو "أهل الإثبات" بدلا مِن لفظ المُجَسِّمَة.

[368] "مِنهاج السُّنة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 111 بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 1، 1986.

[369] هذا جزء مِن حديث أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 49 - 50، ورواه كذلك الحاكم في "المُسْتَدرَك" برقم **4039** (طبعة دار المعرفة، ط 1، بيروت 1998) في تفسير سورة الإخلاص، وقال الحاكم عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه»، ورواه أيضا التِّرمذي في سننه برقم **3364**، وأخرجه ابن خزيمة في "كتاب التّوحيد"، ص 41 بتعليق محمد خليل هرّاس، وذكَره الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري"، جزء 13 / ص 441، عند شرح الحديث رقم **7375** ولم يعترض عليه.

اللهِ الآنف الذِّكْر. واثباتُ التّشبيه والمُماثلة هو بمثابة إثبات النَّقص لله سبحانه وتعالى، وإثباتُ النّقص للهِ شيءٌ مذموم، بل هو كُفْر.

2. قال الصحابيّ ابن عبّاس رضي الله عنهما **في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[370]، قال : «هل تعلمُ للرّبِّ مثلا أو شَبَهاً»[371]. والاستفهام في الآية الكريمة وفي كلام ابن عباس إنكاري، وانكارُ الشَّيءِ بمثابة ذَمِّه.**

3. قوْلُ الرسول صلى الله عليه وسلم **لذلك الصحابيّ الذي قال له: {ما شاءَ اللهُ وشِئت أنت}: «أجعلتني عِدْلا لله »[372]؟!، أي شريكا، فيه إشارة إلى أنّ إشراكَ اللهِ وعبده في صفة مِن الصفات - أو وصف مِن الأوصاف أو في فِعل مِن الأفعال- يُعَدُّ شِركا، واللهُ حَذَّر مِن ذلك فقال: ﴿ فَلا تَجْعَلواْ للهِ أنْداداً ﴾، أي شُركاء. فمَن قال أنَّ اللهَ جِسم، أو له يدٌ حقيقية، فقد أشركَ اللهَ ومخلوقاته في صفة الجِسْميّة، لأنَّ اليدَ (والعَيْنَ) الحقيقية جسم. والشِّرك شيءٌ مذموم، فالتّجسيم والتّشبيه مذمومان لأنهما شِرك.**

4. ذَكَرَ الحافظ الذهبي في كتابه "سِيَر أعلام النُّبلاء" عن الإمام أبي حنيفة (ت 150 هـ) **أنه قال: « أتانا مِن المَشرق[373] رأيان خبيثان، جهمٌ مُعطِّل ومُقاتل مُشَبِّه »[374] ، والرأيُ الخبيث شيءٌ مذمومٌ كما هو معلوم. ومُقاتل بن سليمان كان يقول أنَّ اللهَ ذو صورة وله أعضاء، لذلك نُسِبَ إلى التّشبيه، والتّشبيهُ يشملُ كذلك التّجسيم كما سبق بيانه.**
وقوْلُ الإمام أبي حنيفة أعلاه يَدحضُ ادعاء ابن تيمية مِن أنّ السَّلف لم يذموا التّجسيم والتّشبيه والمُجَسِّمة.

5. جاء في "طبقات الحنابلة" أنّ الإمام السَّلفي أحمد بن حنبل (ت241 هـ) **« أنْكَرَ على مَن يقول بالجسم »[375] أي أنكرَ على مَن يدّعي أنّ اللهَ جسم، وإنكارُ الشيء بمثابة ذمّه.**
وروى المُجسِّم أبو بكر الخَلّال في كتابه "السُّنّة" أنّ الإمامَ أحمد بن حنبل « قيل له: ولا يُشبهُ رَبُّنا تبارك وتعالى شيئاً مِن خلقه، ولا يُشبهه شيءٌ مِن خلقه، قال نعم،﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

370 سورة مريم: آية رقم 65.

371 أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 355 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

372 أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 182، والإمام أحمد في مُسنده بإسناد حسن، برقم **2561** ، بإشراف شعيب الأرنؤوط، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349.

373 المقصود بذلك خراسان.

374 "سِيَر أعلام النبلاء" للذهبي، مجلد 7 / ص 202 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63، ذَكَر ذلك في ترجمة مقاتل بن سليمان، رقم الترجمة **79**.

375 "طبقات الحنابلة"، مجلد 2 / ص 257 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

شَيءٌ ﴾ »[376]. فالإمامُ أحمد نَفى التّشبيه واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾. فالتّشبيهُ مَنْفيٌ بنصٍّ كتاب الله.

6. وقال الإمام السَّلفي أبو جعفر الطَّحاوي (239 هـ - 321 هـ) **في رسالة عقيدة أهل السُّنَّة: «ومَنْ وَصَفَ الله بمعنًى مِن معاني البَشر فقد كَفَر»[377]، فمثلا، معنى لفظ اليد والوجه والعين في حقِّ البشر العضو (الجارحة)، فمَن قال أنَّ معنى لفظ اليد والوجه والعين في حقِّ الله العضو فقد كَفَر، لأنّه شَبَّه اللهَ الخالق بالبشر. فالتّشبيهُ كُفْر، والكُفْر شيءٌ مذموم ولا خِلاف في ذلك. وقال الإمام الطّحاوي أيضا (في خاتمة عقيدة أهل السُّنَّة): « ونسألُ اللهَ تعالى أنْ يُثبِّتنا على الإيمان ويَختمَ لنا به، ويَعصمنا مِن الأهواء المـُختلفة، والآراء المـُتفرقة والمذاهب الرَّديَّة مِثل المـُشَبِّهَة والمُعتزلة والجَهْميّة والجَبْريّة والقَدَريّة، وغيرهم مِن الذين خالفوا السُّنَّة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم بَرَاءٌ وهم عندنا ضُلّالٌ وأرديَاء »[378]، ومُخالفة السُّنَّة والجماعة ومُحالفة الضّلالة شيءٌ مذموم، بل ضلال.**

7. عندما ذَكَرَ علماء أهل السُّنَّة في كتبهم عقائد الفِرَق الضالّة ومنها التّجسيم والتّشبيه فإنَّ هذا ذمّ . فالحُكْم بالضلال على تلك الفِرَق أو على أشخاص كان بسبب العقائد الفاسدة لتلك الفِرَق ولأولئك الأشخاص. ومِمّا لا شكَّ فيه أنّ الضّلال شيءٌ مذموم. قال الإمام الشهرستاني (ت 548 هـ) **في كتابه "المِلَل والنِّحَل" مُبيِّنا عقائد المُشَبِّهة: «... غير أنَّ جماعة مِن الشّيعة الغالية وجماعة مِن أصحاب الحديث الحَشَويّة[379] صَرّحوا بالتّشبيه مِثل الهشاميين[380] مِن الشيعة ومِثل نصر وكهمش وأحمد الهجيمي وغيرهم مِن أهل الشيعة قالوا: معبودهم صورة ذاتُ أعضاءٍ وأبعاض إمّا روحانية أو جسمانية يجوز عليه الانتقال والنُّزول والصّعود والاستقرار والتَّمَكُّن... فذَكَر الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن نصر وكهمش وأحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربِّهم المُلامسة[381] والمُصافحة ... وحكى - الكعبي- عن داود الجواربي أنه قال: إعفوني عن الفَرْج واللّحْيَة واسألوني عمّا وراء[382]**

---

[376] المرجع: "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1168 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[377] سَبقَ ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 157.

[378] المرجع السابق، ص 387 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 157.

[379] المقصود بذلك رُواة الحديث المحسوبون على أهل السُّنَّة كمقاتل بن سليمان وعثمان بن سعيد الدارمي.

[380] نِسبة إلى هشام بن الحكم الشيعي.

[381] وأيضا **ابن تيمية** قد جَوّزَ المُلامَسة بين الخالق والمخلوق، حيث قال في "تلبيس الجهمية" (جزء 2 / ص 1395) ما نصه: « بل **أكثرُ** الصِّفاتية يُجَوِّزون أنّ اللهَ يَمُس المخلوقات وتمسه كما يُجوِّزون أن يراها وتراه، بل هذا مذهب أئمة الأشعرية»، وكلام ابن تيمية هذا **هو افتراءٌ على أكثر الصفاتية وأئمة الأشعرية، لأنهم لا يُجَوِّزون المُماسّة بين الخالق والمخلوق.**

[382] المقصود بذلك أنَّ للهِ ما للإنسان مِن الأعضاء ما عدا الفَرْج واللّحْية.

ذلك، وقال: أنّ معبودهم جسمٌ ولحم ودمٌ وله جوارح وأعضاء مِن يَدٍ ورِجْلٍ ورأس ولسان وعَيْنين وأذنين ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يُشبهُ شيئا مِن المخلوقات ولا يُشبِهه شيء ... وأما ما وَرَدَ في التّنزيل مِن الاستواء والوجه واليدين والجَنْب والمَجيء والإتيان والفَوْقِيّة وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يُفهم عند الإطلاق على الأجسام »[383].

فقوْلُ المُشَبِّهة المحسوبين على أهل السُّنَّة عن الله: "جسم لا كالأجسام" وافق قوْلَ المُشَبِّهة مِن الشيعة، وبهذا القول قال أيضا ابن تيمية كما سبق بيانه. ومع أنّ المُشَبِّهة مِن الشيعة نسبوا الأعضاء لله إلّا أنهم نفوا أن تكون أعضاؤه تُشبه أعضاء المخلوق. وبهذا الرأي أخذ المُشَبِّهة والمُجَسِّمَة المحسوبون على أهل السُّنَّة كالكَرَّامِيّة حيث قالوا: « له يدٌ لا كالأيدي ووجه لا كالوجوه »[384]، وتبعهم في ذلك ابن تيمية.

وفيما ذُكِر أدلة كافية على بُطلان ادعاء ابن تيمية أنّ التّجسيم والتّشبيه ليسا بالشَّيء المذموم ولم يرد ذَمّهما في القرآن والسُّنَّة وفي أقوال الصحابة ومَن تبعهم.

تنبيه: إذا قال فلان مِن الناس: أنا لا أُثبتُ، أي لا أَنْسِبُ، الجسمَ لله، ثُمّ رأيناه بعد ذلك يَنْسبُ لله الوجْهَ والعَيْنَ واليد كأعضاء أو كصفات عَيْنِيّة فهو مُجَسِّم، حتى لو قال بعدها: ليس كوجوهنا أو ليس كأعيننا أو له يدان تليقان بجلاله.

وفيما يلي أدلة نقليّة مِن القرآن الكريم والسُّنَّة النبويّة الشريفة ومِن أقوال علماء السَّلف والخَلف، وأدلة عقلية تُثبتُ تنزيه اللهِ عن الأعضاءِ والجسم، واللهُ المُوَفِّق:

1. قوله عزّوجلّ: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾[385]. كلمة شيء تُطلق على كلّ موجود[386]، والموجود اثنان: اللهُ والمخلوق، فاللهُ سُبحَانهُوَتَعَالَى يُخبرنا في هذه الآية الكريمة بفناء كُلّ موجود سواه. فلو كان للهِ وجهٌ عضوٌ وعينان عضوان ويدان عضوان وأصابع حقيقية وقدمٌ عضوٌ وساق عضو - على مذهب المُجَسِّمَة - لجاز عليها الفَناء ما عدا عضو الوجه، وهل يُعقل أنْ تهلك "أعضاءُ" الخالق - هذا إن كانت له أعضاء - يا أصحاب العقول؟

---

[383] "المِلَل والنِّحل"، للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 139 – 140 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[384] المرجع السابق: مجلد 1 / جزء 1 / ص 152.

[385] سورة القصص : آية رقم 88 ، أُنظر إن شئت تفسير ابن جرير الطَّبَري والقُرْطُبي للآية الكريمة أعلاه.

[386] راجع "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح حديث رقم 7417، جزء 13 / ص 495 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

بالتّكيد لا، إذن فالوجه كِناية عن الله سبحانه وتعالى، وهذا هو تأويل الأئمة ابن عباس[387] ومجاهد بن جبر[388] والضَّحاك بن مُزاحم[389] وابن حَزْم الأندلسي[390] وابن الجَوْزي والنَّوَوي[391] وغيرهم مِن كبار العلماء، كما سبق بيانه. ولقد استشهدت يوما بهذا النَّص القرآني الآنف الذِّكْر في نقاش لي مع شيخ مُجسِّم لإثبات أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الأعضاء، فردَّ عليّ: «لا أخوض!». لا يخوض، وهو قد خاض ونَسَبَ الأعضاء لله سبحانه وتعالى. وهذه الإجابة: «لا أخوض» أسمعها دائما عندما تنقطع حُجة المُجَسِّم ولا يدري ماذا يقول. مع أنّ الأمر سهل جدا، فمُمكن أن يقول: سبحان الله، لم يخطر ذلك على بالي، واستغفر اللهَ على اعتقادي الباطل وإني أتوب إليه. ولقد شهدت بنفسي تراجع أُخوة عن عقيدة التّجسيم بعد أن تَبيّن لهم الحَقّ، وشهدتُ أيضا إصرارا على الباطل -على عقيدة التّجسيم- مِن أُناس يُقلِّدون تقليدا أعمى، تقول له: قال الإمام ابن عبّاس، فيقول لك: أخطأ ابن عباس! أو يقول لك: قال ابن تيمية، أو قال ابن القَيِّم الجَوْزيّة!

قال الصحابيّ ابن عباس رضي الله عنهما **في تأويل لفظ الوجه المُضاف إلى الله تعالى: «الوجهُ عبارة عنه - أي الله - كما قال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾»[392].**

وماذا يقول المُجَسِّم؟ يقول - واللهُ أعلم-: «وما عليه السَّلف الصالح رضي الله عنهم **هو الإيمان بالصفات كما وردت دون تأويل أو تعطيل ... »، ويقصد المُجسِّم بالسَّلف الصالح سلفه المُجَسِّمة كعثمان بن سعيد الدارمي وابن تيمية وابن القَيِّم الجَوْزيّة، ولا يقصد بأي حال مِن الأحوال الأئمة ابن عباس ومجاهد وقتادة وسفيان الثَّوْريّ وأبا حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم، فكُلّ هؤلاء قد أوّلوا، ونَزّهوا اللهَ عن الأعضاء والجسم. وكما سبق بيانه: رفْضُ التّأويل في آيات وأحاديث الصفات يؤدي إلى عقيدة التّجسيم والتَّشبيه لا مَحالة.**

سَببٌ مِن الأسباب الرئيسية التي تحول بين المُجَسِّم وبين عدم تراجعه عن عقيدة التّجسيم - حسب رأيي الشخصي، واللهُ أعلم - هو أنَّ المُجَسِّم يُصْدَم مِن هَوْل الكارثة التي كان يعيش معها منذ عهد طويل: هل كنت أعتقد اعتقادا باطلا منذ عشرين سنة مثلا؟

---

[387] راجع الحاشية رقم 79 إن شئت.
[388] أُنظر تفسير الإمام القرطبي عند تفسير الآية الكريمة الآنفة الذِّكْر أعلاه [سورة القصص : آية رقم 88].
[389] أنظر "دفع شُبه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 113 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108..
[390] راجع "الفِصَل في المِلل" للإمام ابن حَزم، جزء 2 / ص 166 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.
[391] راجع "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 7443، وهو الحديث السابع في الباب 24 مِن كتاب التوحيد في "فتح الباري"، جزء 13 / ص 530 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.
[392] راجع تفسير الإمام القُرطبي عند تفسير الآية أعلاه [سورة الرّحمن: آية رقم 27].

أو: لقد درست عِلم الشريعة وأُصول الدين في الجامعة، وعند العلّامة الدكتور فلان، فهل يُعقل أن تكون عقيدته فاسدة؟

أنا شيخ وإمام مسجد منذ حوالي عشرين سنة مثلا ، وأُدَرِّس الدين، وما قال اللهُ وما قال الرسول ﷺ، فهل يُعقل أنْ أكون على باطل في عِلم العقيدة؟ لا وألف لا. كيف أكون على باطل وأنا قد تخرّجت على كتب "شيخ الإسلام" ابن تيمية؟ ابن تيمية الذي هو «مِن أكبر آيات الله في خلقه»[393]، به حفظ اللهُ العقيدة الصحيحة، هل يُعقل أن يكون "شيخ الإسلام" على باطل في العقيدة؟ وهل .... وهل ... وهل...؟ كُلُّ هذه التّساؤلات، وغيرها، تخطر على بال المُجسِّم وتحول دون تراجعه عن عقيدة التّجسيم. ولكن، أين أنت أيها المُجَسِّم مِن قول الله: ﴿وَقِفُوهُمْ إنّهُم مَّسْئولونَ﴾[394]، ماذا ستجيب إن سُئلت عن عقيدتك؟ هل ستجيب: قال ابن تيمية، وقال ابن القَيِّم الجَوْزيّة، وقال ابن باز، وقال ابن عُثيمين وقال مَن قال ... وأنا اتّبعتهم؟! وأنا الآن أسألك وأنت ما زلت على قيد الحياة: وماذا قال مَن سبقهم مِن السَّلف الصالح كابن عباس وقَتَادة وسفيان الثَّوْريّ وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وابن جرير الطَّبَري وأبي جعفر الطحاوي ومَن سار على دربهم كأبي سليمان الخَطّابي وأبي منصور البغدادي والبَيْهَقي وابن الجَوْزي والنَّوَوي والقُرْطُبي وابن دقيق العيد وابن حَجَر العسقلاني وغيرهم، فكُلُّ هؤلاء كانوا مِن كبار العلماء المعدودين، فلماذا لا تتبعهم؟!

2. قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [395]، والاستفهام في الآية إنكاري. فاللهُ الخالق يُنْكِرُ على مَن يدّعي أنَّ الخالقَ كالمخلوق، سواءً في الذات أو في الصفات أو في الأفعال. فذاتُ المخلوق جسم، وذاتُ الله ليست بجسم. وذات المخلوق مُركّبة مِن أعضاء كاليد والوجه والعينين والأقدام، وذاتُ اللهِ مُنَزَّهة عن ذلك كُلّه، أي غير مُركّبة مِن أعضاء.

3. سورة الإخلاص: أخرج الإمام البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات"[396] بإسناده عن الصحابيّ أُبيّ بن كعب رضي الله عنه **أنّ <u>المشركين</u> قالوا للرسول** عليه الصلاة والسلام**: «انسُبْ لنا رَبّك»[397]، وفي رواية عن ابن عباس** رضي الله عنهما **أنّ <u>اليهود</u> قالوا للرسول** ﷺ**: «صِفْ لنا رَبّك الذي**

---

[393] هكذا وصفه محمد رشيد رضا في "مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 512 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

[394] سورة الصافات: آية رقم 24.

[395] سورة النحل: آية رقم 17.

[396] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 50 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[397] هذا الحديث رواه أيضا الحاكم في المستدرك برقم **4039** (طبعة دار المعرفة، ط 1 ، بيروت 1998) ، وقال عنه: [هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه].

بَعثك»[398]. فأوحى اللهُ إلى رسوله ﷺ سورة الإخلاص، وقال الرسولُ عليه الصلاة والسلام: «هذه - أي سورة الإخلاص - **صِفةُ رَبّي عَزَّ وجَلَّ»[399]. فعندما طلب المشركون (أو اليهود) مِن الرسول ﷺ أن يصفَ لهم الله، لَمْ يوح اللهُ إلى رسوله ﷺ: قل إنه جسم ليس كالأجسام، وله يدان عظيمتان تليقان بجلاله، وله عينان حقيقيتان ليستا كالعيون...، بل أوحى اللهُ إلي رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾. وتفسير السورة كالآتي: بَلِّغ وأخبر: اللهُ أحد: أي ليس له شبيهٌ ولا نظير[400]، فَنَفَى اللهُ عن ذاته الشِّبْه والمِثْل، و«اللهُ الصمد»: أي الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾، وهذا هو تفسير الصحابيّ أُبيّ بن كعب رضي الله عنه لاسمه تعالى "الصَّمد"[401].**

و﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ معناه أنّ ذاتَ اللهِ ليست مَحلاً للحوادث ولا للتغيّرات، لأنَّ الولادة حادثٌ وتغيّر، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا يجوز عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته»[402].

وقوله جَلّ ثناؤه: ﴿ وَلمْ يُولَدْ ﴾ هو نَفْيٌ للجِسْميّة والأعضاء عن ذاته المُنَزَّهة عن ذوات المخلوقات: فكُلُّ مولودٍ حادث، وكُلُّ حادثٍ مخلوق، وكُلُّ مخلوق جسم، وكُلُّ جسم حَيٍّ مُرَكَّبٌ مِن أعضاء وأجزاء، وكذلك محدود، فقوله سُبحانه وتعالى: ﴿ وَلمْ يُولَدْ ﴾ هو تَنزيهٌ لذاته عن الحدوث وعن الجِسْميّة وعن التّركيب وعن الحَدّ.

وقوله تبارك وتعالى اسمه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ معناه: «لم يَكُن لهُ شَبيهٌ ولا عِدْل - أي مِثْل-، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾»[403] كما قال الصحابيّ أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه.

فمعنى سورة الإخلاص هو: إخلاص التّوحيد لله خاليا مِن عقائد التّشبيه والتّجسيم والحَدِّ والمُماثلة وقيام الحوادث بذات الله.

4. قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾[404]، والمعنى هو أنّ ذاتَ اللهِ وصفاته ليست كذوات ولا كصفات المخلوقات. وذواتُ المخلوقات وصفاتها ليست كذاتِ اللهِ ولا كصفاته. فذاتُ المخلوق الحيّ مثلا جسمٌ مُرَكّبٌ مِن أعضاء كاليد والوجه والأقدام، أما ذاتُ اللهِ الخالق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ فليست بجسم وليست مُركّبة مِن أعضاء وأجزاء.

---

[398] "الأسماء والصفات"، للإمام البَيْهَقي، ص 353 – 354 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[399] المرجع السابق، ص 354 ، **وما بين الشرطتين في الحديث النّبوي أعلاه إضافة مني للتوضيح.**
[400] المرجع السابق، ص 49.
[401] المرجع السابق، ص 50.
[402] "إتحاف السّادة المُتّقين"، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 152.
[403] سبق تخريجه في الحاشية رقم 369.
[404] سورة الشورى: آية رقم 11.

5. قوله تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ ﴾[405]، فاللهُ تبارك وتعالى يُنَـزِّهُ نفسَه عمّـا يـصفه الواصـفون، فبمـاذا يـصفونه؟ يـصفونه بـالجسم، ويقولـون لـه يـدان حقيقيتان، وله عينان اثنتان تليقان به، وله وجه حقيقي - أي عضو-، وله قَدَمٌ يضعها في جهنّم لتمتلـيء، ولـه مكـان ومكانـه علـى العرش فهـو مستقرٌ عليـه - سبحانه -، ويَنـزل ويَجيء.

وللتَّذكير: معنى سُبحان الله هو: «تَنزيهُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عن كُلِّ سوء»[406] وهذا هو تفسير الرسول ﷺ، فالتّسبيحُ هو تنزيهُ اللهِ عن كُلِّ سوء، والمُراد بالسّوء في الحديث الشريف أعلاه النّقـائص، ومنهـا الحركـة والـسّكون والقيـام والجلـوس والـصعود والنّـزول والنّـوم واليقظـة والـذهاب والمَجـيء، ومنهـا الأعـضاء كاليـد والوجـه والقَـدَم، والأدوات كـالعين والشفتين واللسان والأصابع. فالإدعاءُ بأنَّ لله يداً حقيقية، أو يداً كصفة عَيْنِيّة، هو تشبيهٌ لله الخالق بالمخلوق وليس تنزيها.

6. تأويل الأئمـة: الـصحابيُّ ابن عبـاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتـادة وابـن زيـد وسـفيان وابـن جرير الطَّبري لفظ اليد المُضاف إلى الله تعـالى[407] بـالقوة ولـيس بـالعضو، وتأويل الحسن البصري اليد بالنِّعمة والإحسان[408]، وتأويل الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما عنهما لفظ الوجه المُضاف إلى الله تعالى بالذّات، أي ذات الله[409]، وبهذا التّفسير قال أيضا الإمامان مجاهد[410] والـضَّحاك بـن مُـزاحم[411] ، يَدلُّ دلالـة واضـحة علـى أنَّ الـصحابة والتـابعين نَزَّهـوا اللهَ عن الأعضاء وبالتـالي عن الجسم، لأنّ كُـلَّ جسم حَـيٍّ مُركّـبٌ مِـن أعضاء لا مَحالـة. فعقيـدة الصحابة هي العقيدة الصحيحة. فالصحابة والتّابعون ومَن تبعهم في المُعتقد أُسْوَةٌ لنا، بهم نقتدي وعلى دربهم نـسير، ولا تخدعنا إدعـاءات كلاميّـة لطائفـة مُجَسِّمَة مِن أنها مُتّبِعة للسَّلف في العقيدة.

---

[405] سورة الصافات: آية رقم 180.

[406] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 125.

[407] كما في قوله تعالى:﴿ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بأيْيْدٍ وَإنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [سورة الذاريات: آية رقم 47].

[408] كما في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ﴾ [سورة الفتح: آية رقم 10]، راجع "دفع شُبه التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي، ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[409] أنظر تفسير القُرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية 27].

[410] أنظر تفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: آية رقم 88]، وقال أبو العالية وسفيان الثَّوري في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿ **أي إلّا** ما أريد به وجهه، **أي** ما يُقصد إليه بالقربة ﴾ [تفسير القرطبي].

[411] راجع "دفع شَبَهِ التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي ، ص 113، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

7. قال الإمامُ أبو حنيفة في كتابه "الفِقه الأكبر" عن الله سبحانه وتعالى: « وهو شَيءٌ لا كالأشياء، ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض »[412]. كلمة شيء تُطلق على كُلّ موجود كما سبق ذِكْره، والموجود اثنان: اللهُ والمخلوق. فقوْلُ أبي حنيفة رَحِمَهُ: « وهو شيءٌ لا كالأشياء » معناه أنَّ اللهَ موجودٌ لا كالموجودات المخلوقة، وقوله هذا هو تفسيرٌ لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾. وقوْلُ الإمام أبي حنيفة: « ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض» معناه إثباتُ وجودِ ذاتِ اللهِ بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض، أي تنزيه الله عن ذوات المخلوقات وصفاتها. فالجَوْهر: هو الجُزءُ الذي لا يتجزأ ومنه يتكوَّن الجسم، والجسم: هو ما ترَكَّب مِن جوهرين فأكثر، والعَرَض: هو الصفة القائمة بالجَوْهَر والجسم. فالجسم والجَوْهَر والعَرَض أشياء مخلوقة، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك كُلّه.

والإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ **أخذ العِلْمَ عن ثلاثة وتسعين مِن التابعين كما في "إشارات المرام مِن عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين" (ص 9) للعلّامة كمال الدين أحمد البياضي. وكان مِن أكبر شيوخه الإمام عامر بن شُرَحبيل الشَّعْبي** (ت 103هـ) رَحِمَهُ، **والإمامُ الشَّعْبي، وهو مِن كبار التّابعين، لقي أكثرَ مِن خمسمائة مِن الصحابة** رضوان الله عليهم، **وعنهم أخذ علمه، فقد روى عن أمّ المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر** رضي الله عنهم **أجمعين، وعن غيرهم[413]. فعقيدة الإمام أبي حنيفة ليست بالأمر الإجتهادي، بل تلقاها عن شيوخه وتَدُلُّ بشكل قطعيّ على أنَّ الصحابة والتّابعين كانوا مُنَزِّهين للهِ عن الجِسْمِيَّة والأعضاء. فَمَن أحرى بالإتِّباع: الصحابة ومَن تبعهم في العقيدة أم المُجَسِّم أبو سعيد الدارمي** (ت 280 هـ) **الذي كان يُجَوِّز استقرارَ الله على ظهر بعوضة، أم ابن تيمية الذي اقتدى به في عقيدة التّجسيم؟ كُلُّ مسلم مُعظِّم ومقدِّس ومُنَزِّهٍ لله يقتدي بالصحابة ومَن تبعهم مِن السَّلف الصّالح، وكُلّهم نَزَّهوا اللهَ عن الجسم والأعضاء.**

8. وأيضا الإمامُ الفقيه والمُحَدِّث أحمد بن حنبل (ت241 هـ) رَحِمَهُ **كان يُنَزِّهُ اللهَ عن الجسم والأعضاء، جاء في كتاب "طبقات الحنابلة" ما نصه: [وأنكَرَ -أي الإمام أحمد بن حنبل- على من يقول بالجسم، وقال: «إنَّ الأسماءَ مأخوذةٌ بالشريعة واللغة، وأهلُ اللغة وضعوا هذا الاسم - أي الجسم- على كُلّ ذي طولٍ وعَرْضٍ وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف واللهُ تعالى خارجٌ عن ذلك كُلّه، فلم يَجُز أن يُسمّى جسماً لخروجه عن معنى الجِسْمِيّة، ولم**

---

[412] أنظر المتن/ ص 302 مِن "شرح الفقه الأكبر" لمُلّا علي القاري، مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 196.
[413] "تاريخ التّشريع الإسلامي"، للشيخ محمد الخضري، ص 160، **الناشر**: دار الفكر، ط 7، 1981.

يَجئ في الشريعة ذلك فبَطَل»][414]**. وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول في عقيدته: « إنَّ للهِ تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين ولا جسم، ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود والتّركيب ولا الأبعاض والجَوَارح، ولا يُقاسُ على ذلك»**[415]**. والإمام أحمد كان مِن كبار أئمة سَلَف أهل السُّنَّة بلا نزاع، فمَن يريد أن يكون سَلفِيّا بحقّ فعليه اتِّباع الإمام السَّلفي أحمد بن حنبل في تنزيه الله عن الجسم والأعضاء.**

9. وقال الإمام المحدِّث والفقيه أبو جعفر الطّحاوي (239 هـ - 321 هـ) **في رسالة عقيدة أهل السُّنَّة: « وتعالى - أي تَنَـزَّهَ اللهُ - عن الحدود والغايات** - أي النهايات - **والأركان**- أي الجوانب- **والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المُبتَدَعات »**[416]**. والأدوات هي الأعضاء الصغيرة كاللسان والشِّفاه والعين والأصابع. والإمام أبو جعفر الطحاوي كان مِن أئمة سَلَف أهل السُّنَّة، وعقيدته أجْمَعَ علماء أهل السُّنَّة على صحتها، لهذا يتظاهر المُجَسِّمَة - ومنهم الشيوخ الوهابيون - باتِّباعها وهم في الحقيقة يخالفونها لأنّهم ينسبون الأعضاء لله، ويدّعون بأنّ اللهَ محدود، ويُثبتون الجهة لله، وعقيدةُ الإمام الطحاوي قائمة على تنزيه اللهِ عن الأعضاء والحَدِّ والجهة.**

10. ذَكَرَ الإمامُ الأصولي أبو الحسن الأشعري (260 هـ - 324 هـ) **في كتابه "مقالات الإسلاميين" عقيدة أهل السُّنَّة في الله، فقال: « وقال أهلُ السُّنّة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يُشبهُ الأشياء »**[417]**.**

11. وقال الإمامُ الفقيه والأصولي أبو منصور البغدادي (ت 429 هـ): **« وأجمعوا - أي أهل السُّنّة - على إحالة وصفه - تعالى - بالصورة والأعضاء »**[418]**.**

12. وقال الإمامُ أبو المُعين النَّسَفي (ت 508 هـ) **في التّمهيد: « صانعُ العالم ليس بجسم، لأنّ الجسمَ اسمٌ للمُترَكِّب »**[419]**.**

---

[414] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 73.

[415] المرجع السابق ، مجلد 2 / ص 254.

[416] "إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية"، ص 380 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 157.

[417] "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 125 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.

[418] "الفَرْقُ بين الفِرَق"، للإمام عبدالقاهر بن طاهر المعروف بأبي منصور البغدادي، ص 356 بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، **الناشر**: مكتبة دار التراث، القاهرة.

[419] ذَكَرَ ذلك أحمد فريد، مُحقق كتاب "إشارات المرام" للإمام كمال الدين أحمد البياضي، حاشية رقم 1، ص 91 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 65.

13. وقال الإمامُ القُرْطُبي (ت 671) **في تفسيره: «فإنه عَزَّ وَجَلَّ يتعالى عن الأعضاء والتّبعيض»[420].**

14. وقال الإمامُ مُحيي الدين النَّوَوي (ت 676 هـ) **في شرحه على صحيح مسلم ما نصه: «وأنه - تعالى - مُنَزَّهٌ عن التّجسيم والانتقال والتَّحَيُّزِ في جهة وعن سائر صفات المخلوق»[421].**

15. إنَّ أوّلَ مَن قال مِمّن كان يَنْتسبُ إلى الإسلام بأنّ اللهَ جسمٌ هو هشام بن الحَكَم الشيعي المتوفي حوالي سنة 187 هـ. ذَكَرَ ذلك ابن تيمية نفسه في كتابه "منهاج السُّنَّة" كما سبق ذِكْره (ص 6 ، ص 43). وهذا يعني أنَّ هشام بن الحكم هو الذي ابتدع عقيدة التَّجسيم[422]. وهذا يَدُلُّ على أنّ المسلمين قبل بدعة هشام بن الحكم كانوا ينزِّهون اللهَ عن الجسم. وعلى نهج هشام سار أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن كرّام السجستاني المحسوبان على أهل السُّنَّة.

16. وقال ابن تيمية في كتابه "منهاج السُّنَّة"[423] : « وأما مَن لا يُطلق على اللهِ اسمَ "الجسم" <u>كأئمة الحديث</u> والتّفسير والتّصوف والفِقه <u>مثل الأئمة الأربعة</u> <u>وأتباعهم</u>، وشيوخ المسلمين المشهورين في الأُمَّة، <u>ومَن قبلهم مِن الصّحابة</u> والتّابعين لهم بإحسان، <u>فهؤلاء ليس فيهم مَن يقول إنَّ اللهَ جسم</u>، وإن كان أيضا ليس مِن السَّلف والأئمة مَن قال: إنّ اللهَ ليس بجسم ». فابنُ تيمية نفسه شَهِدَ بأنّ أئمة أهل السُّنَّة لم يُطلقوا على اللهِ لفظ الجسم، وهذا موافقٌ لِما قاله الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين": « وقال أهلُ السُّنَّة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يُشبهُ الأشياء ».
وكونهم لم يُطلقوا على اللهِ اسمَ الجسم دليلٌ على أنهم لم يعتقدوا أنّ ذاتَ الله جسم - فالألفاظ تَدُلُّ على معانٍ والأسماء على مُسَمّيات -.

---

420 أنظر تفسير الإمام القُرْطُبي لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فلا يَسْتطيعُونَ ﴾ [سورة القلم: آية رقم 42].

421 "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي" للإمام النَّوَوي، كتاب الإيمان، باب 81 : معرفة طريق الرؤية (بعد سَرْده أحاديث الرؤية برقم 299 - 302)، مجلد 2 / ص 24 مِن طبعة دار الفجر للتراث، ط 1، القاهرة 1999.

422 وكان هشام بن الحكم يقول عن الله أيضا أنه « ذو أبعاض - أي أجزاء - له قدْرٌ مِن الأقدار ولكن لا يُشبهُ شيئا مِن المخلوقات ولا يُشبهه شيء »، "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 2 / ص 21 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

423 "منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 2/ ص 105 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

أما قَوْلُ ابن تيمية: [وإن كان أيضا ليس مِن السَّلف والأئمة مَن قال: «إنّ اللهَ ليس بجسم»] فلا قيمة له، لأنه قد صَرّح قبل ذلك أنّ الأئمة لم يقولوا أنَّ اللهَ جسم، وأيضاً افتراء لأنه قد ثَبَتَ بالدّليل القطعي أنّ الإمامين أبا حنيفة النُّعمان وأحمد بن حنبل - وأصحاب الحديث- نزّها اللهَ عن الجسم ولوازمه وعن لفظ الجسم (راجع إن شئت ص 41، 15، 42).

17. في حَقِّ المخلوق: نَقصُ الذّات وعجزها يستلزم وجود أعضاء لها، وفي حَقِّ الخالق: مِن لوازم كَمال الذّات التّنَزُهُ عن الأعضاء والأدوات:

إنَّ الإنسانَ - كمثال للمخلوق الحَيّ – يَتّصفُ بصفات مُعيّنة، خَلقها اللهُ فيه. ومِن هذه الصفات السَّمعُ والبَصر والكلام. فالسَّمعُ عنده يتحقق بوجود آلاتِ سَمْعٍ سليمة كالأُذنين والقناة السَّمْعية. ويحدثُ السَّمع بارتطام الموجات الصوتية بطبلة الأذن ونقل ذبذباتها إلى الدِّماغ، وإذا انعدمت أو تَعطَّلت آلاتُ السَّمع انتفت عنده صفة السَّمع. وهكذا الأمر في صفة البصر: فالرؤية تحصل بوجود أدوات خاصة وصالحة كالعين والعدسة والشَّبكيّة والأعصاب. وبتَعَطل أدوات الرؤية، أو إحداها، أو بانتفائها تنعدم صفة البَصر.
ونفس الأمر في حال صفة الكلام، والتي تتحقق بوجود أدوات سليمة كالشَّفتين واللسان والأوتار الصوتية. وتنتفي صفة الكلام بتعطل هذه الأدوات أو بانتفائها أو بانعدام إحداها.
والإنسان له يدان، بهما يستطيع إنجاز أعمال مُعيّنة. ولو كانت له يدٌ واحدة فقط، فستكون قُدْرته على الفِعل محدودة. فصفة القُدْرة على العَمَل مُتوقِّفة على وجود يدين سليمتين. ولو تعطلت يداه، أو استئصلتا، لأصبح عاجزاً - حتى عن إطعام نفسه -. وبهذا يتضح أنّ ذاتَ الإنسان أصلا عاجزة، فهي بحاجة إلى أعضاء وأدوات خاصة لتكتسب صفاتً معينة. وعلى هذا فذاتُ الإنسان مُركّبة لتكتسب صفاتها، وهذا شيء طبيعي وضروري كما سبق إيضاحه.
أمّا ذاتُ اللهِ الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ فهي كاملة وقادرة قُدْرَة مطلقة، ومَن يشكُّ في هذا يخرج مِن الدين. وصفاتُ اللهِ أزَليّة كذاته ومُلازمة لها، ولا يتوقفُ وجودها على وجود أعضاء وأدوات. فصفة القُدْرة لا تتوقف على وجود يدين، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[424]. واللهُ يسمع، وصفة السَّمع غير متوقفة على وجود آلات سَمْعٍ كالأُذنين. واللهُ يتكلم، وكلامه لا يستلزم وجود أدوات للكلام كالشفاه واللسان، وكلامُ اللهِ ليس بحرف ولا صوت، قال الإمام أبو حامد الغزالي في حديثه عن صفات الله: « السَّمعُ والبَصر: وأنه تعالى سميعٌ بصير، يسمعُ ويَرَى، ولا يَعزبُ عن سمعه مسموع وإن خَفِيَ،

[424] سورة يس: آية رقم 82.

ولا يغيبُ عن رؤيته مَرئيٌّ وإن دَقَّ. ولا يحجبُ سمعه بُعْد، ولا يَدفعُ رؤيته ظلام، يَرَى مِن غير حَدقة وأجفان، ويسمعُ مِن غير أصْمِخة وآذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويَخْلُقُ بغير آلة إذ لا تُشبهُ صفاته صفاتَ الخَلْق كما لا تُشبهُ ذاته ذواتَ الخَلْق.
الكلام: وأنه تعالى مُتكلمٌ آمِرٌ ناهٍ واعدٌ مُتوعدٌ بكلام أزَليٍّ قديم قائم بذاته لا يُشبهُ كلام الخَلْق، فليس بصوتٍ يحدثُ مِن إنسلال هواء أو إصطكاك أجرام، ولا بحرفٍ ينقطع بإطباق شَفَةٍ أو تحريك لسان »[425].

وقال الإمامُ أبو حنيفة في كتابه "الفقه الأكبر": « ونحنُ نتكلم بالآلات والحروف، واللهُ يتكلم بلا آلة ولا حروف »[426].

وعلى هذا فاللهُ الكاملُ في ذاته وصفاته مُنَزّهٌ عن الأعضاء والأدوات، وبالتّالي عن الجسم، لأنّ مِن لوازم الجسم الأعضاءَ والأدوات.

خلاصة ما تقدم:

أولا: لقد ثبتَ بشكل واضح أنَّ ادعاءَ ابن تيمية بأنّ التّجسيم والتّشبيه ليسا بالشَيء المَذموم ليس له أساسٌ مِن الصِّحة.

ثانيا: ما سبق ذِكْرُه مِن النّصوص مِن القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة وأقوال العلماء يُثبتُ بشكل قطعي بأنَّ تنزيهَ الله عن الجِسم والأعضاء هو عقيدة السَّلف الصالح، وأنّ التّشبيهَ والتّجسيمَ ونِسبة الأعضاء لله هي عقيدة فِرقة المـُشبِّهة الضّالّة.

ثالثا: مَن يُريد أنْ يكون سَلَفيّاً بحق فعليه أنْ يتَّبع أئمة السَّلف الصالح كابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي جعفر الطحاوي وأبي الحسن الأشعري وابن جرير الطَّبَري رحمهم الله أجمعين، فكُلُّ هؤلاء العلماء الأجلّاء - وغيرهم كثير- نَزَّهوا اللهَ عن الجسم والأعضاء.

رابعا: بما أنَّ ابن تيمية لم يُنَزِّه اللهَ عن الجسم والأعضاء، بل نَسَبها له، فإننا نستطيع أن نقول: ابن تيمية لم يَكُن سَلفيّاً.

---

425 "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 27 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 209.
426 أنظر "شرح الفقه الأكبر" لِمُلّا علي القاري، المتن / ص 302 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 196.

فصل

بَيانُ تَلْبيسِ ابن تيمية في تأسيس عقيدة التَّجسيم والتّركيب في ذات اللهِ المُقدّسة

لقد اعتقد ابن تيمية أنَّ اللهَ جسم، وأثبتَ (أي نَسبَ) لله لوازمَ الجسم مِن حَدٍّ وتركيب وتَحَيُّز. وزَعَمَ أنّ ما يعتقدهُ هو عَيْنُ عقيدة السَّلف، بمعنى أنّ السَّلف كانوا - مِثله - مُجَسِّمَة! وادّعى أنّ تنزيهَ اللهِ عن الجِسْمِيّة ولوازمها هو عقيدة فِرقة الجَهْمِيّة الضّالّة لِيُسهِّل على نفسه نَشْر عقيدته بين عوامِّ الناس. وفيما يلي بعضٌ مِن النّصوص التي تُبيِّن تلبيسه في ذلك، واللهُ وليُّ التّوفيق:

أولا: إطلاقُ اسم الجَهْمِيّة على كُلِّ مَنْ نَزَّهَ اللهَ عن الجسم ولوازمه

قال ابن تيمية: « وإذا كان كذلك فالجَهْمِيّة - نُفاة الصفات -[427] تنفي الجسم وملازمه، نِفاقهم في الإيمان باللهِ والرسول، فإنهم يُظهرون الإيمان بالقرآن وبما جاء فيه مِن أسماء اللهِ وصفاته التي هي مِن آياته، وهم عند التَّحقيق غير مؤمنين بذلك، بل هم منافقون في كثير مِن ذلك، ﴿يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَن مَّواضِعِهِ﴾، ويُلحِدون في أسماء اللهِ وصفاته »[428].

التّعليق: في هذا الموضع يتكلم الشيخ ابن تيمية عن الجَهْمِيّة، الذين نفوا صفاتَ الله، أقَصَدَ ابن تيمية صفاتَ المعاني كالعِلم والقُدرة والكلام؟ فهذه تنفيها الجَهْمِيّة وكذلك المُعْتَزِلَة، ويُثبتها للهِ أهلُ السُّنّة والمُجَسِّمَة. والجَهميّة والمُعتزلة ضلّوا بنفيهم لصفات المعاني، وهي ثابتة للهِ بالشّرع والعقل.

أمْ قصَدَ ابن تيمية "صفاتَ الأعضاء" كاليد والوجه والعَيْنين، والتي كان يُسميها "صفاتَ عَيْنِيّة"؟ فهذه ينفيها أهلُ السُّنّة والمُعْتزلة والجَهْمِيّة، ويُثبتها للهِ ابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة، وقد ضلّوا بإثبات ما لم يَثْبُت بالشّرع ولا بالعقل.

وقَوْلُ ابن تيمية: «فالجهميّة - نُفاة الصفات- تنفي الجسمَ وملازمه» فيه تلبيس على القارئ، لأنّ القارئ سيعتقد مِن كلامه هذا أنَّ كُلَّ مَن نَفَى عن ذاتِ اللهِ الجسمَ ولوزامه مِن تركيبٍ وحَدّ وتَحَيُّز فهو جَهْميٌّ ضال، والأمر ليس كذلك، فأهلُ السُّنّة نَزّهوا اللهَ عن الجسم ولوازمه، ووافقهم في ذلك المُعتزلة والجَهميّة. فتنزيهُ اللهِ عن الجِسْميّة ولوازمها هو العقيدة الصحيحة كما تَبيَّن مِن أدلة تَنزيهِ الله عن الجسم والأعضاء (ص 89 -98)، وإثباتُ

---

[427] ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.

[428] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 974 – 975 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

الجِسم لذات الله، وكذلك الأعضاء - تحت اسم الصفات العَيْنِيّة - هو العقيدة الباطلة، وتَبيَّن بُطلانها بأدلة شرعية وعقلية.

ثانيا: الإدعاءُ بأنَّ نَفْيَ التّجسيم مِن بِدَع الجَهْمِيّة

قال ابن تيمية: «وأيضا فكلام السَّلف والأئمة كثيرٌ مشهور في أنّ الجَهْمِيّة - وهم أوّلُ مَن نفى الجسم وملازمه في الإسلام -[429] إنما هم مُعَطِّلون في الحقيقة، وإنما يُظهرون الإقرار نِفاقا، ومَدارُ أمرهم على التَّعطيل »[430]، وقال في موضع آخر عن الجهميّة: « وهم أوّلُ مَن أحدث في الإسلام القولَ بأنَّ اللهَ تعالى ليس بجسم »[431].

التّعليق: كَوْن الجهميّة، أصحاب الجَهْم بن صَفوان، وكذلك المُعتزلة، مُعطِّلة فهذا حَقّ، لأنهم نفوا صفاتَ الله الأزليّة. وقَوْلُ ابن تيمية أنّ الجَهميّة هم أوّلُ مَن نَفَى الجِسميّة ولوازمها عن اللهِ يُعارضه قولُه في موضع آخر أنَّ أبا الهُذيْل العلّاف (ت 226 هـ) مِن المُعتزلة هو أوّلُ مَن نَفى الجسم عن الله تعالى، قال ابن تيمية: « فإنَّ الأُمَّة أوّل ما تنازعت في الجسم نفياً وإثباتا: هل اللهُ تعالى جسمٌ أو ليس بجسم؟ والخائضون في ذلك هم أهل الكلام، فقال أبو الهُذيل العلّاف وأتباعه مِن المُعْتزلة: إنه ليس بجسم، وقال هشام بن الحكم وأتباعه مِن الشيعة: إنه جسم »[432]، وقال أيضا في موضع آخر: « ولَمّا تكلم بنَفْي الجسم أبو الهُذَيل إمام المُعتزلة وأتباعه وتكلم بإثباته هشام بن الحكم وأشياعه »[433]. فهذان نصّان صريحان على أنّ أبا الهُذيل العلّاف وأتباعه مِن المُعتزلة - وليس مِن الجهميّة- أوّل مَن نفى عن اللهِ الجِسْميّة، وفي الحقيقة هذا خطأ، لأنّ الإمامَ السُّنِّيَّ أبا حنيفة النُّعمان المتوفي سنة 150 هـ نَفى الجِسْمِيّة عن ذاتِ الله، حيث قال في كتابه "الفقه الأكبر": « إثباته - تعالى- بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض »[434].

● وقال ابن تيمية أيضا في موضع آخر: « وأما الخَوْض في الأعْرَاض والأجسام كما خاض فيه المُتكلمون كقولهم ليس بجسم ولا عَرَض ونحو ذلك، فأوّلُ مَن ابْتدعه في الإسلام الجهميّة وأتباعهم مِن المعتزلة، لا يُعرف في هذه الأُمّة حدوثُ القوْلِ في اللهِ بأنه

---

429 ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.
430 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 968 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
431 المرجع السابق، جزء 2 / ص 971.
432 المرجع السابق، جزء 2 / ص 954 .
433 المرجع السابق، جزء 2 / ص 822 ، أنظر كذلك ص 978 .
434 أُنظر صفحة 55 - 56 مِن "شرح الفِقه الأكبر"، أو المتن / ص 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

ليس بجسم ولا جَوْهَر ونحو ذلك - إلّا- مِن جهة هؤلاء ... ولَمّا ابْتَدعَ هؤلاء القولَ بأنّه ليس بجسم ولا جَوْهر عارضهم الطائفة الأخرى مِن الشيعة وغيرهم - كالكَرّاميّة -، فقالوا: بل هو جسم »[435].

التّعليق: في النَّصِّ السابق جَعلَ ابن تيمية المُعتزلة مِن أتباع الجهميّة، وهذا خطأ، لأنّ المؤسس الأول للمعتزلة هو واصل بن عطاء (ت 131 هـ)**، وكان تلميذا عند الإمام الحسن البصري** (ت 110 هـ)**. وأوّلُ الجهميّة هو الجَعْدُ بن دِرْهم، المقتول سنة 118 هـ، وعنده تَتَلمَذَ الجَهمُ بن صفوان، المقتول سنة 128 هـ ، وإليه تُنسب فِرقة الجَهْمِيّة.**
وعلاوة على ذلك، هنالك خلافٌ عقائدي بين المُعتزلة، وجمهورهم قَدَرِيّة، والجَهْمِيّة، وجمهورهم جَبْريّة. والمُعتزلة يُنزِّهونَ اللهَ عن المكان، بينما الجَهْمِيّة يقولون: اللهُ في كُلِّ مكان - سبحانه عن افترائهم-.
وعلى أيِّ حال: إدعاءُ ابن تيمية أنّ الجَهْمية - أو المُعتزلة - هم أوّلُ مَن قالوا أنَّ اللهَ ليس بجسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض هو خِداع، لأنَّ القارئ سيعتقد حينئذ أنَّ عقيدة التّجسيم هي التي كانت سائدة قبل إحداث هذه البدعة مِن قِبَل الجهميّة - أو المعتزلة-. وبعبارة أخرى: سيعتقد القارئ - غير المُطّلِع على هذه الأمور- أنَّ عقيدةَ التّجسيم هي عقيدة السَّلف، والقَوْلُ بهذا بُهتان وضلال. والحَقُّ هو أنّ تنزيهَ اللهِ عن الجسم ولوازمه مِن حَدٍّ وتركيبٍ هو عقيدةُ السَّلف الصّالح كما سبق بيانه.

وقَوْلُ ابن تيمية في موضع آخر: « ولفظُ المُتَحَيِّزِ والجِسم والحَدِّ والنّهاية، وتنزيهُ الرّبِّ سبحانه وتعالى بهذه الأسماء كُلُّها مِن بِدَع الجَهميّة »[436]، هو افتراءٌ مَحْض، أولاً: لأنّ اللهَ تبارك وتعالى قد نَزَّهَ ذاتَه عن الحَدِّ والحَيِّزِ (المكان) فقال: ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ﴾[437]، وجاء تفسير هذه الآية في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: « اللهُمَّ أنتَ الأوّلُ فلَيْسَ قَبْلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليس بَعدكَ شيء، وأنتَ الظاهرُ فلَيْسَ فوقكَ شَيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليْسَ دُونَكَ - أي تحتك - شَيءٌ »[438].

[435] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 822 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[436] المرجع السابق، جزء 2 / ص 881 .
[437] سورة الحديد آية رقم 3.
[438] رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2713** ، ورواه بإسناد صحيح أيضا كُلٌّ مِن التِّرْمِذي في سُنَنه برقم **3400**، وابن ماجه في سننه برقم **3831**، وأخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 52 ، 294 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15، **ما بين الشرطتين في الحديث أعلاه هو إضافة للتّوضيح.**

فالذي لَيْسَ له قبْلٌ ليس له بداية، والذي ليس له بَعْدٌ ليس له نهاية، والذي ليس لـه بداية ولا نهاية فهو غير محدود، فَنَفْيُ الحَدِّ عن ذاتِ اللهِ وَرَدَ معناه في كتاب الله، وليس مِن بِدَعِ الجهمية كما افترى ابن تيمية.
وإذا لم يَكُن فوقَ اللهِ شيءٌ، وليس تحته شيءٌ فهو موجود بلا مكان بِنَصِّ الرسول ﷺ،

ثانياً: لأنّ علماء أهل السُّنّة، ومنهم الحَسن البَصْري (ت 110 هـ) **وأبو حنيفة النُّعمان وأحمد بن حنبل وأبو الحسن الأشعري وغيرهم، قد نَزّهوا اللهَ عن الجِسميّة ولوازمها مِن حَدّ وتركيب وتحَيُّز، قال الإمامُ أبو حنيفة في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه « إثباته بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض»[439]، وقال أيضاً** (المرجع السابق)**: « ولا حَدَّ له ولا ضِدّ له »[440].**

● **وقال الإمام أحمد بن حنبل عن اللهِ جَلّ ثناؤُه: «... فلم يَجُز أن يُسَمَّى جِسْماً لخروجه عن معنى الجِسْمِيّة »[441].**

● **وقال الإمامُ زين العابدين** (ت 94 هـ) **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما نصه: « أنت اللهُ الذي لا تُحَد »[442].**
وبناءً على ما تقدم يَتَبَيَّنُ أنّ ابن تيمية قد افترى على الله وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى عُلماء المسلمين في ادّعائه بأنّ تنزيهَ اللهِ عن الحَيِّزِ والجِسم والحَدِّ والنّهاية هو مِن بِدع الجَهَمِيّة.
ولقد استغل ابن تيمية - وكذا فعل مِن قبله شيخه في التَّجسيم عثمان بن سعيد الدّارمي- مُتابعة المُعتزلة والجَهميّة لأهل السُّنّة في تنزيهِ اللهِ عن الجِسْميّة ولوازمها فأطلق اسم الجَهْميّة على كُلّ مَن نَزَّهَ اللهَ عن الجِسم والحَيِّز والأعضاء -الصفات العَيْنِيّة - ليُنَفِّرَ البُسطاء مِن الناس مِن عقيدة التَّنزيه، وبالتّالي ليُحَبِّب إليهم عقيدة التّجسيم التي كان يعتقدها. والسّببُ في اختيار اسم الجَهْمِيّة بدلا مِن المُعتزلة - كسلاحٍ ضد عقيدة التَّنزيه - هو أنّ الجَهميّة كانوا أشدّ ضلالا مِن المُعتزلة. ومِن عقائدهم أنَّ اللهَ لا يَتكلَّم، ولهذا أنكروا أنّ اللهَ قد كَلّمَ موسى عليه السلام[443]، بينما قال جمهور المعتزلة: اللهُ مُتكلم ولكن كلامه مخلوق، ومنهم مَن امتنع أنّ يُثبت اللهَ مُتكلما[444]. والجَهْمِيّة نفوا أنّ اللهَ اتخذ إبراهيمَ عليه السلام

---

[439] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 196.
[440] أنظر صفحة 57 مِن "شرح الفقه الأكبر"، أو المتن / ص 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.
[441] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.
[442] أخرجه الإمام محمد مرتضى الزَّبيدي بإسناده عنه في كتابه "إتحاف السادة المتّقين"، مجلد 4 / ص 380 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152.
[443] أنظر "خلْق أفعال العباد" للإمام البخاري، ص 39 – 40 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.
[444] أنظر "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 111 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.

خليلا[445]، وقالوا أنّ اللهَ موجودٌ بذاته في كُلِّ مكان، وقالوا: الإيمانُ هو المعرفة بالله فقط، والكُفرُ هو الجَهْلُ بالله، فمن أتى بالمعرفة ثُمَّ جحد بلسانه لا يَكْفُر، وقالوا أنّ اللهَ لا يَعْلَمُ عن الشيء قبل خلقه[446]، وغير ذلك مِن بِدع الضلال.

ثالثا: الإدعاءُ بأنّ مذهبَ التّجسيم غيرُ مذموم

قال ابن تيمية بخصوص إطلاق لفظ الجسم ومعناه على اللهِ ما نصه: « وأما الحَنْبَلِيّة فلا يُعرفُ فيهم مَن يُطلق هذا اللفظ - أي الجسم -، لكن فيهم مَن يَنفيه، وفيهم مَن لا ينفيه ولا يُثبته، وهو الذي كان عليه الإمام أحمد وسائر أئمة السُّنّة، وإن كانوا مع ذلك يُثبتون ما جاءت به النُّصوصُ مِمّا يُسَمّيه المنازعون تجسيما وتشبيها، بل يقولون: إثباتُ هذه المعاني - لألفاظ اليد والوجه والعين المضافة إلى الله، كأعضاء - **أحقُّ بمعنى التّجسيم مِمّن يُثبت لفظه دون معناه »[447].**

التّعليق: فإذا كان الإمام أحمد وسائر أئمة أهل السُّنّة لم يُثبتوا للهِ ولم ينفوا عنه اسم الجسم فلماذا سمح ابن تيمية لنفسه بمخالفتهم بإطلاقه لفظ الجسم على الله، حيث قال عن الله تعالى: «جسم لا كالأجسام».

وعلاوة على ذلك: لم يكن ابن تيمية أميناً في النَّقل، لأنّ الإمام أحمد - وكذلك الإمام أبا حنيفة مِن قبله - لم يُجِز إطلاق لفظ الجسم ولا معناه على الله، وهذا يَدُلُّ على أنه لم يتوقف في إطلاق أو نَفْي اللفظ كما ادعى ابن تيمية، قال الإمام أحمد بخصوص إطلاق لفظ الجسم ومعناه على الله: «إنَّ الأسماء مأخوذة بالشّريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - أي الجسم- على كُلِّ ذي طولٍ وعَرْض وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف <u>واللهُ تعالى خارجٌ عن ذلك كلّه</u>، <u>فلم يَجُز أنْ يُسَمّى جسماً لخروجه عن معنى الجسْمِيّة</u>، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل »[448]، وهذا الكلام مِن الإمام أحمد يَدْحَضُ افتراء ابن تيمية أعلاه.

● وقال ابن تيمية في موضع آخر موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: « وإذا كان كذلك فلفظُ المُجَسِّمَة لا يوجد له ذِكرٌ في الكتاب والسُّنّة وكلام السَّلف والأئمة <u>لا بمدح ولا ذم</u>، ولا يوجد أيضا ذَمُّ هذا المعنى الذي سَمَيْته أنت تجسيما في كلام أحدٍ مِن سَلَف الأُمّة وأئمتها،

---

445 "خلق أفعال العباد" للإمام البخاري، ص 30 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.

446 أُنظر "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 164 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 198، و "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 109 مِن الكتاب المشار إليه في الحاشية رقم 18.

447 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 509 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

448 "طبقات الحنابلة" ، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 73.

...- إلى أن قال-: ولا يُحْفظُ عن أحدٍ مِن السَّلف ذَمُّ المُجَسِّمَة ولا ذمّ مَن يقول بالجسم ولا نحو هذا أصلا، فإذا كانوا متفقين على ذمِّ الجهمية نُفاة الصفات بنفي الجسم وملازمه، ولم يَذمّوا أحداً لخصوص كونه أثبت الجسم ولم ينفه كما نَفاه نُفاة الجسم، على أنّ ذمّ هؤلاء - يقصد المُجَسِّمَة - ذمٌّ لا أصل له في الكتاب والسُّنّة ولا كلام أحدٍ مِن سَلَف الأُمّة، وأنّ النُفاة مذمومون بالكتاب والسُّنّة والإجماع ... »[449].

التّعليق: ● قوْلُ ابن تيمية: « ولا يُحفظ عن أحدٍ مِن السَّلف ذمّ المُجَسِّمَة ولا ذمّ مَن يقول بالجسم ولا نحو هذا أصلا ... ولم يَذمّوا أحداً لخصوص كونه أثبتَ الجسم ولم ينفه كما نفاه نُفاة الجسم » هو كلامٌ مُضحك، وتلبيسٌ وافتراءٌ أيضا. ومَنْ مِن السَّلف <u>الصّالح</u> لم يَذم المُجَسِّمَة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وداود الجواربي، ومقاتل بن سليمان ومحمد بن كَرّام السجستاني؟! ومِن السَّلف الصالح مَن أطلق اسم الحَشَوِيّة على المُجَسِّمَة احتقاراً لهم. ولقد صنَّف علماء أهل السُّنّة الكتب العديدة في تبيين ضلالات المذكورين، وحتى ابن تيميّة نفسه كَمُجَسِّم نَعَتَ هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وغيرهما بالإبْتِداع، حيث قال: [وكان مُتكلّموا الشّيعة كهشام بن الحكم وهشام بن الجواليقي ويونس بن عبدالرحمن القمّي وأمثالهم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السُّنّة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السُّنّة والجماعة مِن أنّ القرآنَ غيرُ مخلوق وأنَّ اللهَ يُرى في الآخرة وغير ذلك مِن مقالات أهل السُّنّة والحديث، حتى يَبتدعون في الغُلُوِّ في الإثبات والتَّجسيم والتّبعيض والتَّمثيل ما هو معروف مِن مقالاتهم التي ذَكَرها الناس ... وأوّلُ مَن عُرِف عنه في الإسلام أنه قال: « إنّ اللهَ جسم هو هشام بن الحكم »][450].

هذا الكلام مِن ابن تيمية هو نصٌّ صريحٌ منه على أنّ التَّجسيمَ والتّبعيض والتّمثيل هو إبتداع، وأوّلُ مَن أحدَثَ بِدعة التّجسيم هو هشام بن الحكم الشيعي، وهذا يعني أنَّ عقيدةَ أهل السُّنّة والجماعة قبل إحداث هذه البدعة الضلالة هي تَنْزيهُ اللهِ عن الجِسْمِيّة ولوزامها، ولهذا المعنى قال الإمام أبو الحسن الأشعري في"المقالات":
[وقال أهل السُّنَّة وأصحابُ الحديث: «- اللهُ - ليس بجسم ولا يُشبهُ الأشياء»][451].
وأخبر الإمام أبو الحسن الأشعري أيضا عن عقيدة المُجَسِّمَة في الله، فقال: « فقالت المُجَسِّمَة: له يدان ورِجْلان ووجهٌ وعينان وجنب يذهبون إلى الجوارح والأعضاء»[452].

---

[449] "تلبيس الجهميّة"لابن تيمية، جزء 2 / ص 977 - 978 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[450] "منهاج السُّنّة النبويّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 71 – 73 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.
[451] "مقالات الإسلاميين"، ص 125 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 198.
[452] المرجع السابق ، ص 129.

وبهذه العقيدة أخذ ابن تيمية وخالف بذلك عقيدة أهل السُّنَّة وأصحاب الحديث، حيث نَسَبَ للهِ يدين ووجها وعَيْنين كجوارح وأعضاء، وسَمّاها مِن باب الخِداع "صفاتً عَيْنِيّة"، وصفاتً حقيقية. ثُمّ قال الإمامُ أبو الحسن الأشعري مباشرة بعد كلامه السابق، موضحا عقيدة أهل السُّنَّة بخصوص ألفاظ اليد والوجه والعين المُضافة إلى الله: « وقال أصحابُ الحديث: لسنا نقول في ذلك إلّا ما قاله اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أو جاءت به الرِّواية مِن رسول الله ﷺ فنقول: وجهٌ بلا كَيْف، ويدان وعينان بلا كَيْف»[453].

● قولهم: «وجهٌ بلا كَيْف، ويدان وعينان بلا كَيْف» هو عَيْن مذهب أهل التَّفويض مِن أهل السُّنَّة، «فوجهٌ بلا كَيْف» معناه إثباتُ الوجه كصفة معنوية، مع نَفْي الكَيْف، أي نَفْي المعنى المُتبادر إلى الذّهن والمفهوم في حَقِّ البَشر، وهو الوجه العضو، لأنّ الكَيْفَ هو صفة أو هيئة معهودة في المخلوق، كما سبق ذِكره (راجع إن شئت الحاشية رقم 65)، بينما نَسَبَ المُجَسِّمَة لله الوجْهَ كجارحة (كعضو)، أو كصفة عَيْنِيّة (مادية، جِسميّة)، ولا فرق بينهما في المعنى، ونفوا العلم بكَيفيّة الوجه، أي بهيئته وحَجْمه وحقيقته.

خلاصة ما تقدم: إنَّ عقيدةَ تَنزيهِ اللهِ عن الجِسْمِيّة ولوازمها مِن تركيب وحَدٍّ وتَحَيُّز هي الأصل الأصيل، والنّور المُبين، لا يزيغ عنها إلّا ضال. وإثباتُ الجسم ولوازمه للهِ الواحد الأحد هو البِدعة الضلالة التي أحْدَثها الشيعة الضُلّال، وتبعهم في ذلك رَعَاع محسوبون على أهل السُّنَّة كونهم أثبتوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، كالضّال عثمان بن سعيد الدارمي والضّال محمد بن كرّام السجستاني الذي حَبَسهُ الأميرُ طاهر بن عبدالله - ومِن بعده ابنه الأمير محمد بن طاهر - لضلالاته العقائدية، ومنها ادعاؤه بأنَّ اللهَ جسم، وأنه مُستقرٌ على العرش وله حَدٌّ ونهاية مِن تحته، وذلك مِن الجهة العليا مِن العرش حيث استقراره[454] - سبحانه -.

● وقَوْلُ ابن تيمية السابق: « فإذا كانوا -يقصد السَّلف- مُتّفقين على ذمّ الجَهْمِيّة نُفاة الصفات بنَفْي الجسم وملازمه...» معناه أنَّ الذي ينفي عن اللهِ الجسمَ ولوازمه كالحَدّ والتَّحَيُّز والتّركيب مِن أعضاء ينفي تلقائيا صفاته! وهذا الكلام مغالطة وتلبيس وضلال، لأنّ نَفْيَ الحَدِّ والتَّحَيُّز قد ورد في معنى كلام رسول اللهِ عليه الصلاة والسلام (راجع إن شئت ص 101 - 102)، ونحنُ أهل السُّنّة، بناءً على ذلك، نُنَزِّهُ اللهَ عن الجسم ولوازمه مِن حَدٍّ وتَحيُّزٍ

---

[453] "مقالات الإسلاميين" ص 129 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 198.

[454] راجع "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، جزء 1 / ص 145 – 146 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18، وأنظر كذلك "الفَرْق بين الفِرَق" للإمام عبدالقاهر بن طاهر (أبي منصور البغدادي)، ص 227 ، 228 ، 356 مِن الطبعة المُشار إليه في الحاشية رقم 418.

وتركيب، ونُثبت له صفاتَ الكمال التي وَرَدَت في الشَّرع وأيضا ما دَلَّ عليها العقل كالحياة والعِلم والقُدْرة والإرادة والسَّمع والبصر والكلام، والوجود والوحدانية والقِدَم والبقاء ومُخالفة الحوادث والقيام بالذّات. فإثباتُ صفاتِ اللهِ غيرُ مُتوقفٌ على إثبات الجِسْمِيّة له تعالى، فالإمام أبو حنيفة مثلا قد نَفى عن ذاتِ الله الجِسْمِيّة وأثبتَ له صفاتٍ أزلية.

أما عند المُجَسِّمَة، ومنهم ابن تيمية، فالصفاتُ تقوم فقط بالأجسام، وبما أنّ اللهَ مُتَّصفٌ بصفاتٍ فيجب أن يكون جسماً! ونَفْيُ الجِسْمِيّة عن الله يستلزم نَفْيَ صفاته[455]، هذا تفكيرٌ سقيم، ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾.

● وقول ابن تيمية: «على أنّ ذمَّ هؤلاء - يقصد المُجَسِّمَة - ذَمٌّ لا أصل له في الكتاب والسُّنّة ولا كلام أحدٍ مِن سَلَف الأُمّة» ما هو إلّا ادعاءٌ باطل، قد تقدم بيان بُطلانه في صفحة 86 وما بعدها.

● وقوْله: « وأنّ النُّفاة - يقصد هنا نُفاة الجسم ولوازمه - مذمومون بالكتاب والسُّنّة والإجماع » هو قولٌ مذموم، بل ضلال، لأنه افتراءٌ على الكتاب والسُّنّة والإجماع. فأين يوجد في كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ أنّ نُفاةَ الجِسْمِيّة عن اللهِ مذمومون؟ وكيف يكون نُفاةُ الجسم في الكتاب مذمومين ونَفْيُ النّقائص، ومنها التّجسيم، عن اللهِ في كتابه مسطور:

1. قال اللهُ تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[456]، وهذا نَفْيٌ عام مِن أن تكون ذاتُ الله - وصفاته وأفعاله - كذوات المخلوقات والتي هي أجسام، سواءً أكانت أجساما حيّة أم جامدة أم نامية. فالقول: اللهُ جسم، هو تشبيهٌ لله بخلقه، ولا يُجدي القول بعد ذلك: ليس كالأجسام. فإذا كان ليس كالأجسام، فهو إذن ليس بجسم.

2. وقال اللهُ تعالى: ﴿ وقُلِ الْحَمْدُ للهِ الّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَريكٌ في الْمُلْكِ ﴾[457]، فإذا لم يَكُن لله شريكٌ في المُلْك، فكيف يكون لهُ شريكٌ مِن مخلوقاته في الصفات؟! فالقول: لله يدٌ حقيقية، أي عضو، أي كصفة عَيْنِيّة، هو إشراكٌ للهِ وخلقه في صفة الجِسْمِيّة، لأنّ اليدَ الحقيقية جسم، ولا ينفع القول بعد ذلك: بلا مُماثلة أو بلا تشبيه في الشّكل والحَجم.

3. وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ بَديعُ السَّماواتِ والأرضِ ﴾[458]، أي خالقهما على غير مِثال سابق، فلو كان اللهُ جسماً، لكان خَلقُ السّماوات والأرض، وهي أجسام، على مثالٍ سابق.

---

[455] راجع "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 971 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[456] سورة الشورى: آية رقم 11.
[457] سورة الإسراء: آية رقم 111.
[458] سورة الأنعام: آية رقم 101.

وللتذكير: الجسم هو كُلُّ شيءٍ له طولٌ وعَرْض وسُمْك ومُرَكّب.

4. وقال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، فكُلُّ والد، وكُلُّ مولودٍ هو جسم، فقوله تعالى عن نفسه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ هو نفيٌ صريحٌ للجِسْمِيّة عن ذاته المُنَزّهة عن صفات وأوصاف المخلوقات.

فهذه الآيات الكريمة الآنفة الذِّكْر - وغيرها- تدحضُ افتراء ابن تيمية السابق، وكذلك الآتي، حيث قال: « وإذا كان كذلك فَنَفْيُ التّجسيم لا يُمكن أنْ يكون بِنَصٍّ ولا إجماع، بل ولا بأثرٍ عن أحدٍ مِن سَلَف الأُمّة وأئمتها »[459].

نعم، سَلَفُ المُجَسِّمَة وأئمتهم، كعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن كَرّام السجستاني وهشام بن الحكم وداود الجواربي، لم يؤثر عنهم أنهم نفوا التّجسيم عن ذات الله، وكيف ينفون وهم مُجَسِّمَة. بينما سَلَفُ أهل السُّنّة وأئمتها كابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر والحسن البَصْري وأبي حنيفة النُّعمان والنَّضر بن شُمَيْل وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وأبي جعفر الطَّحاوي وأبي منصور البغدادي وأبي بكر البَيْهَقي ومُحيي الدين النَّوَوي وغيرهم كثير نفوا الجسم والأعضاء عن الله تعالى (راجع إن شئت ص 93 وما بعدها).

● أما بخصوص الإجماع على ذمِّ نُفاة التّجسيم الذي ادعاه ابن تيمية، فإجماع مَن هذا؟ نعم، سَلَفُ وأئمة المُجَسِّمَة قد أجمع غالبيّتهم[460] على أنّ ذاتَ اللهِ جسم، وأجمعوا فيما بينهم وفي حلقات دروسهم على ذَمِّ مَن نَفَى الجِسْمِيّة عن ذات الله، أي أجمعوا على ذَمِّ أهلِ السُّنّة، وإجماعهم هذا ساقط ولا قيمة له، وصار بمثابة قول الشاعر:

وإذا أتتك مَذمّتي مِن جاهل فهي الشهادة لي بأني كامل

أما أئمةُ سَلَف أهل السُّنّة فقد أجمعوا على أنَّ اللهَ ليس بجسم، قال الإمام الفقيه والأصولي أبو منصور البغدادي (ت 429 هـ): « وأجمعوا -أي أهل السُّنّة- على إحالة وصفه - تعالى - بالصورة والأعضاء »[461]. وتَنزيهُ اللهِ عن الصّورة والأعضاء يستلزم تنزيههُ عن الجِسْمِيّة، لأنّ التّركيب (مِن الأعضاء وغير ذلك) مِن لوازم الجسم.

---

[459] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 823 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[460] هنالك مُجَسِّمة نفوا لفظ الجِسْمِيّة عن ذات الله، كابن الزاغوني (ت 527 هـ)، ومع ذلك بقوا في عداد المُجَسّمة لأنهم نسبوا لله الوجه واليدين كصفات **حقيقية- واليد مثلا كصفة حقيقية هي العضو**- وإن لم يصرحوا بهذا اللفظ، أي بلفظ العضو.

[461] "الفرقُ بين الفِرَق"، للإمام أبي منصور البغدادي، ص 356 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 418.

وقال الإمام أبو حنيفة (ت 150 هـ) **في "الفِقه الأكبر": « إثباته -تعالى- بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض»[462].**

وأجمعَ أئمةُ سَلَف أهل السُّنّة كذلك على تبديع المُجَسِّمَة، وبسبب عقيدة التَّجسيم والتَّشبيه وقفَ ابن تيمية عدة مرات أمام لجنة تحقيق مكونة مِن علماء أهل السُّنة، ومات مسجونا بسبب عقيدته المعلوم بُطلانها بالنّقل والعقل. ومِن قبله ولنفس السبب خضع القاضي أبو يعلى الفرّاء في سنة 429 هـ للاستجواب. ومِن قبله سُجِنَ المُبتدع المُجسّم الضّال محمد بن كَرّام السجستاني (ت 255 هـ)**. فالمُجَسِّمَة كانوا على مدار التاريخ الإسلامي جماعة مذمومة، ومنبوذة، تُروِّجُ عقائدها بين بُسطاء الناس، ولم ترفع رأسها يوما إلّا بتعلقها « ببعض أتباع الدول، ويكفي اللهُ شرّهم » كما قال الإمام، قاضي القضاة، تقي الدين السُّبْكي في كتابه "السّيف الصقيل في الرّدِّ على ابن زفيل"[463].**

رابعا: ابن تيمية يدّعي أنَّ القولَ: «جسم لا كالأجسام» هو كالقول: «ذات لا كالذوات»

كما سبق ذِكْرُه قال ابن تيمية عن الله أنه جسم - لا كالأجسام -، وجعلَ المُجَسِّمَة صنفين، فقال: « والذين قالوا إنه جسم نوعان: أحدهما: وهو قَوْلُ علمائهم إنه جسم لا كالأجسام، كما يُقال ذات لا كالذوات، وموصوف لا كالموصوفات، وقائم بنفسه لا القائمات، وشَيءٌ لا كالأشياء فهؤلاء يقولون هو في حقيقته ليس مُماثلا لغيره بوجه مِن الوجوه، لكن هذا إثبات أنّ له قدْراً يَتميّز به، كما إذا قلنا موصوف، فهو إثبات حقيقة يتميّز بها، وهذا مِن لوازم كُلِّ موجود، ولهذا يقولون: نعني بأنه جسم: أنه قائم بنفسه ونحو ذلك مع قولهم: إنه ذو الأبعاد الثلاثة، لأنهم يقولون: لا يُعقل موجود قائم بنفسه إلّا هكذا...- إلى أن قال-: أما النّوْع الثاني وهم الغالبيّة الذين يُحكى عنهم أنهم قالوا: هو لحم وعظم ونحو ذلك، فهؤلاء وإن كان قولُهم فاسداً ظاهر الفساد، إذ لو كان لحماً وعظما كما يُعقل لجاز عليه ما يجوز على اللحوم والعظام، وهذا مِن تحصيل التّمثيل الذي نفاهُ اللهُ عن نفسه...»[464].

---

[462] سبق ذِكر المرجع في الحاشية رقم 196.

[463] "السيفُ الصّقيل في الرّدِّ على ابن زفيل"، للإمام النّظار قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي (ت 756 هـ) - رَحِمَهُ اللهُ -، ص 22 بتعليق الشيخ محمد زاهد بن الحسن **الكَوْثري، الناشر**: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. - **المقصود بابن زفيل ابن القَيِّم الجَوْزية**- .

[464] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 95 – 96 تلبيس مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

التّعليق: مِن النّصِّ السابق يتضح أنّ الشيخ ابن تيمية كمجسِّم كان مِن النَّوْع الأول، لأنه وصفَ قولَ النَّوْع الثاني مِن المُجَسِّمَة، وهم الغالبية على رأي ابن تيمية، بالفساد. فابن تيمية كان يتبع الأقليّة مِن المُجَسِّمَة ، والتي كانت تقول عن الله أنه جسمٌ لا كالأجسام، مع القوْل: إنه ذو أبعاد ثلاثة. والحقيقة أنّ ابن تيمية لم يكن أمينا في النَّقل عن الصّنف الثاني، وأراد أن يُشوِّه صورتهم ليُخَفِّفَ مِن بشاعة الصنف الأوّل الذي كان ينتمي إليه. فحتّى المُجَسِّم داود الجواربي الذي قال: « إعفوني عن الفَرْج اللّحية واسألوني عَمّا وراء ذلك»[465] - ويقصد بقوله هذا أنَّ للهِ ما للإنسان مِن أعضاء ما عدا الفَرْج واللّحية - لم يَقُل أنّ اللهَ مِن جنس المخلوقات، بمعنى أنه لحمٌ كاللحوم وعظم كالعظام، بل قال: « أنّ معبودهم جسمٌ ولحمٌ ودم وله جوارح وأعضاء مِن يدٍ ورِجْل ورأسٍ ولسان وعينين وأذنين ومع ذلك <u>جسم لا كالأجسام</u> ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يُشبهُ شيئا مِن المخلوقات ولا يُشبههُ شيء ... »[466]. فداود الجواربي وأتباعه أثبتوا للهِ الجسمَ والأعضاءَ ولكنهم نفوا في الوقت نفسه أن يكون جسمُ اللهِ وأعضاؤه مِن جنس أجسام وأعضاء المخلوقات، وهذا هو عَيْن عقيدة المُجَسِّمَة مِن النَّوْع الأوّل الذي كان ينتمي إليه ابن تيمية، مع فَرْق واحدٍ فقط: وهو أنّ النَّوْع الثاني مِن المُجَسِّمَة زاد في الافتراء على النَّوْع الأوّل فَنَسَب للهِ الرّأسَ واللسان والأذنين واللحم والدّم. وأنا شخصيا أظن أنَّ أيضا ابن تيمية كان يعتقد ذلك، وإن لم يُصَرِّح به، لأنه كان يعتقد بأنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عليه السلام على صورة نفسه.

- أما بخوص القوْل: أنّ اللهَ «جسمٌ لا كالأجسام» هو كالقول «ذات لا كالذوات» وكالقول «موصوف لا كالموصوفات»، وكالقول «قائم بنفسه لا القائمات»، وكالقول «شيءٌ لا كالأشياء» فهو مُغالطة وتلبيس على القارئ البسيط لكي يتقبل فِكرة أنَّ اللهَ جسم، وبيان التّلبيس كالآتي واللهُ وليُّ التوفيق:

إنّ القوْلَ عن الله: «ذات لا كالذوات» معناه إثباتُ ذاتٍ للهِ مُخالفة في حقيقتها لأيّ ذاتٍ مِن ذوات المخلوقات ودون تعيين لكُنهها، فلا يَعْلَمُ حقيقةَ ذاتِ اللهِ إلّا الله الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾. أما القول: «اللهُ جسم» فمعناه أنه ذو أبعاد ثلاثة: طول وعَرْض وسُمْك، وهذا ما

---

465 "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 140 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

466 المرجع السابق.

لم ينفه ابن تيمية كما في النَّصِّ السابق، ومعناه أيضا أنه مُتَحَيِّزٌ ومُرَكَّب مِن أعضاء، وهذا أيضا لم ينفه ابن تيمية، وأنه ذو هَيْئة وصورة، وهذه أيضا نَسَبَها ابن تيمية لله[467].

قال الإمامُ أحمد في تعريف الجسم: « إنَّ الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - أي الجسم - على كُلِّ ذي طول وعَرْض وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف واللهُ تعالى خارج عن ذلك كُلِّه، فلم يَجُز أن يُسَمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجِسْمِيّة، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل »[468].

فالقول أنّ «اللهَ جسم» هو تحديدٌ لذاتِ اللهِ بأنها ذاتُ أبعاد ثلاثة، ومُركّبة وذات صورة - ومُتحيِّزة -! أليس هذا افتراء على ذات الله؟! بلى والله خالق الأبعاد الثلاثة وكُلِّ شيء.

والقول: «لا كالأجسام» ما هو إلّا نَفْثٌ في العُقَد لتُسحر العقول، عقول البُسطاء مِن الناس لتتقبل أنّ اللهَ جسم، ولِم لا ؟ فهو ليس كالأجسام! فإذا كان ليس كالأجسام، فهو إذن ليس بجسم، وبهذا قال « أهل السُّنّة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يُشبهُ الأشياء»[469].

وبناءً على ما تقدم أقول: القَوْلُ عن الله «جسم لا كالأجسام» لا يُساوي في المعنى القول « ذات لا كالذوات».

● **أما القَوْلُ: «موصوف لا كالموصوفات» فمعناه إثباتُ ذاتٍ - دون تحديد لكُنْهِها - مُتّصفة بصفات تتمَيّزُ بها عن غيرها مِن الذّوات الموصوفة، واللهُ سبحانه وتعالى كخالق مُتّصفٌ بصفات يَتميّزُ بها عن ذوات المخلوقات: فصفاته أزَليّة وأبدية كذاته، ولا تتغيّر ولا تتبدل، قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الفقه الأكبر" عن اللهِ تعالى: « لم يَزَل ولا يزالُ بأسمائه وصفاته لم يَحْدث له اسمٌ ولا صفة »[470].**

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: « لا يجوزُ عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته»[471].

وعلى هذا فالقَوْلُ عن الله: «جسم لا كالأجسام» لا يساوي في المعنى القولَ: «موصوفٌ لا كالموصوفات».

● **أمّا بخصوص القول: «قائم بنفسه لا القائمات» فهو حُجَّة على ابن تيمية لنقض عقيدة التَّجسيم ولوازمها وبيانها كالآتي واللهُ وليُّ التَّوفيق: الموجود اثنان: الله، وهو «قائم**

---

[467] راجع "تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 1159 (الوجه الرابع) و ص 1173 (الوجه الثامن والعاشر) مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[468] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2/ ص 257 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

[469] "مقالات الإسلاميين"، للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 125 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.

[470] صفحة 301 مِن "شرح الفقه الأكبر" للإمام مُلّا علي القاري ، مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 196.

[471] سبق تخريجه في الحاشية رقم 152.

بنفسه»، بمعنى أنه الغَنِيُّ، غير المحتاج لغيره مطلقا، وهذا المعنى، أقصد الغَنِيّ، هو صفة لله دون تحديدٍ لِماهيّة الذّات. والموجود الثاني هو المخلوق، والمخلوق في الشاهد اثنان: الأعيان وهي قائمة بنفسها، بمعنى أنه يَصِحُّ وجودها لا في مَحَل، والأعْراض، وهي الصفات القائمة بالأعيان، وغير قائمة بذاتها.

والأعيانُ إما غير مُركّبة كالجَوْهر الفَرْد، وهو أصلُ الجسم[472]، أو مُرَكّبة كالجسم، وهو ما تركب مِن جَوْهَرَين فَرْدَيْن فأكثر[473]، كالإنسان والحيوان والأشجار والكواكب ونحوها، وكالهواء والماء. ومِن صفات الجَوْهر الفَرْد كقائم بنفسه التَّحَيُّز، ومِن صفات الجسم كقائم بنفسه التَّحَيُّزُ والتَّركيب والأبعاد الثلاثة والصّورة.

فالقول عن الله: هو «قائم بنفسه لا القائمات» معناه أنَّ اللهَ ليس بجسم (وبالتالي فهو غير مُرَكّب) ولا جَوْهَر وغير مُتَحَيِّز، وهذا هو في معنى قوْل الإمام أبي حنيفة عن الله: « إثباته - تعالى- بلا جسم ولا جَوْهَر ولا عَرَض»[474]، وهو في معنى قول الإمام أبي حامد الغزالي: « أنّه - أي الله - ليس بجسم مُصَوَّر، ولا جَوْهَر محدود مُقَدَّر »[475]

أما عند ابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة فكُلُّ «قائم بنفسه» يجب أن يكون جسما[476]، وهذا تحديدٌ للذّات، وبما أنّ اللهَ قائمٌ بنفسه فيجب أن يكون جسما، «فالقائم بنفسه» مُرادف "للجسم" عند ابن تيمية، ولهذا قال على لسان طائفته: «لا يُعقلُ موجودٌ قائم بنفسه إلّا هكذا»، أي جسم وذو أبعاد ثلاثة: طول وعَرْض وسُمْك، وهذا ما أراده بقوله على لسان فرقته: «لكن هذا إثبات أنَّ له قَدْراً يَتميّزُ به»، أي له حَجْمٌ يتميّز به، وكما هو معلوم: كُلُّ شيءٍ ذي حجم فهو جسم وذو أبعادٍ ثلاثة، فاللهُ عند ابن تيمية جسم وذو أبعاد ثلاثة، ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ﴾.

إنَّ تفسير «القائم بنفسه» بأنه الجسم - على مذهب ابن تيمية - هو مغالطة لأنّ بعضَ القائم بنفسه ليس جسما كالجَوْهر الفرد (= الذرة)[477]. وعلاوة على ذلك: هذا القوْل:

---

[472] مصطلح "الجَوْهر الفرد" في لغة علماء عِلم التوحيد مرادف لكلمة "ذرة" في اصطلاح الكيميائيين والفيزيائيين.

[473] راجع "شرح الفقه الأكبر" لمُلاّ علي القاري، ص 56 – 57 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 196.

[474] سبق تخريجه في الحاشية رقم 196.

[475] سبق تخريجه في الحاشية رقم 209.

[476] راجع إنْ شئت صفحة 46 – 47.

[477] لقد أثبت علماؤنا - علماء عِلم التّوحيد - الأوائلُ وجود الجَوْهر الفَرْد، ونفى وجوده ابن تيمية لينفي أنّ الجسمَ مُركّبٌ مِن أجزاء متناهية في الصِّغَر، فقال: « ونقول: إثبات الجَوْهر الفَرْد باطل، والأجسام ليست مُركّبة مِن الجَوَاهر الفَرْدة، ولا مِن الهَيولي والصورة، بل الجسم واحد في نفسه » ("منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 212 ، أنظر كذلك جزء 2 / ص 139 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38). ولقد أثبت العِلمُ الحديث بإثبات وجود الذرة بُطلان ادعاء ابن تيمية.

«قائم بنفسه لا القائمات» بمعنى الجسم على مذهب ابن تيمية متناقض في معناه، لأنه صار بمنزلة القول: «جسم ذو أبعاد ثلاثة ليس كالأجسام ذاتِ الأبعاد الثلاثة».
وبناءً على ما تقدم أقول: القوْلُ عن الله «جسم لا كالأجسام» لا يُساوي في المعنى القول: «قائم بنفسه لا القائمات».

● أما القوْلُ عن الله تعالى: «شيءٌ لا كالأشياء» فهو حَقّ، لأنّ معناه أنه موجودٌ لا كالموجودات، فكلمة شيء تُطلق على كُلّ موجود، والموجود اثنان: اللهُ الخالق، والمخلوق. فحقيقة وجودِ اللهِ تختلفُ كُلّيا عن حقيقة وجود المخلوق، فالمخلوق حادث، ويفنى، ومُرَكّب، ومحدود، ومُتَحَيِّز، واللهُ الخالق مُنَزَّهٌ عن ذلك كُلِّه.

خلاصة ما تقدم: القوْلُ عن الله: «جسم لا كالأجسام» لا يساوي في المعنى القول: «ذات لا كالذوات» ولا القول: «موصوف لا كالموصوفات» ولا القول: «قائم بنفسه لا كالقائمات». ولا القول: «شيء لا كالأشياء».
فالقول: «جسم لا كالأجسام» هو تجسيم وتشبيه، والقول: «ذات لا كالذوات» و «شيء لا كالأشياء» و «قائم بنفسه - بمعنى الغِنَى المُطْلَق - لا كالقائمات» هو تنزيه، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾، ولقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ﴾، والتَّسبيحُ هو التَّنزيه لقول المعصوم عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، الذي لا يَنطقُ عن الهوى، في تفسير "سبحان الله": « تنزيهُ اللهِ عزَّ وجَلّ عن كُلّ سوء »[478].
وأخيرا: مِمّا سبق بيانه يَتبيّن مدى المغالطات التي أوردها ابن تيمية في فقرة قصيرة. ولا غرابة في ذلك، فعقيدة التَّجسيم بحاجة ماسّة إلى مغالطات وافتراءات لكي يتم تجميل صورتها، وحتى يَسهل ترويجها.

---

[478] سبق تخريجه في الحاشية رقم 125.

خامسا: ابن تيمية يدّعي أنّ «القَوْلَ في بعض الصفات كالقول في بعض»[479].

كما سبق ذِكْره أثبت علماء أهل السُّنّة للهِ صفاتً قائمة بذاته، منها الحياة والعِلْم والقُدْرة والإرادة والسَّمع والبَصر والكلام، وهذه الصفات وَرَدَت في الشّرع[480] وقام الدّليلُ العقلي على ثبوتها لله سُبحَانهُوَتَعَالَى، **وهي صفاتٌ مَعنويّة وليست عَيْنِيّة (مادية).**

وبالقاعدة التي وضعها ابن تيمية: «القول في بعض الصفات كالقول في بعض» حاول أن يوهم القارئ أنه لا فَرْق بين إثبات صفات المعاني لله، كالعِلْم والقُدرة، وبين إثبات ما سَمّاه بالصفات العَيْنِيّة كاليد والوجه! والحقيقة هي أنّ الفرقَ بَيِّنٌ لمِن كان عنده عقلٌ سليم، لأنَّ تلك الصفات كالعِلْم والقُدرة والسَّمع معنويّة، والتي أراد ابن تيمية إثباتها لله عَيْنِيّة، أي ماديّة. وعلاوة على ذلك: صفاتُ المعاني ثابتة للهِ بنصوص النَّقل ودلالة العقل، أما الأعضاء، والتي كان ابن تيمية مِن باب التّلبيس يُسمّيها صفاتً عَيْنِيّة وصفات حقيقية، وصفات أجسام، فليست ثابتة لا بالنّقل ولا بالعقل.

قد يقول قائل: لكن الوجهَ مثلا وَرَدَ مُضافا إلى اللهِ في القرآن والسُّنّة، فلماذا لا نُثبتهُ للهِ على خِلاف ما هو ثابتٌ للمخلوق، بمعنى: أنَّ للهِ وجهاً على الحقيقة ويختلف في الهَيْئة والماهيّة عن وجه المخلوق؟ وجواب ذلك كالآتي واللهُ المُنَزَّهُ عن الصفات العَيْنِيّة وليُّ التّوفيق: لقد قام الدّليلُ الشّرعي والعقلي على أنَّ ذاتَ اللهِ الخالق تختلفُ في كُنْهِها عن ذوات المخلوقات، وذلك لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فَلا تَجْعَلواْ للهِ أنْداداً ﴾، وبناءً على ذلك لم يُثبِت الصحابة ولا التّابعون ولا أئمّة الهُدى الوجهَ ولا اليدين ولا العَيْن كصفات عَيْنِيّة لله. ومِن الدّليل عليه أنّ الصحابيّ الجليل ابن عباس رضي‌الله‌عنهما **، وغيره مِن أئمة أهل الهُدى كمجاهد بن جبر، أوّلَ الوجه بالذات، والعين بالحراسة[481]. ولو فهم الصحابة والتّابعون وأئمة أهل السُّنّة مِن ألفاظ الوجه واليدين والعين المضافة إلى اللهِ أنها أجزاءٌ وأعضاءٌ لله لقالوا بذلك، ولكننا نجد العكس مِن ذلك: فقد أوّلَ الأئمة كابن عباس** رضي‌الله‌عنهما **ومجاهد بن جبر وقتادة وابن جرير الطبري وغيرهم اليد المضافة إلى اللهِ** عزّوجلّ **كما في قوله تعالى: ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها**

---

[479] "الرسالة التدمرية" لابن تيمية، **المرجع**: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 12 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

[480] كقوله تعالى: ﴿أنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [سورة النساء، آية رقم 166]، وكقوله تعالى: ﴿ذو القُوَّةِ الْمَتينُ﴾ [سورة الذاريات: آية رقم 58]، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَعّالٌ لِّما يُريدُ﴾ [سورة البروج: آية رقم 16].

[481] أنظر إن شئت الحاشية رقم **79**.

بأيْيْدٍ وإنّا لَمُوسِعُونَ﴾[482] بالقوة[483]، وليس باليد الحقيقية، أي العضو. قد يتفذلك مُجسِّم فيقول: "ألأيد" تعني أصلا القوة وليست صيغة جمع لليد الحقيقية بأي حال لكي تُؤوّل بالقوة. وجوابه: بل الأيد (والأيدي) صيغة جمع لليد الحقيقية والدّليلُ على ذلك قوْلُ اللهِ الحقّ: ﴿ أَلَهُمْ أرْجُلٌ يَمْشونَ بهآ أمْ لَهُمْ أيْدٍ يَبْطِشونَ بهآ ﴾[484]، فالمقصود باليد في هذه الآية اليدُ الحقيقية كما هو واضح، وعُبِّرَ عن القُوّة باليد كما في قوله تعالى: ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ ﴾ لأنّ غالب الأفعال تكون باليد، وهي آلة الفِعل والقوة عند المخلوق.

ولقد أوّل الإمام الحسن البصري (ت 110 هـ)**، الذي شَبَّ في كَنَف سيدنا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب** رضي الله عنه**، اليدَ في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ﴾[485] بالمِنّة والإحسان[486]، وغيره مِن علماء السَّلف أوّلوها بالقوة، أي « قوة اللهِ فوق قُوَّتهم في نُصْرَة رسوله** صلى الله تعالى عليه وسلم**»[487]، وفسَّرها الإمام ابن حَجَر العَسقلاني بالعهد[488].**

ولفظُ اليد واليدين والأيد في اللغة له معانٍ عديدة[489]، منها: الذّات، كقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أبي لَهَبٍ﴾ والمُرادُ بيديّ أبي لهبٍ أبو لهب نفسه، والمعنى: هَلَكَ أبو لهب بذاته، وليس يداه فقط - وجاء لفظ اليد هنا بصيغة التَّثْنِية (يدا)-.

ومنها الفضل والمعروف والإحسان كالقول: لي يَدٌ عند فلان، والمعنى: أسْدَيتُ له معروفا، وكقول الشاعر:

متى تناخي عند باب بني هاشم تريحي فتلقي مِن فواضله يدا[490].

ومنها: القُوّة، كقوله تعالى: ﴿ واذكُرْ عَبْدَنا دَاودَ ذا الأيْدِ ﴾، أي ذا القُوّة في العبادة - وجاء لفظ اليد هنا بصيغة الجَمْع -.

ومنها: إحكام السَّيطرة على الشيء، كالقول: فلان في يدي، ومنها الخُضوع، كالقول: مَثُلَ فلان بين يَديّ المَلِك، والمعنى: وقف أمامه خاضعا لأوامره.

ويأتي لفظ اليد في حَقّ الله أيضا بمعانٍ مختلفة وذلك حسب سياق النَّص. فمَرّة يكون كِناية عن التّأيْيد والنُّصرة، كقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِمْ﴾ ، ومَرّة كِناية عن الفضل والعطاء

---

[482] سورة الذاريات: آية رقم 47 .

[483] سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 114.

[484] سورة الأعراف: آية رقم 195.

[485] سورة الفتح: آية رقم 10.

[486] أُنظر "دفع شُبه التشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي، ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[487] أنظر تفسير ابن جرير الطّبري، جزء 26 / ص 89 مِن طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2001. و "زاد المسير في عِلم التفسير" للحافظ ابن الجَوْزي، جزء 7 / ص 163 ، **الناشر**: دار الفكر، ط 1 ، بيروت 1987.

[488] أنظر "فتح الباري"، بعد ذِكْر الحديث رقم **7415**، جزء 13 / ص 485 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 72.

[489] لقد ذَكَر الحافظ ابن حَجَر العسقلاني 25 معنى لليد في اللغة، أنظر المرجع السابق ("فتح الباري") .

[490] هذا البيت استشهد به ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التّشبيه بأكف التنزيه"، ص 144.

والسّخاء، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، ومَرّة بمعنى القُدْرة كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أي لِما خلقتُ بقُدرتي.

واعترضَ المُجَسِّمَة السابقون - واللاحقون كالوهابيين وغيرهم - على أنّ لفظ «يَدَيَّ» في الآية أعلاه لا يأتي بمعنى القُدرة، والسّببُ هو أنّ القُدرة لا تُثنّى، ولفظ اليد جاء في الآية بصيغة التّثنية (بِيَدَيَّ)، وعلى هذا فلفظ «يَدَيَّ» في الآية لا يعني بقدرتي، بل بيديه الحقيقِيّتين! والجواب هو، واللهُ وليُّ التّوفيق: بل تُثَنّى اليدُ وتأتي بمعنى القُدرة، والدّليلُ على ذلك قول المعصوم عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم أنَّ اللهَ يوحي إلى عيسى ابن مريم « إنّي أخرجت عباداً لي لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم »[491]، ومعنى «لا يدان» هو: لا قُدْرة ولا قُوّة لأحدٍ بقتالهم وهم يأجوج ومأجوج. فلفظُ اليدِ جاء بصيغة التّثنية (يدان) وبمعنى القُدرة والقُوّة بنَصِّ الرسول ﷺ. فماذا يقول المُجَسِّم الآن؟! إما أن يقول - إن شاء الله -: سُبحان الله، لم أكن أعلم ذلك، ولم يَخطر هذا على بالي، وأستغفرُ الله على ما مضى، وإنّي أُنَزِّهُ اللهَ عن الأعضاء والجسم. أو سيشعر - واللهُ أعلم- بوَخزة في قلبه، ويرتفع ضغطه ولو بنسبة بسيطة، ويَكفَهِرُّ وجهه، لأنَّ الحقيقة جاءت على خِلاف ما تهوى نفسه، أو على خلاف ما قاله له شيخه، أو على خلاف ما شبّ عليه وأدمن، فالتّجسيم أصبح عادة عند بعض الناس كالتّدخين تماما، فالمُدخِّن يعلم أنّ التّدخين مُضِرٌّ بصحته ومع ذلك يواصل التّدخين.

ولقد استشهدت ذات مرة بحديث الرسول ﷺ السابق في حوار لي مع أحد الأفاضل مِن المُجَسِّمَة، فوَجَم، ولم يُعلِّق ولو بكلمة! ألهذه الدرجة أصبحت الحقيقة مُرّة؟! الحقيقة هي أنّ المُجسِّم لا يبحث عن الحقيقة في كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، بل يبحث عنها في أقوال شيخه ابن تيمية، وابن تيمية كان يعتقد بأنّ اللهَ خَلَقَ آدم عليه السلام بيديه الحقيقِيَّتيْن، وعلى صورة نفسه! طبعا ليس بمعنى أنَّ وجهَ اللهِ في الهيئة أو القَدْر مِثْلُ وجه آدم عليه السلام، أو العكس. ليس هذا هو المقصود بذلك، بل المقصود منه عند المُجَسِّمَة هو أنَّ للهِ وجهاً ويدين وعينين، وهكذا خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلام له أيضا وجه ويدان وعينان. فالخالقُ والمخلوق مُركّبان مِن أعضاء، لكن مع فروق تَمَّ ذِكْرها في صفحة 53 - 54.

ومِن باب الإطلاع على عقائد مُجَسِّمَة العصر أوَدُّ أن أذكُرَ نصّاً للشيخ الوهابي السعودي صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، حيث قال بخصوص ذلك في شرحه على "الفتوى الحَموية" لابن تيمية ما نصه: « فاللهُ جَلَّ وعلا خَلَقَ آدمَ على صورة الرَّحمن سُبحانه

---

[491] سبق تخريجه في الحاشية رقم 119.

وتعالى، يعني على صفاته سبحانه، فخَصَّ آدمَ مِن بين المخلوقات بأنّ له مِن الصفات مِن جنس صفات الحَقّ سبحانه وتعالى، يعني: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى له وجهٌ وجَعَلَ لآدم وجها، وله سَمْعٌ وجعل لآدم سمعا، وله بصرٌ وجعل لآدم بصرا، وله أصابع سبحانه وجعل لآدم أصابعاً، وله جَلَّ وعلا قدمان وجعل لآدم قدمين، ولـه سبحانه ساقٌ وجعل لآدم ساقاً، إلى آخر ذلك »[492]!

● **قَوْلُ الشيخ صالح آل الشيخ: « فخصَّ آدم مِن بين المخلوقات بأنّ له مِن الصفات مِن جنس صفات الحقّ ... » هو قولٌ مُنْكَر، ومخالفٌ للشاهد، حيث أنَّ لكثير مِن المخلوقات الحيّة، كالقِرد مثلا، وليس فقط لآدم** عليه السلام**، وجهاً وأصابعاً، وساقا وقدمين ...**

● **وقوْله: «وله جَلَّ وعلا قدمان» هو افتراء وبهتان، فأين يوجد في كتاب الله وسُنّة نبيه** صلى الله عليه وسلم **أنَّ للهِ قدمين عضوين؟ لا يوجد بتاتا.**

●**وقوْله: «وله سبحانه ساق وجعل لآدم ساقاً» يُخالف الواقع، لأنّ آدم** عليه السلام **كان له ساقان، وليس ساقاً واحدة - تَنَزَّهَ اللهُ عن السّاق والأيدي -.**

● **وعلاوة على ذلك: كان لآدم** عليه السلام **فمٌ ولسانٌ ورأسٌ وأُذنان ... إلى آخره، فعلى صورة مَن خُلِقَت هذه الأعضاء؟! فهل للهِ فمٌ ولسانٌ ورأسٌ وأُذنان ...؟!**

وأفضَلُ جواب على افتراء المُجَسِّمَة هو قوْلُ اللهِ الحَقّ: ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾ [سورة الصافات: آية رقم 180]**.**

والمقصودُ مِن هذا الإسهاب في الشَّرح هو أنه ليست كُلّ كلمة وَرَدَت مُضافة إلى اللهِ فهي صفة له، أو أنَّ مدلولها في حَقِّ اللهِ كمدلولها في حقّنا كبشر. أمثلة على ذلك:

● **قال اللهُ** تبارك وتعالى**: ﴿هذهِ ناقَةُ اللهِ﴾[493]، فكلمة «ناقة» جاءت مُضافة إلى الله، ومع ذلك فالنّاقة ليست صفة للهِ تعالى. فإضافةُ الناقة إلى اللهِ هي إضافة مُلْك.**

● **وقال اللهُ** سبحانه وتعالى **: ﴿فاذْكُرونيَ أذْكُرْكُمْ﴾[494]، قال الإمام البخاري في كتابه "خَلْق أفعال العباد" في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصّه: « ذِكْرُ العبدِ لربِّه غيرُ ذِكْرِ اللهِ لعَبْدِه، لأنّ ذِكْرَ العَبْدِ الدّعاءُ والتّضرع، وذِكْرُ اللهِ الإجابة »[495]، فمعنى كلمة "ذِكْر" في حَقِّ الله، كما في الآية أعلاه، مُغاير لمعناها في حقنا كَبَشَر، فحصل توافق في اللفظ وليس في المعنى، وبفهم هذه المسألة تَنْحلُّ عُقدٌ كثيرة ينفثُ فيها المُجَسِّمَة لنَشْر عقيدة التّجسيم.**

---

[492] "شرح الفتوى الحموية"، ص 242 مِن الطبعة التي جُمِع فيها شرحُ الشيخ عبدالعزيز الراجحي والشيخ صالح آل الشيخ في كتاب واحد، ط 1، **الناشر**: دار ابن الجَوْزي، القاهرة 2007.

[493] سورة الأعراف: آية رقم 73، وسورة هود: آية رقم 64.

[494] سورة البقرة: آية رقم 152.

[495] "خلق أفعال العباد"، ص 109 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.

● ولقد وَرَدَ لفظُ النِّسيان والمَرض والجوع مضافا إلى الله سبحانه وتعالى[496]، فهل نقول: أن معنى لفظ النِّسيان المُضاف إلى الله كمعناه في حقنا، أو نقول: اللهُ يَنْسى ولكن ليس كنسياننا، أو ينسى كما يليقُ بجلاله[497]! مَن أجاب بنعم، خرج مِن الدين، وإن صلّى وصام. أو هل نقول: اللهُ يمرض ويجوع ويعطش ولكن ليس كمرضنا ولا كجوعنا ولا كعطشنا؟ بالطبع لا، وأيضا المُجَسِّم سيجيب في هذا الحال بلا، لماذا؟! إنّ ما تفرُّ منه يَلزمُك في ما تُحاول بالباطل وبما تهوى نفسك أن تُثبته للهِ كاليدين والوجه. نعم، النسيان والمَرضُ والجوع والعطش صفات نقص، واللهُ الخالق مُنزَّهٌ عن النّقائص، وكذلك عن أوصاف المخلوق كاليد والعين والوجه، سبحانه خالقُ الأيدي والعيون والوجوه، وكُلِّ شيء.

وعلى هذا يتبين بُطلان قاعدة ابن تيمية: «القولُ في - إثبات - **بعض الصفات** - كالعِلم والقدرة - **كالقول في** - إثبات - **بعض** - الصفات العينيّة كاليد والوجه والعين- **».**

ومِن جنس هذه القاعدة - المعلوم فسادها بالنَّقل والعقل - ما قاله ابن تيمية أيضا، مدافعا عن طائفته المُجَسِّمَة، ما نصه: « فالذي يُثبتونه في جميع الصفات المعلومة - قصدَ صفات المعاني- **هو مِن جنس ما يُثبتونه في الذّات»[498]، وهذا الكلام مغالطة - وما أكثر مغالطات الشيخ ابن تيمية مِن أجل نَشْر عقيدة التَّجسيم -. فالّذي يُثبته المُجَسِّمَة للهِ مِن صفاتٍ كالعِلم والقُدرة ليس مِن جنس ما يُثبتونه لذات الله مِن أجزاء وأعضاء كاليد والعين. ولو كانت للهِ أعضاءٌ كاليد والعين والوجه لفنيت سوى عضو الوجه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾.**

---

[496] قال الرسول ﷺ: « يقول اللهُ يوم القيامة: مَرضتُ عبدي فلم تَعُدني...يا ابن آدم استطعمتُكَ فلم تُطعمني ... » الحديث، سبق تخريجه في الحاشية رقم 172.

[497] لقد أوّل الأئمة ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر وابن جرير الطبري لفظ النِّسيان المُضاف إلى اللهِ كما في قوله تعالى: ﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هذا﴾ [سورة الأعراف: آية رقم 51] **بالتّرك**، أنظر تفسير الإمام ابن جرير الطَّبَري، جزء 8 / ص 238 ، طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001.

[498] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 115 تلبيس مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

فصل

المُماثلة والتَّشبيهُ عند ابن تيمية

لقد نَفَى الشيخ ابن تيمية المُمَاثلة، وهي المساواة التامة في الكَيْفِيّة والحقيقة، بين الله وبين المخلوق، فقال: « وقد بَيّنا فيما تقدم بالدلائل القاطعة الشّرعيّة والعقليّة أنه يمتنع أن يكون للهِ مِثْلٌ بوجه مِن الوجوه، وبيّنا أنّ التّماثل بينه وبين خلقه مُمتنع لذاته »[499].
ولكنه وللأسف أثبت التَّشبيه بين الله وبين خلقه، حيث قال في رسالته التَّدمريّة: « القاعدة السادسة: أنّ لقائل أن يقول: لا بُدَّ في هذا الباب مِن ضابط يُعرفُ به ما يجوز على اللهِ مِمّا لا يجوز في النَّفي والإثبات، إذ الإعتماد في هذا الباب على مُجرد نَفْي التّشبيه أو مُطْلق الإثبات مِن غير تشبيه ليس بسديد، وذلك أنه ما مِن شيئين إلّا بينهما قدْرٌ مشترك وقدْرٌ مُمَيّز »[500]. في هذا النَّصِّ أثبتَ ابن تيمية أصل التّشبيه وجَوَّز الإثبات، وقصد بذلك إثبات الصفات العَيْنِيّة ولكن بدون تشبيه مطلق وهو المُماثلة، كما سيأتي بيانه. ثُمّ وضح قاعدته في ذلك بقوله: «وذلك أنه ما مِن شيئين إلّا بينهما قدْرٌ مُشترك وقَدْرٌ مميّز».

كلمة شيء تُطلق على كُلّ موجود، والموجود اثنان الخالق والمخلوق. فالخالق والمخلوق بينهما قدْرٌ مُشترك على مذهب ابن تيمية، وكلامه هذا كَرّره بالمعنى في مواضع عديدة مِن كتابه "تلبيس الجَهْمية"، حيث قال: « وذلك أنَّ كُلَّ موجودين فلا بُدّ أن يكون بينهما نَوْعُ مُشابهة ولو مِن الوجوه البعيدة[501]، وَرَفْعُ ذلك مِن كُلِّ وجهٍ رفعٌ للوجود»[502].
فنفيُ التّشبيه مِن كُلِّ وجهٍ باطلٌ عند ابن تيمية، ولازمه إبطالُ الوجود! فلا بُدّ إذن أن يكون هناك شَبَهٌ بين المخلوقات مِن ناحية - وهذا حقّ -، وبين الخالق والمخلوق مِن ناحية أخرى - وهذا هو الباطل بعينه - حتى يتحقق الوجود على مذهب ابن تيمية.
والمقصود بالمشابهة (والتّشبيه، والشِّبه) في الاصطلاح الشَّرعي الاشتراك في بعض المعاني، مثلا في معنى العِلْم، واليد والوجه. فالقول مثلا أنّ مفهوم العِلم في حَقِّ اللهِ كمفهومه في حقنا - كما قال ابن تيمية[503]- يُعَدُّ تشبيها. وكذلك الأمر في لفظ اليد، فالقولُ أنَّ معنى اليد في حَقِّ الله كمعناه في حقّ البشر، أي العضو (الكف) أو معناه "صفة عَيْنِيّة"

---

[499] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 338 ، أنظر كذلك ص 98 السطر الثاني مِن أعلى الصفحة مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[500] **المرجع**: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2 / جزء 3 / ص 36 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.
[501] لقد ذكَر ابن تيمية هذا النص **بمعناه** أيضا في جزء 1 / ص 291 مِن "تلبيس الجهميّة" له.
[502] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1373.
[503] راجع صفحة 30 إن شئت.

هو تشبيه، قال الإمام ابن حَزْم في تعريف التّشبيه ما نصّه: «... لأنَّ التَّشبيه إنّما يكون بالمعنى الموجود في كِلا المُشتبهين لا بالأسماء »[504].

فحسب مذهب ابن تيمية لا بُدّ إذن مِن وجود شَبَهٍ ولو مِن بعض الوجوه بين الخالق وبين المخلوق، وإبطال ذلك مِن كلّ وجه هو إبطالٌ للوجود، وكذلك الجُحود لربِّ العالمين كما قال في موضع آخر: « وإذا كان الأمرُ كذلك عُلِمَ أنّ نَفْيَ التَّشبيه مِن كُلّ وجه هو التَّعطيلُ والجحودُ لربِّ العالمين، كما عليه المسلمون مُتفقون، كما أنّ إثباته مطلقا هو جَعْلُ الأنداد لربِّ العالمين، لكن مِن الناس مَن لا يفهم هذا، ولا يعتقد أنَّ لفظ التَّشبيه يَدلُّ على التّمثيل المَنفي عن الله، إذ لفظ التَّشبيه فيه عموم وخصوص ... ومنه ما هو ثابت بالإتفاق بين المسلمين، بل بين أهل المِلَل كُلِّهم، بل بين جميع العقلاء للتقرير بالصانع »[505].

● **قوْلُ ابن تيمية: «كما أنّ إثباته - أي التّشبيه - مُطلقا هو جَعْلُ الأنداد لرب العالمين، لكن مِن الناس مَن لا يفهم هذا، ولا يعتقد أنّ لفظ التشبيه يدل على التمثيل المنفي عن الله» هو نفيٌ للتَّشبيه المُطلَق فقط، وهو ما كان مِن جميع الوجوه وهذا هو عَيْن المُماثَلة. فالتَّشبيهُ المُتَضمِّن المُماثلة، سواءً مِن وجه واحد[506] أو مِن كُلّ الوجوه، هو ما ينفيه ابن تيمية، حيث قال: « ومَن جَعَلَ صفات الخالق مِثل صفات المخلوق فهو المُشَبِّه المُبطِل المَذموم »[507]. ومِن الأدلة التي استشهد بها ابن تيمية على نفي التّشبيه المُتضمِّن المماثلة قولٌ للإمام أحمد بن حنبل، قال ابن تيمية: [وإنما خالف فيه - أي في التّشبيه المُطلق- المُشَبِّهة المُمَثِّلة الذين وصفهم الأئمة وذَمّوهم كما قال الإمام أحمد: « المُشَبِّه الذي يقول: "بصرٌ كبصري ويَدٌ كيدي وقَدَمٌ كقدمي". ومَن قال هذا فقد شَبَّهَ اللهَ بخلقه»][508].**

التّعليق: أولا: هذا الكلام أوْرَدَهُ ابن تيمية ليُلَبِّس على القارئ، ويوهمه أنّ التَّشبيهَ هو القول: «يَدٌ كَيَدي» أي يَدُ الله مِثْلُ يدي، و «قَدَمٌ كقدمي» أي قَدَمُ الله مِثلُ قدمي. أما القوْل: «يدُ اللهِ ليست كيدي» و «قدمُ الله ليس كقدمي» فهذا ليس بتشبيه! هذا ما أراد ابن تيمية مِن القارئ أن يعتقده، وكلامه فيه أيضا تصريحٌ بأنَّ الأعضاءَ كاليد والوجه ثابتة لله ولكن

---

504 "الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" لابن حَزْم ، جزء 2 / ص 120 مِن الطبعة المذكورة في الحاشية رقم 18.

505 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1162 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

506 راجع "تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 1163 آخر فقرة مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

507 "منهاج السُّنّة النبويّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 111، راجع كذلك "تلبيس الجهميّة" جزء 1 / ص 132 ، الوجه السابع والأربعين، وصفحة 138 آخر فقرة.

508 "تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 410 ، راجع كذلك ص 378 ، ص 563 – 564 ، وجزء 2 / ص 1169.

على خلاف ما هي ثابتة للمخلوق. ولقد تقدم إبطال عقيدة الأيدي والأقدام والعينين والوجه بأدلة شرعية وعقلية، فراجع ذلك إن شئت، صفحة 89 وما بعدها.

ثانيا: قوْلُ الإمام أحمد في تعريف المُشَبِّه: هو الذي يقول«يدٌ كيدي» أي «يدُ الله كيدي» معناه: يَدُ اللهِ عُضْوٌ كيدي، فمَن نَسَب اليدَ للهِ كَيَدٍ حقيقية، أي كعضو فهو مُشَبِّه. قد يقول قائل: وما هو الدّليلُ على هذا التّفسير؟ الدّليلُ عليه هو أنَّ الإمام أحمد نَفَى عن ذاتِ اللهِ الجِسْمِيّة والأعضاء، وكان يقول عن اليدين المُضافتين إلى اللهِ هما صفة، وليستا بعضوين، ومعنى اليد في حقِّ الإنسان العضو (الكَف) وليس صفة، جاء في "طبقات الحنابلة" أنّ الإمام أحمد بن حنبل كان يقول في عقيدته: « إنَّ للهِ تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين - أي ليستا بعضوين للاكتساب والعَمَل -**، وليستا بمركبتين ولا جسم، ولا مِن جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود والتّركيب ولا الأبعاض والجوارح، ولا يُقاس على ذلك»[509].** ما بين الشرطتين إضافة للتوضيح.

ولو قصد الإمام أحمد بقوله: «يدٌ كيدي» المُماثلة لأثبتَ للهِ اليدَ كعضو، وهذا لا يصح لأنه نَزَّهَ اللهَ عن اليد كعضو كما في النَّص أعلاه، وأثبتها له كصفة، والصفة هي شيءٌ معنوي وليست شيئا عَيْنِيّا. وإثباتُ اليدِ والوجه والعَيْن لله كصفة معنوية كالعِلم والقُدرة هو عَيْن مذهب التّفويض في فهم آيات وأحاديث الصفات (راجع إن شئت صفحة 11 - 15).

ودليلٌ آخر على أنّ الإمامَ أحمد قصد بقوله «يَدٌ كيدي»، أي كعضو هو أنه قال مباشرة بعد كلامه السابق (في رواية حنبل بن إسحاق)**: «... وقَدَمٌ كقدمي، فقد شَبَّه اللهُ تعالى بخلقه، وهذا يَحُدّه، وهذا كلام سوء، وهذا محدود »[510].**

قوله: «وهذا يَحُدّه» معناه أنَّ القوْلَ بأنّ للهِ يداً حقيقية، أي كعضو، يؤدي إلى القول بالحَدّ، لأنّ الحَدّ مِن لوازم الجسم والأعضاء، والقوْلُ بالحَدّ معناه أنّ ذاتَ اللهِ محدودة، وهذا كلام سوء كما قال الإمام أحمد. فلماذا لم يَتّبع ابن تيمية الإمام أحمد في ذلك؟! ولقد نَسَبَ ابن تيمية الحدّ لله كما سيأتي بيانه.

ثالثا: أما قوْلُ الإمام أحمد عن المُشَبِّه الذي يقول: «بصرٌ كبصري» أي «بصرُ الله مِثلُ بصري» فهو واضح وليس بحاجة إلى شرح تفصيلي. فالذي يجعلُ بَصرَ الله - أو أية صفة

---

[509] "طبقات الحنابلة" ، مجلد 2 / ص 254، مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 73.

[510] أنظر "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 378، وكذلك ص 563 – 564 ، وجزء 2 / ص 1169 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

أخرى كالعِلم والقُدْرة مثلا- مِن جنس بصر المخلوق فهو ضال، لأنّ لازم قوله هو أنَّ ما يجوز على بصر المخلوق يجوز على بصر اللهِ الخالق، والتزامُ ذلك كُفْر.

وبناءً على ما تقدم: مَن قال أنَّ للهِ يَداً عضواً، أو يداً كصفة عَيْنِيّة، فهو مُشَبِّهٌ، ومَن قال أنَّ للهِ قدماً عضواً فهو أيضا مُشبِّهٌ، ومَن قال أنَّ للهِ عَيْنين عضوين بهما يرى فهو كذلك مُشَبِّهٌ، والمُشَبِّه ضال، فنِسبةُ الأعضاء إلى ذات الله المُقدّسة هو تشبيهٌ للهِ الخالق بالمخلوق، وابن تيمية كان يعلم هذا تماما، وكان يعلم أيضا أنّ عقيدته في اللهِ القائمة على التّجسيم هي عقيدة فرقة ضئيلة العدد وشاذّة في المُعتقد، لهذا كان يستشهد بأقوال علماء مشهورين مِن أهل السُّنّة - كأحمد بن حنبل- يوهم بها القُرّاء وأتباعه البُسطاء، وكذلك الأذكياء مِمّن عميت قلوبهم، أنه موافق لهم في العقيدة، والأمر ليس كذلك.

● وقول ابن تيمية عن التّشبيه في النَّصِّ السابق (ص 119): «ومنه - أي مِن التّشبيه- ما هو ثابت بالإتفاق بين المسلمين، بل بين أهل المِلَل كُلِّهم، بل بين جميع العقلاء للتقرير بالصانع» هو افتراءٌ مَحْض، لأنَّ التّشبيه ثابت فقط في عقول وقلوب المُشَبِّهة والمُجَسِّمَة، وكذلك في عقائد أهل المِلَل المُنحرفة عن الحقّ وجادّة الصواب، كما في عقائد اليهود والنّصارى، قال إمامنا أبو سليمان الخَطّابي (ت 388 هـ): « واليهودُ مُشَبِّهة وفيما يَدَّعونه مُنزلاً في التّوْراة ألفاظٌ تدخلُ في باب التَّشبيه، وليس القوْلُ بها مِن مذاهب المسلمين»[511].

● وقوْلُ ابن تيمية أنّ التّشبيهَ ثابتٌ «بين جميع العقلاء للتقرير بالصانع» يحتار فيه العقلُ السّليم، وهل يوجد عاقل حقّاً يُقِرُّ بوجود شَبَهٍ بين الخالق وبين المخلوق؟!

وفيما يلي بعضٌ مِن أقوال بعض أئمة أهل السُّنّة في نفي التّشبيه بين الله الخالق وبين المخلوق:

1. قال الإمام بن حَزْم الأندلسي (ت 456 هـ): « فقد قامت الدلائلُ على أنَّ اللهَ لا يُشبهه شيءٌ مِن خلقه بوجهٍ مِن الوجوه ولا بمعنًى مِن المعاني »[512]، وهذا الكلامُ مِن الإمام ابن حَزْم هو نفيٌ صريحٌ للتّشبيه ولو بوجه مِن الوجوه، أي نَفْيُ التّشبيه مُطلقاً.

2. وقال الإمام الفقيه أبو عبدالله الحَليمي (ت 403 هـ) في تفسير اسمه تعالى "الأحد": « هو الذي لا شَبيهَ له ولا نظير»[513].

---

[511] "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي، ص 425 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[512] "الفِصَلُ في المِلَل"، للإمام ابن حَزْم الأندلسي، جزء 3 / ص 5 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.
[513] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي رَحِمَهُ اللهُ، ص 49 .

3. وقال الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) **ناقلا عن أهل السُّنة وأصحاب الحديث، ومقرا لهم: « -اللهُ- ليس بجسم ولا يُشبه الأشياء»[514].**

4. وقال الإمامُ أبو حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ) **في كتابه "الفِقه الأكبر": « لا يُشبِهُ شيئاً مِن الأشياء مِن خَلْقه، ولا يُشبهَهُ شيء مِن خلقه »[515].**

5. وقال الإمام الصحابيّ الجليل ابن عباس (ت 68 هـ) رضي الله عنهما **في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾[516]، قال: « هل تعلمُ للرَبِّ مثلا أو شَبَها »[517]، والاستفهامُ الإنكاري في الآية الكريمة وفي كلام ابن عباس** رضي الله عنهما **هو للإنكار على مَن يُمثِّل أو يُشبِّه اللهَ بخلقه، والتَّشبيهُ هو الاشتراكُ في معنًى مِن المعاني كما سبق ذِكْره.**

6. وقال الإمام الصحابيّ الجليل أُبَيُّ بن كعب (ت 22 هـ) رضي الله عنه **في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾، قال: « لم يَكُن له شبيهٌ ولا عِدْل،﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ ﴾»[518].**

● ثُمّ قال ابن تيمية مباشرة بعد كلامه السابق، الذي ادّعى فيه أنّ مِن التّشبيه «ما هو ثابتٌ بالإتفاق بين المسلمين، بل بين أهل المِلَل كلّهم، بل بين جميع العقلاء للتقرير بالصانع»، قال: « فلما كان لفظُ التّشبيه يُقال على ما يجب انتفاؤه وعلى ما يجب إثباته لم يَرد الكتاب والسُّنّة به مطلقا لا في نَفْي ولا إثبات، ولكن جاءت النّصوص في النَّفْي بلفظ: المِثْل والكُفو والنِّد والسَّميّ، وجاء لفظ الشَّبَه في الإثبات مُقيّداً في كلام أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام **وتابعيهم، كما روى عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا موسى بن اسماعيل، قال: حدثنا أبو هلال الراسبي، أنّ عبيد الله بن رواحة قال للحسن- البصري-: هل تصف لنا رَبّك؟ قال: نعم، بغير مِثال. قال: وحدثنا سلام بن سليمان، قال: حدثنا شعبة عن أبي جمرة، عن ابن عباس، قال: «ليس لله مِثل»]**[519]**.**

التّعليق: قوْلُ ابن تيمية: « فلما كان لفظ التشبيه يُقال على ما يجب انتفاؤه »، قصدَ به التَّشبيهَ مِن كُلِّ وجه، وهذا مَنْفِيٌّ عن اللهِ على مذهب أهل السُّنّة وكذلك على مذهب ابن تيمية.

---

[514] سبق تخريجه في الحاشية رقم 198.
[515] أنظر المتن / ص 301 مِن "شرح الفقه الأكبر" لِمُلّا علي القاري، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.
[516] سورة مريم: آية رقم 65.
[517] أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده مِن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في "الأسماء والصفات"، ص 355 .
[518] سبق تخريجه في الحاشية رقم 369.
[519] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1162- 1163 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

● وقوله: «وعلى ما يجب إثباته» معناه إثبات التَّشبيه بين الخالق وبين المخلوق مِن بعض الوجوه، وأيضا هذا مَنْفِيٌ عن الله على مذهب أهل السُّنّة، ولكن ثابت وِفْقَ مذهب ابن تيمية.

ولقد قَسّم ابن تيمية التَّشبيه إلى تشبيهٍ مِن بعض الوجوه وإلى تشبيهٍ مِن كُلِّ الوجوه ليسمح لنفسه أنْ يُثبت التَّشبيه مِن بعض الوجوه بين اللهِ وبين المخلوق.

● وقوله: أنّ التَّشبيه بين اللهِ وبين المخلوق « لم يَرِد الكتاب والسُّنّة به مطلقا لا في نَفْي ولا إثبات »، هو افتراء، فالصحابي الجليل أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه**- وهو أعلم وأفقه بمدلولات ألفاظ القرآن الكريم مِن ابن تيمية - نَفى التَّشبيه والمُماثلة بقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾، وبقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ كما سبق ذِكْره (ص 122).**

وعلاوة على ذلك: إذا كان التَّشبيه « لم يَرِد الكتاب والسُّنّة به مطلقا لا في نَفْي ولا إثبات»، فلماذا أثبت ابن تيمية التَّشبيه مِن بعض الوجوه، وهو الذي كَرّرَ في كتبه مرارا أنه لا يصفُ اللهَ إلّا بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفَهُ به رسولُه؟!

● وقوله: «لكن جاءت النّصوص في النَّفْي بلفظ: المِثْل والكُفُو والنِّد والسَّميّ» أراد به أن يوهم القارئ أنّ اللهَ نَفَى عن ذاته فقط المُماثلة، وليس التَّشبيه مِن بعض الوجوه.

● وقوله: «وجاء لفظ الشَّبَه في الإثبات مُقيّداً في كلام أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وتابعيهم» هو تلبيس، فأين الإثباتُ المُقَيَّد للفظ الشَّبه في قوْل الإمام الحسن البصري عن الله: «بغير مِثال»؟! فالإمام الحسن البصري نَفَى عن الله المُماثلة، وهذا لا يعني بحال أنه أثبت التَّشبيه ولو مِن بعض الوجوه. والمُماثلة، وهي المساواة التّامة، إما أنْ تكون مِن كُلِّ الوجوه أو مِن بعضها، وكلا الأمرين باطل عند أهل السُّنّة، وكذلك عند ابن تيمية[520].

وللعلم - لِمن لا يعلم-، الإمام الحسن البصري نَزَّهَ اللهَ عن الأعضاء، حيث أوّل لفظ اليد في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالمِنّة والإحسان، كما سبق ذِكره (ص 27)، ولم يقل: لله يدٌ ليست كأيدينا، أو له تعالى يدان حقيقيتان تليقان بجلاله كما يقول المُجَسِّمَة ومنهم ابن تيمية. وأوّلَ الإمام الحسن البصري أيضا لفظَ القَدَم المُضاف إلى الله، ولم يقل: لله قَدَمٌ حقيقية يملأ بها جهنّم (راجع إن شئت ص 73 - 74).

---

[520] قال ابن تيمية في "تلبيس الجهمية"، جزء 2 / ص 1163: « **فيجب أن يُنفى عنه المِثْل مطلقا** - وهو ما كان مِن كُلِّ الوجوه - **ومُقيّداً** - أي ولو مِن بعض الوجوه - ، **وكذلك النِّد والكُفُو والشَّريك**». ما بين الشرطتين إضافة للتوضيح.

● أما قوْلُ ابن عباس رضي الله عنهما **عن الله، كما أورده ابن تيمية عن إمامه في التّجسيم أبي سعيد الدارمي: «ليس لله مِثل»، فليس فيه إثباتٌ للتَّشبيه المطلق ولا حتى المُقَيَّد، فالصحابيّ ابن عباس نفى المُماثلة، وهذا لا يعني بحال أنه أثبتَ التَّشبيهَ مِن بعض الوجوه بين اللهِ وبين المخلوق، ومِن الدّليل عليه أنه فسّر لفظَ اليَدِ المُضاف إلى اللهِ بالقُوّة، ولفظَ الوجهِ بالذّات، ولفظ العَيْن بالحراسة (راجع إن شئت الحاشية رقم 79)، وهذا يَدلُّ بشكل جَليّ على نَفْي التَّشبيه ولو مِن بعض الوجوه، وهذا ما أثبته ابن تيمية، حيث أثبت اليد والوجه والعين للهِ كأعضاء، وسمّاها صفاتٍ عَيْنِيّة!**

وعلى هذا فابن تيمية مُخالفٌ لابن عباس رضي الله عنهما **في العقيدة، والتي هي أصل الدين، وبها يَتميّزُ أهل الهُدى عن أهل الضلال، وللقارئ الخيار: إما أن يكون موافقا في عقيدته لعقيدة ابن عباس** رضي الله عنهما**، أو موافقا لعقيدة ابن تيمية، وعلى كِلا الخيارين سيكون الجزاءُ يوم الجزاء: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ، إلّا مَنْ أتى اللهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ ﴾[521].**

وفي نهاية هذا الفصل أقول: لهذه الدرجة وصل ابن تيمية في استغفال واستغباء القُرّاء: فهو يُثبت ما ليس بثابت، وينفي ما هو ثابت، والحَقُّ عنده يُصبح باطلا، والباطل حقاً، وصفاتُ التَّشبيه الثابتة في التّوْراة المُتداولة مُنزلة مِن عند الله[522]، ومفهوم لفظ اليد في حَقّ اللهِ كمفهومه في حقنا[523]، أي العضو، ورَفْعُ الشَّبَهِ بين الخالق وبين المخلوق مِن كُلِّ الوجوه هو نفيٌ للوجود والجُحود لربِّ العالمين، والذي ليس بمُتَحيِّز ولا جسم فهو معدوم[524]، والذي لا يُعرفُ بشيءٍ مِن الحَواس فهو أيضا معدوم[525]، ولازمُ نَفْي الجِسْمِيّة عن الله هو نفيٌ لرؤيته وأنه مُتكلم، وأنَّ القرآنَ مخلوق[526]، والقوْلُ أنّ اللهَ ليس بجسم ولا جَوْهَر هو قوْلُ المشركين ومَن وافقهم مِن أهل الكتاب[527] !

---

521 سورة الشعراء: آية رقم 88 ، 89.

522 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1114 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

523 "الرسالة التدمريّة" لابن تيمية، **المرجع**: "مجموع الفتاوى" لإبن تيمية مجلد 1 / جزء 3 / ص 26 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.

524 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 291 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

525 المرجع السابق ، جزء 1 / ص 76.

526 المرجع السابق ، جزء 2 / ص 966.

527 قال ابن تيمية في "تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 1419، ما نصه: « فإنّ اللهَ تعالى لم يُنزل في شيء مِن كتبه، ولا قال أحدٌ مِن رسله، ولا مِن ورثتهم أنّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ **ليس بجسم، ولا جَوْهَر**، وإنّما الكلام مأخوذ عن المشركين- **!**- ومَن وافقهم مِن مبدلة الصابئة، وأهل الكتاب، ثُمّ إنه اشتبه على مَن ضلّ به مِن أهل المِلَل »، **كلام ابن تيمية هذا متهافت، وباطل**، تَبيّن بُطلانه في صفحة 41، 42 ، **وافتراء** لأنّ أبا حنيفة وأحمد بن حنبل نَزّها اللهَ عن الجسم.

ونَفْيُ التَّركيب في ذاتِ الله هو نَفْيٌ لوجوده[528]، ونَفْيُ الجِسْمِيّة عنه تعالى يستلزم نَفْيَ صفاته[529] - والذي لا يؤمن بعقيدة ابن تيمية فهو جَهْمِيّ، أو مُعتزلي -. هذا هو أسلوبُ ابن تيمية في نشر عقيدته: فقط ما يقوله هو الحقّ وموافق لصحيح النَّقل - عن المُجَسِّم أبي سعيد الدارمي وأمثاله - وصريح العقل، عقل المُجَسِّمَة! والحقيقة هي أنَّ عقيدة ابن تيمية ضلال مَحْض.

فصل

هل المُوافقة في اللفظ تشبيه ؟

إنّ الإشتراكَ في الَّلفظ ليس تشبيها، «... لأنَّ التَّشبيه إنّما يكون بالمعنى الموجود في كِلا المُشتبهين لا بالأسماء » كما قال الإمام ابن حَزْم الأندلسي[530].

وقال الإمام المُفَسِّر القُرْطُبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[531] ما نصه: «والذي يُعتقد في هذا الباب أنَّ اللهَ جَلَّ اسمهُ في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعُلى صفاته لا يُشْبِهُ شيئاً مِن مخلوقاته، ولا يُشَبَّهُ به، وما أطلقهُ الشَّرعُ على الخالق والمخلوق فلا تَشابُهَ بينهما في المعنى الحقيقي. إذ صفاتُ القديم عَزَّ وجَلَّ بخِلافِ صفاتِ المخلوق».

وقال أيضاً ناقلاً عن الإمام الواسطي: « لَيْسَ كذاتهِ ذاتٌ ولا كاسمه اسمٌ ولا كفِعله فِعلٌ ولا كصفته صفةٌ إلّا مِن جهةِ مُوافقةِ اللَّفظ، وجَلّتِ الذّاتُ القديمة أن يكون لها صفةٌ حديثة، كما استحالَ أن يكون للذّاتِ المُحْدثة صفةٌ قديمةٌ. وهذا كُلُّهُ مَذهبُ أهلِ الحَقِّ والسُّنّة والجماعة رَضِيَ اللهُ عَنهم »[532].

مثال: لقد وصَفَ اللهُ نفسَهُ بالسَّمع والبَصَر، فقال: ﴿ وهو السَّميعُ البَصيرُ ﴾، وقال اللهُ في صفة الإنسان: ﴿ فَجَعَلْناهُ سَميعاً بَصيراً ﴾[533]. ولكن بما أنَّ حقيقةَ ذاتِ اللهِ الخالق تختلفُ عن حقيقة ذاتِ الإنسان كمخلوق فتكون حقيقةُ صِفَتيّ السَّمع والبَصر في حَقِّ اللهِ مُغايرة

---

[528] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1373 (الفقرة قبل الأخيرة)

[529] "تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 971 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[530] "الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" للإمام ابن حَزْم الأندلسي، جزء 2 / ص 120 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[531] سورة الشورى: آية رقم 11.

[532] أنظر تفسير الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ [سورة الشورى: آية رقم 11]، وكذلك "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 55 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[533] سورة الإنسان: آية رقم 2.

تماما لحقيقة صفتيّ السَّمع والبصر عند الإنسان. فسَمْعُ اللهِ أزليٌّ وأبديٌّ، ولا يتغيّر، ولا يَحجبُ سمعَه شيء، ولا شيءَ يغيبُ عن سمعِه، واللهُ يسمع بلا أداة سمع كالأُذن[534]، فهو مُنَزَّهٌ عن الأدوات والأعضاء[535].

أمّا سَمْعُ الإنسان فهو حادث، لهذا له بداية ونهاية، ويتغيّر، ويستلزمُ وجودَ أدواتٍ سليمة كالقناة السَّمعيّة وطبلة الأُذن، وقد تتوفر هذه الأدوات السليمة عند إنسان ما ومع ذلك يَحرمهُ اللهُ مِن صفة السَّمع. وهكذا الأمر في صفة البصر، وكذلك في باقي الصفات الثابتة لله كالعِلم والقُدرة والتي تُطلق أيضا على الإنسان، فالإشتراكُ يكون فقط في اللَّفظِ وليس في الحقيقة أو في المعنى . وعلى هذا، فمَن قال - كالإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي سليمان الخطّابي -: للهِ يَدٌ صفة وليست بِجارحة، فهو غيْرُ مُشَبِّه، لأنّ معنى اليدِ في حقّ الإنسان الجارحة وليس الصفة. وهذا هو عَيْنُ مذهب أهل التّفويض في فهم آيات وأحاديث الصفات المُتشابهة، فأهلُ التّفويض اعتبروا ألفاظ اليد والوجه والعين المُضافة إلى الله تعالى صفاتً معنويّة قائمة بذاتِ الله، كالعِلم والقُدْرة والإرادة، وفوّضوا معناها إلى الله.

أما مَن قال: للهِ يدٌ حقيقية، أو للهِ يدٌ كصفة عَيْنِيّة (أي ماديّة)، فهو مُشَبِّه، وقوله هذا تشبيهٌ مَحْض وإن أنْكَر، لأنه جَعَلَ معنى اليَدِ في حَقِّ اللهِ كمعناها في حَقِّ الإنسان، ومعنى اليد الحقيقية، وكذلك اليد كصفة عَيْنِيّة في حقّ الإنسان العُضْو.

ومِن باب التَّلبيس يقول بعض المُجَسِّمة - ومنهم الوهابيون- : للهِ يدٌ كما يليق بجلاله، ويقصدون بذلك يَدٌ حقيقية تليق بذات الله! ولا يليقُ باللهِ قطعا أوصاف ولا صفات المخلوق، ﴿ سبُحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ﴾ .

وللتذكير - لبيان خطورة التَّشبيه -: قال الإمام السَّلَفي أبو جعفر الطَّحاوي في عقيدة أهل السُّنّة والجماعة: « ومَنْ وصَفَ اللهَ بمعنًى مِن معاني البَشر فقد كَفَرْ ».

---

[534] قال الإمام أبو حامد الغزالي عن الله تعالى: « يَرَى مِن غير حَدَقة وأجفان، ويَسمعُ مِن غير أصمِخةٍ وآذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويَخْلُقُ بغير آلة، إذ لا تُشبهُ صفاته صفاتَ الخَلْق كما لا تُشبهُ ذاتُهُ ذواتَ الخَلْق »، **المرجع**: "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 27 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[535] قال الإمام أبو جعفر الطّحاوي في رسالة عقيدة أهل السُّنّة، المعروفة باسم "العقيدة الطحاوية": « **وتعالى** - أي تَنَزّهَ اللهُ - **عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات** ».

ومِن عقائد ابن تيمية

ثانيا: اللهُ محدود

كما سبق بيانه نَسَبَ ابن تيمية الجسمَ والأعضاءَ للهِ سُبحانه وتعالى، ومَن يَنْسِب ذلك فلا بُدَّ له أنْ ينسبَ للهِ أيضا الحَدّ، ومعنى ذلك هو أنّ ذاتَ اللهِ محدودة، وحدودها جوانبها التي تُحيط بها. وإثباتُ الحَدِّ لله معناه أيضا أنَّ لذاتِ اللهِ نهاية، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيرا.
قال ابن تيمية: « وقد ثَبَتَ عن أئمة السَّلف أنهم قالوا: للهِ حَدٌّ، وأنّ ذلك لا يعلمهُ غيرُه»[536]، وقال أيضا: « وهذا المحفوظ عن السَّلف والأئمة مِن إثباتِ حَدٍّ للهِ في نفسه»[537]، وفي كتابه "دَرْء التّعارض" قال ما نصه: « فهذا وأمثاله مِمّا نُقِلَ عن الأئمة، كما قد بُسِطَ في غير هذا المَوْضع، وبيَّنوا أنّ ما أثبتوهُ له مِن الحَدِّ لا يعلمه غيرُه »[538].

النُّصوصُ السابقة تُبيِّنُ أنّ ابن تيمية كان يَتَوكَأ على السَّلف ـ كالمعتاد ـ في إثبات الحدِّ للهِ تعالى. فمَن هم هؤلاء السَّلف الذين ادّعوا بأنّ ذاتَ الله محدودة ولها نهاية، وما هو كلامهم في ذلك؟ فيما يلي أسماء وأقوال سَلَف الشيخ ابن تيمية الذين نسبوا الحدَّ لله ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ.
أولا: هشام بن الحكم الشيعي المتوفي حوالي سنة 187 هـ. وقبل البَدْء في ذِكْرِ عقيدة هشام بن الحكم أوَدُّ أنْ أُنَوِّه إلى أنّ ابن تيمية وإن كان ضد عقائد الشيعة إلّا أنّه قد وافقَ هشام بن الحكم في عقيدة التَّجسيم وإثباتِ الحَدِّ والجهة والمكان للهِ تعالى، وأنّ اللهَ مُستقرٌّ على العرش ومُماسٌّ له كما سيأتي بيانه.
قال الإمام الشهرستاني في "المِلَل والنِّحل" عن هشام بن الحكم ناقلا عن الكعبي: « وحكى الكعبي عنه انه قال ـ عن الله ـ: هو جسمٌ ذو أبعاض، له قَدْرٌ ـ أي حَجْمٌ ـ مِن الأقْدار ولكن لا يُشبهُ شيئاً مِن المخلوقات ولا يُشْبِهُهُ شيء، ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحركته فِعْلهُ وليست مِن مكان إلى مكان، وقال هو مُتناهٍ بالذّات غيرُ متناهٍ بالقُدْرة. وحكى عنه أبو عيسى الورّاق أنه قال: أنَّ اللهَ مُماسٌّ لعرشه لا يَفضلُ عنه شيءٌ مِن العرش ولا يفضلُ عن العرش شيءٌ منه»[539].

---

[536] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 522 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[537] المرجع السابق، جزء 1 / ص 562.
[538] "دَرْءُ التعارض" لابن تيمية ، جزء 2 / ص 35 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.
[539] "المِلل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 2 / ص 21 - 22 مِن الطبعة المذكورة في الحاشية رقم 18.

ثانيا: أبو عبدالله محمد بن كَرّام السَجستاني المتوفي سنة 255 هـ ، وإليه تُنْسَب فِرقة الكَرّامِيّة الضّالّة. قال الإمام عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، والمعروف بأبي منصور البغدادي (ت 429 هـ) **في كتابه "الفَرْقُ بين الفِرَق" ذاكِراً عقائد الكَرّامِيّة ما نصه: «الكَرّامِيّة بخُرَاسان ثلاثة أصناف: حقائقية وطرائقية وإسحاقية. وهذه الفِرَق الثلاث لا يُكَفِّرُ بعضها بعضا وإنْ أكْفَرَها سائرُ الفِرَق، فلهذا عددناها فرقة واحدة ... وضلالات أتباعه - أي أتباع محمد بن كَرّام - اليوم متنوعة ... ونذكر منها المشهور، الذي هو بالقُبح مذكور، فمنها: أنّ ابنَ كَرّام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جِسمٌ له حَدٌّ ونهاية مِن تحته والجهة التي منها يُلاقي عرشه ... - إلى أن قال -: وقد ذَكَرَ ابن كَرّام في كتابه - عذاب القبر- أنّ اللهَ تعالى مُماسٌ لعرشه، وأنّ العرش مكانٌ له ... »[540].**

وقال أيضا أبو منصور البغدادي في كتابه "أُصول الدين" : « وأما جِسْمِيّة[541] خُراسان مِن الكَرّامِيّة فتَكفيرهم واجب لقولهم: بأنَّ اللهَ له حَدٌّ ونهاية مِن جهة السُّفل ومنها يماس عرشه، ولقولهم بأنّ اللهَ مَحَلٌ للحوادث »[542].

ومِن الجدير بالذِّكر أنّ ابن تيمية كان يعتبر الكَرّامِيّة أقرب إلى القرآن والسُّنَّة والعقل في عقيدة التَّجسيم مِن المُجَسِّمَة الشيعة[543]، ربما لأنّ هنالك مِن الشيعة مَن زادَ في افترائه على اللهِ عن الكَرّامِيّة وادّعى بأنَّ للهِ رأساً ولسانا وأذنين كداود الجواربي، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه كما افترى هشام بن الحكم. والحقيقة هي أنه لا فرق بين عقيدة التَّجسيم للكَرّامِيّة المحسوبين على أهل السُّنَّة وبين عقيدة التَّجسيم للشيعة، فالتّجسيم ضلال، ولا يوجد ضلالٌ قريب إلى القرآن والسُّنَّة والعقل.

ثالثا: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفي سنة 280 هـ. قال ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجهميّة" ناقلا عن إمامه الكبير أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي[544] ومُستشهداً

---

540 " الفَرْقُ بين الفِرَق" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 227 - 228 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 418.

541 المقصود بذلك **مُجَسِّمَة** خراسان.

542 "أُصول الدين" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 337، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 3 ، بيروت 1981.

543 قال ابن تيمية في كتابه "مِنهاج السُّنَّة" (جزء 2/ ص 103): « والذين أطلقوا لفظَ "الجسم" على اللهِ مِن الطَّوائف المُثبتين لخلافة الثلاثة - أي أبي بكر وعمر وعثمان- **كالكرّاميّة** ، هم أقربُ إلى صحيح المنقول وصريح المعقول مِن الذين أطلقوا لفظ "الجسم" مِن الإماميّة ». **وليعلم مَن لا يعلم: أنّ هؤلاء الكَرّامية الذين اعتبرهم ابن تيمية « أقرب إلى صحيح المنقول وصريح المعقول ... » كانوا « يزعمون أنّ الإيمانَ هو الإقرارُ والتّصديق باللسان دون القلب ... وزعموا أنّ المنافقينَ الذين كانوا على عهد رسول الله** عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام **كانوا مؤمنين على الحقيقة -!-، وزعموا أنّ الكُفرَ بالله هو الجُحود والإنكار له باللسان -فقط- »** ("مقالات الإسلاميين"، ص 86 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 198.

544 هو **غير** الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي صاحب السنن والمتوفي سنة 255 هـ.

به لإثبات الحدِّ للهِ - تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيرا- : « وقال أيضا الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد في كتابه المعروف، الذي سَمّاه "نَقْضُ عثمان بن سعيد على المَريسي الجَهْمي العنيد، فيما افترى على اللهِ في التّوحيد"، قال: « بابُ الحَدِّ والعرش: وادّعى المُعارِض أنه ليس لله حَدٌّ ولا غاية ولا نهاية. قال - أي أبو سعيد -: وهذا هو الأصلُ الذي بنى عليه جَهمٌ جميع ضلالاته، واشْتقَ منها جميع أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جَهْمَاً إليها أحدٌ مِن العالمين، فقال له قائل مِمّن يُحاوره: قد علمت مُرادك منها أيها الأعجمي، تعني أنّ اللهَ لا شيء، لأنّ الخَلْقَ كُلهم قد علموا أنه ليس شيءٌ يقع عليه اسمُ الشيءِ إلّا وله حَدٌّ وغاية وصفة، وأنَّ لا شيء ليس له حَدٌّ ولا غاية ولا صفة، فالشيءُ أبدا موصوفٌ لا مَحَالة، ولا شيء يوصف بلا حَدٍّ ولا غاية، وقولك "لا حَدَّ له" يعني أنه لا شيء.

قال أبو سعيد: واللهُ تعالى له حَدٌّ لا يعلمه غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحَدّه غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحَدِّ وَنَكِلُ عِلمَ ذلك إلى الله، ولمكانه[545] أيضا حَد، وهو على عرشه فوق سماواته فهذان حدان إثنان. قال - أبو سعيد -: وسُئِلَ ابن المبارك: بم نعرفُ رَبّنا؟ قال: بأنه على العرش بائنٌ مِن خَلْقِه. قيل: بحد؟ قال: بحد. حدثناه الحسن بن الصباح البزار عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك. قال - أبو سعيد -: فمن ادّعى أنه ليس لله حَدٌّ فقد رَدَّ القرآن، وادّعى أنه لا شيء، لأنّ اللهَ تعالى وصفَ حَدَّ مكانه في مواضع كثيرة مِن كتابه[546] فقال: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [547]، ﴿ ءَأمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخسِفَ بِكُمُ الأرضَ ﴾[548] ، ﴿يَخافونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[549] ، ﴿إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ﴾[550] ، ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[551] ، فهذا كُلّه وما أشبهه شواهد ودلائل على الحَدّ، ومَن لم يعترف به فقد كَفَرَ بتنزيل الله، وجَحَدَ آياتِ الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ تعالى فوق عرشه فوق سماواته. وقال للأمة السوداء: أين الله؟ قالت: في السّماء، قال: أعتقها فإنّها مؤمنة،...»][552]. انتهى كلام أبي سعيد.

---

[545] التّعليق على نِسبة المكان للهِ سيأتي في موضعه إن شاء الله،

[546] شرح الآيات - والتّعليق على "حديث الجارية" - سيأتي إن شاء الله عند مناقشة إثبات المكان لله، تعالى اللهُ عن ذلك.

[547] سورة طه: آية رقم 5.

[548] سورة الملك: آية رقم 16.

[549] سورة النحل: آية رقم 50.

[550] سورة آل عمران: آية رقم 55.

[551] سورة فاطر: آية رقم 10.

[552] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء1 / ص 557 - 558 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194، وأنظر كذلك "دَرْءَ التّعارض" لابن تيمية، جزء 2 / ص 56 – 58 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

التّعليق: 1. كلامُ أبي سعيد السابق يُعَدُّ كلاما لابن تيمية لأنه استشهد به لإثبات الحَدّ لله. قَوْلُ إمام ابن تيمية، أبي سعيد الدّارمي: « وادّعى المُعارِض أنه ليس لله حدٌّ ولا غاية ولا نهاية ... وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهماً إليها أحدٌ مِن العالمين » مُغالطة وتلبيسٌ على القارئ، فالإمام زين العابدين المتوفي سنة 94 هـ سَبقَ الجَهْمَ بن صفوان ونَفَى الحَدَّ عن الله تعالى، حيث قال: « أنتَ اللهُ الذي لا تُحَد »[553].

وكذلك الإمام أبو حنيفة النعمان (80 هـ - 150 هـ) **نَزَّهَ اللهَ عن الحَد، حيث قال في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه: « ولا حَدَّ له ولا ضِدّ له »[554].**

وأراد أبو سعيد بقوله السابق أنْ يوهم القارئ أنَّ نَفْيَ الحَدِّ والنّهاية عن اللهِ هو قَوْلُ الجَهْمِيّة الضّالين، الذين نفوا صفاتَ الله - ومنهم مَن نَفَى أسماءه -. فعلى مذهب المُجَسِّمة يكون الإمام زين العابدين والإمام أبو حنيفة - والإمام أحمد بن حنبل - رحمهم الله جَهْمِيّة - حاشاهم -. وهذا الأسلوب، وهو إطلاقُ اسم الجَهْمِيّة على كُلِّ مَن نَفَى الجِسْمِيّة والأعضاءَ والمكانَ والحَدَّ عن الله تعالى، اتَّبَعه المُجَسِّمَة الأوائل، ومنهم ابن تيمية، ويستخدمه كذلك مُجسِّمَة العصر ومنهم الوهابيون لتخويف عَوامّ الناس لكي يؤمنوا بعقيدة التّجسيم: فَمَن لا يؤمن بأنّ اللهَ محدودٌ فهو جَهْميٌّ ضال، ومَن لا يؤمن بأنَّ للهِ أعضاءً كاليد والوجه والعَيْن فهو جَهْميّ، ومَن لا يؤمن بأنَّ اللهَ بذاته على العرش فهو جَهْميّ!

الجَهميّة ضالّون، وهذا مِمّا لا شكَّ فيه، لأنهم نفوا صفاتَ اللهِ الأزَليّة كالعِلم والسَّمع، وادّعوا بأن اللهَ بذاته في كُلِّ مكان، وافتروا بأنَّ كلامَ الله مُحدث - وبهذا قال أيضاً ابن تيمية! -، ولكنّهم وافقوا أهل السُّنَّة في تَنْزيهِ اللهِ عن الجِسْمِيّة والأعضاء والحَدّ. فهل نُغَيِّرُ نحن أهل السُّنَّة عقيدتنا لأنَّ الجَهْمِيّة أخذوا بعقيدتنا في تَنزيهِ اللهِ عن الجِسْمِيّة والأعضاء والحَد؟! بالتّأكيد لا. أو هل يَحقُّ لأحدٍ أن يصفَ أهلَ السُّنَّة بالتَّجَهُّم لأنّ الجَهْمِيّة وافقونا في تنزيه اللهِ عن الحدود والأعضاء؟! مَن أجاب بنعم فهو غير مُكَلّف.

والمُجَسِّمَةُ وافقوا أهل السُّنَّة في إثبات صفات المعاني لله، فهل نُغَيِّرُ نحن أهل السُّنَّة عقيدتنا لأنّ المُجَسِّمَة وافقونا في ذلك؟! بالطبع لا. ولكن بهذا الأسلوب الدّنيء، وهو تعميمُ اسم الجَهْمِيّة على كُلِّ مَن نَزَّهَ اللهَ عن الجِسْمِيّة ولوازمها، يُحاولُ المُجَسِّمَة تخويف عَوامِّ الناس لكي يتبنوا عقيدةَ تجسيم الله وإثبات الحدِّ لذاته المُقدسة. نحنُ أهل السُّنَّة نُنَزِّه اللهَ

---

553 أخرجه بإسناده عنه الإمام محمد مرتضى الزبيدي في كتابه "إتحاف السّادة المُتّقين"، مجلد 4 / ص 380 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 152.

554 أنظر المتن / ص 302 مِن "شرح الفقه الأكبر" مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

عن الجِسْمِيّة والأعضاءِ والحَدِّ وعن القيام والجلوس والاستقرار على العرش، ونُنْكِر على مَن يَنْسب ذلك إلى اللهِ الخالق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾.

2. قَوْلُ المُجَسِّم أبي سعيد الدّارمي: « وأنّ لا شيءَ ليس له حَدٌّ ولا غاية ولا صفة، فالشيءُ أبداً موصوفٌ لا مَحَالة، ولا شيء يوصف بلا حدٍّ ولا غاية، وقولك "لا حَدّ له" يعني أنه لا شيء » هو كلامٌ حَقّ مخلوطٌ بباطل، لأنّ كلمة "شيء" تُطلقُ على كُلِّ موجود، كما سبق ذِكْره. والموجود اثنان: اللهُ الخالق والمخلوق. وحقيقةُ ذاتِ الخالق مُغايرةٌ تماما لحقيقة ذاتِ المخلوق، وهذا مِمّا لا يُنْكرهُ عاقل.

وكُلُّ مخلوق محدودٌ وله غايةٌ ونهاية ومكانٌ يَتَحَيّزُ فيه، وهذا ظاهرٌ ولا يُنْكرهُ إلّا ضالٌ مُكابر. أما الخالقُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فهو مُنزَّهٌ عن ذلك كُلِّه. فالقوْلُ عن الله: «لا حَدَّ له - أي أنّ ذاتَهُ غيرُ محدودة -» لا يعني أنَّ اللهَ "لا شيء"، أي غير موجود، فَنَفْيُ الحَدِّ عن اللهِ لا يعني نَفْيَ وجوده.

● وقَوْلُ أبي سعيد: «وأنّ لا شيءَ ليس له حَدٌّ ولا غاية» يَنطبقُ فقط على المخلوق، وتعميمُ ذلك على الخالق يُعتبر هذيان، بل ضلال. ولقد وصف الإمام الحُجّة ابن حَجَر العَسقلاني قَوْلَ مَنْ قال لِمن نَزَّهَ اللهَ عن الحَدّ: «ساويت رَبَّك بالشَيءِ المعدوم إذ المعدومُ لا حَدَّ له» بأنه "نازل"، أي ساقطٌ لا قيمة له، وأضاف قائلا: « فإنا لا نُسَلِّم أنَّ القوْلَ بعَدَمِ الحَدّ يُفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده »[555]، فكلامُ الإمام ابن حَجَر العسقلاني هذا هو رَدٌّ على أبي سعيد الدارمي وابن تيمية ومَن تبعهما في عقيدة إثبات الحَدّ لله تعالى.

3. استشهد أبو سعيد الدّارمي بالإمام عبدالله بن المبارك لإثبات الحَدّ لله، حيث قال: «وسُئِل ابن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش بائنٌ مِن خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد. حدثناه الحسن بن الصباح البزار عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك».

التّعليق: 1. أعلى ما احتج به أبو سعيد الدارمي مِن أقوال العلماء في إثبات الحدِّ لله تعالى هو حكاية عن الإمام عبدالله بن المُبارك المتوفي سنة181 هـ ، ولو كان هناك عالمٌ آخر غيره ومِمّن سبقه وقال بالحَدّ لاستشهد به، هذا على فَرَض أنّ الإمام ابن المبارك أثبت الحَدّ لله. ولنفرض جدلا أنّ الإمام ابن المبارك كان يعتقد بأنَّ اللهَ محدود، فمتى صار قَوْلُ واحد مِن السَّلف حُجّة في العقيدة؟ قال الإمام الحافظ ابن الجَوْزي في كتابه "دَفعُ شُبَه التّشبيه":

---

555 أنظر "لسان الميزان" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، مجلد 5 / ص 129 في ترجمة الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حِبّان البُسْتي، رقم الترجمة **386** / **7171** ، **الناشر**: دار الفكر، ط 1 ، بيروت 1987.

« وقد سُئِل الإمامُ أحمد عن مسألة فأفتى فيها، فقيل له: هذا لا يقول به ابن المُبارك، فقال: ابنُ المبارك لم ينزل مِن السماء »[556]، وهذا حَقّ، لأنَّ رأيَ رَجُلٍ واحدٍ مِن السَّلف ليس حُجّة شرعية، خصوصا إذا خالفَ رأيه الإجماع. وعلى هذا يَتبيّن أنّ ما رُوِيَ عن ابن المبارك في إثبات الحدّ لله - لو صَحَّ ذلك عنه- مَردودٌ عليه لأنه خالفَ بذلك كبار علماء أهل السُّنّة كزين العابدين علي بن الحسين وأبي حنيفة وسفيان الثَّوْريّ وشُعبة بن الحجّاج وحمّاد بن سَلمة وأبو عَوَانة وحمّاد بن زيد - كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله -، فلماذا لم يَقتدِ أبو سعيد الدارمي - وابن تيمية - بهؤلاء الأئمة الذين نزّهوا اللهَ عن الحَدّ؟!

2. أخرج أبو سعيد الدّارمي روايةً واحدة فقط عن الإمام ابن المبارك في إثبات الحَدِّ لله، وذلك بإسناده مِن طريق الحسن بن الصَّباح البَزّار عن علي بن حسن بن شقيق. وسَنَدُ هذه الرواية ضعيف، فالحسن بن الصباح كان «يَهِم» مع كونه صدوقا، كما قال الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في "تقريب التّهذيب"[557] له.
وهذه الرِّواية أخرجها أيضا الإمام أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات" له، حيث قال: « وأخبرنا أبو عبدالله[558] قال: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول: سمعت محمد بن نعيم يقول: سمعت الحسن بن الصَّباح البَزّار يقول: سمعت علي بن الحسن - بن شقيق - يقول: سألت عبدالله بن المبارك، قلت: كيف نعرف ربّنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإنّ الجَهْمِيّة تقول هو هذا. قال: إنّا لا نقول كما تقول الجَهْمِيّة ، نقول هو هو. قلت: بحَد؟ قال: إي والله بحد، لفظ حديث محمد بن الصالح ».
ولقد وضّحَ الإمامُ البَيْهَقي مُرادَ الإمام ابن المبارك بقوله: "بحد"، فقال: «إنّما أرادَ عبدالله بالحد: حَدَّ السَّمع، وهو أنّ خبرَ الصّادق وَرَدَ بأنه ﴿على العَرْشِ اسْتَوَى﴾»[559].

وهناك روايةٌ ثانية أخرجها الإمام البَيْهَقي بإسناده وأيضا مِن طريق علي بن الحسن بن شقيق، قال الإمام البَيْهَقي: « أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، أنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد: حدثنا محمد بن عبدالرحمن الشامي: حدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه المَروزي قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: نعرفُ رَبّنا فوق

---

556 "دَفعُ شُبه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 111 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.
557 "تقريب التّهذيب" للحافظ ابن حَجَر العسقلاني، ترجمة رقم 1379، بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيح، طبعة دار المعرفة، ط 2، بيروت 1997.
558 هو الحافظ أبو عبدالله الحاكم صاحب "المُسْتَدرَك"، ت 403 هـ.
559 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 538 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

سبع سموات على العَرْشِ اسْتَوَى، بائنٌ مِن خَلْقه[560]، ولا نقول كما قالت الجهميّة أنّه ههنا، وأشارَ إلى الأرض »[561].

ففي هذه الرواية، وهي أيضا مِن طريق علي بن الحسن بن شقيق، لا يوجد لفظُ الحَدِّ الذي كان ابن تيمية يبحث عنه لإثبات الحَدّ لذات الله المُقدّسة. وألفاظُ هذه الرِّواية قريبة مِن كلمات القرآن الكريم، حيث جاء فيها لفظ «على العَرْشِ اسْتَوَى»، بدلاً مِن «على عرشه» فقط، كما في الرواية الأولى التي أخرجها الإمام البَيْهَقي، وبدلاً مِن « بأنه على العَرْش بائنٌ مِن خلقه» كما في الرواية التي رواها أبو سعيد.

ولفظ «فوق سبع سموات»، كما في الرواية الثانية للبَيْهَقي، يُفيدُ عند أهل السُّنّة فوقية العُلُوّ المَعنوي، أي فوقية الرُّبوبية والسِّيادة والسُّلطان. أما لفظ «في السماء السابعة»، كما في الرِّواية الأولى للبَيْهقي، فيفيدُ الحَصر والتّحَيّز والحَدّ لذات الله، واللهُ مُنَزّهٌ عن ذلك. وأيضا فإنّ لفظ "السابعة" لفظٌ مُنكَر لأنه لم يرد في القرآن ولا في السُّنَّة.

والرِّواية الثانية التي أخرجها الإمام البَيْهَقي رواها أيضا الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد": قال الإمام ابن المبارك: « لا نقول كما قالت الجَهْمِيّة إنه في الأرض ههنا، بل ﴿على العَرْشِ اسْتَوَى﴾. وقيل له: كيف تعرف ربنا؟ قال: فوق سماواته على عرشه»[562]، وأيضا في هذه الرِّواية لا يوجد مطلقا لفظُ الحَدّ.

3. قَوْلُ ابن شقيق: «فإنَّ الجهميّة تقول هو هذا» معناه أنّ الجَهْمِيّة كانت تقول أنّ اللهَ «هو هذا الهواء مع كُلِّ شيءٍ وفي كُلِّ شيء ولا يخلو مِن شيء »[563]، أي أنّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكان - والعِياذُ بالله - . فرَدَّ الإمام ابن المبارك إدعاءهم بقوله: «نقول هو هو» ، « وهذا ما يُسَمّيهُ علماء الكلام قاعدة الهوهوية، أي قاعدة أنَّ الشيءَ هو هو وليس غيرُه »[564]. فسُئِل الإمام ابن المبارك: بحَد؟ أي بدليل أو بحُكْم سَمْعي؟ فقال: « إي واللهِ بحَدّ »، أي بدليل وحُكم شرعي. فكلمة حَدّ لها معانٍ مختلفة منها الحُكم، فعندما نقول: أُقيمَ الحَدُّ على فلان، معناه: نُفِّذَ فيه حُكْمُ الله.

---

[560] أي غير مُمازج لخلقه، والجَهْمِيّة ادّعوا أنّ اللهَ في كل مكان بذاته، أي أنه مُمازج للخَلْق.

[561] "الأسماء والصفات" للحافظ أبي بكر البَيْهَقي، ص 538 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[562] "خَلْقُ أفعالِ العِباد"، ص 31 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22.

[563] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 539 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[564] "نقض الرسالة التدمريّة"، تأليف الشيخ سعيد عبداللطيف فودة، ص 147، **الناشر**: دار الرازي، ط 1، عَمّان – الأردن 2004.

4. لا في رواية أبي سعيد ولا في روايَتيّ الإمام البَيْهَقي قال الإمام ابن المبارك: إنّ للهِ حدّاً أو أنّ ذاتَ اللهِ محدودة، أو ما شابه ذلك. كُلُّ ما قالـه: «بأنـه على العرش بـائنٌ مِن خلقه» كما في رواية أبي سعيد، أو: «في السماء السابعة على عرشـه»، كما في الرِّواية الأولى للإمام البَيْهَقي، أو: «فوق سبع سموات على العرش استوى، بائنٌ مِن خَلْقِه ولا نقول كما قالت الجَهْمِيّة أنه هاهنا ، وأشار إلى الأرض» كما في الرواية الثانية للإمام البَيْهَقي، وفي هذه الرِّواية لم يَرِدْ مطلقا لفظُ "الحدّ". وهذه الروايات الثلاث - وجميعها عن علي بن الحسن بن شقيق- ألفاظها مختلفة ومدلولاتها كذلك. ولهذا يُحْكَمُ علي مَتْنِها بالإضطراب. والإضطرابُ يوجب ضَعْفَ الحديث كما هو معلوم. وإذا كان لا بُدّ مِن التّرجيح بينها، فالراجحةُ هي الرِّواية الثانية للإمام البَيْهَقي - وهي كرواية الإمام البخاري- ، لأنها القريبة مِن كلمات القرآن كما سبق بيانه، ولأنه لم يَرِدْ فيها لفظ "الحَد" الذي معناه أنَّ ذاتَ اللهِ محدودةٌ ولها نهاية.

وهناك روايات أُخرى يوردها المُجَسِّمَة عن الإمام أحمد بن حنبل لإثبات الحَدّ للهِ تعالى، وأيضا هذه الرِّوايات مُضّطربة المَتْن كما سيأتي بيانه واللهُ المُوفِّق:

● **قال ابن تيمية ناقلا في هذه المَرّة عن المُجَسِّم أبي بكر الخَلّال** (ت 311 هـ) **ومُقِرّاً له: «وقال الخَلّال في "كتاب السُنَّة": «أخبرنا أبو بكر المَرُّوذي** - ت 275هـ -[565]**، قال سمعت أبا عبدالله قيل له: رُوِيَ عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف الله عزّ وجل؟ قال: على العرش بحَد. قال - أي أحمد بن حنبل -: قد بلغني ذلك، وأعجبه... قال الخَلّال: وأخبرنا محمد بن علي الورّاق** - ت 292 هـ -**، حدثنا أبو بكر الأثرم** - ت 261 هـ -**، حدثنا محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يُحكى عن ابن المبارك قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة، على عرشه بحَد**[566]**. فقال أحمد: «هكذا هو عندنا»]**[567]**.**

---

[565] **تنبيه**: أبو بكر المَرّوذي (بالذّال)، أحمد بن محمد بن الحَجّاج ، ت 275 هـ ، صاحب الإمام أحمد بن حنبل، هو **غير القاضي** أبو بكر المَرْوَزي (بالزين)، أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم، قاضي دمشق والمتوفي سنة **292** هـ .

[566] **ليتنبّه القارئ الكريم إلى أنّ ألفاظ هذه الرواية - والروايات التالية- تخالفُ ألفاظ الروايات السابقة التي رواها أبو سعيد الدّارمي والإمام البَيْهَقي.**

[567] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 375 – 376 ، كذلك ص 561 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

التَّعليق: قوْلُ الإمام أحمد - هذا إن كان قد قاله -: «هكذا هو عندنا» يَدلُّ على أنه كان موافقا للإمام ابن المبارك بأنّ اللهَ «على عرشه بحَد»، ولكنَّ الغريبَ في الأمْر أنَّ الإمامَ أحمد عندما سُئِل عن معنى قول ابن المبارك "بحد" أجاب: لا أعرفه! قال أبو بكر الخَلّال: [حدثنا الحسن بن صالح العطار، حدثنا هارون بن يعقوب الهاشمي سمعت أبي يعقوب بن العباس قال: كنا عند أبي عبدالله، قال: فسألناه عن قول ابن المبارك: «على العرش استوى بحَد». فقلنا له: ما معنى قول ابن المبارك: "بحَد". قال: لا أعرفه، ولكن لهذا شواهد مِن القرآن في خمسة مواضع: ﴿ إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالحُ يَرْفَعُهُ﴾ (سورة فاطر: آية رقم 10)، **وقال: ﴿ ءَأمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخسِفَ بِكُمُ الأرضَ ﴾** (سورة الملك: آية رقم 16)، **﴿تَعْرُجُ المَلآئكَةُ والرُّوحُ إلَيْهِ﴾** (سورة المعارج: آية رقم 4) **][568].**

إنّ هذا القول: «على العَرْشِ اسْتَوَى بِحَد» المنسوب إلى الإمام ابن المبارك كما في الرِّواية أعلاه، وفيه تصريحٌ بالحَدّ، يُخالفُ الأقوال التي نُسِبت إليه في الرِّوايات الأُخرى السابقة.

وعلاوة على ذلك: إنَّ هذا القول: «على العَرْشِ اسْتَوَى بِحَد» هو قوْلٌ مُنكَرٌ وتحريفٌ لكلام الله، فلفظ "بحد" لم يَرِدْ في القرآن ولا في السُّنَّة، والذي وَرَدَ هو: ﴿ الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ و ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ و ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ الرَّحْمنُ ﴾ بدون لفظ "بحد"، فيَجِلُّ مقدار الإمامين ابن المبارك وأحمد بن حنبل أن ينطقا بما لم يَرِد. فمِمّا لا شك فيه أنَّ هذه اللفظة، أقصد "بحد"، مدسوسة عليهما مِن المُجسِّمَة، ولقد نُسِبَ كتابٌ بأكمله، أقْصِد كتاب "الرَّد على الجَهْمِيّة"، إلى الإمام أحمد زورا وبهتانا[569]، وبهذا الكتاب يستشهد ابن تيمية كثيرا لإثبات عقيدة التَّجسيم!

وبما أنّ إجابة الإمام أحمد السابقة، «لا أعرفه»، مُحْرِجة حاول ابن تيمية أن يجد لها مَخرجا - ولكن هيهات -، فقال: « وقولهم: ما معنى قول ابن المبارك؟ وقوله: لا أعرفه، قد يكون لا أعرف حقيقة مُراده، لكن للمعنى الظاهر مِن اللفظ شواهد، وهو النُّصوص التي تدلُّ على أنّ اللهَ تنتهي إليه الأمور، وأنه في السّماء، ونحو ذلك. وقد يكون: لا أدري مِن أين قال ذلك، لكن له شواهد »[570].

---

568 "تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 561 . **لقد تمَ ذِكْر ثلاثة مواضع فقط في النسخة المطبوعة وليس خمسة.**

569 راجع إن شئت الحاشية رقم 290..

570 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 561 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

التّعليق: الإمامُ الفقيه المُجتهد والمُحَدِّث أحمد بن حنبل لا يعرف حقيقةَ مُرادِ الإمام ابن المبارك بلفظ "الحدّ"! كيف هذا وقد ذَكَرَ الرَّاوي أبو بكر المَـرُّوذي أنَّ قولَ ابن المبارك عن الله: «على العرش بحد» قد أعجبه! أكانت الأقوالُ تُعجب الإمام أحمد لسَبْك عباراتها أو لغموض معانيها؟! هذا مستحيل. وعلاوة على ذلك: كيف يورد الإمام أحمد شواهد مِن القرآن للفظ لا يفهم معناه؟! أليس هذا غريبا؟

والاحتمال الثاني الذي وضعه ابن تيمية، وهو أنّ الإمامَ أحمد قصد أن يقول بذلك: «لا أدري مِن أين قال ذلك»، هو أقرب إلى المنطق، فالإمام أحمد استغرب مِن أيّ مصدر كان يأخذ ابن المبارك وعلى أيّ أساس كان يستند بالقول أنّ اللهَ «على العرش استوى بحد»، فهذا اللفظ "بحد" لم يَرِدْ في القرآن ولا في السُّنَّة - هذا على فرض أنَّ الإمام ابن المبارك قد قاله -.

وهناك احتمالٌ ثالث، حيث فَسّر القاضي أبو يعلى (ت458 هـ)**، الحَنْبَليّ المذهب، في كتابه "المُعتمد" قولَ ابن المبارك بأنَّ اللهَ على العرش بحدٍّ كالآتي: « وهذا محمولٌ على أنَّ الحَدَّ راجعٌ إلى العرش لا إلى الذّات، ولا إلى الاستواء، وقصد** - ابن المبارك - **أن يُبيّن أنّ العرشَ مع عظمته محدودٌ »[571]. وهذا هو الحقّ، فالعرشُ مع عَظمة حَجْمه مخلوق، وكُلُّ مخلوق محدودٌ لا مَحَالة. ولكنّ القاضي أبو يعلى كان مُتذبذبا في عقيدته، فقد ذَكَر ابن تيمية أنَّ القاضي أبو يعلى رجع عن قوله في نَفْي الحَدِّ عن الله[572]، ونَسَبَ له الحَدَّ مِن جهة السُّفل، أي مِن الجهة المُحاذية للجهة العليا مِن العرش، قال القاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات": [وإذا ثَبَتَ استواؤه وأنه في جهة، وأنَّ ذلك مِن صفات الذّات، فهل يجوز إطلاق الحَدّ عليه؟ قد أطلق أحمد القول بذلك في رواية المَرُّوذي، ... وقد نفاهُ في رواية حنبل، فقال: «نحن نؤمن بأنَّ اللهَ تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حَد ولا صفة يبلغها واصف، أو يَحُدُّه أحد». فقد نفى الحَدَّ عنه على الصفة المذكورة وهو الحدّ الذي يعلمه خلقه، والموضع الذي أطلقه محمول على معنيين : أحدهما: على معنى أنه تعالى في جهة مخصوصة وليس هو ذاهبا في الجهات الست، ... والثاني: أنه على صفة يَبِينُ بها عن غيره ويَتَمَيّز. ... ويجب أن يُحمَل اختلاف كلام أحمد في إثبات الحَدِّ على اختلاف حالتين: فالموضع الذي قال: إنه على العرش بحد معناه أنّ ما حاذى العرش مِن**

---

[571] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 379 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[572] هذا على فرض أنّ القاضي أبا يعلى قد صنّف كتابه "المُعتمد" قبل كتابه " إبطال التأويلات"، الذي بسببه خضع للتحقيق في سنة 429 هـ، أي قبل موته بحوالي 30 سنة.

ذاته هو حدّ له وجهة له، والموضع الذي قال: هو على العرش بغير حد. معناه: ما عدا الجهة المحاذية للعرش، وهي الفوق والخَلْف والأمام واليُمنة واليُسرة، وكان الفرقُ بين جهة التَّحت - لله- المحاذية للعرش وبين غيرها ما ذَكَرنا أنّ جهة التَّحت تُحاذي العرش بما قد ثبت مِن الدَّليل - قصد آية الاستواء -، والعرشُ محدود، فجاز أن يوصف ما حاذاه مِن الذّات أنه حَدٌّ وجهة له وليس كذلك فيما عداه، لأنه لا يُحاذي ما هو محدود، بل هو مار في اليمنة واليُسْرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية - نهاية -، فلهذا لم يوصف واحدٌ مِن ذلك بالحَدِّ والجهة. وجهة العرش تُحاذي ما قابله مِن جهة الذّات، ولم تُحاذي جميع الذّات لأنه لا نهاية لها»[573].

التّعليق: أولا: في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" سمحَ القاضي أبو يعلى لنفسه أنْ يُؤوِّل! فقد أوّلَ - في الحقيقة حَرّفَ - كلام الإمام أحمد في نَفْي الحَدِّ عن ذاتِ اللهِ بأنه نَفْيٌ لعِلْم الخَلْقِ بحَدِّ اللهِ الثّابت له! ولو كان مُرادُ الإمام أحمد كما ادّعى القاضي أبو يعلى لعبّرَ عن مُراده بوضوح. والحقيقة أنّ مُرادَهُ واضح - إلّا للمُجَسِّمَة- ، فقد قال: « بلا حدّ »، أيحتاج هذا اللّفظ إلى تأويل؟ بالطبع لا.

ثانيا: في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" لم يُبطِل القاضي أبو يعلى تأويل الصفات[574] فقط، بل تعدى حدود الشّريعة ونَسَبَ لذات اللهِ ستَّ جهات. والمُجَسِّمة، ومنهم القاضي أبو يعلى وابن تيمية، كانوا يُرَدّدون دوما: لا نصفُ اللهَ إلّا بما وصفَ به نفسَه أو بما وصفه به رسولُه. وأين وصفَ اللهُ نفسَه بأنَّ لذاته ستَّ جهات؟ أو أين وصفَه رسولُه بذلك؟ فوَصْفُ ذاتِ الله بجهات ست هو افتراءٌ على اللهِ وإلحادٌ في صفاته.

ثالثا: في البداية كان القاضي أبو يعلى يُنزِّهُ اللهَ عن الحَدِّ والجهات، وهذا هو الحقّ، لأن اللهَ هو خالقُ الحَدِّ والجهات وكُلِّ شيء. ثُمَّ رجع القاضي أبو يعلى عن ذلك وأثبتَ للهِ صفاتَ المخلوق: الحَدَّ والجهات! لماذا؟ لأنه بلغه مِن طريق أبي بكر المَرُّوذي أنّ الإمامَ أحمد - وليس الرسول ﷺ - قد أثبتَ الحَدّ والجهة لله، فغَيّرَ عقيدته بناءً على ذلك! فماذا لو ثبتَ أنَّ المَرُّوذي كذبَ على الإمام أحمد، أو أنّ الإمامَ أحمد قد أخطأ؟ بأيّ عُذْر سيأتي القاضي

---

[573] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 381 – 382 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[574] المقصود بذلك هنا ألفاظ اليد والوجه والعين المُضافة إلى اللهِ والتي يُسَمّيها المُجَسِّمَة صفاتَ أعيان أو صفات أجسام!

أبـو يعلـى وأصـحابه المُجَـسِّمَة يـوم القيامــة؟ هـل سـيقولون: اتّبعنــا روايــة المُجَـسِّم، والكذّاب[575]، أبي بكر المَرُّوذي عن الإمام أحمد في الافتراء على الله بالحَدّ!

رابعا: قال القاضي أبو يعلى: «وكان الفرق بين جهة التَّحت - للهِ- المُحاذية للعرش وبين غيرها ما ذَكَرنا أنّ جهةَ التَّحت تُحاذي العرش بما قد ثبت مِن الدّليل -قصد آية الاستواء-، والعرشُ محدود، فجاز أن يوصف ما حاذاه مِن الذات أنه حد وجهة له وليس كذلك فيما عداه، لأنه لا يُحاذي ما هو محدود»، هذا هو تفكير القاضي أبو يعلى: العرشُ محدود - وهذا حقّ-، وبما أنّ اللهَ يُحاذي الجهة العليا مِن العرش، على مذهب المُجَسِّمَة، وهي محدودة، فإنّه يجوز أن يوصف بالحَد مِن الجهة السُّفلى لذاته! ولكن القاضي أبو يعلى لم يستخدم عقله للإجابة على السؤال التالي: كيف كانت "جهة التّحت" للهِ قَبْلَ الاستواء على العرش؟ أكانت محدودة أم لا؟ بالتّأكيد لم تكن محدودة، لأنّ العرشَ المحدود لم يكن موجوداً بعد. وبعد أن خَلَقَ اللهُ العرشَ وتَمَّ الاستواء، أصبحت ذاتُ الله "مِن جهة التّحت"، وهي الجهة الموازية للجهة العليا للعرش، محدودة! وهذا يعني أنه حَدَثَ تغييرٌ في ذاتِ اللهِ فأصبح لها جهة وحَدّاً، وهذا مِن أبطل الأباطيل، وغير جائز شرعا ومستحيل عقلا، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: « أنه تعالى كان ولا مكان، فخلقَ المكانَ، وهو على صفته الأزَليّة كما كان، لا يجوزُ عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته »[576].

قد يقول قائل: وما دخل ابن تيمية في رأي القاضي أبي يعلى؟ وجوابه: لقد عارَضَ ابن تيمية القاضي أبا يعلى في إثباته الحَدّ للهِ مِن جهة التَّحت فقط ، فأثبتَ له الحَدَّ مِن سِتِّ جهات! قال ابن تيمية: « ولو كان مُرادُ أحمد الحَدَّ مِن جهة العرش فقط لكان ذلك معلوما

---

[575] **أبو بكر المَرّوذي**، أحمد بن محمد بن الحَجّاج بن عبدالعزيز، المتوفي سنة **275** هـ، مِن أصحاب الإمام أحمد، **هو عندي كذاب**، ومِن الدّليل عليه أنه افترى بأنَّ الإمامَ أحمد كان يَنهى عن كُتِب الإمام الشّافعي، وهو مِن شيوخ أحمد بن حنبل، ويُحَذِّرُ مِن الأخذ بكلام الأئمة مالك بن أنس وسفيان وإسحاق بن راهويه والقاضي أبي عبيد القاسم بن سَلّام ، جاء في "طبقات الحنابلة" (مجلد 1 / ص 58 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1) في ترجمة أحمد بن محمد بن الحجاج، **أبي بكر المرّوذي**، ما نصه: « **قلت** - أي المَرُّوذي - لأبي عبدالله - أي أحمد بن حنبل - **:** أترى يَكتبُ الرجلُ كُتُبَ الشافعي؟ قال: **لا**. قلت: أترى يكتب الرسالة؟ قال: **لا** تسألني عن شيء مُحدَث. قلت: كتبتها؟ قال: **معاذ الله**. وقال أيضا [أي المَرّوذي]: قال أحمد: وقال أبو عُبيد لَـمّا أنكرتُ عليه هذه الكُتب قال: لَمْ تنصحوني ولم أعلم، فلو علمت أنك تكرهها ما تعرضت لها ولا وضعتها، قال أحمد: قد نَدِم. وقال أيضا [أي المرّوذي]: **قال أحمد: لا تكتب كلام مالك، ولا سفيان، ولا الشافعي ولا إسحاق بن راهويه ولا أبي عُبيْد»**، وهذا الكلام مستحيلٌ أن يصدر مِن الإمام أحمد في حَقّ أئمة أهل السُّنة المذكورين، ولقد قال الإمامُ أحمد في حَقِّ الإمام الشافعي ما نصه: « المُحدِّثون صيادلة والشافعي طبيبهم، والفقهاءُ أكابر والشافعي كبيرهم...كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ...» ("دفع شُبَه مَنْ شَبّهَ وتمرد ونَسَب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد"، تأليف الإمام تقي الدين أبي بكر الحِصْنيّ الدمشقي (ت 829 هـ)، ص 151 بتحقيق عبدالواحد مصطفى، **الناشر**: دار الرازي، ط 1، عَمّان 2003).

[576] "إتحافُ السّادة المُتّقين"، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152.

لعباده، فإنهم قد عرفوا أنّ حَدَّه مِن هذه الجهة هو العرش، فعُلِم أنّ الحدَّ الذي لا يعلمونه مطلق لا يختص بجهة العرش »[577]. فالخلاف بين القاضي أبي يعلى وبين ابن تيمية كان في "الجهات الخمس الأخرى" لله: أي الفوق واليمين واليسار والأمام والخَلْف. فالقاضي أبو يعلى كان يعتقد أنَّ اللهَ غيرُ محدود مِن هذه الجهات. وهذا لم يَرضه ابن تيمية لأنه كان يرى أنّ ذاتَ اللهِ محدودة مِن الجهات السِّت، وقال ابن تيمية أيضا: « وأما ما ذَكَرَه القاضي مِن إثبات الحَدِّ مِن ناحية العرش فقط فهذا قد اختلف فيه كلامه، وهو قول طائفة مِن أهل السُّنَّة، والجمهور على خلافه وهو الصّواب »[578].

لقد قَصَدَ ابن تيمية بقوله: «وهو قول طائفة مِن أهل السُّنَّة» طائفةً مِن فِرقة الكَرّامِيّة المُجَسِّمَة، فمنهم مَن نَسَبَ للهِ الحَدَّ مِن جهة واحدة فقط، ومنهم مَن أثبته مِن ست جهات، وكذا فعلَ ابن تيمية. وقوله: «والجمهور على خلافه وهو الصواب» معناه أنّ جمهور المُجسِّمة - وليس أهل السُّنَّة- نسبوا لذات لله الحَدَّ مِن سِتِّ جهات، وهذا هو رأي ابن تيمية لأنه استصوبه.

خلاصة ما تقدم بخصوص روايات الحدِّ المنسوبة إلى الإمام أحمد

أوْرَدَ أبو بكر الخَلّال ثلاثَ روايات عن الإمام أحمد بخصوص الحَدّ:

الرواية الأولى مِن طريق أبي بكر المَرُّوذي[579]، والثانية مِن طريق محمد بن علي الورّاق عن أبي بكر الأثرم عن محمد بن إبراهيم القيسي[580]، والثالثة مِن طريق الحسن بن صالح العطار عن هارون بن يعقوب عن أبيه يعقوب بن العباس[581]. وهناك رواية رابعة ذَكَرها ابن تيمية ناقلا عن القاضي أبي يعلى مِن طريق أبي بكر بن أبي داود[582]. والرِّوايات الثلاث الأولى اختلفت ألفاظها ومعانيها، كما سبقَ بيانه، لذلك حَدَثَ خلافٌ بين الحنابلة في تفسيرها، قال ابن تيمية: « وأصحابُ الإمام أحمد منهم مَن ظنّ أنّ هذين الكلامين - أي نَفْيَ الحدّ وإثباته - يتناقضان فحُكِيَ عنه في إثبات الحَدّ لله تعالى روايتين، ... ومنهم مَن نَفَى الحدَّ عن ذاته تعالى ونَفَى عِلمَ العباد به كما ظنه موجَبُ ما نقله حنبل، وتأوّل ما نقله

---

[577] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 382 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[578] المرجع السابق، جزء 1 / ص 571.
[579] المرجع السابق ، جزء 1 / ص 375.
[580] المرجع السابق، جزء 1 / ص 375 - 376.
[581] المرجع السابق، جزء 1 / ص 375 ، كذلك ص 561.
[582] المرجع السابق، جزء 1 / ص 376.

المَـرُّوذي والأثـرم وأبـو داود وغيـرهم مِـن إثبـات الحـد لـه علـى أنّ المُـرادَ إثبـاتُ حَـدٍّ للعرش»[583].

● بخصوص الرِّواية الرابعة، رواية القاضي أبي يعلى مِن طريق أبي بكر بن أبي داود فهي ضعيفة لأنها رُويَت بالوِجادة، والوِجادَة أدنى طرق تحمل الحديث الثمانية، قال القاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات" ما نصه: « رأيت بخط أبي إسحاق، حدثنا أبو بكر أحمد بن نصر الرفاء، سمعت أبا بكر بن أبي داود، سمعت أبي يقول: جاء رجل إلى أحمد بن حنبل فقال: للهِ تبارك وتعالى حد؟ قال: نعم، لا يعلمه إلّا هو »[584].

وعلاوة على ذلك: في سند هذه الرِّواية كَذّاب، وهو عبدالله أبو بكر بن أبي داود السجستاني: أخرج الإمام ابن حَجَر العسقلاني بإسناده عن علي بن الحسين بن الجُنَيْد، قال: « سمعت أبا داود - السَّجستاني - يقول: إبني عبدالله كَذّاب، قال ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه »[585]، ورواية الكَذّاب مردودة بالاتفاق.

تنويه: نحن أهل السّنة لا نُثبت صفاتً لله إلّا بالقرآن الكريم وبأحاديث متواترة - وبأحاديث آحاد صحيحة إذا كان لها أصلٌ في القرآن والسّنة المتواترة[586] -، وليس بروايات واهية تالفة، بل مكذوبة على بعض العلماء كالإمام أحمد بن حنبل.

● بخصوص الرِّواية الأولى، رواية أبي بكر المَرُّوذي: كُلُّ ما قاله الإمام أحمد في هذه الرواية تعليقا على قول الإمام ابن المبارك أنّ اللهَ «على العرش بحد» هو: «قد بلغني ذلك عنه»، وهذا لا يعني بتاتا أنه كان مُقِرّاً لقول الإمام ابن المبارك، وتعليق الرّاوي المَرُّوذي بالقول: "وأعجبه" لا قيمة له بتاتا، فلو أنّ قوْلَ الإمام ابن المبارك أعجبَ الإمام أحمد لقال بنفسه مثلا: «وأعجبني قوله» أو ما شابه ذلك. وعلى هذا فإنّ هذه الرواية لإثبات الحَدِّ للهِ مردودة.

● أما بخصوص الرِّواية الثانية فإنّ هنالك تناقضاً في سندها: ففي صفحة 375 / جزء 1 مِن كتاب "تلبيس الجهميّة" نقل ابن تيمية عن أبي بكر الخَلّال أنّ أبا بكر الأثرم سمع مِن محمد بن إبراهيم القيسي، وهذا روى عن الإمام أحمد. بينما ذَكَرَ ابن تيمية عن القاضي

---

583 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية ، جزء 1 / ص 379 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

584 المرجع السابق ، جزء 1 / ص 376 ، وكذلك ص 381.

585 "لسان الميزان" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، مجلد 3 / ص 364 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 555.

586 قال الإمام الحافظ أبو بكر البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات" (ص 450): « ولهذا الوجه مِن الاحتمال - أي الغلط والوهم مِن الرّاوي - تَرَكَ أهلُ النّظر مِن أصحابنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات اللهِ تعالى إذا لم يكن لِما انفرد منها أصلٌ في الكتاب أو الإجماع واشتغلوا بتأويله ».

أبي يعلى أنّ الأثرم حدّثَ مباشرة عن الأمام أحمد، حيث قال: « قلت لأحمد يُحكى عن ابن المبارك ... »[587]. وبغض النَّظر عن ذلك، ففي هذه الرّواية، رواية محمد بن علي الوراق عن الأثرم، قال الإمام أحمد تعليقا على قول الإمام ابن المبارك عن الله: «في السماء السابعة على عرشه بحد» ما نصه: «هكذا هو عندنا»[588]، أي أنّ الإمام أحمد كان موافقا للإمام ابن المبارك بأنّ اللهَ على العرش بحد! ولكن كما سبق ذِكره تبيّن أنّ الإمام أحمد أقرّ شيئا لا يعلم معناه، حيث سُئِل عن معنى "بحد"، فأجاب: لا أعرفه، كما في الرِّواية الثالثة مِن طريق طريق الحسن بن صالح العطار عن هارون بن يعقوب عن أبيه يعقوب بن العباس. ونحن أهل السُّنّة نتلقى عقيدتنا عن أئمة يُدركون ما يعتقدون ولا يُقرّون ما لا يعرفون، وبناءً على ذلك نَردُّ هذه الرِّواية وغيرها مِن الرِّوايات المكذوبة على الإمام المُبَجّل أحمد بن حنبل، فهو مِن أئمة أهل السُّنّة المُنَزِّهين للهِ عن الجِسْمِيّة والأعضاء والحَدّ: قال الإمام الحافظ حنبل بن إسحاق[589]، ابن عَمِّ الإمام أحمد،، كما روى ذلك عنه أبو بكر الخَلّال في كتابه "السُّنّة"، ما نصه: « أخبرني عبدالله بن حنبل، حدثني أبي حنبل بن إسحاق، قال: قال عمي: « نحن نؤمن بأنّ اللهَ على العرش[590] كيف شاء وكما شاء بلا حَدٍّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد، ... وهو كما وصفَ نفسَه، ليس مِن الله تعالى شيءٌ محدود ... ولا نَصِفُ اللهَ تبارك وتعالى بأعظم مِمّا وصفَ به نفسَهُ بلا حدٍّ ولا غاية، ... وهو على العرش بلا حَدّ ... »][591].

فهذه نصوصٌ صريحة تَدُلُّ على أنّ الإمام أحمد نَفَى الحَدَّ عن ذاتِ اللهِ وصفاته، وهي كذلك أصرح في الرّدِّ على تأويلات القاضي أبي يعلى وابن تيمية الخاطئة لكلام الإمام أحمد.

وعلاوة على ذلك: وَرَدَ في "طبقات الحنابلة" أنّ الإمام أحمد كان يقول في عقيدته: «واللهُ تعالى لم يَلْحَقهُ تغيّرٌ ولا تَبَدُّل، ولا يَلْحَقهُ الحدود قَبْلَ خَلْقِ العَرْشِ ولا بعدَ خَلْقِ العرش. وكان يُنْكِر على مَن يقول: إنّ اللهَ في كُلِّ مكان بذاته، لأنّ الأمكنة كلها

---

587 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 381 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

588 المرجع السابق، جزء 1 / ص 375 – 376.

589 قال الحافظ الذهبي عنه في كتابه ما نصه: « الإمام الحافظ المُحَدِّث الصَّدوق المُصَنِّف أبو علي الشيباني، ابن عَمِّ الإمام أحمد وتلميذه ... **قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً** » ("سير أعلام النبلاء" ، مجلد 13 / ص 51 ، 52 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63.

590 قول الإمام أحمد "أنّ اللهَ على العرش" معناه عُلُوُّه عليه عُلُوَّ ربوبية وسُلطان وليس عُلُوَّ مكان كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

591 المرجع: "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 376 – 378 ، كذلك ص 562 – 563.

محدودة»[592]، فكلام الإمام أحمد هذا هو نصٌّ صريحٌ ودليلٌ واضحٌ على أنه كان يُنزِّهُ اللهَ عن الحدود مطلقا، وردٌّ على أيِّ افتراءٍ مِن أنّ الإمام أحمد نسبَ الحَدّ لذات الله المُقدَّسة.

وقولـه: « وكـان - الإمـام أحمد- يُنْكِر علـى مَن يقول: إنّ اللهَ فـي كُـلِّ مكـان بذاتـه، لأنّ الأمكنة كُلّها محدودةٌ » لهو دليلٌ ساطعٌ على أنَّ الإمامَ أحمد كان يُنَزِّهُ اللهَ عن المكان، لآنه لو كان اللهُ في مكان لكان محدوداً بحدود المكان، ولو كان اللهُ فوق مكان لكان إمّا على قَدْرِ المكان تماما أو أصغرَ منه، وفي كلتا الحالتين يكون محدودا، أو أكبرَ منه وفي هذه الحالة يكون "جُزءٌ" منه محدودا بحدود المكان وعلى هيئة ذلك المكان، وكُلُّ ذلك غيرُ جائز في حقِّ الله الخالق.

وأصرحُ وأحْكَمُ رَدٍّ على مَنْ نَسَبَ الحَدَّ للهِ تعالى هو كلامُ اللهِ جَلّ ثناؤُه:

أولا: قولهُ تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هو نفيٌ صريحٌ للجِسْمِيَّة والحَدِّ عن اللهِ تعالى: فكُلُّ مولودٍ هو مخلوقٌ، وكُلُّ مخلوق جسم، وكُلُّ جسم محدودٌ لا مَحَالـة، فـاللهُ لـم يولـد، فهو إذن ليس بجسم وغير محدود.

ثانيا: وقولـه تعالى: ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ﴾ هو بيانٌ لذوي العقول السّليمة بأنَّ اللهَ غيرُ محدود. ولقد وَرَدَ تفسير هذه الآية الكريمة في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، قال الرسول ﷺ: «اللهُمَّ أنتَ الأوّلُ فلَيْسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فلَيْسَ بعدكَ شيءٌ»[593]، فالّذي لَيْسَ له قبْلٌ لَيْسَ لـه بدايـة، والذي لَيْسَ لـه بَعْدٌ لَيْسَ لـه نهايـة، والذي لَيْسَ له بداية ولا نهاية فهو غيرُ محدود.

ثالثا: قال اللهُ تعالى: ﴿ فَلا تَجْعَلواْ للهِ أنْداداً ﴾[594]، أي لا تجعلوا له شركاء، سواءً في الصفات أو في الأفعال أو في العبادة. والحَدُّ صفة مِن صفات المخلوق، وإثباتُ الحَدِّ للهِ يُعَدُّ إشراكا للخالق والمخلوق في صفة الحَدّ. ولقد حَذّر الله مِن الشِّرك أشد تحذير فقال: ﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بـهِ وَيَغْفِرُ مـا دونَ ذلكَ لِمَن يَشآءُ﴾[595]، وقال اللهُ تعالى: ﴿لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾[596].

---

[592] "طبقات الحنابلة"، مجلد / ص 256 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

[593] رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم **2713** ، وأخرجه ابن ماجه في سننه بسند صحيح، برقم **3873**. وأخرجه الحافظ البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" له، ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[594] سورة البقرة: آية رقم 22.

[595] سورة النساء: آية رقم 48 و 116.

[596] سورة الزمر: آية رقم 65.

وعلى هذا الصِّراط المستقيم، أي نَفْي الحدّ عن الله الخالق، سار أئمة أهل السُّنَّة، وفيما يلي بعضٌ مِن أقوال بعض أئمتنا، أئمة أهل السُّنَّة، في تَنْزيهِ الله عن الحَدّ:

1. **قال الإمام زين العابدين** (ت 94 هـ) **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنهم **ما نصه: « أنتَ اللهُ الذي لا تُحَد »[597].**

2. **وقال الإمام أبو حنيفة** (ت 150 هـ) **في كتابه "الفِقه الأكبر" عن اللهِ تعالى: « لا حَدَّ له ولا ضِدّ له ولا نِدَّ له ولا مِثل له »[598].**

3. **وقال الإمام أحمد بن حنبل** (ت 241 هـ): **« لَيْسَ مِن اللهِ تعالى شيءٌ محدود، ... ولا نصف الله تبارك وتعالى بأعظم مما وصف به نفسه بلا حَدّ ولا غاية »[599]. وقال أيضا: «واللهُ تعالى لم يَلْحقهُ تَغَيّرٌ ولا تَبَدّلٌ، ولا يَلْحقهُ الحدودُ قبل خَلْقِ العرش ولا بعدَ خَلْقِ العرش »[600].**

4. **وقال الإمام أبو جعفر الطّحاوي** (ت 321 هـ) **في رسالة عقيدة أهل السُّنَّة: « وتعالى - أي تَنَزَّهَ اللهُ- عن الحدود والغايات** - أي النّهايات- **والأركان** - أي الجوانب- **والأعضاء والأدوات»[601].**

وقال أيضا (المرجع السابق، ص 380)**: « ومَن وصَفَ اللهَ بمعنًى مِن معاني البَشَر فقد كَفَر »، ومعنى الحَدّ في حَقّ البَشَر هو النّهاية، والفاصلُ بين الشيْئين، فمَن وصف ذاتَ اللهَ بالحَدّ، أي أنّ لها نهايةً وحدوداً تُحيط بها، فقد كَفَر.**

5. **وقال الإمام أبو الحسن الأشعري** (ت 324 هـ) **في مقدمة "الإبانة" مُنَزِّها اللهَ تعالى عن الحَدّ: « ليْسَ له صورة تُقال، ولا حَدّ يُضربُ له المِثال »[602]. والمعنى: ليست لذاتِ اللهِ صورة[603] حتى يوصف، فاللهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾، وليس له حَدٌّ ولا نهاية حتى يكون له مِثل.**

---

[597] أخرجه الإمام محمد مرتضى الزَّبيدي بإسناده في كتابه "إتحاف السادة المتّقين"، مجلد 4 / ص 380 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152.

[598] أُنظر المَتن، ص 302 مِن "شرح الفقه الأكبر" مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

[599] روى ذلك أبو بكر الخَلّال بإسناده في كتابه "السُّنّة"، المرجع: "تلبيس الجهميّة"، جزء 1/ ص 376 – 377 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[600] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2 / ص 256 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 73.

[601] سَبَقَ تخريجه في الحاشية رقم 416.

[602] "الإبانة عن أصول الديانة" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 5 بتعليق عبدالله محمود محمد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

[603] معنى "الصورة" في علم الأصول (العقيدة) التّركيب مِن أجزاء أو أعضاء.

6. وقال الإمام الفقيه أبو سليمان الخَطّابي (ت 388 هـ)**: « جَلَّ رَبّنا عن صفات المخلوقين ونعوت المَربوبين المَحدودين »[604]، فالحَدُّ مِن صفات المخلوقات، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك.**

7. وقال الإمام أبو منصور البغدادي (ت 429)**: « وقالوا - أي أهل السُنّة- بنَفْي النِّهاية والحَدِّ عن صانع العالم، على خِلاف قول هشام بن الحكم الرّافضي في دعواه أنَّ معبوده سبعةُ أشبار بشبر نفسه، وخِلاف مَن زَعم مِن الكَرَّاميّة أنه ذو نهاية مِن الجهة التي يُلاقي منها العرش، ولا نهاية له مِن خمس جهات »[605]، وهذا هو أيضا رأي القاضي أبو يعلى المُجَسِّم كما سبق بيانه، وقد خالفه في ذلك ابن تيمية ونَسَبَ الحَدَّ للهِ مِن سِتِّ جهات!**

8. وقال الإمام ابن حَزْم الأندلُسي (ت 456 هـ)**: « وحاشا اللهُ أن يوصف بالتّبعيض والتَّجَزّي، هذه صفةُ المخلوقين المَحدودين، لا صفة مَن لا يُحَدّ ولا له مِثل »[606]، والمقصود بالتّجَزّي التّركيب مِن أجزاء.**

9. وقال الإمام أبو بكر البَيْهَقي (ت 458 هـ)**: « والباري لا يَتَجَزّأ ولا يتناهى »[607]، أي أنّ اللهَ غير مُرَكَّبٌ مِن أجزاء كالأعضاء، ولا نهاية لذاته المقدّسة.**

10. وروى الإمام البَيْهَقي بإسناده عن الإمام أبي داود الطيالسي[608]، قال: « كان سفيان الثَّوْريّ وشُعبة وحمّاد بن زيد وحمّاد بن سَلَمة وشَريك وأبو عَوانة لا يَحُدّون ولا يُشَبِّهون[609] ولا يُمَثِّلون[610] ... قال أبو داود: وهو قولنا. قلت - أي البَيْهَقي -: وعلى هذا مضى أكابرنا »[611]. قَوْلُ أبي داود الطيالسي: «لا يَحُدّون» معناه أنهم نزّهوا الله عن الحَدّ. والمذكورون كانوا مِن كبار أئمة سَلَف أهل السُّنّة: فسفيان الثَّوْريّ (ت 161 هـ) **فقيه وأمير المؤمنين في الحديث وأحد الأئمة المجتهدين[612]. وشُعبة بن الحجاج** (ت 160هـ) **أمير**

---

[604] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ البَيْهَقي، ص 556 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[605] "الفَرْقُ بين الفِرَق" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 356 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 418.
[606] " الفِصَل في المِلَل" للإمام ابن حَزْم، مجلد 2 / جزء 3 / ص 185 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.
[607] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 49 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[608] هو سليمان بن جارود، أوّلُ مَن ألّف المسانيد، ولد 133 هـ، ت 204 هـ.
[609] قوْلُ الإمام أبي داود الطّيالسي: " لا يُشَبِّهون" معناه لا يُشبِّهون اللهَ الخالقَ بالمخلوق لا في الذّات ولا في الصفات ولا في الأفعال. **والتّشبيهُ** يقع بمجرد نِسبة أيّة صفة مِن صفات المخلوق إلى اللهِ الخالق كالحركة والجلوس والقيام والنّزول والصُّعود، أو نِسبة أيّ وصْف مِن أوصاف المخلوق إلى الله كالقول أنّ لله يداً عضواً أو عينا عضواً أو وجهاً عضوا، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في رسالة عقيدة أهل السُّنة: **«ومَن وصف الله بمعنًى مِن معاني البشر فقد كَفَر»**.
[610] وقوله: "لا يُمَثِّلون" أي ينفون المُماثلة بين اللهِ الخالق وبين المخلوق، والمُماثلة هي المساواة التّامة مِن جميع الوجوه أو مِن بعضها.
[611] "الأسماء والصفات" للحافظ أبي بكر البَيْهَقي، ص 537 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[612] "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 25 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 330.

المؤمنين في الحديث[613]، وحمّاد بن زيد (ت179 هـ) **حافظ وفقيه وشيخ العراق في عصره[614]، وحمّاد بن سَلَمة** (ت 167 هـ) **أحد أئمة المسلمين في عصره[615]، وشَريك بن عبدالله النَّخَعي** (ت 177 هـ) **قاضي الكوفة في عهد المهدي، وأبو عَوَانة** (ت 176 هـ) **مُحدِّث البصرة[616].**

11. وقال الإمام العِزُّ بن عبدالسّلام (ت 660)**: « فيُنفى عنه - تعالى- ما يستحيلُ عليه كالشَّبيه والمَثِيل والعديل والشَّريك، والضد والنِّد، والحَدّ والقَدْر والعَد، والعَجْز والضّعف والنّقص وما شابه ذلك »[617].**

● وقبل أن أُنهي هذا الموضوع أوَدُّ أن أذكُرَ أنّ ابن تيمية نفسه اعترف بأنّ الذين ينفون الحَدَّ والجِسْمِيّة عن اللهِ هم أُمَمٌ لا يُحْصَوْن كَثْرة، قال ابن تيمية بخصوص موضوع الفَوْقيّة على العرش ما نصه: « أما - الفريقُ- الأوّل: فهو قَوْلُ مَن يقول: هو فوق العرش وليسَ له حَدٌّ ولا مِقدار- أي حَجم- ولا هو جسم، كما يقول ذلك كثيرٌ مِن الصِّفاتية مِن الكُلّابِيّة، وأئمة الأشْعَرِيّة وقدمائهم، ومَن وافقهم مِن الفُقهاءِ والطَّوائف الأربع وغيرهم، وأهل الحديث والصّوفية، وغير هؤلاء، وهم أُممٌ لا يُحْصيهم إلّا الله، ومِن هؤلاء أبو حاتم ابن حِبّان[618] وأبو سليمان الخَطّابي البُسْتِيّان »[619]. وبناءً على ذلك يكون الشيخ ابن تيمية بإثباته الحدّ والجسم لله قد خالف أُمَماً كثيرة لا يُحْصيها إلّا الله، واتّبع هوى نفسه.

تنبيه: المقصود بالقول: "اللهُ فوق العرش" عند أهل السُّنّة هو فَوْقِيّة المُلْك والسُّلطان والعَظَمَة والقَهْر، وليس فَوْقِيّة المكان.

خلاصة ما تقدم: الآياتُ الكريمة: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ، ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ﴾ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾، ﴿ فَلا تَجْعَلواْ للهِ أنْداداً ﴾ وأقوالُ أئمة سَلَف أهل السُّنّة دليلٌ صريحٌ على أنّ تنزيه الله عن الحَدِّ والنّهاية هو عقيدة أهل السُّنّة. وابن تيمية قد حادَ عن الصِّراط المستقيم وخالفَ جماعةَ المسلمين بِنِسبة الحَدّ لذاتِ اللهِ الخالق.

---

[613] المرجع السابق، ص 25.
[614] المرجع السابق، ص 25.
[615] له ترجمة في "سير أعلام النبلاء" للحافظ الذّهبي، مجلد 7 / ص 444 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63.
[616] أنظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" ، مجلد 8 / ص 217.
[617] "حَلُّ رموز ومفاتيح الكنوز" (والكتاب معروف أيضا باسم **"حَل الرّموز"**)، للإمام العز بن عبدالسلام، ص 36 بتحقيق محمد عبالرحمن الشاغول، **الناشر**: الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة 2005.
[618] صاحب الصّحيح المعروف "بصحيح ابن حِبَّان"، توفي الإمام ابن حِبّان رَحِمَهُ اللهُ سنة 354 هـ.
[619] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 567 تلبيس مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

ومِن عقائد ابن تيمية

ثالثا: نِسبة الجهة والفَوْقِيّة المكانيّة لله

لقد نَسبَ ابن تيمية الجسمَ لذات الله، والقول بالجِسْمِيّة يَستلزمُ القول بالجهة، والجهة تدلّ على المكان، وكلاهما نَسَبَه ابن تيمية للهِ تعالى خالق الجِّهات والمكان والأجسام. ومِن الأدلة التي استدل بها ابن تيمية على وجود اللهِ في جهة: "العِبادة"، حيث قال: « الوجه العشرون: أنّ كَوْنَ الرَّبّ إلهاً معبوداً يستلزم أن يكون بجهة مِن عابده بالضرورة، وذلك أنّ العِبادةَ تتضمن قَصْد المعبود وإرادته وتوجه القلب إليه ... والإنسان يَحسُّ مِن نفسه أنه إذا قصد شيئا أو أحبه -غير نفسه-[620] فلا بُدّ وأن يكون في جهة منه »[621].

الرَّد: 1. قول ابن تيمية: « أنَّ كَوْن الرّبّ إلهاً معبودا يستلزم أن يكون بجهة مِن عابده بالضرورة» مُخالفٌ للشّرع والواقع: فلو كان مِن لوازم العبادة أن يكون المعبودُ (الإله) بجهة مِن العابد لاستلزم هذا الأمر أن يكون اللهُ داخل الكعبة، لأنّ المسلمين يتوجهون إليها في صلاتهم. وكما هو معلوم لدى عقلاء المسلمين أنّ اللهَ لا يَحُلُّ في شيء، لا في الكعبة ولا في غيرها.

2. أن يكون المعبودُ بجهة مِن العابد ينطبق على الدّيانات الشِرْكيّة، وليس على دين الإسلام. فالبوذيُّ مثلا يقفُ وينحني بخشوع أمام تمثال بوذا مؤديا "صلاته".

3. قوْلُ ابن تيمية أنّ العبادة تتضمن توجُّه قلب العابد إلى معبوده هو حَقّ، لكن ابن تيمية أراد به باطلا وهو إثبات الجهة لله. فتوجهُ قلب المسلم إلى اللهِ لا يكون بتوجّه المسلم إلى جهة معينة، بل بإخلاص النِّيّة له ومحبته والخُضوع لشرعه.

4. وقوله: «والإنسان يحسّ مِن نفسه أنه إذا قصد شيئا أو أحبه -غير نفسه- فلا بُدَّ وأن يكون في جهة منه» ينطبق على الحياة الشخصية الاجتماعية، وليس الدينية، فمثلا محبتنا للرسول ﷺ لا تستلزم منا أن نتوجه إلى قبره ﷺ.
وفي تحديد جهة المعبود بالنسبة إلى العابد قال ابن تيمية: « فالعبدُ يتوجّه إلى ربِّه بقلبه إلى جهة العُلُوّ »[622]. وجهة العُلُوّ هذه فَوْق السّماوات، حيث قال: « وإذا ظهر هذا عُلِم أنّ

---

620 ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.
621 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 797 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
622 المرجع السابق، جزء 1 / ص 529.

اللهَ سبحانه لا يكون في الحقيقة قط إلّا عاليا ...- إلى أن قال-: فإنَّ المقصود أنَّ اللهَ فَوْق السّماوات وهذا ثابتٌ على كُلّ تقدير »[623]. والفَوْقِيّة التي قصدها ابن تيمية هي الفوقية المكانية، وليست فوقية الرُّتبة والمَنْزلة والسُّلطان، حيث قال: « والبارئُ سبحانه وتعالى فَوْق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرُّتبة ... فكذلك العُلُوُّ على العالم، قد يُقال: إنه يكون بمجرد الرُّتبة، كما يُقال: العالمُ فوق الجاهل، وعُلُوُّ اللهِ ليس بمجرد ذلك، بل هو عالٍ عليه عُلُوّاً حقيقيا، وهو العُلُوُّ المعروف »[624]. فهذه نصوصٌ صريحة تُثبت أنّ ابن تيمية كان يعتقد بأن اللهَ بذاته فوق السماوات، أي فوق العرش وِفْق عقيدته.

نَقضُ عقيدة الفَوْقِيّة المكانية المَنسوبة لله:

مِن المعلوم لدى العقلاء أنَّ الأرضَ كُرَويّة الشَّكل، وأنّ الجهاتَ هي أُمورٌ نِسْبية إضافية وليست حقيقية ثابتة. فجهةُ فَوْق لشخص واقفٍ على القُطب الشّمالي مثلا هي جهة تحت لشخص آخر واقف على القطب الجنوبي، والعكس صحيح. وعلى هذا فالشّخص الواقف على القطب الشمالي يَرى جزءاً مِن السماء فوق رأسه، وهذا الجُزءُ هو في جهة تحت للشخص الواقف على القطب الجنوبي. وكذلك الحال للشخص الواقف على القطب الجنوبي، فهو يرى جزءاً آخر مِن السماء فوق رأسه، وهذا الجزءُ هو في جهة تحت للشخص الواقف على القطب الشمالي. وهكذا الأمر أيضا بخصوص جهتي الشرق والغرب.
فلو قال شخصٌ واقفٌ على القطب الشمالي: اللهُ <u>فوق</u>، وأشارَ إلى السماء فَوْقَ رأسه، فإنَّ هذه الجهة تكون <u>تحتَ</u> بالنِّسبة لشخصٍ واقفٍ على القطب الجنوبي، وملزوم ذلك هو أنّ اللهَ تحت هذا الشّخص الواقف على القطب الجنوبي، وهذا باطل، لأنه يستحيل أن يكون الخالق تحت المخلوق، فَنِسْبةَ الفوقية المكانية إلى اللهِ باطلة. ولهذا المعنى أَوَدُّ أن أذكر حُجةً مِن الحُجج التي ذَكَرها الإمام فخر الدين الرّازي في كتابه "أساس التقديس" في تفنيد رأي القائلين بالجهة لله سبحانه وتعالى. وهذه الحجج نقلها عنه ابن تيمية في كتابه " تلبيس الجهميّة"، الذي ألّفه للرَّدِّ على الإمام الرّازي مُنتصرا فيه لمذهب المُجَسِّمَة، قال الإمام الرّازي: « وإنّما قلنا إنَّ الأرضَ لَمّا كانت كُرَة امتنع كَوْن الخالق في شيء مِن الأحياز، وذلك أنّ الأرض إذا كانت كُرة فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلى سكان أهل المشرق هي تحت بالنسبة إلى سكان المغرب، وعلى العكس، فلو اختصَّ الباري بشيءٍ مِن الجهات لكان

---

[623] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 606 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[624] المرجع السابق، جزء 1 / ص 140.

تعالى في جهة التّحت بالنِّسبة إلى بعض الناس، وذلك باطل بالاتفاق بيننا وبين الخصم - أي المُجَسِّم - فثبت أنه يمتنع كونه مختصا بالجهة»[625]. وهذه الحُجة منطقية ومُفحِمة، ولكنّ الشيخ ابن تيمية كان يرفض استخدام العقل لفهم النُّصوص الشَّرعية المُتعلِّقة بصفات الله تعالى، وإن ادّعى في مواضع كثيرة مِن كتبه أنّ ما يقوله موافقٌ للعقل والشّرع. وفي اعتراضه على حجة الإمام الرّازي الآنفة الذِّكر سَوَّد ابن تيمية حوالي سبع صفحات[626] وهو يُغالط ويُراوغ ... وأخيراً اعترف بصحتها! حيث قال: « هذا الذي ذكرته مِن هذا الوجه لا يُدفع»[627]. والمعنى: أنّ نِسبة الجهة إلى اللهِ تستلزم أن يكون اللهُ في جهة التّحت بالنسبة إلى بعض سكان الأرض، وهذا الإلزام لا يدفعه أي لا يُنكره ابن تيمية.

المنطقُ يستلزم في هذا الحال مِن ابن تيمية أن يتراجع عن خطأه، ولكنه لم يفعل، بل افترى بأنّ هذه التَّحتيّة للهِ موافقة للحساب والعقل والقرآن والسُّنّة! فقال مباشرة بعد كلامه السابق: «فإنه كما أنه معلوم بالحساب والعقل فإنه ثابتٌ بالكتاب والسُّنّة... »[628].

ولقد علّل ابن تيمية بحسابه وبعقله تَحتية اللهِ تحت عِباده فقال موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: « فذكرت أنَّ وصفه بالفَوْقيّة أو بغيرها يستلزم أن يكون موصوفا بالتَّحْتِيّة، فإنّ جميع ما يوصفُ بالفوقيّة مِن الموجودات كالسّماوات والكواكب وغيرها يجب أن توصف بهذه التَّحْتِيّة التي ذكرتها[629] لِما ذكرته مِن الحُجة، ثُمَّ قلت: والتَّحْتِيّة مُتّفقٌ على انتفائها فيجبُ نَفْيَ ملزومها وهو الوصف بالفوقيّة. فيُقال لك: إذا كان كُلُّ ما وُصِفَ بالفوقية فلا بُدَّ مِن وصفه بهذا المعنى - أي بالتَّحْتِيّة - كان هذا لازما لكُلّ ما هو فَوْق وعالٍ ولم يكن ذلك محذوراً، فنحن نلتزم هذا المعنى الذي هو لازمٌ لكُلّ ما يوصف بالفوق، وهذا خيرٌ مِن أن لا يوصف بفوقية ولا غيرها فإنَّ ذلك يستلزمُ عدمه ... فإنك نَزَّهْته مِمّا ادعيت أنه تَحْتِية لتنفي بذلك ما يستحقه مِن الفَوْقيّة، وذلك يستلزمُ عدمه بالكُلّيّة»[630].

التّعليق: قَوْلُ ابن تيمية: « فنحن نلتزمُ هذا المعنى ... وهذا خيرٌ مِن أن لا يوصف بفوقية ولا غيرها فإنّ ذلك يستلزم عدمه ...» معناه أنّ وجودَ الله مُرتبطٌ بفَوْقِيّته وتَحتِيّته المكانية! فإذا انتفت هذه تلاشى وجوده، هذا هو مضمون كلام مَن يُسمّونه "شيخ الإسلام"، أما آنَ الأوان أن يُقلع أتباعه عن اتِّباعه، ويأخذوا بعقيدة أهل السُّنّة، فالحقُّ أحقُّ أن يُتّبع.

---

625 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 599 – 600 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
626 مِن ص 600 – 606 مِن النسخة التي بين يديّ.
627 "تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 606.
628 المرجع السابق، جزء 1 / ص 606.
629 هنا يريد ابن تيمية أن يقيس وجودَ الله الخالق على وجود المخلوق.
630 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 611.

ثُمّ عَلَّلَ ابن تيمية وَصْفَ الله بالتَّحْتِيّة بالقرآن والسُّنّة، فقال مباشرة بعد كلامه السابق: [فإنه ثابتٌ بالكتاب والسُّنّة وقال اللهُ تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والبَاطِنُ ﴾[631]. وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه **عن النَّبيّ** صلى الله عليه وسلم **أنه كان يقول: «أنتَ الأوّلُ فلَيْسَ قبلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدكَ شيءٌ، وأنتَ الظّاهرُ فليس فوقكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليس دونكَ شيء. اقض عنا الدَّيْن واغننا مِن الفقر»][632].**

الشيخُ ابن تيمية جعلَ كلامَ اللهِ وكلامَ رسوله المذكوريْن أعلاه دليلا له على عدم امتناع أن يكون اللهُ الخالقُ تحت بعض عباده! وقبل إيراد تفسير ابن تيمية للآية الكريمة والحديث الشريف أوَدُّ أوّلا أن أُبَيِّنَ شرحهما عند أهل السُّنَّة:

قولُهُ تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ﴾ معناه الذي لا قَبْلَ ولا بَعْدَ له، كما وَرَدَ في الحديث النَّبوي أعلاه، والذي ليس له قبْلٌ ليس له بداية، والذي ليس له بَعدٌ ليس له نهاية، والذي ليس له بداية وليس له نهاية فهو غير محدود. فقوله تعالى: : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ﴾ معناه أنَّ اللهَ غيرُ محدود.

- **وقال الإمام الحافظ أبو عبدالله الحَليمي** (ت 403 هـ) **في تفسير اسمه تعالى "الظاهر": «إنه البادي في أفعاله وهو جَلَّ ثناؤه بهذه الصفة، فلا يُمكن معها أن يُجْحد وجوده، ويُنْكَر ثبوته»[633].**
- **وقال الإمام الحافظ والفقيه أبو سليمان الخطّابي** (ت 388 هـ) **في تفسير ذلك: « هو الظاهرُ بحججه الباهرة وبراهينه النَّيِّرة وشواهد أعلامه الدّالة على ثبوت ربوبيّته وصحة وحدانيته. ويكون الظاهرُ فوق كُلِّ شيء بقدرته، وقد يكون الظهورُ بمعنى العُلُوّ، ويكون بمعنى الغَلَبَة»[634]. قوله: «وقد يكون الظهور بمعنى العُلُوّ» معناه العُلُوُّ المَعنوي، أي عُلُوُّ السِّيادة والسُّلطان والقَهْر، لا عُلُوّ المكان، والدّليل عليه أنّ الإمام الخطّابي** رحمه الله **كان مِن المُنَزّهين لله عن المكان - والأعضاء والحركة والسّكون-.**
- **وقال الإمام أبو عبدالله الحَليمي في تفسير اسمه تعالى: "الباطن": « الباطنُ الذي لا يُحَس وإنما يُدرك بآثاره وأفعاله »[635].**

---

631 سورة الحديد: آية رقم 3.

632 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 606 – 607 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

633 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 27 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

634 المرجع السابق ، ص 27 – 28.

635 المرجع السابق ، ص 52.

● وفسّر الإمام الفقيه أبو سليمان الخطّابي اسمه تعالى "الباطن" فقال: « المُطَّلِعُ على ما بَطَنَ - خَفِيَ - مِن الغُيوب »[636].

أما قوله ﷺ : « وأنت الظاهرُ فليس فوقكَ شيء، وأنت الباطنُ فليس دونكَ شيء »[637] فمعناه أنه ليس فوقَ الله شيءٌ مِن الأشياء، وليس دونه، أي ليس تحته شيءٌ مِن الأشياء. والذي ليس تحته شيءٌ مِن الأشياء لا يُمكن أن يكون فَوْقَ شيءٍ فَوْقِيّة مكانيّة: لا فوْقَ السّماوات ولا فوق العرش. وقوْلُ الرسول ﷺ هذا هو رَدٌّ مُفْحِمٌ لكُلِّ مَن نَسَبَ الفوقية المكانية إلى الله.

● وقال الإمام أبو بكر البَيْهَقي في تعليقه على الحديث أعلاه ما نصه: « واسْتَدَلَّ بعضُ أصحابنا بهذا الحديث في نَفْي المكان عنه - تعالى- »، ثُمَّ قال: « وإذا لم يَكُن فوقه شيءٌ ولا دونه شيءٌ لم يَكُن في مكان »[638]. فحديث الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى هو الحقّ وهو عقيدة أهل السُّنّة، وهو أنّ اللهَ موجودٌ بلا مكان، ومَن ادّعى غيرَ ذلك فهو ضالٌ وإن ادّعى لنفسه الهُدى.

أما ابن تيمية فقد فسّر الحديث السابق حسب هواه ومِن منظار عقيدة التّجسيم التي كان يُدافع عنها بشتّى الوسائل، حتى لو أدّى به الأمرُ إلى تحريف معاني النُّصوص، فقال في تفسير الحديث أعلاه ما نصه: [فهذا خبر بأنه ليس فوقه شيءٌ في ظهوره وعُلُوّه على الأشياء »[639]، وقال أيضا: « والظُّهورُ يتضمن العُلُوّ ولهذا قال «فليس فوقكَ شيء»][640]،

والعُلُوّ الذي قصده ابن تيمية هو العُلُوُّ المكاني وليس عُلُوّ الرُّتبة، حيث قال في شرح الحديث: « أنه مِن المعلوم أنّ (فوق) و (دون) مِن الأسماء التي تُسميها النُّحاة ظرف المكان لدلالة لفظها على المكان اللّغوي »[641]. وفي موضع آخر قال: « وهو الظاهرُ فليس فوقه شيء، بل <u>هو فوق الأمكنة</u> وما فيها »[642]. فهذه نصوصٌ صريحة تُبيّن أن ابن تيمية جعل لفظ "الظاهر" مرادفا للعُلُوّ المكاني. ولفظ"الباطن" جعله مرادفا للتحتية المكانية، حيث قال: « وأنه ليس دونه شيءٌ فلا يكون أعظمُ بطونا منه حيث بطنٌ مِن الجهة الأخرى

---

636 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهقي، ص 52 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
637 سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 438.
638 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 506 .
639 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 607 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
640 المرجع السابق، جزء 1 / ص 608.
641 المرجع السابق، جزء 1 / ص 608.
642 المرجع السابق، جزء 2 / ص 891.

مِن العباد جمع فيها لفظ البطون ولفظ الدون[643] -وليس هو لفظ الدون-[644] بقوله: «وأنت الباطن فليس دونكَ شيء» فعُلِم أنّ بطونه أوجب أن لا يكون شيء دونه باعتبار بطونه. والبطونُ يكون باعتبار الجهة التي ليست ظاهرة »[645].

التّعليق: الشيخ ابن تيمية يزعم في النّصِّ أعلاه بأنَّ تَحْتِيّة اللهِ تحت العِباد أوجبت أن لا يكون شيءٌ تحته باعتبار تحتيته المكانية! ونَسبَ لذاتِ اللهِ جهةً غير ظاهرة - أي غير عالية-! أليس هذا الكلام ببهتان؟ ابن تيمية وغيره مِن المُجَسِّمَة يُردّدون في كتبهم دائما أنهم يقفون عند النُّصوص ولا يقولون إلّا ما يقوله اللهُ وما قاله رسولُه. فأين يوجد في كتاب اللهِ وسُنّة رسوله ﷺ أنّ هناك جهة غير ظاهرة - أو ظاهرة- مِن ذات الله؟
سببٌ مِن الأسباب الذي قاد ابن تيمية إلى الانحراف العقائدي هو العِناد والإصرارُ على الخطأ. لقد اعترف ابن تيمية بصحة حُجّة الإمام الرّازي وهي أنّ نسبة الجهة إلى اللهِ تستلزم أن يكون اللهُ تحتَ بعض عباده، وهذا باطلٌ عند كُلّ العقلاء إلّا عند ابن تيمية، فاعتبر ذلك موافقا للشّرع العقل والحساب! وهذا هو النتيجة الطبيعية للعناد وعدم الاستعداد للرجوع إلى الحقّ. فالشيخ ابن تيمية كان يُناظر مِن أجل هزيمة الخَصْم وليس مِن أجل بيان الحقّ. ولم يكن عنده أدنى استعداد للتَّراجع عن خطأه - ورحم اللهُ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب الذي قال: أخطأ عمر وأصابت امرأة -.

ومِن الأدلّة "العقلية" التي أوردها ابن تيمية للاستدلال على جواز أن يكون اللهُ تحت بعض عباده هو جواز ذلك في المخلوقات العالية كالشّمس والقمر - فلم لا يجوز ذلك في حقّ اللهِ العالي على كُلّ شيء وفوق الأمكنة! -، فقال موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: « وذلك يظهر بالوجه الثاني وهو أن يُقال: هذا الذي ذَكَرته - يقصد صفة التَّحْتِيّة- **واردٌ في جميع الأمور العالية مِن العرش والكرسي والسماوات وما في فيهن مِن الجَنّة والملائكة والكواكب والشمس والقمر ومِن الرياح وغير ذلك فإنّ هذه الأجسام مستديرة كما ذكرت ومعلوم أنها فوق الأرض حقيقة، وإن كان على مقتضى ما ذكرته تكون هذه الأمور دائما تحت قوم كما تكون فوق آخرين »[646].**

---

643 بمعنى التحتيّة المكانية.
644 الكلمات ما بين الشرطتين هكذا هي في النسخة المطبوعة، ويُقصد بالدون هنا النقص (راجع "تلبيس الجهمية"، جزء 1 / ص 608 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194).
645 "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 607.
646 المرجع السابق، جزء 1 / ص 606.

التّعليق: قوْلُ ابن تيمية: « فإنّ هذه الأجسام مستديرة كما ذَكرت» هو تلبيس على القارئ ليوهمه أنّ الإمام الرّازي كان يعتقد كابن تيمية أنّ العرش والكرسي والسماوات والجنّة والملائكة أجسام مستديرة، وأين يوجد في كتاب الله وسُنّة نبيه ﷺ أنّ الملائكة مثلا أجسامٌ مستديرة؟!

وعلاوة على ذلك: كُلُّ ما قاله الإمام الرّازي في حُجّته السابقة الذِّكْر هو أنّ الأرضَ كُرَويّة، ولم يتطرّق إلى شكل السماوات والعرش والكرسي والملائكة.

● **وقال ابن تيمية أيضا موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: [وتمام هذا بالوجه الرابع وهو أنْ يُقال : إذا كان الباري فوق العالم، وقلت: «إنه يلزم مِن ذلك أن يكون في جهة التَّحت بالنسبة إلى بعض الناس » فلم قلت إنّ هذا مُمْتنع، وأنت لم تَذْكر على امتناع ذلك حُجّة عقلية ولا سمعية؟ ولو قُدِّرَ أنّ ذلك نَقْص، فعندك ليس في الأدلة العقلية ما يُحيلُ النَّقص على اللهِ تعالى، مع أنه قد عُلِم بالعقل والشّرع أنّ هذا ليس بنقص -!-، بل هذا غاية الكمال والإحاطة كما بيّنه النبيّ صلى الله عليه وسلم][647].**

هذا النّصُّ علاوة على أنه متهافت فهو مِن أقبح الكلام وأبشعه الذي قرأته لابن تيمية في حقّ الله تعالى، ويَدُلُّ بوضوح تام على أنّ ابن تيمية لم يعرف ما يجبُ للهِ كخالق وما لا يجوز في حقّه. ابن تيمية يَدّعي أنّ كَوْنَ الله في جهة التّحت بالنِّسبة إلى بعض عباده ليس بنقص، بل هو معلوم بالعقل والشّرع، وليس هذا فحسب، بل هو قمة الكمال والإحاطة – بالعالم بالذّات - كما بَيّنه الرسول ﷺ وِفْقَ افتراء ابن تيمية. والنّقص، أي صفة التّحْتيّة، يقلبه ابن تيمية بسحره إلى كمال، ويَدّعي أنه معلوم بالعقل! أيُّ عقلٍ هذا الذي يُجيزُ أن يكون الخالقُ تحت بعض مخلوقاته! فحتى عقول البهائم لا تُجيز ذلك.

ويا شيخ ابن تيمية: لو كان جائزٌ أن يكون اللهُ تحت بعض سكان الأرض لَما حَصَلَ لذاته العُلُوُّ المكاني المُطلق - حسبَ فهمك لاسم اللهِ "الظاهر"-، فتحْتيَّته تُبطلُ عُلُوَّه المكاني المُطلق على العالم، وعُلُوُّ اللهِ المكاني على العالم مِن لوازم وجوده كما صرحت به، حيث قلتَ: « فصار كَوْنه فَوْقَ العالم مِن لوازم وجود نفسه »[648] ! وهذا الكلام من ابن تيمية فيه تصريحٌ بقدم العالم، وهذا مذهب الفلاسفة، وليس بمذهب المسلمين.

---

[647] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 609 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[648] المرجع السابق، جزء 2 / ص 951.

● أما قَوْلُ ابن تيمية للإمام الرّازي: « ولو قُدِّرَ أنَّ ذلك نَقْص، فعندك ليس في الأدلة العقلية ما يُحيلُ النَّقص على الله تعالى » فهو جُرْأةٌ غريبة في الافتراء على الغَيْر، وهذا أسلوبٌ مِن أساليب ابن تيمية في تشويه صورة خصومه في العقيدة، ويكفي لدَحْض هذا الافتراء أن أذْكُرَ نَقْلَ ابن تيمية نفسه لحجة عقلية عن الإمام الرّازي في عدم تجويز النَّقص على اللهِ الخالق، قال الإمامُ الرّازي بخصوص نَفْي قيام الحوادث بذاتِ اللهِ ما نصه: «والمُعْتَمد أن نقول: كُلُّ ما صَحَّ قِيامُه بالباري تعالى: فإمّا أن يكون صفةَ كمال، أو لا يكون، فإن كان صفة كمال استحالَ أن يكون حادثا، وإلّا كانت ذاتُهُ قبلَ اتِّصافه بتلك الصفة خالية عن صفة الكمال، والخالي عن الكمال الذي هو مُمْكن الاتصاف به ناقص، والنَّقْصُ على الله مُحَال بإجماع الأُمّة، وإن لم يكن صفة كمال استحالَ اتِّصافُ الباري بها، لأنَّ إجماع الأُمّة على أنَّ صفاتَ اللهِ بأسرها صفاتُ كمال، فإثباتُ صفةٍ لا مِن صفات الكمال خَرْقٌ للإجماع وإنه غيرُ جائز»[649].

● أما بخصوص ادّعاء ابن تيمية أنّ الإمامَ الرّازي لم يذكر حُجّة عقلية على امتناع أن يكون اللهُ « في جهة التَّحت بالنسبة إلى بعض الناس » فهو تلبيسٌ على القارئ، فلقد أوْرَدَ ابن تيمية نفسه في كتابه "تلبيس الجَهْميّة" - والأحرى أن يُسَمّى هذا الكتاب " تلبيس ابن تيمية- **بِضعَ حُجَجٍ عقلية للإمام الرّازي تُبطِلُ نِسْبَةَ اللهِ إلى الجهة مُطلقا، وليس إلى جهة التَّحت فحَسْب، قال الإمام الرّازي: « البرهان الثاني في بيان أنه يَمْتنعُ أن يكون - اللهُ- مختصا بالحَيِّز والجهة، وذلك أنه لو كان مختصا بالحَيِّز والجهة لكان مُحتاجا في وجوده إلى ذلك الحَيِّز وتلك الجهة، وذلك مُحال، فكَوْنه في الحَيِّز والجهة مُحال»[650]. ومِمّا قاله الإمام الرّازي في شرح هذا البرهان: « -الوجه- الثالث: لو كان الباري أزلا وأبداً مُختصّا بالحَيِّز والجهة، لكان الحَيِّزُ والجهة موجوداً في الأزل، فيلزمُ إثباتُ قديم غير الله، وذلك مُحال بإجماع المسلمين»[651]. فنَصُّ البرهان الثاني وشرحه هو حُجّة عقلية وشرعية على استحالة كَوْن الله في حَيِّز وجهة، سواء جهة فوق أو تحت. فهل اقتنع الشيخ ابن تيمية بذلك؟ بالطبع لا ! فقد ادّعى بوجود قديم - مع الله - لكن بالنّوْع، وليس بالعَيْن، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.**

---

[649] المرجع: "درء التّعارض" لابن تيمية، جزء 2 / ص 174 – 175 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76 .
[650] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 519 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[651] المرجع السابق، جزء 1 / ص 520.

أما بخصوص مطالبة ابن تيمية للإمام الرّازي بحجة سمعية على امتناع وجود الله تحت بعض سكان الأرض فلا عِلم لي إن كان الإمام الرّازي قد أورد في كتابه "أساس التقديس" أدلة سمعية أم لا، لأنني لم أستطع حتى الآن الحصول على نسخة منه[652]. ولكني أُريد أن أنوِّه إلى أنّ وجودَ دليلٍ سَمْعِيّ ليس بشرط لنَفْي النّقائص عن الله تعالى، فبالعقل أيضا ننفي النّقائص عن الله وعن صفاته - وبالعقل أيضا نُثبت له تعالى صفات كمال[653]- مثال: لم يَرد في القرآن الكريم ولا في السُّنّة النبوية أنّ القرآنَ غيرُ مخلوق. ولكنّ علماء أهل السُّنّة قالوا: القرآنُ غير مخلوق، ودليلهم على ذلك العقل، فقالوا: القرآنُ كلامُ الله، لقوله تعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ مِّنَ المُشْركينَ اسْتَجارَكَ فأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كلامَ اللهِ ﴾ [654]، أي حتى يسمع القرآن. وكلامُ الله هو صفة قائمة بذاته، وصفاتُ اللهِ أزَليّة كذاته، فهي إذن غير مخلوقة. فالقرآنُ إذن غير مخلوق. وابن تيمية كان يعرف هذا تمام المعرفة، ولكنه كان يُطالب خصومه، أي علماء أهل السُّنّة، بحُجة سمعية إذا ما نفوا عن اللهِ صفةَ نَقْصٍ يُثبتها هو لله! فمثلا نَزَّهَ علماءُ أهل السُّنّة ذاتَ اللهِ عن الجِسْمِيّة، فاحتجَّ ابن تيمية على ذلك لأنه لا يوجد نصٌّ في القرآن على أنَّ اللهَ ليس بجسم، نَصٌّ حرفي: "ليس بجسم"، كما يريد ابن تيمية لا يوجد، لأنّ القرآنَ الكريم لا يُخاطب فقط فئة معينة مِن البشر - كابن تيمية - تُطالب دائما بوجود نصوصٍ حَرْفِيّة كما تشتهي. القرآنُ الكريم أُوحِيَ إلى الرسول ﷺ ، والرسول عليه الصلاة والسلام تلاه على قوم تكفيهم الإشارة كما يكفيهم التَّصريح، فمثلا فهم الصحابة - والتّابعون- مِن قوله تعالى: ﴿والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ وإنّا لَمُوسِعُونَ﴾[655] أنَّ اللهَ خَلَقَ السّماوات بقوته (بقدرته)[656]، ولم يخطر على بالهم أنَّ اللهَ خَلَقَ السماوات بيده الحقيقية التي لا تُشبه أيدينا كما فهم المُجَسِّمَة ومنهم ابن تيمية، وذلك لوجود قرائن سمعية تُنَزِّه اللهَ عن الجِسْمِيّة ولوازمها كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وغيرهما مِن الآيات الكريمة.

---

[652] ومِن الأدلة السَّمعية على امتناع وجودِ اللهِ في جهة، سواء جهة فوق أو جهة تحت، قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾، فلو كان اللهُ في جهة لكان له أمثال مِن مخلوقاته، لأنّ مِن صفات المخلوق الجهة والتَّحَيُّز. وقَوْل الرسول عليه الصلاة والسلام: «كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه» هو دليلٌ سمعيٌّ على تنزيه اللهِ عن المكان والجهات، فالعالمُ بأسره لم يكن موجوداً، ثُمّ خلقه اللهُ بصفات معينة، ومنها الجهات. وقول الرسول ﷺ: « وأنت الظاهرُ فليسَ فوقكَ شيء، وأنت الباطنُ فليس دونكَ شيء» هو تنزيهٌ للهِ عن المكان مطلقا، وهذا يستلزم تنزيهه تعالى عن الجهة، لأنّ هذه مِن لوازم المكان.

[653] قال الإمام الحافظ ابن الجَوْزي في كتابه "دَفعُ شُبَهِ التّشبيه بأكُفِّ التَّنزيه" (ص 102 مِن طبعة دار الإمام النَّوَوي، ط 3، 2005) ما نصه: « وينبغي أن لا يُهمل ما يَثْبُت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا اللهَ تعالى، وحكمنا له بالقِدَم ».

[654] سورة التوبة: آية رقم 6.

[655] سورة الذاريات: آية رقم 47.

[656] راجع صفحة 24 إن شئت.

وعندما خاطب الرسول ﷺ الصحابة مُخبراً عن يأجوج ومأجوج، فقال: « ... فبينما هو - أي عيسى عليه السلام - كذلك، إذ أوْحَى اللهُ إلى عيسى إنّي أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم »[657] لم يرفع أحدٌ منهم يدَهُ الحقيقية سائلا: يا رسول الله، ما معنى كلمة يدان؟ بل فهموا مِن قوله عليه الصلاة والسلام أنه لا قدرة ولا قوة (أي لا يدان) لأحدٍ بقتالهم وهم يأجوج ومأجوج.

وعندما قام أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار خطيبا بعد أن بويعَ بالخلافة، قال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوما وليلة قط ... ولكن قُلِّدْتُ أمراً عظيما ما لي به طاقة ولا يدان إلا بتقوية اللهِ ... »[658] ، قوله: "ولا يدان" معناه ولا قُدرة.

فالصحابةُ والتّابعون فهموا القرآن بلغتهم، باللغة العربية التي أُوحِيَ بها، وبقلوب خالية مِن عقائد التَّجسيم والتَّشبيه. أما المُجَسِّم فلا يفهم القرآنَ والأحاديث النَّبوية إلّا مِن خلال منظار عقيدة التَّجسيم، فلا يَرى عندها إلّا آيات وأحاديث تُخبره بوجود أيدٍ وعيون ووجه وساق للهِ خالق الأيدي والعيون والوجوه والسّيقان وكُلِّ شيء. ولقد رأينا آنفا كيف فهم ابن تيمية مِن قول الرسول ﷺ: «وأنتَ الظاهرُ فليس فوقكَ شيء» أنّ اللهَ فوق كُلِّ شيء فوقية مكانية[659]، مع أنَّ الشَّطرَ الثاني مِن الحديث يُبطلُ هذا الفهم الفاسد: «وأنتَ الباطنُ فليس دونكَ شيء» فإذا لم يكن تحت اللهِ شيءٌ، فكيف يكون فوق كُلِّ شيء فوقية مكانية! ولكنّ المُجَسِّم يضرب بعقله عرض الحائط إذا لم تُوافق النُّصوصُ هواه، وكذا فعل ابن تيمية، فادّعى أنّ الحديث "يُخبره" أنّ اللهَ فوق وتحت العالم، ولازم هذا أنه محيط بذاته بالعالم، حيث قال - كما سبقَ ذِكْره في صفحة 152-: «... مع أنه قد عُلِم بالعقل والشَّرع أنّ هذا ليس بنقص - يقصد صفة التَّحْتيّة-، بل هذا غاية الكمال <u>والإحاطة</u> كما بَيّنه النبيّ صلى الله عليه وسلم». وهنالك نصوصٌ أخرى صَرّحَ فيها ابن تيمية بإحاطة اللهِ بالعالم، والدليل على ذلك كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق.

---

[657] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 119.

[658] "الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للحافظ البَيْهَقي، ص 200. **الناشر**: دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 2003.

[659] لقد كان الشيخ ابن تيمية يتوهّم أنَّ مِن أسماء اللهِ ما يدلُّ على "مكانه" تعالى، حيث قال: « وهكذا يوجد في اسمه (الكبير) و (العظيم) و (العَليّ) و (الظاهر) ونحوه مِن أسماء الله المُتعلقة **بالمكان** -!- » ("تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 887)، وقال أيضا: « وكذلك اسم (العَليّ) و (العظيم) و (الكبير) يدل على أنه فوق العالم » ("تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 449 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

فصل

ابن تيمية كان يعتقد بأنّ اللهَ مُحيطٌ بالعالم مِن جميع الجهات

كان الشيخ ابن تيمية يعتقد أنَّ اللهَ فوق العالم فوقية مكانية، كما سبق بيانه في صفحة 147، حيث قال: « فإنّ المقصود أنّ اللهَ فوق السماوات وهذا ثابتٌ على كُلِّ تقدير »، وقال أيضا: « والبارئُ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرُّتبة ... ... بل هو عالٍ عليه عُلُوّاً حقيقيا، وهو العُلُوُّ المعروف ».

وقال أيضا: «وهو الظاهر فليس فوقه شيء، بل هو فوق الأمكنة وما فيها» (ص 150).

واعتبر ابن تيمية فوقية الله على العالم مِن لوازم وجوده، كما سبق بيانه في صفحة 152، حيث قال: « فصار كونه فوْقَ العالم مِن لوازم وجود نفسه ».

وفَوْقِيّةُ اللهِ المكانيّة على العالم هي فوقية إحاطة مِن جميع الجوانب، قال ابن تيمية: «فكيف يُنكِرون أن يكون خالقُ الجميع فَوْقَ الجميع، ومُحيطاً به مِن جهته المحيطة جميعها»[660]، فهذا تصريحٌ منه بالإحاطة بالعالم.

- **وقال ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿فأيْنَما تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[661] وفي تفسير قوله ﷺ: « إذا قامَ أحدُكُم إلى الصَّلاة فإنّما يَستقبلُ رَبَّه » ما نصه: « وإذا كان كذلك فقد أخبرَ أنه أينما استقبلَ العبدُ فإنه يستقبل وجْهَ الله، فإنّ ثَمَّ وجه الله، فإنّ اللهَ فوق عرشه على سماواته، وهو محيطٌ بالعالم كُلِّه، فأينما وَلّى العبدُ فإنّ اللهَ يَستقبله »[662]، وهذا أيضا تصريحٌ منه بإحاطة الله بالعالم إحاطة مكانية.**

- **وقال أيضا: « وقد عُلِمَ بالفِطرة والشرعة أنَّ الرَّبّ فوق خلقه ومُحيطٌ به » [663].**

- **وقال أيضا: « الوجه الثالث: أنّ كَوْنه فَوْقَ العالم أمرٌ يلزم كونه خارج العالم على قول هؤلاء - أي على قول القائلين بأنَّ اللهَ فوق العرش فوقية مكانية -، وكُلُّ ما كان خارج العالم كان فوقه بالضرورة، إذ لا يُمكن أن يكون شيءٌ خارج العالم ولا يكون فوقه، إذ المُحيطُ بالعالم هو أعلى شيء فيه مِن جميع النّواحي، وإذا كان كذلك كان كَوْنه - أي الله - فَوْقَ العالم مِن لوازم كونه خارج العالم، وكونه خارج العالم مِن لوازم ذاته وكونه قائما بنفسه**

---

[660] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية ، جزء 1 / ص 612 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[661] سورة البقرة: آية رقم 115.
[662] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1050.
[663] المرجع السابق، جزء 2 / ص 1051.

كما تقدم ذلك، فصار كونه فَوْقَ العالم مِن لوازم وجود نفسه »[664]. وكلام ابن تيمية هذا فيه تصريحٌ بأنَّ اللهَ بذاته محيطٌ بالعالم مِن جميع الجوانب، لأنه قال « إذ المُحيط بالعالم هو أعلى شيء فيه مِن جميع النَّواحي ... ».

والعالمُ على مذهب ابن تيمية كُرَويّ الشّكل، قال ابن تيمية مخاطبا الإمام الرّازي « قد قررت[665] فيما تقدم أنّ العالمَ كُرَويّ الشكل، وإذا كان كذلك لم يكن له يمين ولا يسار، بل ليس له إلّا جهة المُحَدَّب وهو المُحيط، والباري خارج العالم، فيمتنع أن يكون الباري إلّا فوق العالم »[666] .

وبما أنّ العالم كُرَويّ، واللهُ فوقه ومحيطٌ به مِن جميع النّواحي، وعلى سبيل التّمثيل "كإحاطة بياض البيضة المسلوقة بصفارها"، فتكون "الجهة السُّفلى" مِن ذاتِ اللهِ كُرَويّة الشّكل كالعالم لا مَحالة - سبحانه عن الجهات والمكان -.

إذن، فاللهُ محيطٌ بالعالم مِن جميع النواحي إحاطة مكانية تامة على مذهب الشيخ ابن تيمية، ولازم هذا القول هو أنَّ العالم موجودٌ في ذاتِ الله لا مَحالة، وعلى سبيل التّمثيل والتّوضيح: صَفارُ البَيْضة المَسلوقة يُمثِّل العالم، وبياضها يُمثل ... نعوذ باللهِ مِن هذه العقيدة القبيحة التي كان الشيخ ابن تيمية يعتقدها، اللهُمّ إني بريء مِن عقائد ابن تيمية.

وفيما يلي نَصٌّ صَرّحَ فيه ابن تيمية بكُرَوِيَّة ذاتِ الله، وفيما يلي النّصّ بكامله حتى لا يقول قائل: العبارة مقطوعة عن سياق النّص، قال ابن تيمية في أثناء دفاعه عن طائفته المُجَسِّمَة ومُنتقداً في الوقت نفسه مَن نَزَّهَ اللهَ عن الجِسْمِيّة ولوازمها ما نصه: « الوجهُ الثاني: أنَّ لوازمَ نُفاةِ الجِسم أعظمُ مِن لوازم مُثْبِتته، فإنّ مَن نَفاهُ يُقال عنه: إنه يلزمه أنّ اللهَ لا يُرى، وأنَّ اللهَ لا يتكلم، وأنّ القرآنَ مخلوق، وأنّ اللهَ ليس على العرش، وأنه لا يقوم به صفة، وأنَّ إقرارَهُ بالكُرَوِيَّة، وبأنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق، وأنَّ اللهَ على العرش وغير ذلك، إنّما هو لِمَحض التّقية والمُصانعة لأهل السُّنة والحديث، وهذا يقوله خَلْقٌ كثير مِن الأشعرية وغيرهم »[667].

---

[664] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 951 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[665] الإمام الرازي **لم يُقرر** أنّ **العالم** كُروي الشّكل، بل قال أنّ **الأرض** كُرَويّة الشّكل. وقد يكون أنّ ابن تيمية قصد بقوله "قد قررت" (برفع التاء) أن ابن تيمية **هو** الذي قَرّر، وعلى أي حال لم يعترض ابن تيمية على القول بكروية العالم إن كان الإمام الرّازي قد قال ذلك.

[666] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 652 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[667] المرجع السابق، جزء 2 / ص 966 – 967 .

التّعليق: الكلام السابق لابن تيمية يتضمن موضوعين، وفيه تلبيس، وبيان ذلك كالآتي واللهُ المُوَفِّق:

الموضوع الأول: لوازمُ نَفْيِ الجِسْميّة عن ذاتِ الله وِفْقَ رأي ابن تيمية هي:

1. أنّ اللهَ لا يُرى،

2. وأنَّ اللهَ لا يتكلم. وبخصوص هذين الأمرين افترَقَ الناس مِن أُمّة محمد عليه الصلاة والسلام فِرَقا:
الأولى: قالت اللهُ ليس بجسم، ويُرى في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرةٌ، إلى رَبِّها ناظِرةٌ ﴾، واللهُ يتكلم وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليماً ﴾، ويُمثل هذه الفرقة أهل السُّنة والجماعة، ومنهم الأشاعرة والماتُريديّة.

والثانية: المُعْتَزِلَة، قالوا: اللهُ ليس بجسم، ولا يُرى، وجمهورهم قال: اللهُ مُتَكَلِّم - بأن يَخْلقَ كلامه في غيره، ولازم قولهم هذا أنَّ اللهَ غيرُ متكلم **-.**

والثالثة: المُجَسِّمَة: قالوا: اللهُ جسم وله صفاتٌ عَيْنِيّة، أي أعضاء، وأنه يُرى في الآخرة ويَتَكلم.

والفرقة الرابعة: الجَهْمِيّة، قالوا: اللهُ ليس بجسم ولا يُرى، وليس بمُتَكَلِّم، وإن أرادَ اللهُ الإخبار عن شيءٍ خَلَقَ كلاماً في غيره.

3. أنَّ القرآنَ مخلوق: وبخوص القرآن: قال أهل السُّنّة: القرآنُ كلامُ اللهِ وهو غيرُ مُحْدث ولا مخلوق.
وقالت المُعْتَزِلَة: القرآنُ مخلوق، ووافقتهم في ذلك الجَهْمِيّة.

وقالت المُجَسِّمَة: القرآنُ غير مخلوق، وقال ابن تيمية: القرآن مُحدَث! ولا فرق في المعنى بين مخلوق ومُحْدث، ولكن ابن تيمية كان يُفرِّق بينهما: فالمُحْدَث عنده هو ما يُحْدثهُ اللهُ في ذاته، وعلى هذا أجاز قيام الحوادث بذات الله، أما المخلوق فهو الذي يُحدثهُ اللهُ في غيره.

4. وأنّ اللهَ ليس على العرش: بخوص الفَوْقِيّة على العرش: قال أهلُ السُّنّة، ومنهم الأشاعرة والماتريدية: اللهُ مُنَزَّهٌ عن المكان، فهو خالقه، واللهُ ليس فَوْقَ العرش فَوْقِيّة مكانية، بل فوقهُ فَوْقِيّة ربوبيّة وأُلوهيّة وسُلطان وعَظَمَة.

أما المُعْتَزِلَة ، فجمهورهم قالوا:أنَّ اللهَ بكل مكان بمعنى أنه مُدَبِّرٌ لكُلِّ مكان، ومنهم مَن قال: الله لا في مكان[668].

وقالت الجَهْمِيّة: اللهُ بذاته في كُلِّ مكان، وفوق العرش وعلى الأرض.
وقالت المُجَسِّمَة: اللهُ بذاته فوقَ العرش فَوْقِيّة مكانية، فهو مُسْتَقِرٌّ عليه.

5. وأنه لا يقوم به صفة: بخوص صفاتِ الله: قال أهلُ السُّنّة: اللهُ يَتّصفُ بصفاتٍ كالعِلم والحياة والقُدْرة والإرادة والسَّمع والبَصر والكلام، وهي صفاتٌ معنويّة أزَليّة وأبَديّة قائمة بذاتِ الله، ويُطلق عليها اسم "صفات المعاني". وأثبت أهلُ السُّنّة للهِ صفاتَ أخرى، أطلقوا عليها اسم "الصفات السَّلْبِيّة"، لأنّ معانيها تَسْلبُ عن اللهِ النّقائص، وهذه الصفات هي: الوحدانية والقيامُ بالنّفس والقِدَم والبَقاء ومُخالفة الحوادث، وأثبتوا للهِ كذلك صفة الوجود وأطلقوا عليها "الصفة النَّفسيّة". وأصحاب مذهب التّفويض مِن أهل السُّنة أثبتوا للهِ أيضا صفاتٌ خَبَرِيّة كاليد والوجه والعين، وقالوا عنها: هي صفاتٌ معنويّة كالعِلم والقُدْرة، وليست بجوارح أو أجسام.

وقالت المُعْتَزِلَة بنَفْي صفات المعاني، وأثبتوا للهِ الصفات السَّلْبِيّة والصفة النَّفسِيّة.

وقالت الجَهْمِيّة بنفي صفات الله، وأثبتوا لله فقط صفةَ الخَلْق والفِعل والإرادة[669].

وقالت المُجَسِّمَة بإثبات صفات المعاني والصفات السَّلْبِيّة وصفة الوجود لله، وزادوا على ذلك فنَسَبوا للهِ اليدَ والوجه والعينين والقَدَم كصفات خَبَرِيّة عَيْنِيّة، أي كأعضاء، لأنهم أجروا تلك الألفاظ المُضافة إلى الله، كاليد والوجه، على ظاهرها، وقالوا أنَّ مفهومها في حَقِّ اللهِ كمفهومها في حقّ المخلوق مع نفي المُماثلة، فلفظُ اليد المُضاف إلى اللهِ معناه عندهم يدٌ حقيقية، ولكنها تختلف في الشّكل والحقيقة عن يد المخلوق.

وبناء على هذا التّفصيل يَتبَيّن مدى التّلبيس الذي أوْرَدَه ابن تيمية في فقرة قصيرة، وذلك ليُشوِّه صورة كُلِّ مَن نَفَى الجِسْمِيّة عن ذاتِ الله، حيث نَسَبَ إلى أهل السُّنة، ومنهم الأشاعرة، ما لم يعتقدوه كنفي رؤية الله، وأنه لا يتكلم، وأنّ القرآنَ مخلوق. وكَوْنُ المعتزلة والجَهْمِيّة الضُّلّال وافقوا أهل السُّنة في تنزيه اللهِ عن الجِسْمِيّة لا يُعطي الحقّ لأيِّ إنسان أن يَذكُرَ أهل السُّنة معهم في نفس السياق.

---

668 "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 95 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.
669 "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، جزء 1 / ص 109 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

الموضوع الثاني: ويدور حول إقرار نافي الجِسْمِيّة عن الله:

1. بالكُرَوِيَّة،

2. وبأنّ كلامَ الله غيرُ مخلوق،

3. وأنّ اللهَ تعالى على العرش.

استنادا إلى الشَّرح السّابق يتبيّن أنّ المقصود بنافي الجِسْمِيّة عند ابن تيمية ليس المُعْتَزِلَة ولا الجَهْمِيّة، كَوْنُ هؤلاء قد قالوا بأنّ القرآنَ مخلوق، بل الأشاعرة، وغيرهم؟ على حدِّ تعبير ابن تيمية. وادّعى ابن تيمية مُلبِّساً على القارئ أنّ نافي الجِسْمِيّة عن ذاتِ اللهِ يُقِرُّ بالكُرَوِيَّة وبفَوْقيّة اللهِ على العرش وبأنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوق تَقيَّة ومُراعاة لأهل السُّنة، وقصد بأهل السُّنّة طائفته المُجَسِّمَة، وكان يُطلق عليهم مِن باب الخِداع لقب "أهل السُّنة وأصحاب الحديث". ففي النَّصِّ السابق صَرّح ابن تيمية بكُرَوِيَّة ذاتِ الله. قد يقول قائل: ابن تيمية لم يقصد بلفظ "الكُرَوِيَّة" ذاتَ الله. وأنا أقول واللهُ المُوفِّق: بل قصد ذلك ولا بُدّ، لأنّ سياق الكلام يدلُّ على ذلك لا مَحالة، فالكلامُ يدور حَوْلَ ذاتِ الله: هل هي جسم أم لا، حيث تكلّمَ في البداية عن لوازم نُفاةِ الجسم عن ذات الله ولوازم مُثبتيه. فاللهُ كُرَويّ الجسم ومحيط بالعالم وفق عقيدة ابن تيمية.

● وعلاوة على ذلك: كيف يُقِرُّ نافي الجِسْمِيّة عن ذاتِ اللهِ بكُرَوِيّة ذاته تعالى؟! فالكُرَوِيّة تكون للأجسام.

● وقَوْلُ ابن تيمية: أنّ نافي الجِسْمِيّة عن ذات الله يُقِرُّ « بالكُرَوِيّة وبأنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوق، وأنَّ اللهَ على العرش لِمَحض التّقية والمُصانعة لأهل السُّنة والحديث » هو خِداع، يوهم به القارئ أنّ نُفاةَ الجِسْمِيّة عن ذاتِ اللهِ فئةٌ قليلة، تقول أنّ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق، وأنَّ اللهَ على العرش فقط مُراعاة لأهل السُّنة والحديث، وقصدَ ابن تيمية بأهل السُّنة والحديث طائفته المُجَسِّمَة، وكأنّ المُجَسِّمَة كانوا يُشَكِّلون الأكثرية، وأنّ لهم اليدَ العليا! وهذا الباطلُ بعينه، فالمُجَسِّمَة، أي طائفة ابن تيمية، كانوا على مدار التاريخ شِرذمة، ومنبوذين، ينشرون عقائدهم الشّاذة بالسِّر بين بُسطاء الناس، وخيرُ دليلٍ على ذلك كتب

التّواريخ والتّراجم[670]، فابن تيمية نفسه خضع بسبب عقيدته الفاسدة لعدة تحقيقات على يد عُلماء أهل السُّنّة المُنَزِّهين لله عن الجِسْمِيّة والفوقية المكانية والكُرَوِيّة.

هذا مِن ناحية، والناحية الأخرى هي أنّ بِدعة " كُرَوِيّة ذاتِ الله" لم يَقُل بها لا أهل السُّنة، ولا المُجَسِّمَة ولا المُعْتَزِلَة ولا الجَهْمِيّة ولا الشّيعة ولا أي فرقة مِن فِرَق الضّلال، وحسب علمي حتى الآن لم يقل قبل ابن تيمية بكُرَوِيّة الله، أو أنّ اللهَ محيطٌ بالعالم إحاطة مكانية أحدٌ مِن العالمين، وعلى هذا فابن تيمية هو أوّلُ مَن ابْتَدع هذه البِدعة الضلالة، وتبعه في ذلك مِن مُجسِّمة العَصْر الشيخ محمد خليل هرّاس، حيث قال في تعليقه على "كتاب التوحيد" لابن خُزَيمة ما نصه: « واعلم أنّ هذه الأسماء الأربعة (الأوّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطنُ) دَلّت على إحاطته الزّمانيّة والمكانيّة بجميع الخَلْق »[671].

فصل

وفيما يلي عقيدة أهل السُّنة بخصوص الجهة والفَوْقِيّة المكانيّة

اللهُ جلّ جلاله، العليُّ الأعلى مُنَزَّهُ عن المكان والزمان والجهات فهو خالقها، فقبل خَلْقِهِ العالم لم يكن هناك لا فوق ولا تحت ولا مكان. فلا يُقال: اللهُ فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف. وقوْلُ أهل السُّنّة: اللهُ فَوْق، ليس معناه فوقية مكانية، بل فوقية المَنْزِلة الرّفيعة[672]، وفوقية القَهْر والسُّلطان والغَلَبَة[673]، وفوقية المَشيئة[674]، وفوقية الرّبوبيّة والألوهيّة، فهو رَبُّ الجميع وإلهُهم. قال الرسول ﷺ: « وأنت الظاهرُ فلَيْسَ فوقكَ شيء، وأنتَ الباطنُ فليس دونكَ شيء »[675]، فالذي ليس فوقه شيءٌ وليس تحته شيءٌ فهو مُنَزَّهٌ عن المكان والجهات، والمعنى أنه موجود بلا مكان،

---

[670] على سبيل المثال: "عيون التّواريخ" لابن شاكر، وهذا كان مِن أتباع ابن تيمية. وكتاب " الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" للحافظ ابن حَجَر العسقلاني، وفي هذا الكتاب ترجمة لابن تيمية، وكتاب: "دفع شُبَه مَنْ شَبّهَ وتمرد ونَسَبَ ذلك إلى السّيد الجليل الإمام أحمد"، تأليف الإمام تقي الدين أبي بكر الحِصْنيّ الدمشقي، وهذا الكتاب متوفر في المكتبات، على سبيل المثال في مكتبة دنديس في مدينة الخليل.

[671] "كتاب التّوحيد" لابن خزيمة، ص 116 بتحقيق محمد خليل هرّاس، الحاشية رقم **2**، **الناشر**: دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

[672] قال الله تعالى: ﴿ **رَفيعُ الدّرَجات** ﴾، **أي عظيم المَنْزلة**، [سورة غافر: آية رقم 15].

[673] قال الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ** ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم 18 ، 61].

[674] قال الله تعالى: ﴿ **وَما تَشاءونَ إلّآ أن يَشَآءَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ** ﴾ [سورة التكوير: آية رقم 29].

[675] سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

نؤمن بذلك دون السؤال بكيف، والمثال التالي يُقرِّب ذلك للفهم إن شاء الله: النّور (النهار) والظلام (الليل) مخلوقان كباقي المخلوقات، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾[676].

فاللهُ سبحانه خَلَقَ الظلمات والنّورَ بعد أن كانا معدومين، وهذا يعني أنّه كان هناك حالةٌ مخلوقة بدون ظلام وبدون نور، ولكننا لا نستطيع تصوّر تلك الحالة المخلوقة لأنّ العقلَ قد تعوَّد على حالة واحدة فقط: إما ظلام (ليل) وإما نور (نهار). ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن أنَّ تلك الحالة المخلوقة بدون ليل وبدون نهار كانت موجودة مع عدم قُدْرة العقل على تصورها، فالأحرى ﴿وللهِ المَثَلُ الأعلى﴾ أن لا يقدر العقلُ على تَصَوّر وجودِ اللهِ الخالق بدون مكان وزمان، نؤمن بذلك بدون السؤال: كيف؟ سبحانه خالقُ المكان والزّمان والجهات - والأجسام والأعضاء-.

وعلاوة على ذلك، قال الرسولُ صلى الله عليه وسلم: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقَتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرشُ على مَنْكِبه، وهو يقول: " سبحانك أين كنت وأين تكون " »، رواه الإمام أبو يعلى الموصليّ في مُسْنَده بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه[677].

قول المَلَكِ: «سبحانك أين كنت» هو تنزيهٌ لله عن المكان في الأزَل، «وأين تكون » هو تنزيهٌ لله عن المكان في الحاضر والمستقبل، أي أبداً.

---

[676] سورة الأنعام: آية رقم 1.

[677] "**مُسنَد أبي يعلى الموصلي**"، رقم الحديث **6588**، مجلد 5 / ص 503 – 504 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1998. وقد صَحّحَ هذا الحديث الإمام الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (رقم الحديث **3453**)، مجلد 8 / ص 82 مِن الطبعة التي جُمع فيها كتاب "المطالب العالية" لابن حَجَر العسقلاني وكتاب "إتحاف الخِيَرَة المهَرة بزوائد المسانيد العشرة" للحافظ البوصيري في كتاب واحد، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2003 . وقد صحّحَ الحديث أيضا الحافظ نور الدين الهَيْثمي في "**مَجمعُ الزوائد ومنبعُ الفوائد**": له، فقال: « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح »، (جزء 8 / ص 138)، **الناشر**: مؤسّسة المعارف، بيروت 1986.

ومِن عقائد ابن تيمية

رابعا: العرشُ مكانٌ للهِ سبحانه وتعالى

قال ابن تيمية مُوَجِّها كلامه إلى الإمام الرّازي الذي نَزَّهَ اللهَ عن الاستقرار على العرش: «الوجه الثالث: أنه إذا كان قد خَلَقَ العرشَ قبل أن يَخلقَ السّماوات والأرض، وكان ذلك مناسباً في العقل لأن يكون العرشُ مكاناً له والسماوات مكان عبيده، كان الثابتُ بالآية التي تلاها[678] وبغيرها مِن الآيات والأحاديث واتفاق المسلمين دليلٌ على مذهب منازعه - أي مذهب المُجَسِّمَة - دون مذهبه»[679].

التّعليق: في النَّصِّ أعلاه يدّعي ابن تيمية أنَّ العرشَ مكانٌ لله، وأنّ هذا هو مَحَلُّ اتِّفاق المسلمين، أي إجماعهم، وهذا غيرُ صحيح، بل هو مَحَلُّ إجماع المُجَسِّمَة فقط ، وعلى هذا لم يكن ابن تيمية أميناً في النَّقل.

وقوله: « وكان ذلك مناسباً في العقل لأن يكونَ العرش مكاناً له » مخالفٌ لصريح العقل، لأنه لا يُعقل أن يكون اللهُ مَنَزَّهاً في الأزَل عن المكان ثُمّ يَخلقُ لنفسه مكاناً ليسْتَقِرَّ عليه، لأنّ ذلك يؤدي إلى تَغيُّرٍ في ذاته كَوْن المكان (العرش) محدوداً.

وعلاوة على ذلك: لا يُعقل أن يخلق اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدودا (العرش).

وكَوْن العرش مكاناً لله معناه عند ابن تيمية أنَّ اللهَ جالسٌ عليه - سبحانه-، حيث قال ابن تيمية ناقلا عن المُجَسِّم عبدالله بن حامد (ت 403 هـ) **ومُقِرّاً له: « ثُمَّ قال ابن حامد: فصل: ومِمّا يجب الإيمان به والتَّصديق: ما وَرَدَ في الأخبار مِن المُماسّة والقُرب مِن الحَقِّ سبحانه لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وقد اعتمد أصحابنا في ذلك على جواب أبي عبدالله في هذا: في المقام المحمود. فقال أبو بكر بن صدقة: ذُكِرَ الحديث عند أبي عبدالله، فقال: فاتني عن ابن فضيل، وجعل يتلهف. وقال عبدالله: قال أبي: ما وقع لي بعُلُوّ، وجعلَ كأنه يتلهّف، إذ لم يقع له بعُلُو: وهو حديث أحمد بن حنبل عن ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد ﴿ عَسَىَ أن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْموداً﴾[680]، قال: يُقعدهُ معه على العرش»[681].**

---

[678] يقصد قوله تعالى: ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ (سورة الأعراف: آية رقم 54).

[679] "تلبيس الجَهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 444 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[680] سورة الإسراء: آية رقم 79.

[681] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1082.

وقال ابن تيمية في كتابه "مجموع الفتاوى": « فقد حَدَّثَ العلماء المَرضيون وأولياؤه المقبولون أنّ محمداً رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يُجلِسُهُ رَبُّه على العرش معه. روى ذلك محمد بن فُضَيل عن ليث عن مجاهد في تفسير ﴿عَسَىٰ أن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْموداً﴾][682]. **وهذا النّصُّ كسابقه يُثبت أنّ ابن تيمية كان يعتقد بأنَّ اللهَ جالسٌ على العرش وأنه سوف يُجلسُ الرسول ﷺ معه على عرشه يوم القيامة. وهذه الرِّواية يتناقلها المُجَسِّمَة عن الإمام مجاهد في تفسير المقام المحمود.**

الرّد: أولا: سَنَدُ الأثر المذكور عن مجاهد بن جبر معلول: محمد بن فُضيل (ت 194 هـ) **مُختلفٌ فيه: وثّقه يحيى بن معين كما نقل ذلك عنه المُجَسِّم عثمان بن سعيد الدارمي، «وقال أبو حاتم - عنه-: شيخ. وقال أبو داود: كان شيعيّاً مُحترقاً. وقال النّسائي: ليس به بأس» (ص 297 مِن "تهذيب الكمال" للحافظ المِزّي)**[683].

قول أبي حاتم: "شيخ" معناه في عِلْم الجَرْح والتعديل: ضعيف.
وقول النّسائي: "ليس به بأس" معناه أنّ حديثه حسن.

وليث بن أبي سُلَيْم (ت 134 هـ) **ضَعّفَهُ سفيان بن عُيَيْنَة ويحيى بن معين، وكان يحيى بن سعيد القَطّان لا يُحَدّثُ عنه، وقال عنه أحمد بن حنبل: "مُضْطرب الحديث"، وعلاوة على ذلك كان قد اختلط**[684]**. فإسنادُ هذا الأثر عن الإمام مجاهد ضعيف. وبناءً على ذلك، هذه الرِّواية مردودة.**

ثانيا: وعلاوة على ذلك: مَتنُ هذا الأثر المعلول سَنَده يتعارض مع الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحة، وهو أنّ المقامَ المحمود الشَّفاعة يوم القيامة[685]**، وليس جلوس الرسول ﷺ على العرش بجانب اللهِ سبحانه وتعالى.**
وروى أيضا الإمام التِّرْمِذي في سننه (برقم3137) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، **قال: « قال رسول الله** عليه الصلاة والسلام **في قوله - تعالى- ﴿ عَسَىٰ أن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْموداً ﴾ سُئِلَ عنها: قال: «هي الشَّفاعة»]، وعلى هذا فقولُ الإمام مجاهد - هذا إن كان قد قاله - مردودٌ بنصِّ الرسول ﷺ.**

---

682 "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مسألة "التفضيل بين الملائكة والناس"، مجلد 2 / جزء 4 / ص 190 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 150.
683 أنظر إن شئت ترجمة محمد بن فُضيل في **"تهذيب الكمال في أسماء الرجال "** للحافظ للمِزِّي، ترجمة رقم **5548**، مجلد 26 / ص 293 بتحقيق د. بشار عواد معروف، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط1 ، بيروت 1992.
684 راجع: "تهذيب الكمال " للحافظ المِزّي، رقم الترجمة **5017** ، مجلد 24 / ص 282 – 285.
685 "صحيح البخاري"، رقم الحديث **4718** ، **الناشر**: مكتبة الإيمان بالمنصورة، 2003.

ثالثـا: ذَكَرَ الإمـام ابـن جريـر الطَّبَـري فـي تفسيره[686] سبعة عشر قـولاً فـي تفسير المقـام المحمود: ● تسعُ روايات عن أهل التّأويـل تَـنُصُّ علـى أنّ المقـامَ المحمود هو الـشّفاعة، وهذه الروايات مِن طريق: محمد بن بشار والحسن بن يحيى ومحمد بـن الأعلـى، ثلاثـتهم عن حذيفة. وعن ابن عباس وعبدالله والحسن ومجاهد وابن جُرَيْج وسلمان، ومِن طريـق سعيد ومعمر، كلاهما عن قتادة.

ثُمَّ ذَكَرَ الإمام ابن جرير فقط روايةً واحدة (في ص 168 / في جزء 15) **تنصُّ علـى أنّ المقـامَ المحمود الذي وعَدَ اللهُ رسوله ﷺ أن يَبعثه إياه هو أن يُقعدهُ معه على العرش، وهذه الرِّواية عن مجاهد، قال الإمام ابن جرير: «حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال: حدثنا ابـن فضيل عن ليث، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْموداً ﴾ قـال: يُجلِسُه معه على عرشه»، وهذه الرِّواية ضعيفٌ إسنادها ومَتْنُها مُنْكر، كما سبق بيانه في الصفحة السّابقة، فهي مردودة.**

● ثُمَّ ذَكَرَ الإمام ابن جرير بعد ذلك مباشرة تسع روايات صحيحة مرفوعة تَنُصُّ علـى أنّ المقامَ المحمود هو الشفاعة، حيث قـال: « وأَوْلـى القوْلَيْن فـي ذلـك بالصَّواب مـا صَـحّ بـه الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وذلك ما حدثنا به أبو كريب قال: ثنا وكيع عن داود بن يزيـد عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ عَسَىٰٓ أن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْموداً﴾، سُئِل عنها، قال: هي الشّفاعة»، ثُمَّ ذَكَرَ الإمام ابن جرير باقي الرِّوايات.

وبناء على ذلك فالرِّوايـة التـي تَنُصُّ ضِمنا على أنَّ اللهَ جـالسٌ علـى العرش، وسيُجلس الرسول ﷺ معه على عرشه مردودةٌ بما صَحّ عن النبيّ ﷺ بأنّ المقامَ المحمود هو الشفاعة، وليس إجلاسه على العرش بجانب الله المُنَزَّه عن المكان.

[686] تفسير ابن جرير الطبري، جزء 15 / ص 166- 167، طبعة دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 2001.

فصل

عقيدة جلوس الله على العرش هي مِن عقائد النَّصارى والمُجَسِّمَة

إنَّ الاعتقادَ بأنّ اللهَ جالسٌ على العرش، أو بلفظ آخر: مُسْتَقِرٌّ عليه، ليس بعقيدة أهل السُّنَّة، بل هو عقيدة النّصارى، والمُجَسِّمَة مِن الشيعة وغيرهم مِن المحسوبين على أهل السُّنَّة: ● جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسِّي (الأصحاح الثالث، جملة رقم 1) **ما نصه: [فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالسٌ عن يمين الله]، وورَدَ أيضا فيما يُسَمّى "بإنجيل مَرْقُس"** (الأصحاح السادس عشر، جملة رقم 19) **ما نصه: [ثُمَّ إنَّ الرّبَّ** - يقصد المسيح - **بعدما كَلَّمَهُم إرتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله]، وبهذا تعلم أخي القارئ مصدر خُرافة جلوس الله على العرش، وإجلاس رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بجانبه.**

● **ذكَرَ الإمام أبو الحسن الأشعري** (ت 324 هـ) **في كتابه "المقالات" اختلاف المُجَسِّمَة في نِسْبَة اللهِ سُبحَانَه وَتَعَالَى إلى المكان، فقال: « باب اختلافهم في البارئ، هل هو في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كُلِّ مكان؟ ... اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة ... وقال قائلون: وأنه ليس في الأشياء ولا على العرش إلّا على معنى أنه فوقه غيرُ مُماسٍّ له وأنه فوق الأشياء وفوق العرش ليس بينه وبين الأشياء أكثر مِن أنه فوقها[687].**

وقال هشام بن الحَكَم - الشيعي - أنَّ رَبَّه في مكان دون مكان وأنَّ مكانه هو العرش، وأنه مُماسٌّ للعرش، وأنّ العرشَ قد حواه وحَدّه، وقال بعض أصحابه: إنّ البارئ قد ملأ العرش وأنه مُماسٌّ له.

وقال <u>بعضُ مَن يَنْتَحِل الحديث</u>[688] أنّ العرشَ لم يمتلئ به وأنه يُقعد نَبِيَّه عليه السلام معه على العرش ... - إلى أن قال - : وقال بعض الناس: الاستواء القُعود والتّمكن »[689]، انتهى مختصراً.

● **لقد ادّعى المُجَسِّم ابن القَيِّم الجَوْزِيّة، تلميذ ابن تيمية، في كتابه "بدائع الفوائد" بأنَّ اللهَ جالسٌ على العرش، وأنَّ اللهَ سيُقعد الرسول صلى الله عليه وسلم معه على عرشه[690]، وزعمَ بأنَّ هذا هو**

---

[687] وهذه هي مقالة أهل التّفويض الذين قالوا بأنّ اللهَ فوق العرش، وقصدوا بذلك الفَوْقيّة المَعنوية، أي فوقية الرُّتبة والعَظَمَة والسُّلطان.

[688] وهذه هي مقالة بَعْضِ رُواة الحديث مِمّن ينتسبون إلى أهل السُّنّة.

[689] "مقالات الإسلاميين"، ص125 – 126 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.

[690] "بدائع الفوائد" لابن القَيم الجَوْزية، مجلد 2/ جزء 4 / ص 40 مِن طبعة دار الفِكر.

قول الأئمة ابن جرير الطَّبري ومجاهد بن جبر وأبي الحسن الدّارقُطني، واستشهد ابن القَيِّم بأبيات مكذوبة على الإمام الدَّارقُطني، جاء فيها:

حديث الشفاعة عن أحمد	إلى أحمد المصطفى نُسْنِده
وجاء حديث بإقعاده	على العرش أيضاً فلا نجحده
أمِرّوا الحديث على وجهه	ولا تُدخلوا فيه ما يُفسِده
ولا تُنكروا أنه قاعدٌ	ولا تجحدوا أنه يُقْعِده

والمقصود بالقول: « أنه قاعدٌ » اللهُ سُبحَانَهُوَتَعَالَى .

نحنُ أهل السُّنة نُنَزِّه اللهَ عن القُعود على العرش، ونُبَدِّع كُلَّ مَن يعتقد ذلك.

ولقد رَدّ الشيخ محمد ناصرالدين الألباني هذه العقيدة الفاسدة، أي عقيدة جلوسِ اللهِ على العرش، حيث قال في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (حديث رقم 865 : " يُجلسني على العرش"، ص 255، ط 2 ، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض 2000) ما نصه: [... بهذه المناسبة أقول: إنَّ ما يُنْكَرُ في هذا الباب ما رواه أبو محمد الدَّشْتي في "إثبات الحد" (144/ 1-2) من طريق أبي العِز بن عُبَيدالله بن كادش: أنشدنا أبو طالب محمد بن علي الحَرْبي، أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدّارقُطني رحمه الله، قال: - ثم أوْرَدَ الألباني الأبيات الشِّعرية أعلاه، ثُمّ عَلّق عليها -، فقال: فهذا إسنادٌ لا يَصِح مِن أجل أبي العز هذا، فقد أوْرَدَهُ ابن العماد في وفيات سنة (526 هـ) مِن "الشذرات" (4 / 78) وقال: « قال عبدالوهاب الأنماطي: كان مُخَلِّطا ». وأما شيخه أبو طالب وهو العُشاري فقد أوْرَدَهُ في وفيات سنة (451 هـ) وقال (3 / 289): « كان صالحا خيرا زاهدا ». فاعلم أنَّ إقعاده صلى الله عليه وسلم على العرش ليس فيه إلّا هذا الحديث الباطل، وأمّا قُعودُهُ تعالى على العرش فليس فيه حديثٌ يَصِح، ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى].

حُكْم الشيخ الألباني على ابن كادش، ناقلا عن الأنماطي: « كان مُخَلِّطا » غيرُ كامل، والحقيقة هي أنه كان أيضا وضّاعاً كَذّابا، قال الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال" له في ترجمة ابن كادش: « أقرّ بوضع حديثٍ وتاب وأناب »[691]، وقال أيضا عنه في "سير أعلام النبلاء" ما نصه: « قال ابن النَّجار: كان ضعيفاً في الرِّواية، مُخَلِّطا كذاباً، لا يُحتج به، وللأئمة فيه مقال »[692].

---

691 "ميزان الاعتدال" للحافظ الذّهبي، ترجمة رقم 460، مجلد 1 / ص 118 مِن طبعة دار المعرفة.

692 "سير أعلام النبلاء" للحافظ الذهبي، ترجمة رقم 324 ، مجلد 19 / ص 559 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63.

فابن كادش لم يكن فقط مُخَلطاً - وضعيفاً في الرِّواية -، بل كذابا أيضاً. إذن كيف يَعْتمدُ ابن القيِّم الجَوْزيّة لإثبات جلوس الله على العرش على رواية راوٍ مُخَلِّطٍ وضعيفٍ ولا يُحْتَجُّ به، وعلاوة على ذلك قد كَذبَ على رسول الله ﷺ ؟!

الجواب: لأنّ عقيدةَ التَّجسيم ونِسبة المكان للهِ مؤسسةٌ أصلاً على الباطل، فالمُجَسِّمَة بحاجة للكَذب لكي يُرَوِّجوا عقيدتهم بين عوامِّ الناس، فحسيبهم اللهُ على ذلك.

تنويه: قوْلُ الذَّهبي عن ابن كادش: «وتاب وأناب»، لا يعني بأيِّ حال أنه تُقبَل روايته بعد توبته، فمَن كَذبَ في خبرٍ واحدٍ لا تُقبَل روايته بتوبة تظهر منه، وليس هذا فحسب، بل تسقط روايته قبل ظهور كذبه أيضا[693].

وللعِلم لمن لا يعلم - ويُريدُ أن يعلم-: الإمام الدّارقُطني كان مُنَزِّها، وليس مجسما، ومِن الدَّليل عليه ما رواه الحافظ ابن عساكر الدِّمشقي (ت 571 هـ) **في كتابه "تَبْيينُ كَذِب المُفْتَري فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ" بإسناده أنه « قيل لأبي ذَرٍ الهَرَويّ: أنت من هَراة، فَمِن أين تمذهبت لِمالك والأشعريّ؟ فقال: سَبَبُ ذلك أنّي قدمتُ بَغْدَاد لطلب الحَديث، فلزمت الدَّارَقُطْنِيّ. فلمَّا كانَ في بعض الأيام كُنتُ مَعَهُ فاجتاز به القاضِي أبو بكر بن الطّيب، فأظهرَ الدَّارَقُطْنِيّ مِن إكرامه مَا تعجبتُ مِنهُ، فلمَّا فارَقه قلت لَهُ: أيها الشَّيْخ الإمام، مَن هذا الذي أظهرت مِن إكرامه ما رَأَيْت؟ فقال: أَو ما تعرفه؟! قلت: لا. فقال: هذَا سَيْفُ السُّنة أبو بكر الأشْعَريّ. فلزمت القاضي مُنذُ ذلك واقتديتُ به فِي مَذْهبه جميعاً»[694].**

فلو كان الإمام الدّارُقُطنيّ مُجَسِّماً لَما وَصَفَ القاضي أبا بكر بن الطِّيِّب الباقلاني الأشعريّ بسَيْف السُّنة، وهو الذي ألَّفَ تصانيفا عديدة في الرَّدِّ على المُخالفين، ومِنهم المُشَبِّهة، وهؤلاء يعتقدون أنَّ اللهَ جالسٌ على العرش. وبناء على ذلك، علاوة على ما تقدم، يستحيل أن تصدر هذه الأبيات الآنفة الذِّكْر مِن الإمام الدَّارقُطنيّ.

---

693 راجع "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 274 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 330.

694 "تبيين كذب المُفتري" للحافظ ابن عساكر الدِّمشقي، ص 196 بتعليق محمد زاهد الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

فصل

عقيدة أهل السُّنَّة بخصوص الاستواء على العرش

لقد ذَكَرَ الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "المقالات" عقيدةَ أهل السُّنَّة بخصوص الاستواء على العرش، فقال: « وقال أهلُ السُّنَّة وأصحابُ الحديث: ليس بجسم ولا يُشْبهُ الأشياء وأنه على العرش كما قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾[695]، ولا نُقدم بين يديِّ الله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف »[696].

التّعليق: قوْلُ أهل السُّنَّة: «استوى بلا كَيْف» معناه إثبات الاستواء، كَوْنه ذُكِرَ في القرآن الكريم، مع نَفْي الكَيْف عن الله، أي نَفْي معناه المفهوم في حقّ البشر، وهو الجلوس أو الاستقرار، لأنَّ الكَيْفَ هو صفة معهودة في المخلوق كما سبق ذِكْره، وعلى هذا يكون معنى لفظ الاستواء في حقِّ اللهِ مُغايراً تماما لمعناه في حَقِّ المخلوق. وإثباتُ اللّفظ مع نَفْي الكيْف هو عَيْن مذهب التّفويض القائم على إثبات اللفظ المُضاف إلى اللهِ تعالى مع الجَزْم بانّ ظاهرَه المُتعارف عليه في حَقِّنا غيرُ مُراد، ولا يُتكلَّم في تأويله مع تنزيه اللهِ عن صفات المخلوق، كما قال الإمام النَّوَوي في أثناء تقريره لمذهبي التَّفويض والتأويل في فهم آيات وأحاديث الصفات (راجع ص **11** إن شئت).

الإمام مالك بن أنس يُفَوِّض في الاستواء ويُنَزِّهُ اللهَ عن الكَيْف

أخرج الإمامُ الحافظ أبو بكر البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات" بإسناد جيد[697] مِن طريق عبدالله بن وهب (ت 197 هـ)**، قال: «كُنّا عند مالك بن أنس، فدخل رجلٌ فقال: يا أبا عبدالله: ﴿ الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾، كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء ثُمّ رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وَصَفَ نفسَه، ولا يُقال <u>كَيْف، وكَيْفٌ عنه مرفوع</u>، وأنت رجلُ سوء صاحب بِدْعة، أخرجوه. قال: فأُخْرِج الرّجل»[698].**

ولا بُدّ مِن إمعان النَّظر في كلام الإمام مالك أعلاه لفهم معناه فهماً صحيحا:

---

[695] سورة طه: آية رقم 5 .

[696] "مقالات الإسلاميين"، ص 125 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 198.

[697] أنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7418**، جزء 13 / ص 501 ، وصحّح ابن تيمية هذا الأثر عن الإمام مالك في "تلبيس الجهمية"، جزء 1 / ص 65 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[698] "الأسماء والصفات"، ص 515 ، وفي رواية أخرجها أيضا الإمام البَيْهَقي بإسناده عن يحيى بن يحيى أنَّ الإمام مالك قال: « الاستواء غيرُ مجهول، والكَيْفُ غير معقول، والإيمان به واجب ... »، نفس المصدر أعلاه ص 516.

جاءُ رجلٌ إلى الإمام مالك وسأله عن كَيْفِيّة الاستواء، فأطرق الإمام مالك! هل كان السؤال في غاية الصّعوبة؟! وأخذتهُ الرُّحَضاء، أي العَرَق! لماذا ؟! الإمامُ مالك يَعرقُ مِن مجرد سؤال واحد فقط! ويعتبر السّائل صاحب بِدعة! وماذا قال الرجل حتى يوصف بالبدعة؟ ولقد سُئل الرسول عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن قَبْل إن كان قد رأى ربّه ليلة المِعراج، ولم يَرْم السائل بالابتداع، لماذا؟ لأنّ السائل سألَ عن أمر ثابتٍ بالنَّص الشّرعي[699]، فأجابه الرسول ﷺ: «نورٌ أنَّى أراه»[700] . فلا بُدّ إذن أن يكون الرجلُ قد سأل الإمامَ مالك عن أمر غير ثابت بالشّرع، ومُخالف للعقل، وهذا ما قد حصل بالفعل، فالرجلُ قد سألَ عن الكَيْف: كَيْفَ استواؤه؟ وفي رواية يحيى بن يحيى: كَيْفَ استوى؟ وكَيْفُ الاستواءِ في حَقّ البَشَر هو العُلُوّ الحِسِّي أو الاستقرار أو الجلوس - أو الرّكوب-، وهذا ما قصده الرجل: كَيْفَ استوى، أي كَيْفَ استقرَّ - اللهُ - أو جلسَ على العَرْش؟ فكان السؤالُ بمثابةِ صدمة للإمام مالك. فأطرق، وعلاه العَرَق، ثُمّ أجاب: « ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وَصَفَ نفسَه، ولا يُقال كَيْف، وكَيْفٌ عنه مرفوع، وأنت رجلُ سوء صاحب بدعة، أخرجوه ».

وهذا حَقّ، فالكَيْفُ مرفوعٌ عن اللهِ الخالق، وهذا القوْلُ هو نفس معنى القول: «بلا كَيْف»، أو: «الكَيْفُ غير معقول» أي مُستحيلٌ وغير جائز في حَقِّ اللهِ الخالق، لأنَّ الكَيْفَ هو صفة أو هيئة للمخلوق[701]، واللهُ الخالق مُنزَّهٌ عن ذلك، قال إمامنا أبو سليمان الخَطّابي: «والكَيْفِيّةُ عن الله تعالى وعن صفاته مَنْفِيّة»[702]، ولهذا المعنى قال إمامنا أحمد بن حنبل في أحاديث النُّزول والرُّؤية ووضع القَدَمِ وما أشبه هذه الأحاديث التي إذا حُمِلت على ظاهرها أدَّت إلى التَّجسيم لا مَحالة: « نؤمنُ بها ونُصدِّق بها، ولا كَيْفَ ولا معنى »[703].

قوله: «ولا معنى» أي بدون تفسير، وهذا هو عين مذهب التّفويض كما سبق بيانه، أمّا المُجَسِّمَة فيُفسِّرون اللّفظ ويفهمونه في حَقِّ الله كما يفهمونه في حَقِّ المخلوق مع نَفْي المُماثلة. وما أحسن ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي شعراً في تنزيه الله عن الأين (المكان) والكَيْف:

---

699 كما في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرةٌ، إلى رَبِّها ناظِرةٌ ﴾ [سورة القيامة: آية 22 ، 23].

700 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان برقم 178 - رقم الحديث التسلسلي **291** - ، وأخرجه ابن خزيمة في "كتاب التوحيد"، ص 205 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 324.

701 أنظر الحاشية رقم 65 إن شئت.

702 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 528 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

703 روى ذلك عنه أبو بكر الخَلّال في كتاب "السُّنّة"، **المرجع**: "تلبيس الجهميّة"، جزء 2 / ص 1168.

إنْ تَقلْ كَيْفَ فقد مَثَّلتَهُ	**أو تَقلْ أينَ فقد رُمتَ الحُلول**
هو لا أينٌ ولا كَيْفٌ له	**وهو رَبُّ الكَيْفِ والكَيْفُ يحول[704]**

قوله: «والكَيْفُ يحول» معناه والكَيْفُ مستحيل في حقِّ اللهِ الخالق، لأنه صفة للمخلوق.

فصل

معاني لفظ الاستواء في اللغة

لفظ الاستواء له عدة معان في اللغة، منها:

1. تَمامُ الشيء وكَمالُه[705]، قال اللهُ تعالى مُخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلمًا ﴾[706]، قال الإمام ابن عطية (ت 541 هـ) **في تفسيره: « أي قَوِيّ، واستوى أي تكامل عقله وحَزْمه »[707].**

2. القَصْدُ إلى الشيء[708]، قال اللهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلى السَّمَآءِ ﴾[709]، أي «قصد خلقها»، كما قال الإمام الحافظ والمُفَسِّر ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبه التَّشبيه"[710].

3. الاستيلاءُ على الشيء[711] والسَّيطرة عليه، قال الأخطل في بِشْر بن مروان:

قد استوى بشرٌ على العراق	**مِن غير سيفٍ ودمٍ مهراق**

وقال آخر

إذا ما غزا قوماً أباحَ حريمَهُم	**وأضحى على ما ملكوه قد استوى[712]**

4. الغَلَبَة والقَهْر، قال الشاعر:

فلمّا علونا واستوينا عليهم	**جعلناهم مَرْعى لنسرٍ وطائر[713].**

---

[704] **المرجع**: "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي، ص 50 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[705] "دفع شُبَه التَّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 121 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[706] سورة القصص: آية رقم 14.

[707] أُنظر "المُحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" للإمام ابن عطية الأندلسي.

[708] "دفع شُبَه التَّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 121.

[709] سورة البقرة: آية رقم 29 . وكذلك سورة فصلت: آية رقم 11.

[710] "دفع شبه التشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 121 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[711] المرجع السابق.

[712] بيتا الشعر استشهد بهما الإمام ابن الجَوْزي في "دفع شبه التشبيه"، ص 121.

[713] هذا البيت ذَكَرَه الكمال بن الهمام في كتابه "المُسايرة في العقائد المُنجية في الآخرة" (ص 7)، **المرجع**: "ابن تيمية ليس سلفياً "، تأليف الشيخ منصور محمد محمد عويس، ص 9، **الناشر**: دار النهضة العربيّة، ط 1، القاهرة 1970.

5. الاعتدال والاستقامة، كما في قوله تعالى عن الزَّرع: ﴿ فاسْتَوَى على سُوقِهِ﴾ [714].

6. التَّساوي، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلمُونَ والَّذينَ لا يَعْلمُونَ﴾ [715].

7. الرُّكوب، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ والأنْعامِ ما تَرْكَبونَ، لِتَسْتَوُواْ على ظُهُورِهِ ثُمَّ تذْكُرواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إذا اسْتَوَيْتُمْ عَليْهِ ﴾[716]، قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُواْ على ظُهُورِهِ ﴾ معناه لتركبوا السُّفن وعلى ظهور الأنعام. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فإذا اسْتَوَيْتَ أنتَ وَمَن مَّعَكَ على الفُلْكِ ﴾[717]، أي ركبت السّفينة.

8. الاستقرار، كما في قوله تعالى عن سفينة نوح عليه السلام: ﴿ وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ ﴾[718]، أي استقرّت.

9. العُلُوّ، ويشمل العُلُوّ الحِسِّي، كالقول: استويت على السطح، أي عَلوْتُه.
والعُلُوّ المَعنوي، أي عُلُوّ الرُّتبة والعَظَمَة والسُّلطان.

فأيُّ هذه المعاني السابقة للفظ الاستواء يليقُ بجلال اللهِ كخالق؟

- الكمال؟ هذا لا يجوز لأنَّ اللهَ لم يَكْتَسِب كَمالاً بخلق العرش، فاللهُ لم يَزَل ولا يزال مُتصفاً بالكمال- قبلَ وبعد خَلْقِ العرش -.

- أو اعتدل بعد اعوجاج؟! بالتّأكيد لا، فاللهُ مُنَزَّهٌ عن الاعوجاج.

- أو استقرَّ؟ مستحيل، لأنَّ حدوث الاستقرار بعد أنْ لَمْ يَكُن يُنبئُ عن اضطراب سابق، واللهُ مُنَزَّهٌ عن الاضطراب. وعلاوة على ذلك: الاستقرار على العرش يؤدي إلى تَغَيُّرٍ في ذاتِ اللهِ بأن تُصبح محدودة كَوْن العرش محدوداً، ولا يُعقلُ بتاتاً أنْ يَخلُقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدوداً (العرش) ليستقرَّ عليه، وهذا الأمرُ واضح لكُلِّ ذي عقلٍ سليم.

- أو علا أو ارتفع حِسِّيّاً على العرش؟ بالتأكيد لا، فاللهُ لم يَكُن تحت العرش أو مُحاذياً له ثُمَّ ارتفع عليه.

- أو قَصَدَ، أي قصد إلى خَلْقِ شيء في العرش؟ قد يكون المعنى كذلك، حيث فسَّرَ الإمام

---

714 سورة الفتح: آية رقم 29.
715 سورة الزمر: آية رقم 9.
716 سورة الزخرف: آية رقم 12 ، 13.
717 سورة المؤمنون: آية رقم 28.
718 سورة هود: آية رقم 44.

سفيان الثَّوْريّ (ت 161 هـ) **الاستواء « بقصد الإله إلى أمْرٍ في العرش»**[719] **واستشهد على ذلك بقوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾**[720]**، ومعناه قصد إليها، أي قصد خلقها، كما قال الحافظ والمُفسِّر ابن الجَوْزي**[721]**.**

● **أو القهرُ والغلبَة والاستيلاء؟ قد يكون المعنى كذلك، فاللهُ هو ﴿ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾، وبهذا التأويل قال الإمام أبو المَعالي الجُوَيْني** (ت 478 هـ)، **حيث قال: « لم يمتنع مِنا حمل الاستواء على القَهْر والغَلَبَة، وذلك شائعٌ في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على المَمالِك، إذ احتوى على مقاليد المُلْك واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيصِ العرش بالذِّكْر أنه أعظمُ المخلوقات في ظَنِّ البَرِيّة، فَنَصَّ -اللهُ- تعالى عليه تنبيها بذِكْره على ما دونه»**[722]**.**

● **أو العُلُوُّ المَعْنَوي، أي عُلُوُّ المُلْكِ والسُّلطان والمَجْد والعَظَمَة ؟ هذا المعنى جائزٌ في حقِّ الله، وبهذا التّفسير قال الإمام الفقيه والمُفَسِّر ابن جرير الطَّبَري في تفسيره، كما سيأتي بيانه إن شاءَ اللهُ** (في ص 179)، **والإمام القُرْطُبي كما سيأتي بيانه إن شاءَ اللهُ** (في ص 189)**.**

والمُجَسِّمَةُ الأوائل، ومنهم ابن تيمية وابن القَيِّم الجَوْزيّة، والمعاصرون كالوهابيّين وغيرهم، اختاروا مِن بين هذه المعاني المذكورة مَعنيَيْن اثنين للفظ الاستواء المُضاف إلى الله تعالى دون الأخذ بالحسبان ما يَجِبُ للهِ وما لا يجوز نسبته إليه كخالق، وهما العُلُوّ الحِسِّي والاستقرار على العرش، أي الجلوس عليه، وهذا ضلال.

وفسَّروا لفظَ العرش المذكور في آيات الاستواء بسرير المَلِكِ، وهذا سَببٌ مِن الأسباب - على ما أظن - الذي أدّى بهم إلى تفسير الاستواء بالعُلُوّ الحِسِّي والاستقرار والجلوس على العرش، ولا دليل لهم على ذلك، لا شرعي ولا عقلي. مِمّا لا شك فيه أنَّ مِن معاني العرش "سرير المَلِك"، « قال الخليل بن أحمد[723]**: العرش: السرير، فكُلُّ سريرِ مَلِكٍ يُسَمَّى عَرْشاً، والعرشُ مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ ﴾**[724]**، وقال تعالى: ﴿ أيُّكُمْ يَأتِيني بعَرْشِها ﴾**[725]**»**[726]**. فكُلُّ سريرِ مَلِك يُسَمَّى عرشاً، ولكن ليس كُلُّ عرش يُسمّى سريرَ مَلِك.**

---

719 ذكَرَ ذلك الإمام أبو المَعالي الجُوَيْني في كتابه "الإرشاد" ، ص 41 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 226.
720 سورة فصلت: آية رقم 11.
721 "دَفعُ شُبَه التشبيه" للإمام ابن الجَوْزي (ت 597 هـ)، ص 121 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.
722 "الإرشاد" للإمام أبي المَعالي الجُوَيْني ، ص 40 - 41 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 226.
723 مِن أئمة الأدب واللغة، واضع عِلم العروض، ت 170 هـ في البصرة.
724 سورة يوسف: آية رقم 100.

ومِن معاني العرش أيضا: السَّقف والمِظَلّة، قال ابن عباس رضي الله عنهما **في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ المَرْفوعِ﴾[727]: «هو العرش، وهو سَقْفُ الجَنّة»[728].**

وقال الإمام المُفَسِّر والنَّحوي أبو حِيّان: [العرشُ سَقْفُ البَيّت، وكُلُّ ما يُهَيّأ لِيُظِلَّ أو يكُنَّ فهو عريش الدالية، وقال تعالى: ﴿ومِمّا يَعْرِشونَ﴾[729]، وفي الحديث لَمّا أمَرَ - الرّسولُ صلى الله تعالى عليه وسلم **- ببناء المسجد قالوا: نَبْنيهِ لكَ بُنياناً، قال -**عليه الصلاة والسلام**-: « لا بل عرشٌ كَعَرْشِ أخي موسى »، فوضعوا النَّخْلَ على الحِجارة وغَشُّوهُ بالجَريد وسَعَفِه »][730].**

وذَكَرَ أبو العباس أحمد بن زرّوق الفاسي (ت 899 هـ) **في "شرح عقيدة الإمام الغزالي" أنّ العرشَ هو سَقْفُ العالم[731]، وبهذا أقول، واللهُ أعلم بذلك.**

وبناءً على ما تقدم يَتَبيَّنُ بشكل واضح أنّ لِلَفظ "استوى" و "العرش" معانٍ عديدة، ولكنَّ المُجَسِّمَة فسروا كلمة "استوى" بالارتفاع الحِسّي على العرش والجلوس عليه! وهل كان اللهُ سبحانه وتعالى تحت العرش أو مُحاذياً له حتى يرتفع عليه ثم يجلس عليه؟! ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾.

---

725 سورة النمل: آية رقم 38.
726 ذَكَرَ ذلك الإمام ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التّشبيه"، ص 121 مِن طبعة دار الإمام النووي، ط 3.
727 سورة الطور: آية رقم 5.
728 أنظر تفسير الإمام القُرْطُبي لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّقْفِ المَرْفوعِ ﴾ [سورة الطور: آية رقم 5].
729 سورة النَّحل: آية رقم 68.
730 أنظر تفسير سورة البقرة: آية رقم 259 في "البحر المحيط"، للإمام أبي حِيّان ، وانظر كذلك تفسير ابن عطية: "المُحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لسورة الأعراف: آية رقم 137.
731 "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 35 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 209.

فصل

مذهب أهل السُّنة في فهم آيات الاستواء

حِيال لفظ الاستواء المُضاف إلى اللهِ تعالى كان أئمةُ أهل السُّنّة فريقين،
الأول: أثْبَتهُ ولم يُفَسِّرهُ مع نَفْي التَّشبيه، وعَبَّرَ عن ذلك بالقول: «استوى بلا كَيْف»، وهذا هو مذهب أهل التّفويض.
والفريق الثاني: أوّلَهُ على مُقتضى اللغة العربية بالقَهْر والاستيلاء، أو بِفعلٍ فَعَلهُ اللهُ في العرش، وفيما يلي أقوال الفريقين في ذلك:

1. قال الإمامُ أبو بكر البَيْهقي: « فأمّا الاستواءُ فالمتقدمون مِن أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يُفسِّرونه ولا يتكلمون فيه كَنَحْوِ مذهبهم في أمثال ذلك »[732]، قوله: «كنحو مذهبهم في أمثال ذلك» معناه كمذهبهم في آيات وأحاديث الصفات، وهو تفويض المعنى إلى اللهِ مع نَفْي التَّشبيه.

2. قال الإمامُ ابن الجَوْزي ناقلا لمذهب الإمام أحمد بن حنبل بخصوص الاستواء ما نصه: [أخبرنا علي بن محمد بن عمر الدّباس، قال: أنبأنا رزق الله بن عبدالوهاب التّميمي، قال: كان أحمد بن حنبل يقول: « الاستواءُ صفة مسلّمة وليست بمعنى القصد ولا الاستعلاء». قال: وكان أحمد لا يقول بالجهة للباري لأنَّ الجهات تخلى عمّا سواها][733].

وسُئِلَ الإمامُ أحمد عن الاستواء فقال: « استوى كما أخبر لا كما يَخْطُرُ للبَشَر »[734].
قوله: «لا كما يخطر للبشر» هو نَفْيٌ صريحٌ للمعنى المُتبادر إلى الذهن مِن لفظ الاستواء، أي نَفْي المعنى المفهوم مِنه في حقِّ البشر، وهو العُلُوّ المكاني أو الاستقرار أو الجلوس.

وجاء أيضا في "طبقات الحنابلة" عن الإمام أحمد بخصوص الاستواء ما نصه: « وكان - الإمامُ أحمد - يقول في معنى "الاستواء": هو العُلُوُّ والارتفاع، ولم يَزَل اللهُ تعالى عالياً رفيعاً قبل أنْ يَخلقَ عرشه، فهو فوق كُلِّ شيءٍ والعالي على كُلِّ شيء. وإنّما خَصَّ اللهُ العرشَ لمعنًى فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامْتَدحَ اللهُ نفسَه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. ولا يجوز أن يُقال: استوى بمُمَاسّة ولا بمُلاقاة، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا. واللهُ تعالى لم يَلْحقهُ تَغَيُّرٌ ولا تَبَدّل، ولا

---

732 "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي، ص 514 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
733 "دفع شُبَه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 115 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.
734 ذَكَرَهُ الإمام العز بن عبدالسلام في كتابه "حَلّ الرموز"، ص 74 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 617.

يَلحقهُ الحدود قَبْلَ خَلْقِ العرش ولا بعدَ خَلْقِ العرش. وكان يُنكر على مَن يقول: إنَّ اللهَ في كُلِّ مكان بذاته، لأنّ الأمكنة كلها محدودة »[735]. وفي كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تصريحات وإشارات، وبيانها كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق:

أولا: فسّر الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ الاستواءَ بالعُلُوِّ والارتفاع، ونَبَّهَ على أنّ هذا العُلُوَّ لم يَحْصُل للهِ بعد خَلْقِهِ للعرش، بل هو صفة أزَلِيّة، وإلى ذلك أشار بقوله: « وَلَمْ يَزَلِ اللهُ تعالى عالياً رفيعاً قبل أنْ يَخلقَ عرشه »، وكما هو واضح لم يقصد الإمام أحمد بالعُلُوّ العُلُوَّ الحِسّي، بل العُلُوّ المعنوي، أي عُلُوّ الرّبوبيّة والألوهيّة والعَظَمَة، وإلى ذلك أشار بقوله: «فهو فوق كُلّ شيء والعالي على كُلّ شيء»، أي بالرُّتبة والسُّلطان وليس بالمكان، والدّليلُ عليه أنّ الإمامَ أحمد كان يُنَزِّهُ اللهَ عن الجِهة كما وَرَدَ في كلام الإمام ابن الجَوْزي الآنفِ الذِّكْر، والجهة تَدُلُّ على المكان، فتنزيهُ الله عن الجهة يستلزم تنزيهه عن المكان، هذا مِن ناحية، والناحية الأخرى: لو قصد الإمامُ أحمد بالعُلُوّ العُلُوَّ المكاني لأدّى ذلك إلى القول بقِدَم المخلوقات لأنه قال: « ولم يَزَلِ اللهُ تعالى عالياً »، والقول بقِدَم المخلوقات معناه وجودها مع اللهِ في الأزَل، والتزامُ هذا كُفْر، لأنّ الرسول عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام قال: « كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ غيرُه »[736]، وفي رواية: « ولم يَكُن شيءٌ معه »[737] ، والمعنى أنه لم يكن شيءٌ موجوداً مع اللهِ في الأزَل.

ثانيا: نَفَى الإمامُ أحمد الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار أو الجلوس عليه، وإلى ذلك أشار بقوله: « ولا يجوزُ أن يُقال: استوى بمُماسّة ولا بمُلاقاة، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا »، والمُماسّة مِن لوازم الاستقرار والجلوس - وأيضا مِن لوازم الأجسام-، فَنَفْيُ المُماسّة يستلزمُ نَفْيَ الاستقرار والجلوس - والجِسْمِيّة -.

- **وقوله: «ولا بملاقاة» هو تصريحٌ في نَفْيِ الاستواء بمعنى الارتفاع الحِسّي على العرش وذلك بوجود مسافة بينه وبين الله، لأنّ المُلاقاة هي المواجهة والمُقاربة.**

---

[735] "طبقات الحنابلة"، مجلد 2 / ص 256 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 73.

[736] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **3191** ، وأخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 478 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[737] ذَكَرَه الإمام ابن الجَوْزي في "دفع شُبه التّشبيه" له، ص 191 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108، وذَكَرَه أيضا الإمام ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري" (عند شرح الحديث رقم **3191**، جزء 6 / ص 355 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72)، فقال: [وفي رواية غير البخاري: « **ولم يكن شيءٌ معه** »].

وبعض علماء الكلام عَبّرَ عن ذلك بالقول: اللهُ فوق العرش مِن غير مُماسّة ولا مُباينـة، أي بدون انفصال بمسافة، وقصدوا بذلك فوقية الرّبوبية والرُّتبة وليس الفوقية المكانية، لأنـهم نزّهوا الله عن الجهة والمكان والحدّ، والمُمَاسّة والمُباينة.

● وقَوْلُ الإمام أحمد: « تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا » هو تأكيدٌ مرة أُخرى في تَنزيـه اللهِ عن أن يكون فوق العرش جالسا أو مستقراً أو أن يكون مرتفعاً عليه ومباينا لـه بمسافة.

ثالثا: وقولـه: « واللهُ تعالى لم يَلْحَقه تَغَيُّرٌ ولا تَبَدّل » معناه أنه لم يحدث تغيّرٌ فـي ذاتِ اللهِ ولا تَبَدّلٌ في صفاته بعد خَلْقِهِ العرش، بأن أصبح مثلا محدوداً أو مُتَحيِّزا أو محتاجـا. وفـي قوله هذا إشارة إلى نَفْي قيام الحوادث بذات الله، تماما على عكس الكَرّامِيّـة، وابـن تيميـة، حيث فسَّرَ الاستواء بصفة فعلٍ قامت بذات الله (أي بحركة)، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

● وقول الإمـام أحمـد: «ولا يَلحقـه الحدودُ قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خَلْقِ العرش» هو تنزيـهٌ لله عن الحَدّ مطلقاً، وأيضاً هو نَفْيٌ للاستواء بمعنـى الاستقرار والجلـوس والارتفـاع فوقه بملاقاة أو محاذاة، ودليله أنه لو كان اللهُ مستقراً فوق العرش، أو عاليـاً عليـه بـدون مُماسّة، لكان اللهُ محدودا لأنّ العرشَ محدودٌ. وفي قوله إشارة إلـى نَفْـي الجِسْميّة عن الله، لأنّ الحَدَّ مِن لوازم الأجسام ولا بُدّ، فكُلُّ جسم محدودٌ لا مَحالة. فتنزيهُ لله عن الحَدِّ يستلزمُ تنزيهه عن الجِسْمِيّة، وكذلك عن التَّحَيُّز، الذي هو أيضا مِن لوازم الأجسام.

3. وسُئِلُ الإمـام الشافعي عن الاستواء، فقـال: « آمنـتُ بـلا تشبيه، وصَدّقت بـلا تمثيـل، واتهمتُ نفسي في الإدْراك، وأمسكت عن الخَوْض فيه كُلّ الإمساك »[738]. فالإمـام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ آمـن بالاستواء لـورود ذِكْره فـي القـرآن الكريم، بـدون تفسيره مـع نَفْـي التّشبيه. والتَّشبيهُ هو الاشتراك في معنًى مِن المعاني كما سبق ذِكْره، فمَن قـال أنَّ معنـى الاستواء فـي قولـه تعـالى: ﴿الرَّحْمنُ علـى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ هـو الجلـوس أو الاستقرار أو الارتفـاع الحِسّي علـى العرش فقد أشركَ اللهَ الخـالقَ مـع خلقـه فـي صفة الجلـوس أو الاستقرار أو الارتفـاع الحِسّي، لأن هذه مِن صفات المخلـوق. فالإمـامُ الشافعي أخذ بمذهب التّفـويض بخصوص الاستواء، وإلى ذلك أشار الإمام البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات" ، فقال: « أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ قال: هذه نسخة الكتاب الذي أملاه الشيخ أبو بكر أحمد

---

738 "حَلّ الرموز" ، للإمام العز بن عبدالسلام، ص 74 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 617.

بن إسحاق بن أيوب في مذهب أهل السُّنّة فيما جرى بين محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة[739] وبين أصحابه فذكرها، وذكَر فيها ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ بلا كيف. والآثارُ عن السَّلف في مِثْل هذه كثيرة. وعلى هذا الطريق يَدُلُّ مذهب الشافعي رضي الله عنه**، وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي، ومِن المتأخرين أبو سليمان الخَطّابي »[740].**

4. وقال الإمامُ أبو حنيفة عن الاستواء: « الاستواءُ صفة بلا كيف»[741]. وقال أيضا في كتابه "الوصية": « نُقِرُّ بأنَّ اللهَ على العرشِ استوى مِن غير أن يكون له حاجةٌ إليه واستقرارٌ عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش: فلو كان محتاجاً لَمَا قَدِرَ على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقَرار فقبلَ خَلْقِ العرش أين كان اللهُ تعالى، فهو مُنَزَّهٌ عن ذلك»[742].

- **قول الإمام أبي حنيفة** رحمه الله**: « ... مِن غير أن يكون له حاجةٌ إليه واستقرارٌ عليه » هو نَفْيٌ صريحٌ مِن الإمام أبي حنيفة للاستواء بمعنى الاستقرار.**

- **وقوله: « ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقَرار فقبلَ خَلْقِ العرش أين كان اللهُ تعالى...» هو إنكارٌ على كُلِّ مَن يفتري بأنَّ اللهَ جالسٌ أو مستقرٌ عل العرش أو أنه في أو على مكان. واستفهامه الإنكاري: «فقبل خَلْقِ العرش أين كان اللهُ تعالى» أجابَ عليه بقوله، كما في كتابه "الفقه الأبسط": « كان اللهُ تعالى ولا مكان، كان قبل أن يَخلُقَ الخَلْقَ، كان ولم يكن أينٌ ولا خَلْقٌ ولا شيء، وهو خالِقُ كُلِّ شيء»[743]. والمعنى: أنَّ اللهَ لم يَزَل**

---

[739] ومِن الجدير بالذِّكر أنّ الحافظ بن خزيمة (ت311 هـ) ألّفَ كتابا في الصِّفات، أسماه "كتاب التوحيد"، وذلك كردة فعل سلبية على مناظرة جرت بينه وبين معتزلي. وفي كتابه "**التوحيد**"، نَسَبَ ابن خزيمة للهِ الأعضاءَ، وفي ذلك قال الإمام ابن الجَوْزي: « قلت: ورأيتُ أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتابا في الصفات وبوبه فقال: بابُ إثبات اليد، بابُ إمساك السموات على أصابعه، باب إثبات الرِّجل وإنْ رَغِمت أُنوف المعتزلة، ثم قال: قال اللهُ تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشونَ بهآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشونَ بهآ ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم 195] فأعلَمَنا أن مَن لا يدَ له ولا رِجْلَ فهو كالأنعام. **قلت** – ابن الجَوْزي- : وإني لأعجبُ مِن هذا الرجل مع عُلُوِّ قدْرهِ في عِلم النّقل يقول هذا ويُثبِتُ للهِ ما ذَمّ الأصنام بعدمه مِن اليد الباطشة والرِّجْل الماشية، ويلزمه أنْ يُثبت الأُذُن، ولو رُزِق الفَهمَ ما تكلم بهذا، **ولفَهِمَ أنَّ اللهَ تعالى عابَ الأصنامَ عند عابديها**، والمعنى**:** لكُم أيْدٍ وأرجلٌ فكيف عبدتُّم ناقصاً لا يدَ له يبطش ولا رِجل يمشي بها » ("دفع شُبَه التّشبيه"، ص 172 - 174 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108). ولقد خاض ابن خزيمة فيما لم يكن يُتقنه، أي في عِلم الكلام، كما اعترف بنفسه ("الأسماء والصفات"، ص 340)، فزلّت به القدم إلى مهاوي عقيدة التّجسيم، مع باعه الطويل في عِلم الحديث والفقه. ولقد نَدِم ابن خزيمة على عَمَله هذا كما ذَكَرَ ذلك عنه الإمام البَيْهَقي، حيث قال: « وقد رجع محمد بن إسحاق - بن خزيمة- إلى طريقة السَّلف وتلهّف على ما قال، واللهُ أعلم » ("الأسماء والصفات"، ص 342)، وهذا الكلام يدلُّ على أن محتوى "كتاب التوحيد" مِن نِسبة الأعضاء لله ليس مِن عقيدة السَّلف، بل مِن عقيدة المُجَسِّمَة.

[740] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص517 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[741] "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 64 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[742] **المرجع**: "شرح الفقه الأكبر"، ص 61 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196، **و** "إشارات المرام مِن عبارات الإمام"، ص 163 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 65

[743] "إشارات المرام" للإمام كمال الدين أحمد البياضي، ص 165 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 65.

ولا يزالُ موجودا بلا مكان. نؤمن بذلك بدون أن نسأل: كيف؟ ولهذا المعنى قال الإمامُ الشافعي: « أنه تعالى كان ولا مكان، فخَلَقَ المكان وهو على صفته الأزَلِيّة كما كان قبلَ خَلْقِه المكان، لا يجوز عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديل في صفاته»[744].

فهذه النّصوص السابقة ـ وغيرها ـ تُثبتُ بشكلٍ جَلِيٍّ أنَّ الأئمةَ الأربعة: أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله أجمعين كانوا لا يُفسِّرون الاستواء بالعُلُوّ المكاني أو الاستقرار أو الجلوس على العرش، وأنَّهم كانوا على عقيدة واحدة، قائمة على تَنزيه اللهِ عن الجِسْمِيّة ولوازمها مِن الحَدِّ والتَّحَيُّز. فعلى كُلِّ مَن يريد أن يكون سَلَفيّاً بحقّ، عليه أن يتَّبع الأئمة الأربعة في عقيدتهم.

5. لقد أوّلَ الإمام المُجتهد والمُفَسِّر ابن جرير الطَّبري (ت 310 هـ) **في تفسيره الاستواءَ بعُلُوِّ المُلْكِ والسُّلطان، حيث قال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلى السَّمآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاواتٍ ﴾[745] ما نصه: « والعَجبُ مِمّن أنكَرَ المعنى المفهوم مِن كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلى السَّمآءِ ﴾ الذي هو بمعنى العُلُوّ والارتفاع هرباً عند نفسه مِن أن يلزمه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنَّما علا وارتفع بعد أنْ كان تحتها، إلى أنّ تأويله بالمجهول مِن تأويله المُسْتَنكر، ثُمَّ لم يَنْجُ مِمّا هرب منه، فيُقال له: زعمت أنّ تأويل قوله -تعالى-: ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ : أقبَلَ، أفكان مُدْبراً عن السّماء فأقبل إليها؟ فإن زعَمَ أنّ ذلك ليس بإقبال فِعْلٍ ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقُل: علا عليها عُلُوّ مُلْكٍ وسُلطانٍ لا عُلُوَّ انتقال وزوال ».**

ولقد أحال إمامنا ابن جرير الطَّبَري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ في سورة الأعراف: آية رقم 54 (وكذلك في سورة الرعد: آية رقم 2 ، وفي سورة طه: آية رقم 5) على تفسيره الآنف الذِّكر، أي أنه فسَّرَ ""الاستواء"" أينما ذُكِرَ مُضافاً إلى اللهِ تعالى بعلو المُلْكِ والسُّلطان، وليس بالعُلَوّ الحِسّي على العرش أو بالاستقرار عليه.

وقَوْلُ الإمام ابن جرير الطّبَري: «علا عليها عُلُوَّ مُلْكٍ وسلطانٍ» موافقٌ لمعنى قول الإمام أحمد في تفسير الاستواء بالعُلُوّ المعنوي، أي عُلُوّ الرّبوبية والسِّيادة والسُّلطان والعَظَمَة.

وقوله: «لا عُلُوّ انتقال وزوال» هو نصٌ صريحٌ منه على تنزيه اللهِ عن الحركة، والتي هي مِن لوازم الأجسام.

---

[744] "إتحاف السّادة المُتّقين بشرح إحياء علوم الدين"، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152.
[745] سورة البقرة: آية رقم 29.

6. وذكَرَ الإمام الحافظ البَيْهَقي تأويلَ الإمام أبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ) **للاستواء، فقال: « وذهب أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري إلى أنَّ اللهَ تعالى جَلَّ ثناؤه فَعَلَ في العرش فِعلاً سَمّاهُ استواءً كما فَعَلَ في غيره فِعلاً سمّاهُ رِزقاً ونعمة أو غيرهما مِن أفعاله. ثُمَّ لَمْ يُكيِّف الاستواءَ إلّا أنه جعله مِن صفات الفِعل لقوله - تعالى -: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾، وثُمَّ للتَّراخي، والتَّراخي إنّما يكون في الأفعال، وأفعالُ اللهِ تعالى توجد بلا مُباشرة منه إيّاها ولا حركة »[746].**

● **قوله:** «ثُمّ لم يُكيِّف الاستواء» **معناه أنه أثبتَ الاستواء بلا كَيْف، أي أنه لم يجعل مفهومه في حَقِّ اللهِ كمفهومه في حقِّ البشر، وهو الجلوس أو العُلُوّ الحِسّي. وهذا يَدُلُّ على أنّ الإمامَ الأشعري مِن ناحية فَوّض معنى الاستواء إلى اللهِ تعالى كحالِ أهل مذهب التّفويض، ومِن ناحية أخرى جَعَلهُ مِن صفات الفِعْل، وهذا تأويل إجمالي، وصفاتُ الفِعْلِ عند أهل السُّنّة، ومنهم الأشاعرة والماتريدية، لا تقوم بذاتِ الله، تماما على عكس الهشاميّة مِن الرافضة، والكَرَّاميَّة المحسوبين على أهل السّنّة، وكذلك ابن تيمية، حيث أثبت الاستواء كصفة فِعْل قامت بذات الله، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.**

● **وقوله: « وأفعالُ اللهِ تعالى توجد بلا مُباشرة منه إيّاها ولا حركة » هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾** [سورة يس: آية رقم 82]**.**

7. والإمام الحافظ والفقيه واللّغَوي أبو سليمان الخَطّابي (ت 388 هـ) **أخذ بمذهب التّفويض بخصوص "الاستواء"، فقال: « وليس معنى قول المسلمين: إنَّ اللهَ استوى على العرش، هو أنه مُماسٌّ له، أو مُتَمَكِّنٌ فيه، أو مُتَحيِّزٌ في جهة مِن جهاته، لكنه بائنٌ مِن جميع خلقه[747]، وإنّما هو خبرٌ جاءَ به التّوقيف فقلنا به، ونفينا عنه التّكْيِيف، إذ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ »[748].**

8. وأيضا الإمام أبو حامد الغزالي (505 هـ) **فَوَّضَ في الاستواء، حيث قال: « وأنه مُسْتوٍ على العرشِ على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً مُنَزّهاً عن المُماسّة والاستقرار والتَّمكن والحُلول والانتقال ...وهو فوق العرش والسماء وفوق كُلِّ شيء إلى**

---

746 "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي، ص 517 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

747 قوله: " بائن مِن جميع خلقه " معناه أنّ الله غير ممازج لخلقه.

748 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 502 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

تُخوم الثّرى، فوقيّة لا تزيده قُرْباً إلى العرش والسّماء كما لا تزيده بُعْداً عن الأرض والثّرى ... وانه لا يَحُلُّ في شيءٍ ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدّسَ عن أن يَحُدَّهُ زمان، بل كان قَبْلَ أن خَلَقَ الزّمان والمكان، وهو الآن على ما كان عليه ... وأنه مُقدّسٌ عن التَّغيُّرِ والانتقال، لا تَحُلُّه الحوادث ولا تعتريه العوارض »[749].

وقَصَدَ الإمامُ الغزالي بقوله: «وهو فوق العرش والسّماء وفوق كُلِّ شيء» الفَوْقِيّة المعنويّة، أي فوقيّة القَهْر والسُّلطان والغَلَبَة والعَظَمَة، وليس الفَوْقِيّة المكانية، والدليلُ عليه أنه نَزَّهَ اللهَ عن المكان والمُماسّة والاستقرار والتَّمكُّن.

9. وبمذهب التّفويض في الاستواء أخذ أيضا الإمام العِزُ بن عبدالسّلام (ت 606 هـ)**، حيث قال: « استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً مُنَزَّهاً عن المُماسة والاستقرار والتَّمكُّن والحُلُول والانتقال، فتعالى اللهُ الكبير المُتعال عمّا يقوله أهل البَغْي والضّلال»[750].**

10. وأوّلَ الإمام أبو المعالي الجُوَيْني (ت 478 هـ) **الاستواءَ، حيث قال في كتابه "الإرشاد": «لم يمتنع مِنّا حَمْل الاستواء على القَهْر والغَلَبَة، وذلك شائعٌ في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلانٌ على المَمالِك، إذ احتوى على مقاليد المُلْك واستعلى على الرقاب. وفائدةُ تخصيصِ العرش بالذِّكر أنه أعظمُ المخلوقات في ظَنِّ البَرِيّة، فَنَصَّ -اللهُ- تعالى عليه تنبيها بِذِكْره على ما دونه. ... ثُمَّ الاستواءُ بمعنى الاستقرار بالذّات يُنْبىء عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كُفْر. ولا يبعدُ حَمْل الاستواء على قَصْدِ الإله إلى أمْرٍ في العرش، وهذا تأويل سفيان الثَّوْريّ رَحِمَهُ، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ معناه قصد إليها[751]»[752]. فالإمام أبو المعالي الجُوَيْني أوّلَ الاستواءَ بالقَهْر والغَلَبة.**

● قَوْلُ الإمام أبي المعالي الجُوَيْني: «وفائدة تخصيص العرش بالذِّكرِ أنه أعظم المخلوقات في ظَنّ البريّة» هو نفس معنى قول الإمام أحمد السابق الذِّكْر: «وإنما خَصَّ اللهُ

---

[749] "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 25- 26 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 209.

[750] **المرجع**: "طبقات الشافعية الكبرى" للإمام عبدالوهاب السُّبْكي ، مجلد 8 / ص 209 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 46.

[751] قوله: « قصد إليها » معناه قصد إلى خلقها، كما قال الإمام ابن الجَوْزي في "دفع شُبه التشبيه"، ص 121 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[752] "الإرشاد" للإمام أبي المَعالي الجُوَيني، ص 40- 41 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 226.

العرشَ لمعنًى فيه مخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. **فامْتَدَحَ** اللهُ نفسه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا».

ولا فرقَ بين تأويل الإمام سفيان الثَّوْريّ الاستواء بالقَصْد إلى أمْر في العرش وتأويل الإمام الأشعري، حيث قال: «أنّ اللهَ تعالى جَلَّ ثناؤه فَعَلَ في العرش فِعلاً سَمّاهُ استواءً».

فما هو الفِعلُ الذي حَدَثَ في ذاتِ العرش وسُمِّيَ استواءً، بمعنى العُلُوّ والارتفاع؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بُدَّ مِن مقدمة:

كما هو معلوم، الغايةُ مِن خَلْقِ المخلوقات هي العِبادة، لقوله تعالى في حَقِّ المخلوقات غير الحيّة: ﴿ وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[753]، والنَّجمُ هو العشب[754]، فالعشبُ والشَّجرُ يسجدان، والسُّجود مِن العِبادة.

وقال اللهُ تعالى: ﴿ وإن مِّن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ ﴾[755]، والتَّسْبيحُ مِن العِبادة.

وقال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حَقِّ المخلوقات الحيّة: ﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعْبُدونِ ﴾[756]، فالغايةُ مِن خَلْقِ الجِنِّ والإنس هو عبادة الله. وقال اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأتِيَكَ اليَقِينُ﴾[757]، وقال اللهُ عزّوجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوآبُّ وكَثيرٌ مِّنَ النّاسِ ﴾[758].

وأوّلُ شيءٍ خلقه اللهُ هو الماء لقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي هريرة رضي الله عنه: « كُلُّ شيءٍ خُلِقَ مِن الماء »[759]، وخَلَقَ اللهُ الماءَ مِن العَدَم، قال اللهُ تعالى: ﴿ إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾[760]، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ العرشَ على الماء، ثُمَّ خَلَقَ القلمَ ثُمَّ اللوح

---

753 سورة الرحمن: آية رقم 6 .

754 قال الإمام القُرْطُبي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [سورة الرَّحمن، آية رقم 6] ما نصه: « قال ابنُ عباس وغيره: النَّجم ما لا ساق له، والشّجر ما له ساق».

755 سورة الإسراء: آية رقم 44.

756 سورة الذاريات: آية رقم 56.

757 سورة الحجر: آية رقم 99.

758 سورة الحج: آية رقم 18.

759 أخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده مِن طريق أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنه في "الأسماء والصفات"، ص 483، ورواه الإمام أحمد في مُسنَده بلفظ : « كُلَّ شيءٍ خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن الماء »، أنظر "مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل"، رقم الحديث **8278** ، مجلد 8/ ص 269 مِن طبعة دار الحديث، ط 1، القاهرة 1995.

760 سورة يس: آية رقم 82.

المحفوظ، وأمَرَ القلمَ أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[761]. ثُمَّ خَلَقَ اللهُ السَّماوات والأرض، قال اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ يُغْشي اللَّيْلَ النَّهارَ ﴾[762].

ولقد أُوحِيَ القرآنُ الكريم إلى الرسول ﷺ باللغة العربية، أي وفق قواعدها وأساليبها في الكلام والتّعبير، ومِن ذلك الكِناية والمَجاز والإضمار[763]، ومِن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمآ أدْرَاكَ ما هِيَهْ، نارٌ حامِيَة ﴾[764]، فاسم الأم "ألهاوية" مَجاز.

وقال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قرْآناً أعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَأعْجَمِيٌّ وَعَرَبيٌّ﴾[765]، ففي هذه الآية الكريمة إضمار، والكلام المُضْمر هو: قرآن ورسول أو ونبيّ، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿ ءَأعْجَمِيٌّ وَعَرَبيٌّ ﴾: أقرآنٌ أعجميّ ، أي بلغة أجنبية، ورسولٌ عربيّ؟!

وقال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَضِلُّواْ﴾[766]، إذا أخذنا هذه الآية حَرْفياً على ظاهرها دون مراعاة لأساليب اللغة يكون معناها أنَّ اللهَ يُبَيِّنُ لنا حتى نَضِل! وهذا الفَهْمُ باطلٌ قَطْعا، فالآية فيها إضمار، وتقدير الكلام المُضمَر كلمة "لا"، والمعنى هو: يُبيِّنُ اللهُ لكم بأن لا تَضِلّوا[767].

وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمواْ بِها ﴾[768]، وهذه الآية فيها إضمار، وتقديره: آية و أنفسهم، وعلى هذا يكون معنى الآية: وآتينا ثمودَ الناقة آية بَيِّنَة، فظلموا أنفسهم بها، أي بقتلها.

---

[761] قال الرسول عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام: « كان اللهُ ولم يكُن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُهُ على الماء، وكَتبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيء، وخَلَقَ السّماوات والأرض »، رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **3191**، وأخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" ص 478 بتعليق الشيخ الكَوْثري بلفظ: « كان اللهُ عزَّ وجلَّ ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشه على الماء، **ثُمّ** كتبَ جَلّ ثناؤه في الذِّكْر كُلّ شيء، **ثُمَّ** خَلَق السموات والأرض ». قوله عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام: « **وكتب** جَلّ ثناؤه ... » معناه أنَّ اللهَ أمَرَ القلمَ بالكتابة.

[762] سورة الأعراف: آية رقم 54.

[763] راجع إن شئت صفحة 21 ، 22 .

[764] سورة القارعة: آية رقم 8-11.

[765] سورة فصلت: آية رقم 44.

[766] سورة النساء: آية رقم 176.

[767] راجع إن شئت تفسير الإمام ابن جرير الطَّبَري للآية أعلاه، أو تفسير الإمام القُرْطبي.

[768] سورة الإسراء: آية رقم 59.

وهكذا الأمر في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾[769]، فالآية فيها إضمار، وتقديره: ذِكْرُ اللهِ، وعلى هذا يكون معنى الآية: ارتفعَ ذِكْرُ اللهِ على العرش، وذِكْرُ اللهِ هو التَّسبيح، فارتفاعُ ذِكْرِ الله على العرش معناه أنَّ العرشَ بدأ يُسَبِّح، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ ﴾[770]، والعرشُ شيءٌ كباقي الأشياء التي خَلقها الله، فهو يُسَبِّح.

ولقد ورد لفظ "استوى" مُضافا إلى اللهِ تعالى في سبعة مواضع مِن القرآن الكريم، وفي كُلِّ مَرّة وَرَدَ ذِكْرُه بعد ذِكْرِ خَلْقِ السّماوات – والأرض[771]، قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾، فالآية الكريمة تُخبرنا بأنَّ استواءَ ذِكْرِ اللهِ على العرش حصل (في اليوم السابع[772]) بعد خَلْقِ السماوات والأرض، وعلى هذا يكون العرش - وهو أعظمُ المخلوقات - أوَّلَ المُسَبِّحين، واللهُ أعلم.

خلاصة الكلام في الاستواء على العرش

1. إمّا الأخذ بمذهب المُجَسِّمَة، وهؤلاء قد قالوا - وما زالوا يقولون -: إنّ معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ هو ارتفع عليه حِسيّاً واستَقَرّ، فعلى مذهبهم يكون اللهُ الخالق مُسْتقِرّاً، أو جالساً، أو قاعداً على المخلوق، أي على العرش. وفهمهم هذا فاسد، لأنهم فهموا لفظ "استوى" المُضاف إلى اللهِ الخالق كما فهموه في حَقِّ المخلوق. قال الإمام أبو جعفر الطّحاوي في رسالة عقيدة أهل السُّنة: « ومَنْ وصَفَ اللهَ بمعنًى مِنْ معاني البَشَر فقد كَفَرْ»[773].

- **إنَّ القَوْل أنَّ اللهَ جالسٌ أو مستقرٌ على العرش هو مِن عقيدة اليهود المُشَبِّهة للهِ بصفات المخلوقات، إذ قالوا: إنَّ اللهَ بعدَ أن خَلَقَ السماوات والأرض في ستة أيام « استراحَ يوم السبت، واستلقى على العرش»[774]، فكَذَّبَهم اللهُ بقوله: ﴿ وَلَقدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ**

---

[769] سورة الأعراف: آية رقم 54 ، سورة يونس: آية رقم 3 ، سورة الرعد: آية رقم 2 ، سورة السجدة: آية رقم 4 ، سورة الحديد: آية رقم 4.

[770] سورة الإسراء: آية رقم 44.

[771] في **ستة** مواضع ذُكِرَ الاستواء بعد ذِكْرِ خَلْقِ السموات والأرض – ربما إشارة إلى خَلْقِ السماوات والأرض في **ستة** أيام، والله أعلم- ، وفي **موضع واحد** ذُكِرَ بعد ذِكْر خَلْقِ السماوات دون ذِكْر خَلْقِ الأرض – ربما إشارة إلى إرتفاع ذِكْرِ الله على العرش، وهو فوق السماوات، والله أعلم -.

[772] أخرج الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناده عن الإمام قتادة (ت 118 هـ) أنَّ الاستواءَ على العرش حَدَثَ في اليوم السابع بعد خَلْقِ السماوات والأرض وما بينهما، (أنظر تفسير ابن جرير عند تفسيره لآية رقم 4 مِن سورة السّجدة).

[773] سيق تخريجه في الحاشية رقم 157.

[774] أُنظر تفسير البَغَوِي أو "البحر المُحيط في التفسير" لأبي حيّان للآية رقم 38 مِن سورة ق.

وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ ﴾[775]. فسبحان الله عن التَّعب والاستلقاء والجلوس.

● **والقَوْلُ: أنَّ اللهَ مُستقرٌ أو جالسٌ على العرش مُخالفٌ لقوله ﷺ: « وأنتَ الظاهِرُ فليس فوقكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليْسَ دونكَ شيءٌ»، فإذا لم يَكُن تحتَ اللهِ شيءٌ فهو ليس فوق العرش فوقية مكانيّة، ولا مُرتفعا عليه ارتفاعا حِسيّا، ولا مُسْتقِرا ولا جالسا عليه. فاللهُ الخالقُ لم يَزَل ولا يزالُ موجوداً بلا مكان، فوجوده تعالى ليس كوجود المخلوقات.**

● **ولازمُ قول المُجَسِّمَة: أنّ اللهَ مُستقِرٌ على العرش هو أنّ اللهَ غيرُ المحدود والمُنَزَّه في الأزل عن المكان خَلَقَ لنفسه مكانا محدوداً ليستقرّ عليه! وهذا يعني أنَّ اللهَ أصبح محدودا ومُتَحَيِّزاً! وهذا باطلٌ شرعا وعقلا:**

شرعاً لأنه يتعارضُ مع قول الله: ﴿هو الأوّلُ والآخِرُ﴾، ومعناه أنه لا بداية ولا نهاية له، والذي ليس له بداية ولا نهاية فهو غير محدود (راجع إن شئت ص 142)،

وعقلاً لأنه يُعقل أن يَخلقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدودا ليستقرّ عليه، هذا مِن ناحية، والناحية الأُخرى: لو تَحَيَّزَ اللهُ بعد خَلْقِهِ العرش بأن جلسَ عليه، لأصبح محدوداً، كَوْن العرش محدوداً، وهذا يعني أنه حدث تغيير في ذاتِ اللهِ وهذا لا يجوز في حقِّ اللهِ الخالق، قال الإمام الشّافعي (ت 204 هـ) رحمه الله**: «أنَّه تعالى كان ولا مكان، فخَلَقَ المكان وهو على صفته الأزَليَّة كما كان قبْلَ خلقه المكان، لا يجوزُ عليه التَّغييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته»[776].**

وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) رحمه الله**: « واللهُ تعالى لم يَلحقهُ تَغَيُّرٌ ولا تَبَدّل، ولا يَلحقهُ الحدود قبل خَلْقِ العرش ولا بعدَ خَلْقِ العرش »[777].**

وقَوْلُ الإمامين الشّافعي وأحمد بن حنبل أعلاه هو في معنى قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله في كتابه "الفقه الأكبر": « لم يَزَلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِه، لم يَحْدُث له اسمٌ ولا صفةٌ ». فصفاتُ اللهُ لا تتبدل ولا يحدثُ له صفاتٌ لم تكن له مِن قَبْل. فلو حدثت له صفة لم تكن له مِن قبْل كالتَّحَيُّزِ على العرش، فإمّا أنْ تكون هذه الصِفةُ صفةَ نَقص، أو أن تكون صِفةُ كمال. فإذا كانت صفة نقص فلا يجوز أن يَتّصفَ اللهُ بها بحال لأنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الاتصاف بالنّقائص.

---

[775] سورة ق: آية رقم 38.
[776] سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 152.
[777] سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 592.

وإذا كانت صفة كمال، فهذا يعني أنَّ اللهَ لم يَكُن مُتَّصفاً بهذه الصفة الكماليّة مِن قَبْل، ولازمُ هذا القول هو أنَّ ذاتَ اللهِ كان ينقصها صفة كمال، وهذا باطلٌ لأنّ للهَ الخالق لم يزل ولا يزال مُتّصِفاً بالكمال ومُنَزّهاً عن النقائص.
والتَّحَيُّزُ على العرش هو في الحقيقة صفةُ نَقْص، لأنه يؤدي إلى تَغَيُّرٍ في ذات الله، وعلى هذا يَتبَيَّنُ استحالة تَحَيُّز اللهِ على العرش.

وبناءً على ذلك نقول نحن أهل السُّنّة لمن نَسَبَ لله صفة التَّحَيُّز، أي الجلوس أو الاستقرار على العرش: لقد نَسَبتَ لله الخالق صفة نَقص، ونِسبَةُ النّقص إلى اللهِ كُفْر.

2. وإمّا الأخذُ بمذهب أهل السُّنة في تفسير الاستواء، أي بمذهب التَّفويض، أي الإيمان بالاستواء مع نَفْي الكَيْف، أي نَفْي المعنى المفهوم منه في حَقِّ البَشَر، وهو الجلوس والاستقرار، أو الارتفاع الحِسّي، وتفويض معناه إلى اللهِ تعالى.
أو الأخذ بمذهب التّأويل، وهو تأويلُ لفظ الاستواء المُضاف إلى اللهِ تعالى على مُقْتَضى اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآن الكريم، وعلى هذا فُسِّرَ الاستواء بالاستيلاء، أو بالغَلَبَة والقَهْر أو بعُلُوّ مُلْكٍ وسُلطان. وكلا المذهبين، أي مذهب التّفويض ومذهب التّأويل، صحيح.

وأنا شخصيا آخذُ بمذهب التّأويل، وبناءً على ذلك أقول: قوله جَلَّ وعلا عُلُوّ ربوبيّة وسُلطان: ﴿ الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾[778] معناه ذِكْرُ الرَّحمن على العرش ارتفع، ومعنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ هو: ثُمَّ ارتفع ذِكْرُ اللهِ على العرش. وذِكْرُ اللهِ هو التَّسبيح، فارتفاعُ ذِكْر اللهِ على العرش معناه أنَّ العرشَ بدأ يُسَبِّح، والله أعلم.

---

778 سورة طه: آية رقم 5.

فصل

اعتراضُ الـمُجَسِّمَة على تأويل الاستواء بالاستيلاء

مِن الحُجَج الواهية التي يُوردها المُجَسِّمَة لرَدِّ تأويل الاستواء بالاستيلاء ، قولهم: هل أتى وقتٌ لم يَكُن اللهُ فيه مُستَوْلياً على العرش ثُمَّ استولى عليه؟
وجوابه كالآتي واللهُ المُوفِّق:

● **يقول اللهُ العَليُّ الأعلى، عُلُوّ ربوبيّة وعَظَمَة: ﴿ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ ﴾[779]، فهل يعني قَوْلُ اللهِ: ﴿ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ ﴾ أنَّ المُلْكَ لم يَكُن له قبل يوم القيامة؟ بالتّأكيد لا، فالمُلْكُ دائما لله، قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ ﴾[780]. فقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ ﴾ هو توبيخٌ للجبارين الذين ادّعوا المُلْكَ في الدنيا، يقول اللهُ مُخبرا عن الطاغية فرعون: ﴿وَنادَى فِرْعَوْنُ في قَوْمِهِ قال يا قَوْمِ أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْري مِن تَحْتِيَ أَفَلا تُبْصِرونَ﴾[781].**

● **ويقول اللهُ عزّوجلّ: ﴿ وَمآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مآ أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ﴾[782]، فهل يعني قَوْلُ الله: ﴿ وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ﴾ أنَّ الأَمْرَ لم يَكُن له قَبْلَ يوم الدين؟ بالتأكيد لا، لأنَّ الأَمْرَ دائما لله، يوم الدين وقبله، يقول اللهُ تبارك وتعالى: ﴿للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[783]، فقوْلُ الله تعالى: ﴿ وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ﴾ هو رَدٌّ على كُلِّ مَن ادَّعى في الدنيا أنَّ له مِن الأمْر شيئاً.**

وهكذا الأمر في قوله عزّوجلّ: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾، أي استولى عليه بدون مُغالَبَة، وهذا لا يعني بحال أنَّ اللهَ لم يكن مُستولياً على العرش قبل ذلك، وإنما هو خبرٌ مِن باب المدح كَوْن العرش أعظمَ المخلوقات، فامتدحَ اللهُ نفسَهُ بأنه على العرش استوى، كما قال الإمام أحمد بن حنبل (راجع إن شئت ص 175).

وبنفس أسلوب المُجَسِّمَة أُوَجِّهُ كلامي إليهم، تقولون: ﴿ الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ معناه: ارتفعَ الرَّحْمنُ على العرش حِسِّياً واستَقَرَّ عليه، وهذا يعني أنَّ اللهَ استقرَّ على

---

779 سورة غافر: آية رقم 16.
780 سورة الأعراف: آية 158، سورة الفرقان: آية رقم 2، سورة الزخرف: آية رقم 85، سورة البروج: آية رقم 9.
781 سورة الزخرف: آية رقم 51.
782 سورة الانفطار: آية رقم 17 – 19.
783 سورة الروم: آية رقم 4.

العرش بعد أن لم يكن مُسْتَقِرّاً عليه. ولازمُ هذا القول هو أنَّ اللهَ قد حصلت له صفة لم تكن مِن قبل وهي التَّحَيُّز، وهذا باطل، كما تقدم بيانه في صفحة 185 - 186، فارجع إليه إن شئت. وعلى هذا فتفسيرُ الاستواء بارتفاع اللهِ الحِسّي على العرش والاستقرار عليه ضلال.

فصل

بيانُ تلبيس ابن تيمية في القول أنَّ اللهَ بذاته فوق العرش

لَمْ يَدَّخِر الشيخ ابن تيمية جُهداً في محاولة إثبات عقيدته وعقيدة طائفته المُجَسِّمَة مِن أنّ اللهَ بذاتِه فوق العرش، فاستشهد لإثبات ذلك في كتابه "تلبيس الجَهْمِيّة" بنصوص كثيرة لعلماء مشهورين، والغريبُ في الأمر أنه استشهد أيضا بأقوال علماء يُخالفونه في عقيدته، كالإمام أبي جعفر الطحاوي، والإمام أبي الحسن الأشعري والإمام أبي بكر الباقلاني والإمام أبي بكر البَيْهَقي[784] والإمام المُفَسِّر أبي عبدالله القُرْطُبي وغيرهم، ليوهم القارئ أنَّ الأئمة المذكورين يوافقونه في عقيدته مِن أنّ اللهَ بذاته مُسْتوٍ على العرش. وهذا اللفظ ، أقصد "بذاته"، لم يَرِدْ في القرآن ولا في السُّنّة، ولم يرد أيضا عن أحدٍ مِن الأئمة المذكورين. ومِن الجدير بالذِّكْر أنَّ بعضَ علماء أهل السُّنة، كالإمام أبي حامد الغزالي مثلا، أطلق على الله لفظ "فوق العرش"، أو "فوق عرشه" ولم يقصد هؤلاء بذلك أنَّ اللهَ بذاته على العرش ، بل قصدوا الفَوْقِيّة المَعنويّة، أي فَوْقِيّة الرّبوبيّة والمُلْك والقَهْر والسُّلطان، ومِن الدّليلِ على ذلك هو أنّهم نَزَّهوا اللهَ عن الحَدّ وعن المكان والجِسْمِيّة، وهذا يستلزمُ تنزيه اللهِ عن الفوقية الذّاتية على العرش.

وفيما يلي نصٌّ للإمام المُفسِّر أبي عبدالله القُرْطُبي، وبهذا النّصِّ استشهد ابن تيمية ليَدْعَم عقيدته بأنَّ اللهَ بذاته فوق العرش، وسأُبَيِّنُ إن شاء اللهُ موضع التَّلبيس فيه. ولقد اخترت

---

784 فيما يلي نصٌ يُبيّنُ **عقيدة الإمام أبي بكر البَيْهَقي**: « وفي الجملة يجب أنْ يُعلم أنَّ استواءَ اللهِ سبحانه وتعالى ليس باستواءِ اعتدال بعد اعوجاج، **ولا استقرار في مكان، ولا مُماسّة لشيءٍ مِن الأشياء**، لكنه مستوٍ على عرشه كما أخبر **بلا كيف، بلا أين**، بائنٌ مِن جميع خلقه، وأنّ إتيانه ليس مِن مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأنّ نزوله ليس بنُقلَة، وأنّ نفسَهُ ليس بجسم، **وأنّ وجهَه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحَدَقة**، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها **ونفينا عنها التّكْييف**، فقد قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾، وقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّه كُفُوًا أَحَد﴾، وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ » (مِن كتاب "الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للإمام أبي بكر البَيْهَقي، ص 56 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 658). **قوله**: "وإنما هذه أوصاف جاء بها التّوقيف فقلنا بها **ونفينا عنها التكييف**" يُظهر أن الإمام البَيْهَقي كان يأخذ بمذهب التّفويض بخصوص ما يُسمّى بالصفات الخبرية، ونَفْيُ التّكْيِيف عنها معناه نفي المعنى المفهوم منها في حق المخلوق، فمعنى اليد في حق الإنسان مثلا هو **العضو**، وفي حَقِّ الله **صفة معنوية، ليست بجارحة**، أي ليست عضوا.

هذا النَّصَّ بالذّات لشهرة تفسير الإمام القُرْطُبي مِن ناحية، ومِن ناحية أخرى لأنَّ أحدَ أئمة المساجد مِن المُجَسِّمَة استشهد أيضا بهذا النَّصِّ في حوار لي معه.

قال ابن تيمية ناقلا عن الإمام القُرْطُبي ما نصه: « وقال أبو عبدالله هذا في "تفسيره" الكبير، في قوله تعالى: ﴿ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ [سورة الأعراف: 54] **قال: هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وأجزاء، وقد بَيّنا أقوالَ العلماء فيها في (كتاب الأسنى في شرح أسماء اللهِ الحُسنى وصفاته العُلَى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً. والأكثرُ مِن المُتقدمين والمَتأخرين - يعني مِن مُتكلمي أصحابه[785]- أنه إذا وجبَ تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والحَيِّز، فمِن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المُتقدِّمين وقادتهم المتأخرين - يعني: العلماء المتكلمين أصحابه - تنزيه الباري عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يَلزمُ مِن ذلك عندهم متى اختصَّ بجهة أن يكون في مكان أو حَيِّز، ويلزمُ على المكان والحَيِّز الحركة والسّكون للمُتَحَيِّز، والتَّغَيّر والحدوث، هذا قول المتكلمين. وقد كان السَّلَفُ الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها للهِ تعالى كما نطقَ كتابه وأخبرت رسله، ولم يُنْكِر أحدٌ مِن السَّلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخَصَّ العرش بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاته، وإنما جهلوا كَيْفِيّة الاستواء، فإنه لا يُعْلم حقيقته، كما قال مالك رحمه الله: الاستواءُ معلوم والكَيْفُ مجهول والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القَدْرُ كافٍ، قال: والاستواء في كلام العرب العُلُوُّ والاستقرار وذَكَرَ كلام الجوهري في "صحاحه" وغير ذلك، هذا آخر كلام القُرْطُبي »[786]، انتهى نَقْلُ ابن تيمية.**

● **وفيما يلي كلامُ الإمام القُرْطُبي للمقارنة، كما في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، تفسير آية رقم 54 مِن سورة الأعراف،** طبعة دار الصّفا، ط1، القاهرة 2005، وكذا في طبعة دار الفكر: **« قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾** [سورة الأعراف: 54] **هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وأجزاء. وقد بَيّنا أقوال العلماء فيها في (كتاب الأسنى في شرح أسماء اللهِ الحُسنى وصفاته العُلَى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً. والأكثر مِن المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتَّحَيُّز فمِن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم مِن المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم مِن ذلك عندهم متى اختصَّ**

---

[785] ما بين الشرطتين **في هذا النَّص** هو إضافة مِن ابن تيمية.

[786] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 60 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

بجهة أن يكون في مكان أو حَيِّز، ويلزم على المكان والحَيِّز الحركة والسّكون للمُتَحَيِّز، والتَّغَيّر والحُدوث، هذا قول المتكلمين[787]. وقد كان السَّلَفُ الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها للهِ تعالى كما نطقَ كتابه وأخبرت رسله. ولم يُنْكِر أحدٌ مِن السَّلَف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخصَّ العرشَ بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاته، وإنما جهلوا كَيْفِيّة الاستواء فإنها لا تُعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواءُ معلوم - يعني في اللغة- والكَيْفُ مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القَدْرُ كافٍ، ومَن أراد زيادة عليه فلْيَقِف عليه في موضعه مِن كتب العلماء. والاستواءُ في كلام العرب هو العُلُوُّ والاستقرار. [788] ← قال الجوهري: استوى مِن اعوجاج، واستوى على ظهر دابته، أي استقَرّ. واستوى إلى السماء أي قَصَدَ. واستوى أي استولى وظَهَرَ، قال:

قد اسْتَوى بِشرٌ على العراق   مِن غير سيفٍ ودمٍ مِهراق.

واستوى الرجل أي انتهى شبابه. واستوى الشيءُ إذا اعتدل. وحكى أبو عمر بن عبدالبَر عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] قال: علا. وقال الشاعر: فأوردتهم ماء بفَيْفاء قفْرَةٍ   وقد حَلّقَ النَّجْمُ اليَمانِيّ فاستوى.

أي علا وارتفع.

قلت - أي القُرْطُبي-: فعُلُوّ اللهِ تعالى وارتفاعهُ عِبارة عن عُلُوِّ مَجْدِهِ وصِفاتِه ومَلَكوتِه، أي ليس فيما يجب له مِن معاني الجَلال أحد، ولا معه مَن يكون العُلُوّ مُشْتَرَكاً بينه وبينه، لكنّه العَلِيُّ بالإطلاق سبحانه. قوله تعالى: ﴿ على العَرْشِ ﴾ لفظٌ مُشترك يُطلقُ على أكثر مِن واحد. قال الجوهري وغيره: العرشُ سريرُ المَلِك. وفي التّنزيل: ﴿ نَكِّرواْ لَها عَرْشَها﴾ [النمل:آية 41]، ﴿ وَرَفعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ ﴾ [يوسف: آية 100]. والعرشُ سَقْفُ البيت ... وعرشُ البئر: طَيُّها بالخشب، بعد أن يُطْوى أسفلها بالحجارة قَدْرَ قامة، فذلك الخشبُ هو العرش، والجمع عروش. والعرشُ اسمٌ لِمَكّة. والعرشُ: المُلْكُ والسُّلطان، يُقال: ثُلّ عرشُ فلانٍ إذا ذهب مُلْكُه وسُلطانه وعِزُّه. قال زهير:

تداركتما عَبْساً وقد ثُلَّ عرشُها   وذُبيانُ إذ ذَلّتْ بأقدامها النَّعلُ.

---

[787] "المُتكَلِّمون" هم علماء التَّوحيد.

[788] الكلامُ مِن عند الإشارة (←) أعلاه إلى آخر النَّص قام ابن تيمية بحَذْفه ليوهم القارئ بأنَّ الإمام القُرْطُبي قال بعُلُوّ اللهِ على العرش عُلُوّاً مَكانياً !

وقد يُؤَوّل العرشُ في الآية بمعنى المُلْك، أي ما استوى المُلْكُ إلّا له جَلَّ وعَزَّ، وهو قولٌ حسن وفيه نظر، وقد بَيّناه في جملة الأقوال في كتابنا. والحمد لله. » انتهى كلام الإمام القُرْطُبي.

التّعليق: مِن مقارنة النَّصيْن مع بعضهما يَتّضح بشكل جَلِيّ مدى تَدْليس ابن تيمية وعدم أمانته في النَّقل، فقد حَذَفَ جُزْءاً مهماً مِن كلام الإمام القُرْطُبي، فيه بَيَّنَ الإمامُ القُرْطُبي قصده بعُلُوِّ اللهِ على العرش، وهو عُلُوُّ المَجْدِ والصِفات. وفيما يلي شرحُ كلام الإمام القُرْطُبي بخصوص الجهة والفَوْقِيّة على العرش، وما توفيقي إلّا بالله:

أولا: قال الإمام القُرْطُبي، كما في النَّصِّ السابق: « وقد كان السَّلَفُ الأوّل رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها للهِ تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ».

قوله: «لا يقولون بنفي الجهة» قَصَدَ بذلك لفظَ " فوق"، لأنَّ لفظَ "جهة" مُضافا إلى اللهِ تعالى لم يَرِد في القرآن ولا في السُّنة، فالسَّلَفُ الصالح أطلقوا لفظ "فوق" على الله، وكيف لا يُطلقون ذلك واللهُ يقول في كتابه المجيد: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾[789] ؟!

ولفظُ "فوق" يُراد به فَوْقِيّة الرُّتْبَة والعَظَمَة والقَهْر، وفَوْقِيّة المكان، وهذه مِن المُحال في حَقِّ اللهِ خالق المكان، فلا يَبقى إذن سوى المعنى الأول للفظ "فوق" الذي يليق بجلال الله، وهو فَوْقِيّة الألوهيّة والرّبوبيّة والعَظَمَة والرُّتْبَة والسُّلطان، وهذا ما قصده الإمام القُرْطُبي، ومِن الدَّليلِ عليه أنه قال في تفسير قول اللهِ عزّوجلّ: ﴿ ءَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَآءِ ﴾[790] ما نصه: « أي فَوْقها لا بالمُمَاسّة والتَّحَيُّز لكن بالقَهْر والتَّدْبير ... والأخبارُ في هذا الباب كثيرة صحيحة مُنتشرة، مُشيرة إلى العُلُوّ، لا يَدْفَعها إلّا مُلحِدٌ، أو جاهلٌ مُعاند. والمُرادُ بها توقيرُهُ وتَنْزيهُهُ عن السُّفْل والتَّحت، وَوصفُهُ بالعُلُوِّ والعَظَمَة لا بالأماكن والجهات والحُدود لأنها مِن صفات الأجسام ... - إلى أن قال- : وكان في أزَلِهِ قبْل خَلْقِ المكان والزَّمان، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان »[791]، وهذا الكلام في غاية الوضوح، ويُظهرُ بشكل جَلِيّ عقيدة إمامنا القُرْطُبي القائمة على تَنزيه اللهِ عن الجِسْمِيِّة والحَدِّ والجِهة والمكان. وإتماما للفائدة أوَدُّ أن أذكُرَ أيضا كلاما لإمامنا ابن حَجَر العَسْقلاني في تنزيه اللهِ عن الفَوْقِيّة المكانية، قال الإمام ابن حَجَر في كتابه "فتح الباري":

---

789 سورة الأنعام: آية رقم 18 ، 61.

790 سورة المُلك: آية رقم 16.

791 أنظر تفسير الإمام القرطبي للآية الكريمة أعلاه.

« ولا يَلزمُ مِن كَوْن جهتي العُلُوِّ والسُّفْل مُحَالٌ على اللهِ أنْ لا يُوصَفَ بالعُلُوِّ لأنَّ وصفه بالعُلُوّ مِن جِهة المَعْنى، والمُستحيل كَوْن ذلك مِن جِهة الحِسّ، ولذلك وردَ في صفته: العالي والعَلِيّ والمتعالي ولم يرد ضد ذلك وإنْ ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمًا ﴾ جَلَّ وعَزَّ»[792].

ثانيا: توضيح معنى قول الإمام القُرْطُبي: «أنه - تعالى- استوى على عرشه حقيقة، وخَصَّ العرشَ بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاته، وإنّما جهلوا كَيْفِيّة الاستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته ».

هذا النَّصُّ يجب أن يُفهم في إطار مذهب الإمام القُرْطُبي في فهم لفظ الاستواء المُضاف إلى الله تعالى: هل هو صفة فِعْلٍ أم صفة ذات. لقد فَسَّرَ الإمام القُرْطُبي، كالجمهور، الاستواءَ كصفة فِعْل، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرونَ إلآ أن يَأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ ﴾[793] ما نصه: « وكما أنَّ اللهَ أحْدَثَ فِعْلاً سَمّاه نُزولاً واستواءً كذلك يُحْدِثُ فِعْلاً يُسَمّيه إتيانا، وأفعالهُ بلا آلة ولا عِلّة، سبحانه »، وصفاتُ الفِعْلِ عندنا نحن أهل السُّنة غيرُ قائمة بذات الله - على عكس مذهب ابن تيمية -، بل في مخلوقاته، وعلى هذا يكون معنى قول الإمام القُرْطُبي «أنه استوى على عرشه حقيقة» هو أنَّ اللهَ أحْدَثَ في العَرش على الحقيقة فِعْلاً سَمّاه استواءً - كما أحْدَثَ في السّماء فِعْلا سَمّاه نُزولا -، **وهذا الاستواءُ هو عُلُوُّ مَجْدِ اللهِ وصفاته، كما قال الإمام القُرْطُبي** (راجع ص 190 إن شئت)**.**

وعُلُوُّ مَجْدِ اللهِ على عرشه مجهول الكَيْفِيّة، فلا أحد يَعلمُ حقيقته. وعُلُوُّ مَجْدِ اللهِ على عرشه ما هو إلّا عُلُوُّ وارتفاعُ ذِكْر اللهِ على العرش، ومعنى هذا هو أنَّ العرشَ بدأ يُسَبِّح، كما ذَكرتُ سابقا (ص 184)**، واللهُ أعلم، ولا أحد يَعلمُ كَيْفِيّة وحقيقة هذا التَّسبيح، قال اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لّا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ ﴾.**

- **وقول الإمام القُرْطُبي: « وخَصَّ العرشَ بذلك - أي بالاستواء - لأنه أعظمُ مخلوقاته » هو في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل في الاستواء: « وإنما خَصَّ اللهُ العرش لمعنًى فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدحَ اللهُ نفسَهُ بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. ولا يجوز أن يُقال: استوى بمُماسّة ولا بملاقاة، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا »** (راجع إن شئت ص 175)**.**

---

[792] أنظر"فتح الباري" عند شرح الحديث رقم **2995**، جزء 6 / ص 168 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

[793] سورة البقرة: آية رقم 210.

خلاصة الكلام: لقد استشهد ابن تيمية بكلام الإمام القُرْطُبي - حاذفا منه جُزءاً مهماً - ليوهم به القارئ أنَّ الإمامَ القُرْطُبي قال بعُلُوِّ اللهِ الذَّاتي على العرش واستقراره عليه، وهذا باطل كما تقدم بيانه. وهذا هو أسلوبٌ مِن أساليب ابن تيمية، حيث كان يستشهد بعباراتٍ لأئمة أهل السُّنة مقطوعة عن سياق النَّص، بها حاول خِداع عَوامّ الناس لإقناعهم بعقيدته الفاسدة، القائمة على نِسْبَة المكان والجِسْمِيّة إلى اللهِ تعالى.

فيا أخي المسلم، ويا أُختي المسلمة: عندما تقرأ، وعندما تقرأين نصوصا لابن تيمية، فيها يستشهد بعبارات لأئمة أهل السُّنة كابن جرير الطبري (صاحب التفسير)، وأبي جعفر الطّحاوي، صاحب رسالة عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وأبي حنيفة النُّعمان وأبي الحسن الأشعري وأبي بكر البَيْهَقي، وغيرهم، لإثبات الأعضاء والجِسْمِيّة لله، أو لإثبات العُلُوِّ المكاني لله على العرش، فلا تُعِر كلامه أية أهمية، وانبذه وراء ظهرك، واعلم أنّ استشهاده بنصوص علماء أهل السُّنّة هو مِن باب الخِداع ليس إلّا، ليأخذ بيدك إلى مهاوي عقيدة التَّجسيم. وتذكر قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلَّا وجْهَهُ﴾، فلو كانت لله أعضاءٌ كاليد والأصابع والعين، فسوف تفنى هذه الأعضاء ولا يبقى منها سوى عضو الوجه !! وهل يُعقل أنْ تفنى أعضاءُ الخالق - هذا إن كانت له أعضاء- ؟! بالطبع لا، وعلى هذا فلفظ الوجه المُضاف إلى اللهِ معناه ذاتُ الله، فكُلُّ شَيءٍ فانٍ سوى الله.

وتذكر أخي المسلم، وتذكري أُختي المسلمة قولَ الرسول عليه الصلاة والسلام: « وأنتَ الظاهرُ فَلَيْسَ فوقَكَ شَيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دونكَ - أي تحتكَ- شَيء »، فإذا لم يَكُن تحت الله شيء، فهو ليس فوق العرش ولا غيره فوقية مكانية، بل فَوْقِيّة الرّبوبية، فهو رَبُّ كُلِّ شيء: ﴿ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ﴾ ، وفَوْقِيّة الألوهية، فهو إلهُ كُلِّ شيء: ﴿ وَهُوَ الَّذي في السَّمآءِ إلهٌ وفي الأرض إلهٌ وَهُوَ الحَكيمُ العَليمُ ﴾، وفَوْقِيّة العَظَمَة والسُّلطان والقَهْر: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾.

واللهُ وحده الهادي إلى سواء السبيل.

فصل

عقيدة ابن تيمية في الاستواء

الشيخُ ابن تيمية، كداعية مِن دعُاة عقيدة التَّجسيم، فَسّرَ لفظَ الاستواءِ المُضاف إلى اللهِ تعالى بالعُلُوِّ الحِسّي والاستقرار على العرش، فاللهُ تعالى وِفْقَ عقيدة ابن تيمية عالٍ بذاته على عرشه ومُسْتَقِرٌ عليه. وهذا العُلُوّ، وهذا الاستقرار حدثا بحركة مِن ذات الله - سبحانه، قال ابن تيمية ذاكِراً قوْليْن للناس في العُلُوّ على العرش: « أحدهما: أنه -أي الاستواء- نِسْبَة وإضافة بينه وبين العرش مِن غير فِعْلٍ مُحْدَثٍ يقومُ بذات الرّبِّ ... والثاني: أنه استوى على العرش بعد أن لم يكن مستوياً عليه، كما دَلَّ على ذلك القرآن، والذي قال هذا يقول في استوائه إلى السَّماء ونُزوله ومجيئه وإتيانه ونحو ذلك مثلما يقول في الاستواء، وأنّ ذلك مِن أفعالِ ذاتِ اللهِ تعالى. وهؤلاء هم جمهور أهل الحديث وكثيرٌ مِن أهل الكلام والفُقهاء والصّوفية وغيرهم، وعامة كلام السَّلَف يَدُلُّ على هذا. وهذا متصلٌ بمسألة حلول الحوادث به »[794]. كلام ابن تيمية هذا يدل على أنّه فهم الاستواء بأنه صفة فِعلٍ قامت بذات الله. وقال أيضا في موضع آخر: « وأمّا إن قيل إنّ الاستواءَ فِعْلٌ، وأنه استوى عليه بعد أن لم يَكُن مُستويا، كما هو معروف مِن مذاهب السَّلَف وأهل الحديث، فهذا مبني على مسألة الحَركة وحُلول الحوادث ... وليس ذلك انقلاب في ذاتِ الله بحال »[795]. وهذا الكلام هو نَصٌّ صريحٌ مِن ابن تيمية على أنّ الاستواءَ حدث بحركة مِن الله - سبحانه -.

وقال أيضاً في موضع آخر: « فلا رَيْب أنّ وجودَ العُلُوِّ على العرش والاستواء عليه إنما هو بعد خَلْقِه، ولو قُدِّر أنَّ العالمَ أو العرش خُلِقَ في حَيِّز آخر لكان اللهُ سبحانه وتعالى عاليا عليه ومُستويا عليه حيث خُلِق »[796].

التّعليق: لقد نَسَبَ ابن تيمية القول الثاني في الاستواء إلى جمهور أهل الحديث والفقهاء والسَّلَف، أي أنَّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ الاستواءَ على العرش حدث بحركة قامت بذات الله - وكذلك الأمر بالنسبة إلى النُّزول والمَجيء والإتيان-، والحقيقة هي أنّ القول الثاني في الاستواء هو عَيْنُ مذهب المُجَسِّمَة، وإليه كان ينتمي ابن تيمية، وكَرّسَ حياته في الدفاع عنه، وفي نشره باسم السَّلَف!

---

[794] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 680 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.
[795] المرجع السابق، جزء 1 / ص 595 ، أنظر كذلك ص 433 ، 682.
[796] المرجع السابق ، جزء 1 / ص531 .

إنَّ تَجْويز قيام الحوادث (الأفعال) بذاتِ الله ليس مِن عقيدة أهل السُّنة، بل مِن عقيدة الشيعة كهشام بن الحَكَم الشيعي، ومِن عقيدة محمد بن كَرّام السجستاني وأتباعه "الكَرّامِيّة" المحسوبين على أهل السُّنّة كَوْنهم كانوا يُقرّون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وفيما يلي الدّليلُ على ذلك:

● **قال ابن تيمية في كتابه "درء التّعارض" ما نصه: « وهذا الأصل وهو القول بقيام الحوادث به هو قول هشام بن الحكم وهشام الجواليقي وابن مالك الحضرمي وعلي بن ميثم وأتباعهم »[797]، والمذكورون كانوا مِن الشيعة.**

● **وقال الإمامُ أبو منصور البغدادي عن المُبْتَدِع محمد بن كَرّام** (ت 255 هـ)**: « وزعَمَ ابن كَرّام وأتباعه <u>أنَّ معبودهم مَحَلٌ للحوادث</u>، وزعموا أنّ أقواله، وإراداته، وإدراكاته للمرئيات، وإدراكاته للمَسموعات، وملاقاته للصفحة العليا مِن العالم <u>أعْراضٌ حادثة فيه</u>[798]، وهو مَحَلٌ لتلك الحوادث الحادثة فيه »[799]. وبكل ما ذُكِر آنفاً عن ابن كرّام قال به أيضا ابن تيمية، فعندما يتكلم ابن تيمية عن السَّلَف يقصد بذلك سَلَفَه في التَّجسيم كابن كرّام وأبي سعيد عثمان بن سعيد الدّارمي وأبي بكر الخَلّال وأبي اسماعيل الأنصاري الهَرَوي، الذي جمع بين عقيدة التَّجسيم وعقيدة الإتحاد. ومِن غرائب ابن تيمية أنه كان يصف أبا اسماعيل الأنصاري "بشيخ الإسلام"، وللإنصاف أقول: أنّ ابن تيمية لم يكن راضيا عن عقيدة الإتحاد التي كان يؤمن بها شيخه في التَّجسيم أبو اسماعيل[800].**

والتّشابه الكبير بين مذهب ابن تيمية ومذهب كُلٍّ مِن هشام بن الحكم وابن كَرّام معلومٌ لدى أتباع ابن تيمية مِن ذوي العِلم والإطلاع كالشيخ محمد خليل هرّاس، حيث قال في كتابه "ابن تيمية السَّلفي" (ص 133 ، 134) ما نصه: « وجَوَّزَ قيام الحوادث بذاته سبحانه

---

[797] "درء التّعارض" لابن تيمية ، جزء 2 / ص 173 - 174 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76. وراجع إن شئت "منهاج السّنّة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 361 تحت "مسألة كلام الله"، الرأي الخامس، بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 1، 1986.

[798] قال الإمام العلّامة محمد مرتضى الزَّبيدي في تعريف الأعراض ما نصه: « الأعراض: صفات الأجسام كاللون والطّعم والرائحة والحرارة والبرودة والاجتماع والافتراق والحركة والسّكون والاختصاص بالجهات والتَّحَيُّز في المكان. والعَرَضُ لا يبقى زمانين ولا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره **وكُلّ ذلك حادثٌ مخلوق مُتَغَيِّر** »، "إتحاف السّادة المتقين" للإمام محمد مرتضى الزَّبيدي ، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152.

[799] "الفَرْقُ بين الفِرَق" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 229 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 418.

[800] قال الإمام تاج الدين عبدالوهاب السُّبْكي في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى" (جزء 4 / ص 272 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 46، ترجمة رقم **266**): « كان الشيخُ ابن تيمية مع ميله إليه يضعُ مِن هذا الكتاب، أعني "مَنازل السائرين". قال شيخنا الذهبي: وكان - ابن تيمية- يرمي أبا إسماعيل بالعظائم بسبب هذا الكتاب، ويقول: إنه مشتمل على الإتحاد »، والمقصود بالإتحاد هو أنّ الخالق هو نفس المخلوق!

تعالى الكَرَّامِيّة. وفَرّقوا كما قلنا بين الحادث والمُحْدَث[801]. فالأول عندهم: هو ما يقوم بذاته تعالى مِن الأمور المُتعلِّقة بمشيئته واختياره، وأما الثاني: فهو ما يَخلقه اللهُ عَزَّ وجلَّ منفصلا عنه. وقد تبعهم ابن تيمية في تجويز قيام الحوادث بالذّات وغلا في مُناصرة هذا المذهب والدِّفاع عنه ضد مخالفيه مِن المتكلِّمين والفلاسفة وادَّعى أنه هو مذهب السَّلَف مُستدلاً بقول الإمام أحمد وغيره: «لم يَزَل اللهُ متكلماً إذا شاء»، فإنه إذا كان كلامه تعالى، وهو صفة قائمة به، متعلقا بمشيئته واختياره، دَلَّ ذلك على جواز قيام الحوادث بذاته، لأنّ ما يتعلق بالمشيئة والاختيار لا يكون إلّا حادثا. وكُلُّ ما بين ابن تيمية والكَرّامِيّة مِن خلاف، هو أنهم يجعلون لِما يَحْدثُ في ذاته تعالى ابتداء، ويقولون إنه لم يكن متكلِّما ولا فاعلا في الأزَل ثُمَّ صار متكلِّما وفاعلا فيما لا يزال. كما أنّ ما يحدث في ذاته عندهم لا يقبل العَدَم والزّوال. ولكنّ ابن تيمية يرى أنّ اللهَ لم يَزَل متكلما إذا شاء كما أنه لم يزل فاعلا إذا شاء[802]. فكلامه قديمُ الجِنْس حادثُ الأفراد[803]. وكذلك فِعْلُه وإراداته ونحو ذلك[804] »[805]،

وقال الشيخ هرّاس أيضا (المرجع السابق، ص 100)**: « وهنا نجِدُ ابن تيمية يَمسُّ مذهب الكَرّامِيّة مَسّاً رقيقاً ولا يشتدُّ في نقده كما فَعَلَ مع الطوائف السّابقة، وذلك لموافقتهم له في كثيرٍ مِن أصول مذهبه، فقد جوّزوا، كما أسلفنا، قيام الحوادث بذاته تعالى، بل ربما كانوا أوّلَ مَن أحدث هذه المقالة في الإسلام »[806].**

● **قَوْلُ الشيخ هَرّاس: « وذلك لموافقتهم له في كثيرٍ مِن أصول مذهبه» مغالطة، بل ابن تيمية تَبِعهم في المُعتقد، فهم الأصل، لأنَّ ابن كَرّام صاحب المذهب توفي قبل ميلاد ابن تيمية بنحو 406 سنوات.**

---

[801] **الحقيقة هي أنه لا فرق بينهما، فكلاهما مخلوق.**

[802] قال ابن تيمية في **"مجموعة الرسائل والمسائل"** له: « وأما الرّبُّ تعالى إذا قيل لم يزل متكلماً إذا شاء ولم يزل فاعلا، **لم يكن دوام كونه متكلما بمشيئته** وقدرته **ودوام كونه فاعلا** بمشيئته وقدرته ممتنعا، بل هذا هو الواجب لأنّ الكلامَ صفة كمال لا نقص فيه، فالرَّبُّ تعالى أحقّ أن يتصف به مِن كُلّ موصوف بالكلام »، مجلد 1 / ص 450 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

[803] قال ابن تيمية: « والكلامُ الذي كَلَّمَ -اللهُ - به موسى مثلا هو **حادث** وإن كان **نَوْعُهُ قديماً** لم يَزَل» (**"مِنهاج السُّنّة"** لابن تيمية، جزء 2/ ص 371 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[804] قال ابن تيمية في **"مجموعة الرسائل والمسائل"** (مجلد 1 / ص 349 - 350) ما نصه: « فما مِن الإرادة والمَحبة والمشيئة والرضا والغضب والمَقت وغير ذلك مِن الأمور، **لو كان مخلوقا في غيره لم يكن الرَّبُّ تعالى متصفاً به،** بل يكون صفة لذلك المَحَل، **فإنّ المعنى إذا قام بمَحَل كان صفة لذلك المحل ولم يكن صفة لغيره** ». في هذا النَّص يُصرّحُ ابن تيمية أنّ صفة الإرادة المحبة والغضب ونحو ذلك هي أشياء مخلوقة في ذات الله ! سبحانه أن تكون صفاته مخلوقة. وابن تيمية كان يعتقد أنَّ صفات الفِعْل كالمحبة والغضب تقوم بذات الله كصفات الذّات، كالإرادة والعِلم.

[805] **المرجع**: "ابن تيمية لَيْس سَلَفِيّا" للشيخ منصور محمد محمد عويس، ص 119 - 120مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 713.

[806] المرجع السابق، ص 125.

● وقوله عن الكَرّامِيّة بخصوص تجويز قيام الحوادث في ذاتِ اللهِ أنهم « ربما كانوا أوّلَ مَن أحدث هذه المقالة في الإسلام » غير صحيح، لأنّ هشام بن الحَكَم الشّيعي (ت حوالي 187 هـ) سبق الكَرّامِيّة في هذه البِدْعة الضلالة، كما سبق بيانه (ص 195).

● وقَوْلُ الإمام أحمد - في رواية عنه مِن طريق ابنه عبدالله -: « لم يَزَل اللهُ متكلما إذا شاء » لا يَصَحُّ ذلك عنه لأنَّ جَعْلَ صفةِ الكلام للهِ مُتَوَقِّفةً على المشيئة معناه أنَّ كلامَ الله حادث، أي مخلوق، والتزامُ ذلك كُفْر. وهناك رواية ثانية عن الإمام أحمد مِن طريق الحافظ حنبل ابن إسحاق بن حنبل (ابن عمِّ الإمام أحمد)، قال ابن تيمية ناقلا عن القاضي أبي يعلى الفَرَّاء: [وذكَرَ القاضي أبو يعلى في كتابه المُسَمّى "بإيضاح البيان" هذا السؤال فقال: نقول إنه لَمْ يَزَل متكلما، وليس بِمُكَلِّم ... نَصَّ عليه أحمد في رواية حنبل فقال: «لم يزل اللهُ متكلما عالما غفورا». قال -أي أبو يعلى-: وقال في رواية عبدالله: "لم يزل متكلما إذا شاء". وقال حَنْبَل في موضع آخر: سمعت أبا عبدالله يقول: « لم يَزَل اللهُ متكلما، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق »][807].

ففي رواية الحافظ حنبل لم يقل الإمام أحمد : "إذا شاء"، أي أنه لم يَجعل صفةَ الكلامِ للهِ متوقفة على صفة المشيئة، وهذا هو الحَقّ، فصفاتُ الله غير متوقفة بعضها على بعض. فاللهُ لم يزل ولا يزال متكلما، وكلامُهُ ليس بمخلوق ولا مُحْدث.

[807] "درء التّعارض" لابن تيمية، جزء 2 / ص 74 – 75 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

فصل

عقيدة أهل السُّنّة بخصوص الحركة وقيام الحوادث بذات الله

إنّ مِن عقائد أهل السُّنة أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحركة وعن قيام الحوادث بذاته المَقدّسة، وفيما يلي أدلّة نَقليّة وعقلية تُثبت تنزيه الله عن الحركة والانتقال وقيام الحوادث بذاته تعالى:

1. قال الإمام أبو حنيفة (ت 150 هـ) **في كتابه "الفقه الأكبر": « والله لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه، لم تحدث له صفة »، قال العلّامة كمال الدين أحمد البياضي** (ت 1097 هـ) **في كتابه "إشارات المرام مِن عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين" معلقا على قول الإمام أبي حنيفة الآنف الذِّكْر ما نصه: « - الإشارة - الثانية: أنه يَمتنعُ اتِّصافُ الباري تعالى بالحادث وقيامُ الموجودِ - به تعالى- بعد العَدَم، واختاره عامة المُتكلمين، واستدلوا عليه بوجوه: الأول: أنه لو كان الحادثُ لذات الواجب - بنفسه -، أو لصفة مِن صفاته الذّاتية لَزِمَ قِدَمُه، وإلّا لزم احتياج الواجب - بنفسه - فيه إلى منفصلٍ، فلا يكون واجبا مِن جميع الجهات، هذا خُلْف.**

الثاني: أنه لو جازَ اتِّصافه بالحادث لجاز النُّقصان عليه، وهو باطلٌ بالإجماع، وجه اللّزوم: أنّ ذلك الحادث إنْ كان مِن صفة الكمال كان الخُلُوُّ عنه مع جواز الاتصاف به نَقْصاً بالاتفاق، وقد خلا عنه قبل حدوثه، وإنْ لم يكن مِن صفات الكمال امتنع اتصاف الواجب - بنفسه- به، للاتفاق على أنّ ما يَتَّصفُ به يلزم أنْ يكون صفة كمال.

الثالث: أنّ الاتصافَ بالحادث تَغَيُّرٌ، وهو على اللهِ مُحال»[808].

قَوْلُ الإمام كمال الدين: « أنَّ الاتصافَ بالحادث تَغَيُّر، وهو على الله مُحال» هو في معنى قول الإمام الشافعي (ت 204 هـ) **عن الله** عزّوجلّ**: « لا يجوزُ عليه التَّغْييرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته »[809]، وهو في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل: « واللهُ تعالى لم يَلْحَقهُ تغيّرٌ ولا تَبَدُّل، ولا يَلْحَقهُ الحدود قَبْلَ خَلْقِ العَرْشِ ولا بعدَ خَلْقِ العرش»[810]**

2. وقال الإمامُ الحافظ والفقيه أبو سليمان الخطّابي (ت 388 هـ) **ما نصه: « واللهُ تعالى لا يوصف بالحركة، لأنَّ الحركة والسّكون يتعاقبان في مَحَلٍ واحد، وإنّما يجوزُ أن يوصف بالحركة مَن يجوز أن يوصف بالسّكون، وكلاهما مِن أعراض الحَدَث، وأوصاف**

808 "إشارات المرام"، ص 100 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 65.
809 سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 152.
810 سبق ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 592.

المخلوقين، واللهُ تبارك وتعالى مُتعالٍ عنهما، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ »[811]. فالإمامُ الخَطّابي نَزَّهَ اللهَ عن الحركة، وكلامه يَدلُّ أيضا على نَفْي قيام الحوادث بذاتِ الله، وإلى ذلك أشار بقوله: « لأنَّ الحركة والسّكون يتعاقبان في مَحَل واحد» أي يقومان في نفس الذّات، والحركة والسّكون حادثان، وهما مِن الصفات القائمة بالمخلوقين، واللهُ متعالٍ عنهما، وبالتالي لا يقومان بذاته، فهو مُنَزَّهٌ عن قيام الحوادث بذاته المقدّسة.

وقال الإمامُ أبو سليمان الخطابي أيضا: «لا تَعْترضه الآفات، ولا تحُلُّه الأعْراضُ والتَّغيُّرات»[812]، وهذا نَصٌّ صريحٌ منه على تنزيه الله عن قيام الحوادث بذاته تعالى.

3. وقال الإمام أبو منصور عبدالقادر بن طاهر البغدادي (ت 429 هـ) **في كتابه "الفَرْقُ بين الفِرَق": « وأجمعوا - أي أهل السُّنة - على نفي الآفات والغموم والآلام واللّذات عنه - تعالى-، وعلى نَفْي الحركة والسّكون عنه، على خِلاف قول الهاشميّة[813] مِن الرّافضة في قولها بجواز الحركة عليه »[814]. فأهل السُّنّة نَزّهوا الله عن الحركة، وجَوَّزَ ذلك الهشامية، أتباع هشام بن الحكم الرافضي، الذي كان يقول بأنّ اللهَ « يتحرّك ويسكن ويقوم ويقعد »، كما ذَكَرَ ذلك عنه الإمام الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين"[815] ، وذَكَرَ عنه أيضا أنه كان يقول عن الله: « وأنه - أي الله - قد كان لا في مكان ثُمَّ حَدَثَ المكان بأن تحرك البارئ فحدث المكان بحركته فكان فيه، وزعم أنَّ المكان هو العرش»[816]، وقال الإمام الأشعري عنه أيضا: « فزعم هشام أنّ حركة البارئ هي فِعله الشيء، وكان يأبى أن يكون البارئ يزول مع قوله يتحرك »[817].**

إنَّ معظم ما ذُكِرَ آنفا عن المُجَسِّم هشام بن الحكم قال به أيضا ابن تيمية صراحة ونَسَبَ ذلك إلى السَّلَف، فابن تيمية قال بأنَّ اللهَ يتحرك، وقال بأنَّ مكانَ الله هو العرش، وأنَّ اللهَ يجلس. أما بخصوص القيام فقد قال به ضمنا، حيث نقل عن إمامه في التَّجسيم أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، مُقِرّاً غير مستنكر، قوله عن الله: « لأنّ الحَيَّ القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس إذا

---

[811] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ البَيْهَقي ، ص 570 -571 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[812] المرجع السابق.
[813] المقصود بذلك الهشامية، وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي (ت حوالي 187 هـ).
[814] "الفرق بين الفرق"، ص 356 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 418.
[815] "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 123 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.
[816] المرجع السابق، ص 28.
[817] المرجع السابق، ص 127.

شاء»[818]. أما بخصوص تجويز السّكون على الله فلم أقف حتى الآن على نَصٍّ صريحٍ جَوّز فيه ابن تيمية ذلك.

4. وقال الإمام ابن حَزْم الأندلسي (ت 456 هـ)**: « إنّ الحركة والسّكون مدة، والمُدَّة زمان، وقد بَيّنا فيما خلا مِن كتابنا أنّ الزّمان مُحْدَث، فالحركة مُحدَثة وكذلك السّكون، والباري تعالى لا يلحقه الحَدَث ...، فالباري تعالى غير متحرك ولا ساكن »[819].**

5. وقال الإمام الحافظ والفقيه والأصولي أبو بكر البَيْهَقي (ت 458 هـ)**: « تعالى - اللهُ - عن أن يكون مَحَلاًّ للحوادث »[820].**

6. وقال الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)**: « وأنه -تعالى- بائن عن خلقه بصفاته، ليس في ذاته سواه، ولا سواه في ذاته، وأنه مقدسٌ عن التَّغَيُّر والانتقال، لا تَحُلُّه الحوادث ولا تعتريه العَوارض، بل لا يزال في نعوت جلاله مُنَزَّها عن الزّوال »[821].**

7. وقال الإمام ابن رشد الجد (ت 520 هـ) **في "المقدمات": « ولا يجوزُ عليه تعالى ما يجوز على الجَواهِر والأجسام مِن الحركة والسّكون والزَّوال والانتقال والتَّغَيُّر والمنافع والمَضار، ولا تحويه الأمكنة ولا تحيط به الأزمنة »[822].**

8. وقال الإمام أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ) **في تعليقه على حديث النّزول ما نصه: « إنَّ الله سبحانه مُنَزَّهٌ عن الحركة والانتقال، لأنه لا يحويه مكان، كما لا يشتمل عليه زمان، ولا يَشغَلُ حَيِّزاً، ولا يدنو بمسافة إلى شيء، ولا يغيب بعلمه عن شيء، مُتقدِّسُ الذّات عن الآفات، مُنَزَّهٌ عن التَّغْيِير والاستحالات »[823].**

9. وقال الإمام الحافظ ابن الجَوْزي (ت 597 هـ)**: « والحقُّ سبحانه وتعالى لا يوصفُ بالتَّحَيُّز، لأنه إن كان مُتَحَيِّزاً لم يَخلُ إما أن يكون ساكنا في حَيِّزه، أو مُتحركا عنه، ولا**

---

[818] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 2 / ص 51 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.
[819] "الفِصَل في المِلَل" للإمام ابن حزم، جزء 2 / ص 119 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.
[820] "الإعتقاد والهدية إلى سبيل الرشاد" للإمام البَيْهَقي، ص 43 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 658.
[821] "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 26 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 209.
[822] ذَكَرَه الإمام المحدّث الكَوْثري في تعليقه على "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 372 ، حاشية رقم 1 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15 .
[823] "القَبَس في شرح موطأ ابن أنس" للإمام أبي بكر بن العربي، مجلد 1 / باب صلاة الليل، ص 272 – 273، **الناشر**: دار الكتب العلمية، بيروت 1998.

يجوزُ أن يوصف بحركة ولا سكون »[824]، وقال أيضا: « وقد سبقَ القول أنّه يستحيل على الله عزّ وجل الحركة والنُّقْلة والتَّغَيُّر »[825].

10. وقال الإمام فخر الدين الرّازي (ت 606 هـ) **في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أن يَأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ ﴾[826] ما نصه: « أجْمَع المُعْتَبَرون مِن العقلاء على أنه سبحانه وتعالى مُنَزّهٌ عن المَجيء والذَّهاب ويَدُلُّ عليه وجوه: أحدها: ما ثَبَتَ في عِلْم الأصول أنَّ كُلَّ ما يَصِحُّ عليه المجيء والذّهاب لا يَنفكُ عن الحركة والسّكون، وهما مُحْدثان، وما لا ينفك عن المُحْدَث فهو مُحْدَثٌ، فيلزمُ أنَّ كُلَّ ما يصح عليه المجيء والذهاب يجب أنْ يكون مُحْدثا مخلوقاً، والإلهُ القديمُ يستحيلُ أن يكون كذلك ... - إلى أن قال -: أنَّ كُلَّ ما يصح عليه الانتقال مِن مكان إلى مكان فهو مَحدودٌ ومُتناهٍ ... وكُلُّ ما كان كذلك فهو مُحدَثٌ مخلوق، فالإلهُ القديمُ الأزليُّ يَمتنعُ أن يكون كذلك »[827].**

11. وقال الإمام القُرْطُبي (ت 671 هـ) **في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجآءَ رَبُّكَ﴾[828] ما نصه: « واللهُ جَلَّ ثناؤه لا يوصفُ بالتَّحَوّل مِن مكان إلى مكان، وأنّى له التَّحول والانتقال، ولا مكان له ولا أوان، ولا يَجْري عليه وقت ولا زمان، لأنَّ في جَرَيان الوقت على الشَّيءِ فواتُ الأوقات، ومَن فاته شَيءٌ فهو عاجز ». وقال أيضا في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ ﴾[829] ما نصه: « فلا يُقَدَّرُ في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابْتِداء ولا انتهاء، إذ عَزّ وجَلَّ وِتْر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ ».**

12. ونَقل الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني (ت 852 هـ) **إجماعَ علماء أهل السُّنة على تنزيهِ اللهِ عن الحركة، فقال: « فمُعتقدُ سَلَفِ الأئمة وعلماء السُّنة مِن الخَلَف أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحركة والتَّحَوّل والحُلول، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ »[830].**

---

[824] "دفع شُبه التشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي، ص 130 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[825] المرجع السابق، ص 194.

[826] سورة البقرة: آية رقم 210.

[827] "تفسير الفخر الرازي"، مجلد 3 / جزء 5 / ص 229 – 230 ، طبعة دار الفكر، ط1، بيروت 1981.

[828] سورة الفجر: آية رقم 22، ومعنى الآية الكريمة هو: وجاء أمرُ رَبِّك (راجع ص 23 إن شئت).

[829] سورة الذاريات: آية رقم 49.

[830] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم 3804 ، جزء 7 / ص 157 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

13. ولقد ذكَرَ القاضي أبو يعلى (ت 458 هـ) **وابن الزاغوني** (ت 527 هـ)**، وكلاهما مِن المُجَسِّمَة، إجماعَ الأُمّة على تنزيه اللهِ عن قيام الحوادث بذاته المُقدّسة، ذَكَر ذلك عنهم ابن تيمية مُستنكرا لقولهم، حيث قال في "التِّسعينية" له ما نصه: « وقد ظَنَّ مَن ذَكَرَ مِن هؤلاء كأبي يعلى وأبي الحسن ابن الزاغوني أنّ الأُمّة قاطبة اتَّفقت على أنه لا تقوم به الحوادث. وجعلوا ذلك الأصل الذي اعتمدوه، وهذا مَبلغهم مِن العِلم، وهذا الإجماع مِن نظير الإجماعات الباطلة المُدّعاة في الكلام ونحوه، وما أكثرها... »[831].**

فابنُ تيمية رَدَّ نَقْلَ شيخيْن مِن شيوخه المُجَسِّمَة لإجماع الأُمّة على عدم تجويز قيام الحوادث بذات الله، وكأنَّ الإجماع لا ينعقدُ إلّا بمباركة وبموافقة ابن تيمية.

وقول ابن تيمية: « وهذا الإجماع مِن نظير الإجماعات الباطلة المُدَّعاة في الكلام ونحوه » هو تكذيبٌ لكُلِّ مَن نَقَلَ الإجماعَ على عدم قيام الحوادث بذات الله، وهذا يعني أيضا أنّ علماء أهل السُّنة اجتمعوا على اعتقاد الباطل! حاشاهم، بل عقيدة ابن تيمية والكَرَّامِيّة والشيعة ومنهم هشام ابن الحَكَم بخصوص تجويز قيام الحوادث في ذات الله هي الباطل بعينه.

14. وقال الشيخ منصور محمد محمد عويس في كتابه "ابن تيمية ليس سَلَفِيّا"[832] : إنَّ عبارة قيام الحوادث بذات الله تساوي في المعنى عبارة «قيام المخلوق بذات الله»، لأنّ الحادثَ مخلوق. وكُلُّ مخلوق ناقص، وقيام المخلوق (الحادث) بذاتِ الله معناه قيام النّاقص باللهِ الكامل، وهذا يعني اتِّصافُ الله الكامل بالناقص. انتهى ملخصا، وعلى هذا يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى لأنه يستحيلُ اتِّصافُ اللهِ الخالق بالنّقائص.

وأبلغُ وأحكم دليلٍ على بُطلان قيام الحوادث بذاتِ اللهِ قوله سُبحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾، والولادةُ حادثٌ كما هو معلوم، فقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ هو نفيٌ صريحٌ لقيام الحوادث والمُتَغَيِّرات في ذاتِ الله.

والحركةُ كذلك حادث، إذ لها بداية ونهاية، لهذا يستحيل أن يتَّصفَ اللهُ بالحركة، وعلى هذا يتبيّن بُطلان قول ابن تيمية السابق بخصوص تفسير الاستواء بالعُلُوِّ والاستقرار على العرش وذلك بفِعْلٍ قامَ بذاتِ الله، حيث قال، كما سبق ذِكْره (ص 194)**: «... وهذا مُتّصلٌ بمسألة حلول الحوادث به»، وقال أيضا: «وأما إن قيل إنَّ الاستواءَ فِعل، وأنه استوى عليه**

---

[831] "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية، مجلد 5 / ص 105 مِن طبعة دار المعرفة، ط 1، بيروت 1988.

[832] "ابن تيمية ليس سَلَفيّاً"، ص 132 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 713.

بعد أن لم يكن مستويا، كما هو معروف مِن مذاهب السَّلف وأهل الحديث، فهذا مبني على مسألة الحركة وحلول الحوادث». والمقصود بمذاهب السّلَف عند ابن تيمية طائفته المُجَسِّمَة.

فصل

ابن تيمية يَدّعي بأنَّ اللهَ يَمسُّ عرشه، ويُجَوِّز مماسته للنّجاسات والشياطين

لقد فَسّرَ ابن تيمية الاستواء على العرش بمعنى الجلوس عليه، كما سبق ذِكْره (راجع إن شئت ص 163، 164). ومِن لوازم الاستقرار أو الجلوس على العرش المُماسّة، واللهُ مُماسٌّ لعرشه على مذهب ابن تيمية، حيث قال: « وليس في مَماسَّته للعرش ونحوه محذور كما في مماسّته لكُلِّ مخلوق مِن النّجاسات والشياطين-!- وغير ذلك، فإنَّ تنزيهه عن ذلك إنما أثبتناه لوجوب بُعدِ - هذه - الأشياء عنه، ولكونها ملعونة مطرودة، لم نُثْبته لاستحالة المُماسّة عليه، وتلك الأدلة مُنتفية في مُماسّته للعرش ونحوه، كما رُوِيَ في مَسِّ آدمَ وغيره، وهذا جواب جمهور أهل الحديث وكثير مِن أهل الكلام »[833].

التَّعليق: في النَّصِّ أعلاه صَرَّح ابن تيمية بمذهبه بخصوص الاستواء على العرش، وهو: 1. أنّ اللهَ مُماسٌ للعرش - وذلك لجلوسه عليه -. وهذا هو عين مذهب هشام بن الحَكَم الرافضي، قال الإمام الأشعري عنه: « وقال هشام بن الحَكَم أنّ رَبَّه في مكان دون مكان وأنّ مكانه هو العرش، وأنه مُماسٌّ للعرش، وأنّ العرشَ قد حواه وحَدّه»[834].

- **والمُماسة بين اللهِ والعرش هو أيضا مذهب طائفة مِن فِرْقة الكَرّامِيّة المُجَسِّمَة، حيث أنّ «منهم مَن قال إنه - أي الله – مُلاقٍ للعرش، ومنهم مَن قال إنه مباين عنه ببعد مُتناهٍ، ومنهم مَن قال إنه مباين عنه ببعد غير متناهٍ، وهذا القول يتفق أنّ بَيْنَ اللهِ وبين العرش بعداً غير متناهٍ »، ذَكَرَ هذا الكلام عنهم ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجهميّة"[835] .**
- **والمُماسّة للعرش هو أيضا قولُ طائفة مِن مُجَسِّمَة الحنابلة، قال أبو عبدالله بن حامد الورّاق** (ت 403 هـ) **ما نصه: « الاستواءُ مُماسّته وصفة لذاته، والمُراد به القعود »[836]،**

---

[833] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 866 - 867 ، أنظر كذلك ص 1395 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194 .

[834] "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 125 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 198.

[835] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 578 .

[836] ذَكَرَ ذلك عنه الإمام ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التّشبيه"، ص 128 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

وقال أيضا: « هو على العرش بذاته، مُماسٌّ له، وينزل مِن مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل»[837].

2. جَوّزَ ابن تيمية المُماسّة بين اللهِ الخالق وبين النّجاسات والشياطين، ولكنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن مَسِّ هذه الأشياء لأنها ملعونة مطرودة فقط، وليس لأنّ ذلك لا يجوز في حَقِّ الله. أما العرشُ وآدم عليه السلام فلا محذور أن يَمسّهما الله، كان هذا مذهب ابن تيمية.
ومسألةُ مَسيس اللهِ لآدم عليه السلام هي مِن عقائد المُجَسِّمَة، قال شيخُ أهل التَّجسيم أبو سعيد عثمان بن سعيد الدّارمي في رَدِّه على بِشر المَريسي المُعْتَزلي: « فأكّدَ اللهُ تعالى لآدم الفضيلة التي كَرَّمَه وشرَّفه بها، وآثره على جميع عباده، إذ كُلّ عباده خلقهم اللهُ بغير مسيس بيد، وخَلَقَ آدمَ بمسيس »[838]. قوْلُ أبي سعيد الآنف الذِّكْر يُبطله قوْلُ الله الحقّ: ﴿إنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فيكونُ ﴾[839]. وهذا نصٌّ صريحٌ على أنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدم عليه السلام بقوله له: كن، وليس بمسيس يد، كما افترى أبو سعيد الدّارمي، وفي ذلك تبعه ابن تيمية.

3. ادّعى ابن تيمية أنّ تجويز مُماسّة اللهِ للمخلوقات هو مذهب جمهور أهل الحديث وكثيرٌ مِن أهل الكلام، وادعاؤه هذا باطل، بل هو مذهب المُحَدِّثين مِن طائفته المُجَسِّمَة، الذين يُطلَقُ عليهم في الكتب اسم "الحَشَوِيّة"[840] احتقارا لهم، كأبي سعيد عثمان بن سعيد الدّارمي (ت 280 هـ)، **الذي جَوّزَ استقرار اللهِ على ظهر بعوضة[841]، وأبي بكر الخَلّال** (ت 311 هـ)، **ومِن طريقه رُوِيَ كتاب "الرّدّ على الجَهْمِيّة" المنسوب كذبا إلى الإمام أحمد، وابن مَنْدَه الأصبهاني** (ت 395 هـ)، **الذي كان يقول بأنَّ الجنّة مَسْكنُ الله[842] - ولم يعترض على ذلك ابن تيمية في كتابه "تلبيس الجهمية-.**

---

[837] "دفعُ شُبَهِ التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي، ص 197 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

[838] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية جزء 2 / ص 1398 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[839] سورة آل عمران: آية رقم 59. **تنويه**: قولهُ تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ﴾ معناهُ هنا صَوَّرهُ وجعلهُ مِن تُراب، ﴿ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن ﴾، فصار آدمُ عليه السلام بشراً حيّاً. فكلمة "خَلْق" تعني هنا التّصوير والتَّشكيل- واللهُ أعلم - وذلك كما في قوله تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام : ﴿ أنّيَ **أخْلُقُ** لَكُم مِّنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأنفُخُ فيهِ فَيَكونُ طَيْراً بإذْنِ اللهِ﴾، والمعنى: أني أُشَكِّلُ وأُصَوِّرُ مِن الطين على هيئة الطير، فأنفخ في هذه الصورة المعمولة مِن الطين فتصبح طيراً حيّاً بإذن الله. أو قد يكون المقصود بقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ﴾ الإخبارُ عن أنّ خِلقةَ آدم عليه السلام كانت مِن عُنصر التُّراب، واللهُ أعلم. وكلمة "خلق" تعني أيضا إيجاد الشيء، مِن شيءٍ آخر كإيجاد ناقة صالح عليه السلام مِن الصّخر، أو إيجاده مِن العَدَم، ﴿إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾.

[840] "المِلَل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، مجلد 1/ جزء 1 / ص 139 مِن الكتاب المشار إليه في الحاشية رقم 18.

[841] قال أبو سعيد الدّارمي: « **ولو قد شاء** - اللهُ - **لاستقرّ على ظهر بعوضة، فاستقلّت به** - أي رفعته- **بقدرته ولطف ربوبيّته** » ("تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 435). ما بين الشرطتين إضافة للتوضيح.

[842] راجع "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 18 ، 569 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

وهنالك مُحَدِّثون، بل أئمة في عِلم الحديث، مُنزِّهون لله عن الجِسْمِيّة ولوازمها كالإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) **والإمام البخاري** (ت 256 هـ) **والإمام مسلم** (ت 261 هـ) ، **والإمام التِّرْمِذيّ** (ت 279 هـ)، **والإمام أبي حاتم ابن حِبّان البُسْتي** (ت 354 هـ) **والإمام أبي سليمان الخطّابي** (ت 388 هـ)، **والإمام أبي بكر البَيْهَقي** (ت 458 هـ)، **والإمام أبي بكر الخطيب البغدادي** (ت 463 هـ)، **وغيرهم كثير.**

● **أما قَوْلُ ابن تيمية: « وكثير مِن أهل الكلام...»، أي أنهم كانوا يُجَوِّزون مُماسّة الله للمخلوقات، فهو تلبيسٌ على الأنام، لأنّ أهل الكلام مِن الكُلّابِيّة، أصحاب الإمام أبي عبدالله بن سعيد القَطّان بن كُلّاب، والأشاعرة، أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري، والمُعْتَزِلة والخوارج مُنزِّهون لله عن الجِسْمِيّة ولوازمها كالحدّ والتركيب والمُماسّة.**

ومِن أهل الكلام أيضا مُجَسِّمَة، وهم قِلّة إذا قورنوا بغيرهم، ولا قيمة لأقوالهم عندنا نحن أهل السُّنة، كمقاتل بن سليمان (ت 150 هـ)، **الذي كان يقول أنَّ اللهَ على صورة إنسان، ومحمد بن كرّام السجستاني (ت 255 هـ)، الذي كان يدّعي بأنَّ اللهَ مَحَلٌ للحوادث، وأنه لم يكن متكلماً ثُمَّ تَكَلّم، وهشام بن الحكم الشيعي** (ت 187 هـ)، **الذي كان يقول أنّ مكانَ اللهِ على العرش، وأنّ العرشَ قد حَدّه وحواه.**

وعلى هذا، فقول ابن تيمية أنّ مذهبَ جمهور أهل الحديث وكثير مِن أهل الكلام تجويز المماسّة بين الخالق والمخلوق قولٌ باطل وقلبٌ للحقائق.

فصل

ابن تيمية يدّعي أنّ حَمَلة العرش يحملون الله

لقد فَسَّرَ معظم المُجَسِّمَة الاستواء على العرش باستقرار الله عليه (أي بالجلوس عليه)، ثُمّ اختلف هؤلاء: هل حَمَلةُ العرش يحملون اللهَ الخالقَ كونه مُستقرّاً عليه، أم لا يحملونه؟ قال الإمام الأشعري في "مقالات الإسلاميين"[843] : « واختلفت الرّافضة في حَمَلة العرش، هل يحملون العرشَ أم يحملون البارئ عَزَّ وجَلَّ، وهم فرقتان: فرقة يُقال لها اليونسيّة أصحاب يونس بن عبدالرحمن القُمِّي[844] مولى آل يقطين: يزعمون أنّ الحَمَلة يحملون البارئ، واحتج يونس في أنَّ الحَمَلة تُطيقُ حَمْلَهُ وشَبَّههم بالكركي وأنّ رِجليه تحملانه وهما دقيقتان، وقالت فرقة أخرى: أنّ الحَمَلة تحمل العرشَ والبارئُ يستحيل أن يكون محمولا».

كان هذا قوْلُ مُتقدِّمي الشيعة، وفيما يلي قوْلُ المُجَسِّمَة المحسوبين على أهل السُّنة:

قال أبو سعيد عثمان بن سعيد الدّارمي موجها كلامه إلى بِشر المَريسي: « فيُقال لهذا البَقْبَاق النَّفاخ: إنَّ اللهَ أعظمُ مِن كُلِّ شيء، وأكبرُ مِن كُلِّ خَلْق، ولم يحمله العرش عِظَما ولا قوة، ولا حَمَلة العرش حَمَلوهُ بقوتهم، ولا استقلوا بعرشه ولكنّهم حَمَلوهُ بقُدْرته. وقد بَلغَنا أنهم حين حملوا العرش وفَوْقَه الجَبّارُ في عِزّته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا، وجَثَوا على ركبهم حتى لُقِّنوا لا حول ولا قوة إلّا بالله فاستقلوا به - أي رفعوه- بقدرة الله وإرادته، ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحَمَلة، ولا السّماوات والأرض ولا مَن فيهن، ولو قد شاء لاستَقَرَّ على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيّته، فكيف على عرش عظيم أكبر مِن السماوات والأرض؟ ... - إلى أن قال -: أفلا تدري أيها المُعارض أنّ حملة العرش لم يحملوا العرش ومَن عليه بقوتهم وشدة أسرهم إلّا بقوة الله وتأييده؟!»، كلامُ أبي سعيد الآنف الذِّكْر استشهد به ابن تيمية كدليلٍ "سَلَفيٍّ" للبرهنة على أنّ حَمَلة العرش يحملون الله[845].

التّعليق: 1. صَرّحَ أبو سعيد في كلامه أعلاه أنَّ اللهَ فوق العرش فوقية مكانيّة، بمعنى أنه مستقرٌ عليه، ومِن لوازم الاستقرار على العرش المُماسّة بين الله وعرشه، وبهذا قال أيضا ابن تيمية ونسب ذلك إلى جمهور أهل الحديث كما سبَق ذِكْره.

---

[843] "مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري، ص 30 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 198.
[844] مِن الشيعة الإماميّة المُشبِّهة، ت 208 هـ.
[845] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 435 – 436 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

2. وادّعى أبو سعيد ضمنا أنّ لذات الله ثِقلا، لهذا عجزت الملائكة عن حمله وحمل العرش حتى لُقِّنوا: لا حول ولا قوة إلّا بالله. وهذا التّصور الفاسد في ذاتِ اللهِ مصدره الاعتقاد الباطل بأنَّ اللهَ جسم، ومِن لوازم الجسم الثِّقل - ولقد تقدم إبطال عقيدة التجسيم والأعضاء في ص 89 وما بعدها-.

وروايةُ عَجْزِ حملةِ العرش عن حَمْلِ اللهِ وعرشه هي من رواية أبي سعيد المذكور أعلاه مِن طريق عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح. هذا الأثر إسناده مردود، فعبدالله بن صالح هو الجُهَني، أبو صالح المصري (137 هـ - 222 هـ)، **قال علي ابن المديني عنه: ضَرَبتُ على حديث عبدالله بن صالح وما أروي عنه شيئا، وقال النَّسائي عنه: ليس بثقة، وقال أحمد بن حنبل عنه: ليس هو بشيء، وعلاوة على ذلك مُتَّهمٌ بالكَذِب: قال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل: « وسمعت أبي ذَكَره يوما فذمّهُ وكَرِهَهُ، وقال: إنه روى عن اللّيث، عن ابن أبي ذِئب كتابا أو أحاديث، وأنْكَرَ أن يكون اللّيثُ سمع مِن ابن أبي ذِئب شيئاً»[846].**
فإسناد هذا الأثر الذي استشهد به المُجَسِّم أبو سعيد الدّارمي تالف، ومتنه مُنكر لأنه ينسبُ المكانَ إلى اللهِ خالق المكان والزّمان، فهذا الأثر مردود.

3. وجَوَّزَ أبو سعيد أيضا استقرارَ اللهِ على ظهر بعوضة! وليس هذا فحسب، بل أنّ البعوضة قادرة على رفع الله بقدرته. وهذا الهذيان مِن أبي سعيد ما هو إلّا نتيجة طبيعية لتأثير عقيدة التَّجسيم على عقله.

4. وقول شيخ التَّجسيم أبي سعيد: « ولكنهم حملوه بقدرته ... ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ... أفلا تدري أيها المُعارض أنّ حَملة العرش لم يحملوا العرش ومَن عليه بقوتهم وشدة أسرهم إلّا بقوة الله وتأييده » هو نصٌّ صريحٌ منه على أنّ حَمَلة العرش يحملون الله! وبهذه العقيدة أخذ أيضا ابن تيمية، حيث عَقَدَ في كتابه "تلبيس الجهمية" فصلا مستقلا في مسألة حَمَلَة العرش: هل يحملون الله أم لا ؟ فقال: « للناس[847] في حَمَلة العرش قولان: أحدهما: أنّ حَمَلة العرش يحملون العرش ولا يحملون مَن فوقه... »[848]، وهذا هو قول طائفة مِن فرقة الكَرّامِيّة، حيث أثبتوا لله عُلُوّاً حِسِّيّاً على العرش ولكن دون

---

[846] راجع ترجمة عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجُهَني، أبو صالح المصري في "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ المزِّي، ترجمة رقم 3336 ، مجلد 15 / ص 98 وما بعدها مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 683.

[847] **قوله**: "للناس" هو تلبيس، والصحيح: للمُجَسِّمَة، لأنّ فقط المُجَسِّمَة (واليهود والنّصارى) اعتقدوا - وما زالوا يعتقدون - أنّ اللهَ مُستقرٌ على العرش - سبحانه -.

[848] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 434 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

مُماسّة، فعلى عقيدتهم: الحَمَلة يحملون العرش ولا يحملون الله، وهذا أيضا قول فرقة مِن الرافضة، كما سبق ذِكْره.

ثُمّ ذَكَرَ ابن تيمية القول الثاني، فقال: « والثاني أنهم يحملون العرشَ ومَن فَوْقه كما تقدم حكاية القولين »[849]، وهذا هو مذهب المُجَسِّمَة مِن الدرجة الأولى، الذين يجوِّزون المُماسّة بين اللهِ والمخلوق. ثُمَّ قال ابن تيمية على لسانهم موضحا ومُقِرّاً أنَّ كَوْن الحَمَلة يحملون اللهَ لا يعني هذا أنه محتاجٌ إليهم: « لا نُسَلِّم أنّ العرشَ وحَمَلته إذا كانوا حاملين للهِ لَزِمَ أنْ يكون اللهُ محتاجا إليهم، فإنَّ اللهَ هو الذي يَخْلُقهم ويَخلقُ قواهم وأفعالهم، فلا يحملونه إلّا بقدرته ومعونته، كما لا يفعلون شيئا مِن الأفعال إلّا بذلك، فلا يحملُ في الحقيقة نفسَه إلّا نفسُه»[850].

ابن تيمية يُصرّح في النَّصِّ أعلاه أنّ العرشَ وحَمَلته يحملون الله، ومع ذلك فاللهُ غير محتاج إليهم، وبعبارة أخرى: المخلوقُ يحملُ الخالق، دون أن يكون الخالقُ محتاجا إلى المخلوق، لأنّ المخلوقَ يحمل اللهَ بقدرته ومعونته، وفي حقيقة الأمر: اللهُ يحملُ نفسَه وهو جالس على العرش! هذه هي عقيدة الشيخ ابن تيمية الذي كان يؤكد دوما في كتبه أنه لا يَصِفُ اللهَ إلّا بما وصفَ به نفسَه وبما وصفَهُ به رسولُه. ولا يوجد في كتاب اللهِ ولا في سُنّة رسوله أنَّ اللهَ يحملُ نفسَه بنفسه، وأنّ حَمَلة العرش يحملون الله، وأنّ اللهَ جائزٌ أن يَمسّ النَّجاسات والشياطين! ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾.

---

[849] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 434 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[850] المرجع السابق، جزء 1 / ص 434.

فصل

أدلة ابن تيمية على وجود الله على العرش

لقد استشهد ابن تيمية بآيات كريمة وأحاديث نبويّة لِيُبَرهِن أنَّ اللهَ موجودٌ على العرش، قال ابن تيمية في "مجموعة الرسائل والمسائل" له: « إنّ القرآنَ والسُّنَن المُستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتّابعين بل وسائر القرون الثلاثة مملوءٌ بما فيه إثباتُ العُلُوِّ للهِ على عرشه بأنواع مِن الدّلالات، ووجوه مِن الصفات، وأصناف مِن العبارات، تارة يُخبر أنه خَلَقَ السماوات والأرض في سِتة أيام ثُمّ استوى على العرش. وقد ذُكِرَ الاستواءُ على العرش في سبعة مواضع. وتارة يُخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقوله تعالى:﴿ بل رَّفَعَهُ اللهُ إليْهِ ﴾[851] ، ﴿ إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ ﴾[852] ، ﴿ تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إليْهِ ﴾[853] ، وقوله - تعالى-: ﴿ إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[854]»[855].

واستشهد أبو سعيد الدّارمي لإثبات الحَدّ لله وبأنه في السّماء، كما نقل ذلك عنه ابن تيمية مستحسنا غير مستنكر، بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾[856] - وقد تقدم القول في تفسير ذلك -، وبقوله تعالى: ﴿ ءَأمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ ﴾[857] ، وبقوله تعالى: ﴿يَخافونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[858] ، وبقوله تعالى: ﴿ إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ ﴾ ، وبقوله تعالى: ﴿ إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾، وبالحديث: «إنَّ اللهَ فوق عرشه فوق سماواته »، وبحديث الجارية، الذي جاء فيه: « أين الله؟...».

بالآيات السابقة الذِّكْر – وبغيرها - يستشهد المُجَسِّمَة في كُلِّ عصر للاستدلال على وجود الله بذاته فوق العرش، غير مراعين في فهمها لأساليب اللغة العربية. فكُلُّ لفظ وَرَدَ مضافا إلى الله الخالق يفهمون معناه كما يفهمونه في حَقّ المخلوق! وكما سبق ذِكره في صفحة 30 قال ابن تيمية: « فكذلك لَمّا وصفَ نفسَه أنّه خلقَ آدمَ بيديه لَم يوجب ذلك أنْ يكون ظاهرهُ غيرَ مُراد، لأنّ مفهوم ذلك في حقّه كمفهومه في حقّنا »، ومفهومُ لفظِ اليد في حقّنا

---

851 سورة النساء: آية رقم 158.
852 سورة آل عمران: آية رقم 55.
853 سورة المعارج: آية رقم 4.
854 سورة فاطر: آية رقم 10.
855 "مجموعة الرسائل والمسائل"، مجلد 1 / ص 200 – 201 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.
856 سورة طه: آية رقم 5 .
857 سورة المُلك: آية رقم 16.
858 سورة النحل: آية رقم 50.

هو العُضْو (الكَف)، ومفهومه في حقّ اللهِ أيضا العُضو على مذهب ابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة. وكذلك الأمر في الآيات الكريمة السابقة، فهم يفهمون منها أنّ اللهَ بذاته فوق العرش! كيف هذا وقد ورد في الحديث الصحيح أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «وأنت الظاهرُ فليس فوقكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونكَ شيء »[859]، فإذا لم يكن تحته شيءٌ فهو إذن ليس فوق العرش، ولا فوقَ غيرِه فَوْقيّة مكانيّة، بل فوقية ربوبيّة وسُلطان وعَظَمة وسِيادة.

وفيما يلي تفسير الآيات الكريمة المذكورة سابقا في ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ وقوله تبارك وتعالى اسمه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾، واللهُ وليُّ التّوفيق:

1. قولهُ جَلّ ثناؤه عن عيسى عليه السلام: ﴿ ومَا قَتَلوهُ يَقينًا، بل رَّفَعَهُ اللهُ إليْهِ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ﴾.

إضافة عيسى عليه السلام إلى اللهِ تعالى لا يعني أنَّ اللهَ بذاته في السّماء أو فوقها أو فوق العرش، بل هو مِن باب التَّشريف له، وإظهاراً لمنزلته الرَّفيعة. وهذا الأسلوب مألوفٌ في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، كقوله سُبحانه وتعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[860]، فأضافَ اللهُ الكعبة إليه لتشريفها وإبرازا لمكانتها الدينية الخاصة، ولا تعني الآية بحال أنَّ اللهَ حالٌّ في الكعبة. وكذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ ناقَةُ اللهِ ﴾[861]، فكُلُّ شيءٍ هو مُلْكٌ لله وليس فقط ناقة الرسول صالح عليه السلام، وإنما أضافها اللهِ إليه تكريما لها كمعجزة، إذ أنّ اللهَ خلقها مِن الصَّخر كما هو معلوم، سبحانه: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾[862].

ولكنّ المُجَسِّمَة، ومنهم شيخا التَّجسيم أبو سعيد الدارميّ وابن تيمية، يستدلون بقوله تعالى: ﴿ بل رَّفَعَهُ اللهُ إليْهِ ﴾ على وجود اللهِ فوق العرش استقراراً ! كيف هذا وعيسى عليه السلام موجود في السماء الثانية وليس على العرش؟! فسُبحان اللهِ مُقسِّم العقول ومُقلِّب القلوب.

2. قال اللهُ العَليُّ الأعلى، خالق المكان والزّمان: ﴿ تَعْرُجُ المَلآئِكَةُ والرُّوحُ إليْهِ ﴾، قال الإمام ابن بطّال (ت 449 هـ) في تفسير هذه الآية: « وقد تَقَرَّرَ أنَّ اللهَ ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يَستقرُّ فيه، فقد كان ولا مكان، وإنّما أضافَ المِعراجَ إليه إضافة تشريف »[863].

---

859 سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

860 سورة الحج: آية رقم 26.

861 سورة الأعراف: آية رقم 73 ، وسورة هود: آية رقم 64.

862 سورة يونس: آية رقم 31 ، سورة الروم: آية رقم 19.

863 أنظر "فتح الباري"، عند شرح الأحاديث برقم **7429** – **7433** ، جزء 13 / ص 512 – 513 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

3. قال اللهُ الذي ليس فوقه شيءٌ وليس تحته شيء: ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وأيضا بهذه الآية يستشهد المُجَسِّمَة على عُلُوِّ الله المكاني وبأنه فوق العرش، قال الشيخ الوهابي ابن عُثَيْمين في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: « والكَلِمُ الطيّبُ يشملُ كل كلمة يُتَقرَّب بها إلى الله، كقراءة القرآن والذِّكْر ...والعملُ الصالح يرفعه اللهُ إليه أيضا. فالكلمات تصعد إلى الله، والعمل الصالح يرفعه، وهذا يَدُلُّ على أنّ اللهَ عالٍ بذاته، لأنّ الأشياءَ تصعد إليه وتُرفع »[864]. كان هذا تفسيرُ شيخٍ مُجَسِّمٍ مِن القرن الخامس عشر الهجري، وهو موافق لتفسير سَلَفِه في عقيدة التَّجْسيم كابن تيمية وأبي سعيد الدّارمي وابن القَيِّم الجَوْزِيّة. وفيما يلي تفسيرُ أئمة أهل السُّنّة:

أولا: قال الإمام الصحابي الجليل ابن عباس (ت 68 هـ) رضي الله عنهما **في تفسير الآية الكريمة السابقة: « الكلامُ الطَّيِّبُ ذِكْرُ اللهِ تعالى، والعملُ الصالحُ أداءُ فرائضه، فَمَن ذَكَرَ اللهَ تعالى ولم يؤد فرائضَه رُدَّ كلامه على عمله فكان أولى به »[865].**

ثانيا: وأخرج الإمام البَيْهَقي بإسناده عن الإمام مجاهد بن جبر (ت 104 هـ) **قوله في تفسير الآية الكريمة الآنفة الذِّكْر، قال: « العملُ الصالحُ هو الذي يَرفعُ الكَلِمَ الطيِّب »[866]، وقال الإمام البَيْهَقي عقب ذلك مباشرة: « قلت: صعودُ الكَلِم الطيّب والصدقة الطيّبة إلى السماء عِبارة عن حُسن القبول لهما »[867].**

ثالثا: وقال الإمام أبو زكريا الفَرّاء (ت 207 هـ)**: « أنّ العملَ الصالح يرفعُ الكلامَ الطيِّب، أي يُتَقَبّل الكلامُ الطيِّب إذا كان معه عملٌ صالح »[868].**
وهذا التّفسير، وكذا تفسير الإمام مجاهد، موافقٌ لمفهوم الآية أعلاه مِن ناحية قواعد اللغة العربية: فكلمة: ﴿والعَمَلُ﴾ في الآية جاءت مرفوعة، لأنها فاعل، والهاء في كلمة ﴿ يَرْفَعُهُ﴾ تعود على ﴿الكلم﴾ ، فالعملُ الصالح هو الذي يرفعُ الكلامَ الطَّيِّبَ، أي الذِّكْرَ.

رابعا: وقال الإمام الحافظ والنّحويّ والمُفَسِّر أبو حيّان (ت 745 هـ) **في تفسير الآية الكريمة المذكورة: « وصعودُ الكلام إليه تعالى مَجازٌ في الفاعل وفي المُسَمّى إليه، لأنه تعالى ليس**

---

864 "شرح العقيدة الواسطيّة"، ص 321 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 124.

865 رواه عنه بإسناده الإمام الحافظ البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 536 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15، والإمام ابن جرير الطَّبَري في تفسيره.

866 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 536 – 537 ، أُنظر كذلك إن شئت تفسير الإمام ابن جرير الطَّبَري.

867 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي ، ص 537 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

868 "فتح الباري" للإمام ابن حجر العسقلاني، عند شرح الأحاديث برقم **7429 – 7433**، جزء 13 / ص 512 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

في جهة، ولأنَّ الكَلِمَ ألفاظٌ لا توصفُ بالصُّعود، لأنَّ الصُّعودَ يكون مِن الأجرام، وإنما ذلك - أي معنى الآية - كِناية عن القَبُول، ووصْفُهُ بالكمال، كما يُقال: عَلا كَعْبُهُ وارتفعَ شأنه، ومنه: ترافعوا إلى الحاكم ورُفِعَ الأمر إليه، وليس هناك عُلُوٌّ في الجهة »[869].

4. قال اللهُ تعالى خالق السماوات والأرض: ﴿ءَأَمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾، كلامُ اللهِ هذا يعتبره المُجَسِّمَة دليلا واضحا على أنَّ اللهَ مُستقرٌ على عرشه! فيقولون: ﴿في السَّمَآءِ﴾ معناه على السماء، فكلمة "في" تعني أيضا "على"، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى مُخبراً عن فرعون: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذوعِ النَّخْلِ ﴾[870]، أي عليها. وعلى السماء تعني عندهم: فوق العرش، لأنَّ العرش فوق السماوات.
وجواب ذلك كُلّه كالآتي واللهُ المُوَفِّق: كلمة "في" الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذوعِ النَّخْلِ ﴾ هو تعبيرٌ لإظهار المبالغة في الانتقام.
والمقصود مِن قوله تبارك وتعالى**: ﴿ ءَأَمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ ﴾ هو الله، وجاء التَّعبيرُ عنه تعالى بـ ﴿ مَّن في السَّمَآءِ ﴾ كِناية عن رِفْعَةِ الشّأن والعَظَمَة، وهذا معلوم مِن اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآن الكريم، كالقول: فلانٌ في السماء، للدلالة على عُلُوِّ منزلته.**

قال الإمام النَّوَوي ناقلا عن الإمام القاضي عِياض (ت544 هـ) **ومُقِرّاً له عند شرح "حديث الجارية" ما نصه: « لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومُحَدّثهم ومُتكلّمهم ونُظَّارهم ومُقلّدهم أنَّ الظواهرَ الواردة بذِكْرِ اللهِ تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل مُتَأَوّلة عند جميعهم »[871].**
وقال الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني ناقلا عن الإمام الكِرماني ومُقِرّاً له: « قال الكِرماني: قوله ﴿في السَّمَآءِ﴾ ظاهرهُ غيرُ مُراد، إذ اللهُ مُنَزَّهٌ عن الحُلول في المكان، لكن لَمّا كانت جهة العُلُوّ أشرف مِن غيرها أضافها إليه إشارة لعُلُوِّ الذّات والصفات، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الواردة في الفَوْقِيّة ونحوها »[872].
وعلى هذا أقول: قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ ﴾ فيه إضمار، والكلمة المُضْمَرة هي إله، فيكون معنى الآية: ءَأَمِنتُم إلهَ مَن في السماء، وهو الله، وهذا المعنى موافق

---

[869] تفسير أبي حِيّان: "البحرُ المحيط في التفسير"، جزء 9 / ص 18 – 19 مِن طبعة دار الفكر، بيروت 1992.
[870] سورة طه: آية رقم 71.
[871] "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي" للإمام النَّوَوي، جزء 3 / ص 1809 (مِن طبعة دار الفكر، ط1 ، بيروت 1996)، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان مِن إباحته، عند شرح الحديث رقم **537**.
[872] أنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، باب 22: وكان عرشه على الماء، عند شرح الحديث رقم **7418**، جزء 13 / ص 508 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

لقولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ الّذي فـي السَّمآءِ إلـهٌ وفـي الأرضِ إلـهٌ ﴾[873]، وكذلك لقولـه جَلّ ثناؤُه: ﴿وَهُوَ اللهُ في السَّماواتِ وفي الأرْضِ ﴾[874]، أي وهو المعبود - وليس الموجود بذاته - في السّماوات وفي الأرض. قد يقول قائل: اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ليس فقط إلهَ مَن في السماء، بل وإله مَن في الأرض أيضاً، فلماذا خَصَّ اللهُ ضمنا ذِكْرَ أُلوهيّته في السّماء دون الأرض في قوله: ﴿ءَأمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ ، وجوابه، وما توفيقي إلّا بالله: إنَّ الآية الكريمة تشتمل على التَّهديد، وأنّ هذا التهديدَ مِن الله مُوَجّهٌ إلى سكان الأرض، وفيهم مَنْ هو مؤمن، وأكثرهم فاسقون، وسكان السّماء، وهم الملائكة، كُلُّهم مؤمنون، وهم أشدُّ بأساً وبطشاً مِن سكان الأرض، ولا يعصون للهِ أمْراً، فالتَّهديدُ بإلههم، وهو الله، يكون أبلـغُ وأكثر رَهْبَة، واللهُ أعلم.

5. قال اللهُ تعالى المُنزّهُ عن أن يحُلَّ في أو على مكان: ﴿ يَخافونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلونَ ما يُؤْمَرونَ ﴾[875]، ولا دلالـة ولا حتى إشـارة في كـلام الله هذا على أنَّ اللهَ موجـودٌ فوق العرش، ومعنى الآية الكريمة هو: يخافون، أي الملائكة، رَبَّهم، ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ هو كِناية عن فَوْقِيَّة الأمر والسِّيادة، وليس فَوْقِيّة المكان. وكذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾[876]، قال الإمام أبو زكريا الفَرّاء في تفسير هذه الآية الكريمة: « كُلُّ شَيءٍ قَهَرَ شيئاً فهو مُستعلٍ عليه »[877]، فالفَوْقِيّة في هذه الآية الكريمة هي فَوْقِيّة القَهْر وليست فَوْقِيّة المكان. وقال الإمام القُرْطُبي (ت 671 هـ) **في تفسير هذه الآيـة الكريمـة : « ومعنى ﴿ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾ فَوْقِيّة الاستعلاء بالقَهْر والغَلَبَة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فَوْقِيّـة مكـان، كما تقول السُّلطان فوقَ رعيّته أي بالمنزلة والرِفْعَة »[878].**

6. قال اللهُ المَنّان، المُتَفَضِّلُ على عباده بإيحاء كلامه لنَبيِّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ إنّا نَحْنُ نَزَّلنا الذِّكْرَ وَإنّا لهُ لَحافِظونَ ﴾[879]. الذِّكْرُ هو القرآن الكريم، وهو كلامُ الله، ومعنى الآية الكريمة هو: أنّ اللهَ أوْحَى القرآنَ الكريم وتَكَفَّلَ بحفظه مِن التَّحريف، وهذا رأي المُجَسِّمَة أيضا، ولكنهم وللأسف يستشهدون بهذه الآية الكريمة لإثباتِ وجود الله في السماء، فيقولون: لفظ

---

[873] سورة الزخرف: آية رقم 84.
[874] سورة الأنعام: آية رقم 3.
[875] سورة النحل: آية رقم 50.
[876] سورة الأنعام: آية رقم 18 ، وآية رقم 61.
[877] ذَكَرَ ذلك عنه بإسناده الإمام البَيْهَقي في "الأسماء والصفات"، ص 530 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.
[878] أنظر تفسير الإمام القُرْطُبي للآية رقم 18 مِن سورة الأنعام، مجلد 3 / ص 1881 مِن طبعة دار الفكر، بيروت 1999.
[879] سورة الحجر: آية رقم 9.

﴿نَزَّلنا﴾ يدلُّ على أنَّ اللهَ في جهة فوق، أي في السماء، لأنَّ النُّزول يكون مِن مكان مرتفع إلى مكان منخفض. وهذا فهم سقيم، فلفظ نَزّلنا وأنزَلنا في القران الكريم - وفي اللغة العربية- لا يعني بالضرورة نُزولا حِسّيّاً، والدّليلُ على ذلك هو قوْلُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَأنْزَلْنا الحَديدَ فيهِ بَأسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ﴾[880]، وكما هو معلوم لدى أصحاب العقول السّليمة أنَّ مَعدنَ الحديد لا يَنزل مِن السماء، بل يُستخرج مِن باطن الأرض.

ولفظ "وأنزلنا" في الآية الكريمة الآنفة الذِّكْر معناه: وخلقنا -الحديد-، وهو كِناية عن الإنعام والتَّفَضُّل. ولكن كان للشيخ ابن تيمية رأيٌ آخرُ مُخالفٌ لذلك - كالمعتاد - ، فمِمّا قاله في تفسير الآية الآنفة الذِّكْر في أثناء رَدِّه على الإمام الرّازي الذي استشهد بالآية السابقة للاستدلال على أنَّ لفظَ النُّزول لا يعني بالضرورة نُزولا حِسِّيّا، قال ابن تيمية: « -الوجه- الثاني: أنَّ مِن النّاس مَن قد روى أنه قد ينزلُ مِن السّماء حديد »[881] !! وقد يكون مِن الناس مَن روى أنه قد ينزل كذلك ذهب وفضة ونحاس.

● ويقول اللهُ المُنعمُ على عباده بِنَعمه: ﴿ وأنْزَلَ لَكُم مِّنَ الأنْعامِ ثَمانِيةَ أزْواجٍ ﴾[882]، وأيضا هنا لا يعني لفظ "وأنْزَلَ" أنَّ الضَأنَ والماعز والإبل والبقر قد نزلت مِن السماء أو مِن مكان مرتفع، بل معناه هنا: وخَلقَ - كما في الآية الكريمة السابقة -، وعُبِّرَ عن ذلك بلفظ "وأنزل" كِناية عن التَّفضل بالنِّعَم والعَطايا، والدّليلُ على ذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً ومِنَ الأنْعامِ أزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فيهِ ﴾[883]، فكلمة "جَعَلَ" تعني في هذه الآية الكريمة: خَلَقَ، فاللهُ خَلقَ لنا مِن أنفسنا أزواجا، والدّليلُ على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً لِّتَسْكُنوٓاْ إليها﴾[884]، فاللهُ خَلَقَ لنا مِن أنفسنا أزواجا، وكذلك خَلَقَ لنا مِن الأنعام أزواجا: مِن الضأن اثنين، ومِن الماعز اثنين، ومِن الإبل اثنين، ومِن البقر اثنين.

فكلمة "أنزَلَ" في قوله تعالى: ﴿ وأنْزَلَ لَكُم مِّنَ الأنْعامِ ثَمانِيةَ أزْواجٍ ﴾ مرادفة لكلمة "جَعَل" في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً ومِنَ الأنْعامِ أزْواجاً ﴾، وكلمة "جَعَلَ" مرادفة لكلمة خَلَق في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً

---

[880] سورة الحديد: آية رقم 25.

[881] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 1028 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[882] سورة الزمر: آية رقم 6.

[883] سورة الشورى: آية رقم 11.

[884] سورة الروم: آية رقم 21.

لِّتَسْكُنوآْ إليها ﴾، وجاءت كلمة "وأنزل" بدلا مِن كلمة وخَلق كِناية عن الإحسان والتَّفضل بالعطاء، فالذي يُعطي هو فوق الذي يأخذ ـ طبعا فوقية معنوية وليست مكانية ـ.

وبنـاءً علـى ذلـك، قـوْلُ اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ إنّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ ﴾ هـو نفـس معنـى قولـه سُبحانه وتعالى: ﴿إنّآ أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ للنّاسِ بالحَقِّ﴾[885]، وهو نفس معنى قوْلِ اللهِ العَليّ الأعلى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[886]، وهو نفس معنى قول اللهِ خالق العرش المجيد: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾[887]، وهو نفس معنى قول اللهِ خالق الأمكنة والجهات: ﴿إنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ﴾[888]، وهو نفس معنى قول اللهِ خالق الظُّلمات والنّور: ﴿إنّآ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ﴾[889]، وهو نفس معنى قول اللهِ المُتَفَضِّل على عباده بإيحاء كلامه إلى رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هذا القُرْآنَ ﴾[890].

فلفظ نزّلنا وأنزلنا وجعلناه معناه أوْحَيْنا، وهو كِناية عن عُلُوِّ الرّبوبيّة والألوهيّة والسِّيادة والعَظَمَة، ولا يعني بحال أنَّ اللهَ في جهِة فوق، أو في السَّماء أو جالسٌ على العرش ـ سُبحانه ـ.

وكذا الأمرُ في كُلِّ آية أو حديثٍ وَرَدَ فيه لفظ "فوق" أو "على" أو "نَزل" أو "صعد" مُضافا إلى الله تعالى، خالقِ المكان والزّمان، لا يعني البَتّة أنَّ اللهَ في جهة فوق أو مُتَحَيِّزٌ أو على العرش بذاته. مثال: أَخْرَجَ الإمام الحافظ البَيْهَقي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَن تَصَدّقَ بعِدْل تَمْرة مِن كَسْب طَيِّب ـ ولا يَصْعَدُ إلى الله تعالى إلّا الطَّيِّبُ ـ[891] فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقبلها بيمينه[892] فَيُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبّي أحَدُكُم فَلْوَه حتى تكون مِثل أُحُد »][893].

---

[885] سورة الزمر: آية رقم 41.
[886] سورة الشورى: آية رقم 7.
[887] سورة الرعد: آية رقم 37.
[888] سورة الزخرف: آية رقم 3 .
[889] سورة يوسف: آية رقم 2.
[890] سورة يوسف: آية رقم 3.
[891] ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.
[892] **اليمين هنا كِناية عن حُسن القبول.**
[893] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 536 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

فقوْلُ الرسول ﷺ: « ولا يَصعدُ إلى اللهِ تعالى » هو تَعبيرٌ عن قبول الصدقة الطيّبة مِن اللهِ العَليّ، ذي العَظَمَة والرِفْعَة والسِّيادة والسُّمُو، ولا يعني قوله ﷺ أنَّ اللهَ بذاته فوق العرش.

وهكذا الأمر في قوله ﷺ: « ألا تَأمَنونني وأنا أمينُ مَن في السّماء »[894]، فلفظ في السّماء في حَقِّ اللهِ يَدلُّ على عُلُوِّ الرُّتبة والسُّلطان والعَظَمَة، ولا يعني بحال أنَّ الله موجودٌ في السماء لأنَّ ذلك يُفيدُ التَّحَيُّز والحَصْر، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك.

ويستشهد المُجَسِّمَة أيضا بحديث : « الرّاحمون يَرْحَمُهم الرّحمنُ، إرحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَن في السماء »[895] للاستدلال على وجود الله في السماء. وهذا الحديث ضَعيف، لأنّ في سَنَدِه أبا قابوس وهو ضعيف، قال عنه الإمام ابن حَجَر العسقلاني في كتابه "تهذيب التّهذيب" ما نصه: « ذَكَرَهُ البخاري في الضُّعفاء مِن الكبير له، ولكنه ذَكَره في الأسماء فقال قابوس، وقال صاحب الميزان -أي الذهبي-: لا يُعْرَف »[896]، وبغضِّ النَّظر عن ذلك، فلفظ "في السماء" هو كِناية عن عُلُوِّ الشَّأنِ كما تقدم بيانه. ولقد ثبت عن الرسول ﷺ في الصحيحين قوله: « مَن لا يَرحم النّاسَ لا يرحمه اللهُ »[897]، وهذا الحديث يُوضّح معنى الحديث السابق.

واللهُ وحده الهادي إلى سواء السبيل.

---

[894] أخرجه البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 531 – 532 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[895] أخرجه الإمام البَيْهَقي في "الأسماء والصفات"، ص 534 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[896] "تهذيب التهذيب"، للإمام ابن حَجَر العسقلاني، رقم الترجمة **8649** ، جزء 12 / ص 182مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1994.

[897] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2319**. وروى الإمام البخاري في صحيحه (برقم **6013**) أنّ الرسولَ ﷺ قال: « مَن لا يَرحمُ لا يُرحَمُ »، وروى أيضا برقم **(7376)** أنَّ الرسول ﷺ قال: « لا يَرحمُ اللهُ مَن لا يرحَمُ الناس».

فصل

حديث الفَوْقِيّة على العرش وحديث الجارية

كما سبق ذِكْرُه استشهد أبو سعيد الدّارمي وابن تيمية بالحديث: « إنَّ اللهَ فوق عرشه فوق سماواته »، وبحديث الجارية لإثبات وجود الله في السماء وفوق العرش، مع أنَّ الرسول ﷺ قال: « وأنت الظاهرُ فليس فوقكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونكَ شيء»[898] ، فإذا لم يكن شيء فوقه، وليس تحته شيء، فهو موجود بلا مكان.

أولا: حديث: « إنّ اللهَ فوق عرشه فوق سماواته »:

قال ابن تيمية ناقلاً عن إمامه في التَّجْسيم أبي سعيد الدّارمي ومُقِرّاً له: « وقال - أي أبو سعيد- في كتابه[899]: حَدّثني محمد بن بشار بُنْدار، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق يُحَدِّثُ عن يعقوب بن عتبة، عن جُبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ اللهَ فوق عرشه فوق سماواته فوق أرضه مِثْل القُبّة - وأشار النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبّة - وإنه ليَئِطُّ به أطيط الرَّحل بالرّاكب »[900].

بهذا الحديث التّالف السّنَد، والمُنْكر المَتْن استشهد أبو سعيد الدّارمي، وبه اقتدى ابن تيمية، للافتراء بأنّ اللهَ مُستقرّ على عرشه. وهذا الحديث أخرجه أيضا الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" بطرق مختلفة، ورواه أيضا الإمام أبو داود في سُننه (برقم 4726) وحَكَمَ عليه الشيخ الألباني بالضَّعف، إذن هذا الحديث مردود، وبيان ذلك كالآتي، واللهُ وليُّ التّوفيق:

قال الإمامُ البَيْهَقي مُعلقاً على الحديث السابق: « وهذا حديث يَنفردُ به محمد بن إسحاق بن يسار عن يعقوب بن عتبة، وصاحبا الصحيح لم يحتجا به، إنما استشهد مسلم بن الحجاج بمحمد بن إسحاق في أحاديث معدودة، أظنهنّ خمسة قد رواهنّ غيره، وذَكَرَه البُخاري في الشواهد ذِكْراً مِن غير رواية، وكان مالك بن أنس لا يرضاه، ويحيى بن سعيد القَطّان لا يَرْوي عنه، ويحيى بن معين يقول: ليس بحجة، وأحمد بن حنبل يقول: يُكتبُ عنه هذه الأحاديث - يعني المغازي ونحوها - فإذا جاءَ الحلالُ والحرام أردنا قوما هكذا -

---

[898] سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

[899] أي "النَّقْض على بِشر المَريسي"

[900] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 436 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

يُريد أقوى منه -، فإذا كان لا يُحْتَجُّ به في الحلال والحرام فأولى أن لا يُحْتَجَّ به في صفات الله سبحانه وتعالى، وإنّما نقموا عليه في روايته عن أهل الكتاب، ثُمَّ عن ضُعفاء الناس وتدليسه أساميهم، فإذا روى عن ثقة وبَيّنَ سماعه منهم فجماعة مِن الأئمة لم يروا به بأسا، وهو إنّما روى هذا الحديث عن يعقوب بن عتبة، وبعضهم يقول عنه: عن جبير بن محمد بن جبير ولم يُبَيّن سماعه منهما، واختلف عليه لفظه »[901].

إذن: كَيْف يَعتَمِدُ ابن تيمية على حديث راوٍ حاله عند علماء الجَرْح والتَّعديل كما وُصِفَ آنفا لإثبات استقرار اللهِ على العرش؟! الحقيقة هي أنَّ ابن تيمية كان يقبل أيضاً أحاديث ضعيفة ومنقطعة لإثبات صفات لله، مع أنه ادّعى في عقيدته الواسطيّة أنه لا يقبل إلّا الأحاديث الصحيحة!

وقَوْلُ الإمام البَيْهَقي: «واختلف عليه لفظه» هو إشارة إلى رواية الإمام يحيى بن معين ورواية يعقوب بن سفيان الفارسي، حيث جاء في روايتيهما: « أتدري ما الله؟ إنّ عرشه على سماواته وأرضيه لهكذا - وأشار بأصابعه مثل القُبّة- عليها »[902]، ولم يَجِئ فيهما: إنَّ اللهَ على عرشه، فالأحرى بطبيعة الحال اعتماد روايتيهما لأنهما موافقتان لصحيح النَّقل ولصريح العقل، وذلك لما صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ قوله: « وأنتَ الظاهرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وأنتَ الباطنُ فَلَيْسَ دُونكَ شيء »[903]، فإذا لم يكن فوق الله شيءٌ وليس تحته شيءٌ فهو موجود بلا مكان، وقال الرسول ﷺ: « كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه »، وهذا نَصٌّ صريحٌ على أنّ اللهَ لم يَزَل ولا يزال مُنَزّها عن المكان، لأنَّ اللهَ لو تَحَيَّز بعد خلقِهِ العرش لأصبحَ محدوداً، كَوْنُ العرشِ محدوداً، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾، ومعناه أنه لا بداية ولا نهاية له، والذي ليس له بداية ولا نهاية فهو غير محدود، وهذا موافق أيضا لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، فكُلُّ مولود حادث، له بداية ونهاية، وكُلُّ حادثٍ مخلوق، وكُلُّ مخلوق محدود ومُتَحَيِّز لا مَحالة، فقوله تعالى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هو نَفْيٌ صريحٌ للحَدِّ والمكان عن الله، فاللهُ سُبحَانه وَتَعَالَى موجودٌ بلا مكان، نؤمن بذلك دون السؤال بكيف.

[901] "الأسماء والصفات" للبيهقي، ص 528، **الكلام ما بين الشرطتين في النص أعلاه هكذا في النسخة المطبوعة.**

[902] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 527 – 528 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[903] سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

ثانيا: حديث الجارية

حديث الجارية تَوَكَّأ عليه المُجَسِّمَة القُدامى، ويَستدلُّ به المُجَسِّمَة المعاصرون - كالوهابيين وغيرهم- لإثبات المكان لله في السماء، أي على العرش. قال ابن تيمية ناقلا عن إمامه في التَّجْسيم أبي سعيد الدّارمي ومُقِرّاً له: [وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمَة السّوداء: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» فقول الرسول صلى الله عليه وسلم إنها مؤمنة دليلٌ على أنها لو لم تؤمن بأنَّ اللهَ في السّماء لم تكن مؤمنة][904].

الرَّد: قوْلُ المُجَسِّم أبي سعيد: «أنها لو لم تؤمن بأنَّ اللهَ في السّماء لم تكن مؤمنة» معناه أنَّ الأمَة لو كانت تؤمنُ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِر ولم تؤمن بأنَّ اللهَ في السماء، فإيمانها باطلٌ على مذهب أبي سعيد، وهذا مذهبٌ ساقطٌ لا عِبرة به لأنه يُخالفُ مفهوم الإيمان كما ذَكَرَه الرسول عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام عندما سأله عنه، حيث قال صلى الله عليه وسلم: « الإيمانُ أن تؤمن باللهِ وملائكته وبلقائه ورُسُله وتؤمن بالبعث »[905].

وابن تيمية اقتدى بإمامه أبي سعيد، فاستشهد أيضا بحديث الجارية مرارا لإثبات وجودِ اللهِ في السماء وعلى العرش، فقال: [وعن أبي هريرة أنَّ رجلا أتى النَّبيّ صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء عَجَميّة، فقال: يا رسول الله، عَليَّ عِتقُ رقبة مؤمنة. فقال لها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ <u>فأشارت</u> إلى السماء بإصبعها السَّبابة، فقال لها: مَن أنا؟ <u>فأشارت</u> بإصبعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء، أي أنت رسول الله، فقال: أعتقها. رواه أحمد في "مُسْنَده"[906] والبرقي في "مسنده" أيضا. ورواه ابن خزيمة في "التّوحيد"[907] وقد اشترط فيه ألّا يَحْتَجُّ فيه إلّا بحديث صحيح[908]، وإسنادهُ عن <u>يزيد بن هارون</u>: أخبرنا المسعودي عن عون بن عبدالله عن أخيه عبيدالله بن عبدالله عن أبي هريرة مثله وقال: بجارية سوداء لا تُفصِح، فقال: إنَّ عليّ رقبة مؤمنة. وقال لها رسول الله

---

[904] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 374 ، وأيضا ص 558 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[905] "صحيح البخاري"، رقم الحديث **50**، أنظر كذلك الحديث رقم **4777**، ورواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **8**.

[906] أنظر "مُسند الإمام أحمد بن حنبل"، حديث رقم **7906** بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مجلد 13 / ص 285 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349.

[907] قال الحافظ ابن خزيمة: « حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا **يزيد** بن هارون، قال: أخبرنا **المسعودي** عن **عون** بن عبدالله -في النسخة المطبوعة عن عوف، وهو خطأ مطبعي- عن أخيه **عبيدالله** بن عبدالله عن **أبي هريرة** رضي الله عنه، قال: جاء رجل ... » الحديث أعلاه، "كتاب التوحيد" لابن خزيمة، ص **123** بتعليق محمد خليل هراس، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 145.

[908] ولكنه لم يلتزم بذلك، وأيضا ابن تيمية ادعى في "العقيدة الواسطية" له أنه لا يقبل إلّا الأحاديث الصحيحة، ولم يلتزم بذلك أيضا.

صلى الله عليه وسلم: مَن ربُّك؟ فأشارت بيدها إلى السماء، ثُمَّ قال: مَنْ أنا؟ فقالت بيدها ما بين السّماء والأرض، تعني رسول الله، والباقي مثله[909]. ورواه أيضا مِن حديث أبي داود الطيالسي عن المسعودي بهذا الإسناد مثله[910] ، وقال أيضا: بجارية عَجْماء لا تُفصِح، وقال: أعتقها، وقال: فقال المسعودي مرة «أعتقها فإنها مؤمنة»، وقد روى نحو هذا المعنى عن عبيدالله بن عبدالله الزُّهْريُّ مُسْنَداً عن أبي هريرة ومُرْسلا، ورواه الإمام أحمد وابن خزيمة أيضا مِن حديث مَعْمَر عن الزُّهْريّ، عن عبيدالله بن عبدالله عن رجل مِن الأنصار «أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله، إنَّ عليّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة، فأعتقها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أني رسول الله؟ قالت نعم. قال: أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، قال: أعتقها»[911]. رواه مالك عن ابن شهاب -الزُّهْريّ- عن عبيدالله عن النبيّ مرسلا[912].

قال ابن خزيمة: لست أُنْكِر أن يكون خبرُ مَعْمَر ثابتا صحيحا، لست بمنكر لمِثل عبيدالله بن عبدالله أن يروي خبراً عن أبي هريرة عن رجل مِن الأنصار لو كان مَتْنُ الخبر متنا واحدا، فكيف وهما متنان، وهما في عِلمي حديثان لا حديث واحد: حديث عون بن عبدالله في الإمتحان، إنما أجابت السوداء بالإشارة لا بالنطق. وفي خبر الزُّهْريّ أجابت السوداء بنطق (نعم) بعد الإستفهام لَمّا قال لها: «أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟»، في الخبر قالت (نعم)، وكذلك عند الإستفهام قال لها: «أتشهدين أني رسول الله؟» قالت (نعم) نُطقا بالكلام، والإشارة باليد ليست كالنطق بالكلام، وفي خبر الزُّهْريّ زيادة الإمتحان بالبعث بعد الموت لَمّا استفهمها: « أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟»، وهذا الذي قاله ابن خزيمة يُحققه

---

[909] هذه رواية **ثانية** مِن طريق **المسعودي** أخرجها ابن خزيمة بإسناده في "كتاب التوحيد"، ص 123، قال ابن خزيمة: [حدثنا **بحر بن نصر**، قال حدثنا **أسدُ** – يعني ابن موسى – **السُّنّة**، قال: حدثنا **المسعودي بهذا الإسناد** مثله، وقال: بجارية سوداء لا تُفصح، فقال: إنّ عليّ رقبة مؤمنة، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **مَن ربك؟ فأشارت** بيدها إلى السماء، ثم قال لها: مَن أنا؟» فقالت بيدها ما بين السماء إلى الأرض - تعني رسول الله-، والباقي مثله].

[910] وهذه رواية **ثالثة** مِن طريق **المسعودي** أخرجها ابن خزيمة بإسناده في "كتاب التوحيد"، ص 124، قال ابن خزيمة: [حدثنا **محمد بن مَعمَر**، قال: حدثنا **أبو داود**، قال: حدثنا **المسعودي**، قال: أخبرني **عون** بن عبدالله بن عتبة بهذا الإسناد **مثله**، وقال أيضا بجارية **عجماء لا تُفصح**، وقال: أعتقها، وقال: فقال المسعودي مرة: أعتقها فإنها مؤمنة].
قوله: "مثله"، أي مِثل المَتْن السّابق، وفيه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم الجارية: **مَن رَبُّك**.

[911] رواه الإمام أحمد في مُسنده، برقم **15743**، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349، وابن خزيمة في "كتاب التّوحيد"، ص 124، ورواه **أيضا** الإمام عبدالرزاق بن هَمّام الصنعاني في "**المُصنّف**" برقم **17125** ، مجلد 9 / ص 95 - 96 بتحقيق أيمن نصرالدين الأزهري، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2000.

[912] أنظر "الموطأ" للإمام مالك بن أنس، حديث رقم **627** ، كتاب العِتق والولاء، باب ما يجوز مِن العتق في الرقاب الواجبة، ص 478 بإعداد وتحقيق محمد عبدالرحمن المرعَشلي، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2003.

أنّ هذا الحديثَ رواه القاضي أبو أحمد العَسّال في كتاب "المعرفة" له مِن حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولهذا يُقال: إنه حديث حسنٌ صحيح][913]، انتهى كلام ابن تيمية.

الرَّد: حديث "الأين" يتشبث به المُجَسِّمَة لإثبات وجود الله في السماء، وما يتشبثون إلّا بخيوط العنكبوت. وروايات "الأين" التي ذَكَرها ابن تيمية وأبو سعيد الدّارمي - ويتناقلها أيضا مُجَسِّمَة العَصْر كالوهابيين وغيرهم - باطلة، وفيما يلي بيان ذلك وما توفيقي إلّا باللهِ خالقِ السماء والعرش وكُلِّ شيء:

روى الإمام أحمد والبرقي مِن طريق المَسعودي عن أبي هريرة أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام سأل جارية سوداء عجميّة «أينَ الله» لاختبار إيمانها! فأجابت بالإشارة - لأنها كانت خرساء -. ثم ذَكَر ابن تيمية أنّ ابن خزيمة روى حديثا مِن طريق يزيد بن هارون عن المسعودي وأيضا عن أبي هريرة، فيه سأل الرسول عليه الصلاة والسلام جارية سوداء لا تُفصح: «مَن ربُّك؟» لاختبار إيمانها، فأجابت بالإشارة، وروى ابن خزيمة أيضا هذا الحديث مِن طريق أبي داود الطَّيالسي عن المَسعودي وأيضا عن أبي هريرة. ففي روايتين، وكلاهما مِن طريق المسعودي عن عون بن عبدالله عن أخيه عبيدالله بن عبدالله عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جارية لا تُفصِح «مَن ربّك؟»، فأجابت بالإشارة لأنّ آلة النطق عندها كانت معطّلة، أي أنها كانت خرساء، وهذا هو معنى "لا تُفصِح".

ويقابل هاتين الروايتين ثلاث روايات، وأيضا مِن طريق المسعودي عن عون بن عبدالله عن أخيه عبيدالله بن عبدالله عن أبي هريرة، فيها سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جارية سوداء عجميّة: «أين الله؟»، فأجابت بالإشارة.

وهذه الروايات الخمس هي في الحقيقة حديثٌ واحد فقط، لأنها رُوِيَت مِن طريقٍ واحدٍ، أي مِن طريق المسعودي كما هو مُبين في السَّنَد السابق. وهذا الحديث الواحد وردنا بلفظين: بلفظ: أين الله؟ وبلفظ : مَن رَبُّك؟ والرسول عليه الصلاة والسلام إنمّا قال لفظا واحدا فقط: إمّا أين الله؟ وإمّا مَنْ رَبُّك؟ إنّ لفظ «أين الله» لا يصح عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان ذلك كالآتي واللهُ المُوَفِّق:

---

[913] "تلبيس الجهميّة" لإبن تيمية، جزء 1 / ص 774 – 775 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

1. المَسعودي (ت 160 هـ)، **وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود، كان قد اختلط بأَخَرَة: « وقال محمد بن عبدالله بن نُمَيْر: كان ثقة، فلما كان بأَخَرَةٍ اختلط، سَمِعَ منه عبدالرحمنُ بن مهدي، ويزيدُ بن هارون أحاديثَ مُختَلَطة »[914].**

وروايات "الأين" الثلاث المذكورة آنفا مِن طريق المسعودي رواها عنه يزيد بن هارون، ولا بد أنْ يكون المسعودي قد رواها في حال اختلاطه، ومِن الدّليل عليه أنّ روايتي «مَن ربُّك» هما أيضا مِن طريق المسعودي، ولكن رواهما عنه أسد بن موسى (ويُقال له: أسد السُّنّة، ت 212 هـ**) وأبو داود الطَّيالسي** (ت 204 هـ)**، وكلاهما ثقة -وأيضا باقي الرواة ثقات[915]-: أسد بن موسى قال عنه البخاري: « مشهور الحديث ... وقال النسائي: ثقة»[916].**

أما أبو داود الطيالسي فهو إمام ثقة وحافظ متقن: « وقال جعفر الفِرْيابيّ، عن عمرو بن علي: أبو داود ثقة. وقال علي بن المديني: ما رأيت أحداً أحفظ مِن أبي داود الطيالسي. وقال عمر بن شَبَّة: كتبوا عن أبي داود بأصبهان أربعين ألف حديث وليس معه كتاب... وقال عمرو بن علي: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: أبو داود الطيالسي أصدق الناس»[917]، وعلى هذا فروايات "أين الله" مِن طريق يزيد بن هارون عن المسعودي مردودة لأنّ المسعودي رواها في حال اختلاطه[918]، فالثّابتُ عنه رواية «مَن رَبُّك» مِن طريق أسد بن موسى وأبي داود الطيالسي.

وعلاوة على ذلك: روى الإمام أبو داود السجستاني (ت 275 هـ) **في سُنَنِه الحديث الآنف الذِكْر بلفظ «أين الله» مِن طريق المسعودي عن عون بن عبدالله عن أبيه عبدالله بن عتبة، وليس عن أخيه عبيدالله، كما في رواية ابن خزيمة، وهذا الحديث حَكَم عليه الشيخ محمد**

---

[914] أنظر "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ المِزِّيّ، رقم الترجمة **3872** ، مجلد 17 / ص 224 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

[915] **بَحر** بن نصر، هو بحر بن نصر بن سابق الخَوْلانيّ، أبو عبدالله المصري (ت 267 هـ)، **وَثّقَه** يونس بن عبدالأعلى وعبدالرحمن بن أبي حاتم (أنظر "تهذيب الكمال" للحافظ المِزِّي، رقم الترجمة **641** ، مجلد 4 / ص 16. **ومحمد** بن مَعْمَر، هو محمد بن معمر بن رِبعْي القيسي، أبو عبدالله القيسي (ت بعد 250 هـ)، ذَكَرَه ابن حِبّان في كتاب "الثقات"، **وَوَثّقه** النَّسائي، وقال أبو حاتم عنه: صدوق، وقال أبو داود: ليس به بأس (أنظر **"تهذيب الكمال"**، رقم الترجمة **5621** ، مجلد 26 / ص 485 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

[916] أنظر "تهذيب الكمال" للحافظ المِزّي، رقم الترجمة **400** ، مجلد 2 / ص 513 .

[917] "تهذيب الكمال"، رقم الترجمة **2507** ، مجلد 11 / ص 405 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

[918] لقد حَكَم الشيخ شعيب الأرنؤوط على إسناد حديث الجارية بلفظ أين الله في "مسند الإمام أحمد بن حنبل" مِن طريق يزيد بن هارون عن المسعودي عن عون بن عبدالله **بالضعف** لاختلاط المسعودي، أنظر "مسند الإمام أحمد" ، مجلد 13 / ص 285 ، حديث رقم **7906** مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349.

ناصر الدين الألباني بالضعف[919]، لاختلاط المسعودي، حيث أشار الألباني هناك إلى مختصر العلو 81 / 2 . فروايات "أين الله" من طريق المسعودي باطلة.

2. وكيف يسأل الرسول ﷺ الجارية « أين الله » لاختبار إيمانها وهو يُنَزِّهُ الله عن الأين؟! هذا مُستحيل، قال الرسول ﷺ: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقَتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرش على منكبه، وهو يقول: "سُبْحانك أين كنت وأين تكون" » ، رواه الإمام أبو يعلى الموصليّ في مُسْنَده بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه **[920].**
قَوْلُ المَلَكِ: «سبحانك أين كنت» هو تنزيهٌ لله عن المكان في الأزل، «وأين تكون» هو تنزيهٌ لله عن المكان في الحاضر والمستقبل، أي أبداً.

● وقال الرسولُ ﷺ: « وأنتَ الظاهرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وأنتَ الباطنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شيء»[921]، وهذا نَصٌّ صريحٌ مِن رسول الله ﷺ على تنزيه الله عن المكان، فإذا كان الرسول ﷺ يُنَزِّهُ اللهَ عن المكان (الأين) فمستحيل أن يَختبر إيمان الجارية بسؤالها عن مكان الله. والمُوافق لصحيح النَّقل وصريح العقل هو سؤالها بـ « مَن رَبُّك؟ »، وهذا ما حدث بالفعل، ففي رواية أسد بن موسى ورواية أبي داود الطيالسي، وكلاهما عن المسعودي مِن طريق أبي هريرة، سأل الرسول ﷺ جارية لا تُفصِح «مَن ربّك؟» ، فأجابت بالإشارة إلى السّماء، لأنها كانت خرساء، والإشارة إلى السّماء لا تعني أنّ اللهَ موجودٌ فيها أو مُستقرٌ على العرش كما يتوهم المُجَسِّمَة ، بل هي كِناية عن عَظَمَةِ الخالق وسُمُوّهِ وعُلُوِّ شأنه، كما تقدم شرحه في قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَآءِ ﴾ (راجع إن شئت ص 212)**.**

3. كما هو معلوم مِن عِلْم مُصْطلح الحديث، إذا رُوِيَ حديثٌ بألفاظ مُختلفة وتَعذَّرَ التَّوفيق بينها فيُحكم عليه بالإضراب، والحديث المُضطرب مِن أنواع الحديث الضعيف. وحديث الجارية السابق الذِّكْر رُوِيَ بلفظ: أين الله؟ وبلفظ: مَن رَبُّك؟ ومدلول لفظ: أين الله؟ ليس كمدلول لفظ: مَن ربّك؟ فالحديث إذن مضطرب المَتْن، وإذا كان لا بد مِن التّرجيح بينهما فالرواية الراجحة هي رواية «مَن ربّك؟» لأنّ سَنَدَ رواية أين الله معلولٌ لاختلاط المَسعودي كما سبق بيانه، ومَتْنُ رواية "أين الله" مُنكرٌ لأنه يُفيدُ التَّحَيُّز والحَدّ، واللهُ مُنَزّهٌ عن ذلك.

---

[919] أنظر "سنن أبي داود"، رقم الحديث **3284** بتعليق الألباني، ، **الناشر**: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 ، الرياض.
[920] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 677.
[921] سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

وعلاوة على ذلك: رواية «مَن ربّك؟» تُوافق روايات أخرى صحيحة، فيها سأل الرسول ﷺ جارية « مَن ربّك؟ » و « أتشهدين أن لا إله إلّا الله » كما سيأتي بيانه بمزيد مِن التّفصيل إن شاء الله، وهذا هو المتواتر عن الرسول ﷺ ، حيث كان يختبر إيمان الناس بالشهادتين وليس «بأين الله؟».

وهذا اللفظ، أقصد « أين الله؟ »، يتعارض مع أصل مِن أصول العقيدة، وهو أنّ اللهَ لم يَزَل ولا يزال مُنَزَّها عن المكان (الأين)، وذلك لِما صحّ عن النبيّ ﷺ قوله: «كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه »، وهذا نَصٌّ صريحٌ مِن الرسول عليه الصلاة والسلام على أنه لم يكن شيءٌ موجوداً، لا ماء ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا هواء ولا مكان، سوى الله. فاللهُ مُنَزّهٌ في الأزل عن المكان (الأين)، ولا يزال كذلك بعد خلقه المكان.

حديث الجارية في صحيح مسلم

وحديث "الأين" رواه أيضا الإمام مسلم في صحيحه (برقم 537)، جاء في صحيح مسلم ما نصه: « حدثنا أبو جعفر محمد بن الصبّاح وأبو بكر بن أبي شيبة وتقاربا في لفظ الحديث قالا: حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن حجّاج بن صوّاف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحَكم السُّلَمي قال: بينما أنا أُصلي مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ عطس رجلٌ مِن القوم، فقلت يرحمك الله ... – إلى أن قال[922]- وكانت لي جارية ترعى لي غنما قِبَلَ أُحدٍ والجَوّانيّة، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة مِن غنمها وأنا رجلٌ مِن بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صَكَكْتُها صَكّة، فأتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام فعَظّمَ ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: إئتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت في السماء، قال: مَن أنا، قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة »[923].

التّعليق: الحديث السابق أخرجه أيضا الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"[924] مِن طريق الأَوْزاعي، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحَكم السُّلَمي - صاحب الجارية- ...، الحديث. قال الإمام الحافظ البَيْهَقي، مُعلّقا على الحديث، ما نصه: « وهذا صحيحٌ قد أخرجه مسلم مُقَطَّعا مِن حديث

---

[922] اختصرت الحديث لطوله، والجزء المحذوف يدور حول تشميت العاطس في الصلاة وحول الكهانة والطِّيَرة والخَط.

[923] "صحيح مسلم" للإمام مسلم بن الحجاج، رقم الحديث **537**، كتاب المساجد، **الناشر**: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2001.

[924] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 532 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

الأَوْزاعي وحجاج الصّوّاف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية وأظنّه إنّما تركها مِن الحديث لاختلاف الرُّواة في لفظه، وقد ذَكَرتُ في كتاب الظِهار مِن السُنَن مُخالفة مَن خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث »[925].

● قَوْلُ الإمام البَيْهَقي: « وهذا صحيح قد أخرجه مسلم » لا يعني أنّه صَحّحَ حديث "الأين"، أي بلفظ "أين الله"، بل قَصَدَ تصحيح الحديث في تشميت العاطس في الصَّلاة والكهانة والطِّيَرة والخط، ومِن الدّليلِ على ذلك أنه صَرّحَ بأنَّ قصةَ الجارية - والتي هي جُزءٌ مِن الحديث في نُسَخِ صحيح مسلم المُتداولة - ليست في "صحيح مسلم" عنده، حيث قال: « دون قصة الجارية وأظنه إنّما تَرَكها ...»، وكلامه هذا يدل على أنه ضَعّفَ حديث "الأين"، وأشار إلى ذلك أيضا بقوله: «لاختلاف الرُّواة في لفظه ... »، والاختلاف في لفظ الحديث يوجب اضطرابه، والإضطراب يوجب ضعف الحديث كما هو معلوم[926].

وقد عَلّقَ المُحَدِّث الكَوْثَري في تعليقه على "الأسماء والصفات" على كلام الإمام الحافظ البَيْهَقي السابق فقال: « وقصةُ الجارية مذكورة فيما بأيدينا مِن نُسَخ مسلم لعلها زيدت فيما بعد إتماما للحديث، أو كانت نسخة المُصَنِّف ناقصة »[927].

● قَوْلُ الشيخ الكَوْثَري رَحِمَهُ: «أو كانت نُسْخَةُ المُصنِّف ناقصة » مُستَبعَد، لأنّ الحافظ البَيْهَقي لم يَشترِ نسخته مِن مكتبة تجارية، سقطت قصة الجارية منها سهوا عند الطباعة، بل قرأها على شيوخه الحُفّاظ. أما قوله: «لعلها زيدت فيما بعد إتماما للحديث » فهو الصحيح، ومِن الدّليل عليه أنّ الإمامَ مسلم أَخْرَجَ هذا الحديث في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، وليس في كتاب الإيمان، مع أنَّ الحديثَ يدور حول اختبار إيمان الجارية !

وعلى كُلِّ حال فحديث الجارية في صحيح مسلم له عِلَلٌ أخرى كما سيلي بيانه إن شاء الله:

أولا: هلال بن أبي ميمونة، راوي الحديث عن عطاء بن يسار، اسمه: هلال بن علي بن أسامة، قال الحافظ المِزِّي في ترجمته: « قال أبو حاتم: شيخٌ يُكتب حديثه، وقال النَّسائي: ليس به بأس، وذَكَرهُ ابن حِبّان في كتاب "الثقات" »[928].

● قَوْلُ أبي حاتم الرّازي عن هلال بن أبي ميمونة: « يُكتب حديثه» معناه أنه عنده ليس بحُجّة، قال الحافظ الذهبي: « قلت: قد علمت بالاستقراء التّام أنّ أبا حاتم الرّازي إذا قال في رجل يُكتبُ حديثه أنه عنده ليس بحجة»[929]. ومُصطلح "شيخ" في علم الجَرْح

---

[925] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 533 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[926] **راجع**: "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 345 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 330.

[927] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 533، حاشية رقم **1** ، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[928] "تهذيب الكَمال في أسماء الرجال" للحافظ المِزّي، مجلد 30 / ص 344 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية 683.

[929] "سير أعلام النبلاء"، للحافظ الذَّهبي، مجلد 6 / ص 360 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63.

والتعديل معناه <u>ضعيف</u> [930]. وعلى هذا، فهلال بن أبي ميمونة ضعيفٌ وليس بحجة عند الحافظ أبي حاتم الرّازي.

● وقوْلُ الحافظ النَّسائي: «ليس به بأس» هو مِن أدنى مراتب التّعديل ويَدُلُّ على عدم ضَبْط الرّاوي[931]، وعلى هذا فتوثيق الحافظ ابن حِبّان لهلال بن أبي ميمونة مقابل تضعيف أبي حاتم له لا يعني تلقائيا أنه قوي الحفظ[932] أو أنه لا يجوز عليه الوَهْم والغَلَط ، ومصطلح "ثقة" يحتل المرتبة الثالثة في مراتب التّعديل الست، وبناءً على ذلك فمرتبة سند الحديث في "صحيح مسلم" بلفظ: "أين الله" ما بين ضعيف (عند مَن قال عن هلال بن أبي ميمونة: شيخٌ يُكتبُ حديثه) وحسن (عند مَن قال عنه: ليس به بأس). والجَرْح يُقَدَّم على التّعديل عند جمهور العلماء، فإسناد هذا الحديث <u>ضعيف</u>، ولا يَرْتقي هذا الحديث إلى درجة الصحيح بحال.

ثانيا: مَتْنُ حديث الجارية بلفظ "أين الله" مِن طريق عطاء بن يسار كما في "صحيح مسلم" رُويَ أيضا بلفظ " أتشهدين أن لا إله إلّا الله" ، فقد روى الحافظ عبدالرّزاق بن هَمّام (ت 211 هـ) **في مُصَنَّفه حديث الجارية أيضا عن عطاء بن يسار، وذلك مِن طريق « ابن جُرَيْج قال: أخبرني عطاء: أنّ رجلا كانت له جارية في غنم ترعاها، كانت شاة صفين يعني غريزة في غنمه تلك، فأراد أن يُعطيها نبيّ الله عليه الصلاة والسلام ، فجاء السّبع فانتزع ضِرعها فغضب الرجلُ فصكّ وجه جاريته، فجاءَ نَبيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَر ذلك له، وذَكَرَ أنها كانت عليه رقبة مؤمنة وافية، وقد همّ أن يجعلها إياها حين صَكّها، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «إيتني بها»، فسألها النبي عليه الصلاة والسلام: « <u>أتشهدين أن لا إله إلّا الله</u>؟ » قالت: نعم، «وأنّ محمدا عبدالله ورسوله؟» قالت: نعم، «والبَعْث حقّ؟» قالت: نعم، «وأنّ الجنّة والنار حقّ؟» قالت: نعم. فلما فرغ -الرسول صلى الله عليه وسلم- قال: «أعتق أو أمسك»][933]. وهذا هو المُعْتَمَد، فالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان يختبر إيمان الناس بالشهادتين وليس بأين الله،**

---

930 إنّ مصطلح **"شيخ"** يحتل المرتبة الأخيرة في مراتب التّعديل الست، **ويُشعرُ بقرب الراوي مِن التّجريح (راجع**: "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 276 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 330).

931 مصطلح: **"ليس به بأس"** يحتل المرتبة الخامسة في مراتب التّعديل الست، وهذا المُصطلح وإن دَلّ على صِدْقِ الرّاوي إلّا أنه **يَدُلُّ كذلك على عَدَمِ ضَبْطِه** (راجع: "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 276).

932 قد يكون الراوي **ثقة** ولكنه مع ذلك سَيء الحفظ، وبالتالي يُحْكم على حديثه بالضعف، **مثال**: قال الحافظ نورالدين الهَيْثمي في "مجمع الزوائد" له، جزء 10 / ص 209، عن ابن لَهيعَة: «وهو مدلس وفيه ضعف وقد وثِّق». وقال يعقوب بن شيبة عن عبدالرحمن بن أبي الزناد: «« ثقة، صدوق، وفي حديثه ضعف، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه، ولا يُحتجُ به» [أنظر "تهذيب الكمال" للحافظ المِزِّي، رقم الترجمة: **3816** ، مجلد 17 / ص 99 ، 100 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683].

933 "المُصَنَّف" للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن هَمّام الصَّنْعاني، كتاب 27**:** المُدبر، باب 12 **:** ما يجوز مِن الرقاب، رقم الحديث **17126** ، مجلد 9 / ص 96 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 911.

وشواهد ذلك كثيرة، حيث روى الحُفّاظ حديث الجارية بطرق مُتَعددة وبألفاظ مختلفة، فيها سأل الرسول ﷺ جارية بلفظ: « أتشهدين أن لا إله إلّا الله ؟ » قالت: نعم، قال: «أتشهدين أني رسول الله؟ » قالت: نعم، قال: « أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ » قالت: نعم، قال: « أعتقها »، أخرجه الإمام أحمد في مُسْنَده[934] مِن طريق عبدالرّزاق بن همّام الصَّنْعاني[935] عن مَعْمَر بن راشد عن الزُّهْريّ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن رجلٍ مِن الأنصار، قال الحافظ نورالدين الهَيْثمي عن هذا الحديث: « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»[936]. وهذا الحديث أخرجه أيضا الإمام مالك في الموطأ [937] والحافظ البَيْهَقي في "السُّنَن الكبرى"[938] وابن خزيمة في "كتاب التّوحيد" كما سبق ذِكره. وهذا الحديث الآنف الذِكْر، مِن طريق عبيدالله عن رجل مِن الأنصار، « ظاهره الإرسال، لكنه محمولٌ على الإتصال للقاء عبيدالله جماعة مِن الصحابة » كما قال ابن عبدالبَر في "التمهيد" (9 / 114)[939].

● **وفي حادثة أخرى سأل الرسولُ ﷺ جاريةً «مَن رَبُّك» لاختبار إيمانها: أخرج الإمام أحمد في مُسنده مِن طريق عبدالصمد عن حَمّاد بن سَلَمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشَّريد بن سُوَيْد الثقفي رضي الله عنه [أنّ أُمّه أوصت أنْ يُعتق عنها رقبة مؤمنة، فسأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: عندي جاريةٌ سوداء نوبيّة، فأعتِقُها؟ فقال: «إئت بها»، فدعوتها، فجاءت، فقال لها: «مَن رَبُّك؟» قالت: الله. قال: «مَن أنا ؟» فقالت: أنت رسولُ الله. قال: اعتقها، فإنها مؤمنة »[940]، وهذا الحديث إسناده حسن صحيح، وقد أخرجه أيضا الإمام النَّسائي في "السُّنن الكبرى"[941] والإمام أبو داود في سُنَنه[942] والإمام**

---

[934] **المرجع**: "مُسند الإمام أحمد بن حنبل"، رقم الحديث **15743** ، مجلد 25 / ص 19 بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349، قال الأرنؤوط عن هذا الحديث: إسناده **صحيح**، رجاله ثقات...

[935] أنظر " المُصَنَّف " للحافظ عبدالرزاق بن هَمّام ، رقم الحديث **17125**، مجلد 9 / ص 95 – 96 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 911.

[936] "مَجْمَعُ الزوائد ومنبع الفوائد" للحافظ نور الدين الهَيْثمي (ت 807 هـ)، جزء 4/ ص 247 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم677.

[937] سبق تخريجه في الحاشية رقم 912.

[938] أنظر "السُّنَن الكبرى" للحافظ البَيْهَقي، كتاب الظهار، باب وصف الإسلام، رقم الحديث **15668** ، جزء 11 / ص 319، **الناشر**: دار الفكر، ط 1 ، بيروت 1996.

[939] ذَكَرَ ذلك عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، مُحقق "مُسند الإمام أحمد بن حنبل"، مجلد 25 / ص 19، حاشية رقم **2** .

[940] أنظر "مُسند الإمام أحمد بن حنبل"، مجلد 29 / ص 464، رقم الحديث **17945** بإشراف شعيب الأرنؤوط، وقال عنه: إسناده **حسن**، وحَكَم الألباني على سنده في "سنن أبي داود"، برقم **3283** بأنه **حسن صحيح**.

[941] أنظر "السُّنَن الكبرى" للنّسائي، جزء 4 / ص 110 بتحقيق د. عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، كتاب الوصايا، باب 8: فضل الصدقة عن الميت، رقم الحديث **6480**، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت1991.

[942] أنظر "سُنَن أبي داود"، رقم الحديث **3283** بتعليق الألباني، وقال الألباني عنه: **حسن صحيح**، **الناشر**: مكتبة المعارف ، ط1 ، الرياض.

البَيْهَقي في "السُّنَن الكبرى"[943] والإمام ابن حِبّان في صحيحه[944] والإمام الطَّبراني في "المعجم الكبير"[945].

● وفي حادثة أخرى غيرها « جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمَةٍ سوداء فقالت: يا رسول الله: إنّ عليَّ رقبة مؤمنة، أفَتُجْزِئُ عني هذه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن ربُّك؟» ، قالت: اللهُ ربّي، قال: «فما دينك؟» قالت: الإسلام، قال: «فمن أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «فَتُصلين الخمسَ وتُقرين بما جئتُ به مِن عند الله؟» قالت: نعم، فضرب صلى الله عليه وسلم على ظهرها وقال: «أعتِقيها»]، أخرجه الإمام البَيْهَقي في "السُّنَن الكبرى" (برقم 15666) مِن طريق عَوْن بن عبدالله بن عُتبة عن أبيه عن جدِّه، وأخرجه أيضا ومِن نفس الطريق الحافظ الطَّبراني في "المعجم الكبير" (برقم 338) وفيه زيادة: « قال - أي الرسول صلى الله عليه وسلم- : أتشهدين أني رسول الله؟ قالت: نعم أشهد أنك رسول الله. قال: وتصومين رمضان؟ قالت نعم. فضرب على ظهرها وقال: أعتقيها فقد أجزأت عنك ».

خلاصة ما تقدم: حديثُ الجارية مِن طريق عطاء بن يسار رُويَ بلفظين مختلفين، وكذلك مدلولاتهما، فمرة روي بلفظ: أين الله؟ (كما في صحيح مسلم)، ومرة بلفظ: أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟ (كما في مُصَنّف الإمام عبدالرَّزاق بن هَمّام)، وإذا كان لا بُدّ مِن التّرجيح بين هاتين الروايتين فالراجحة هي رواية «أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟» لأنّ لها شواهد كثيرة كما سبق بيانه، ولأنّ هذا هو المُتَّواتر عن النبيّ عليه الصلاة والسلام في اختبار إيمان الناس، قال الرسولُ عليه الصلاة والسلام : «أُمِرْتُ أن أُقاتِل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله... »[946]، ولَمْ يقل الرسولُ صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يشهدوا أنّ اللهَ في السّماء وأنّ محمداً رسول الله، وهذا موافق لقول الله تعالى: ﴿ وَلكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والملآئِكَةِ والكِتابِ والنَّبيِّينَ ﴾[947]، ولحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : « «لا يُؤمِن عبدٌ حتى يُؤمن

---

[943] أنظر "السُّنَن الكبرى" للبَيْهَقي، رقم الحديث **15669** ، جزء 11 / ص 319 مِن طبعة دار الفكر، ط 1، 1996.

[944] أنظر "صحيح ابن حِبّان بترتيب ابن بَلبان"، رقم الحديث **189** ، مجلد 1 / ص 418 بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط 3 ، بيروت 1997.

[945] أنظر "المُعْجَم الكبير" للحافظ أبي سليمان أحمد الطَّبراني، رقم الحديث **7257** ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السِّلفي، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي، ط 2 ، بيروت 2002.

[946] رواه البخاري في صحيحه برقم **25** ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب 8 : الأمر بقتال الناس .. برقم **20** ، و **21** ، وهو حديث **متواتر**، ورواه النَّسائي في سننه، أنظر "سنن النسائي" رقم الحديث 3094 ، 3095 ، 3969، بتعليق الألباني، **الناشر**: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، وأنظر "سنن النسائي" شرح جلال الدين السيوطي، مجلد 4 / ص 109 ، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي.

[947] سورة البقرة: آية رقم 177.

بأربع: يَشهدُ أن لا إله إلّا الله وأني رسولُ الله بعثني بالحَقّ، ويُؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقَدَر »[948] .

قد يقول قائل - وقد قال لي ذلك فعلا أحَدُ أئمة المساجد-: حديث الجارية بلفظ "أين الله" مِن طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار وَرَدَ في صحيح مسلم، فكيف يُحْكَمُ عليه بالضعف؟!

الجواب: هناك أحاديثٌ قليلة في صحيح مسلم حُكِمَ عليها بالضعف أو بالشذوذ أو بالوضع،
المثال الأول: روى الإمام مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة: **باب مِن فضائل أبي سفيان، مِن طريق عِكرمة بن عمار عن أبي زُميْل عن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال: « كان المسلمون لا يَنظرون إلى أبي سفيان ولا يُقاعِدونه، فقال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: يا نبيّ الله، ثلاث أعطِنيهِنَّ، قال: نعم، قال: عندي أحسنُ العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها؟ قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك؟ قال: نعم. قال: وتؤمرني حتى أُقاتِل الكُفار كما كنت أُقاتل المسلمين؟ قال: نعم. قال أبو زُميْل: ولولا أنه طلب ذلك مِن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يُسْألُ شيئا إلّا قال: نعم»[949].**

حُكمُ الأئمة على هذا الحديث:

1. نَقَلَ الحافظ النَّوَوي في "شرح صحيح مسلم" عند شرح الحديث المذكور أعلاه أنّ الحافظ ابن حَزْم الأندلسي قد أعَلَّ الحديث، حيث قال الإمام ابن حَزْم: « والآفة فيه - أي في الحديث- مِن عِكرمة بن عمار الرَّاوي عن أبي زُميْل »[950].

2. وقال الحافظ الذَّهبي عن هذا الحديث في ترجمة عِكرمة بن عمار ما نصه: « قلت: وقد ساق له مُسلم في الأصول حديثا مُنْكَراً، وهو الذي يرويه سِمَاك الحَنَفي عن ابن عباس في الأمور الثلاثة التي التمسها أبو سفيان مِن النبيّ صلى الله عليه وسلم»[951].

3. سِمَاك الحَنَفي، وهو سِمَاك بن حَرْب بن أوس (ت 123 هـ) **مُختلف فيه: قال عنه الإمام يحيى ابن معين: «ثقة»، وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «مضطرب الحديث»، وقال الإمام**

---

948 حديث صحيح، رواه التِّرمذي في سننه برقم **2145** بتعليق الألباني، **الناشر**: مكتبة المعارف، ط 1، الرياض.
949 أنظر "صحيح مسلم"، كتاب 44 : فضائل الصحابة، باب 40: مِن فضائل أبي سفيان، رقم الحديث **2501**.
950 "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي"، جزء 10، ص 6474 مِن طبعة دار الفكر، ط1، بيروت 1996، عند شرح الحديث رقم **2501**.
951 "سِيَر أعلام النبلاء" للحافظ الذهبي، مجلد 7 / ص137 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 63.

النَّسائي: «ليس به بأس، وفي حديثه شيء»، وكان الإمام شُعبة بن الحجاج يُضعِّفه ...[952]، فسِماكُ الحَنَفي فيه ضَعْف.

4. وقال الحافظ ابن الجَوْزي في هذا الحديث: « هو وَهْمٌ مِن بعض الرُّواة لا شك فيه ولا تَرَدُّد، وقد اتَّهموا به عِكرمة بن عمار راوي الحديث، وإنما قلنا وَهْم لأنّ أهلَ التاريخ أجمعوا على أنَّ أم حبيبة كانت تحت عُبَيْدالله بن جحش، وولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة، ثم تَنَصّر وثبتت أم حبيبة على دينها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّجاشي يَخطبها عليه، فزَوّجه إياها، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف درهم[953]، وذلك في سنة سبع مِن الهجرة، وجاء أبو سفيان في زَمَن الهدنة وهي التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش في صلح الحديبية فدخل عليها، فَثَنَت بساطَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يَجلس عليه، ولا خِلاف في أنّ أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكة سنة ثمانٍ، ولا يُعرف أنّ رسولَ الله أمَّرَ أبا سفيان »[954].

5. والقول: «لأنه – صلى الله عليه وسلم - لم يَكُن يُسْألُ شيئا إلّا قال: نعم» غيرُ صحيح، لأنّ رجلين طلبا مِن الرسول ﷺ أنْ يولِّيَاهما فأبى، حيث قال الرسول ﷺ: « إنا واللهِ لا نُوَلّي على هذا العمل أحداً سألهُ، ولا أحداً حَرَصَ عليه »[955]. فالحديث السابق غير صحيح، مع أنه في صحيح مسلم.

المثال الثاني: روى الإمام مسلم في صحيحه (برقم 927 ، 928 ، 930 ، 932) - وكذلك الإمام البخاري في صحيحه (برقم 1286 ، 1287) - أنّ عمر بن الخطّاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما رَوَيا أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « إنّ الميّتَ ليُعَذّبُ ببكاء أهله عليه »، هذا الحديثُ رَدّته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما وَرَدَ في صحيح مسلم (برقم 27) عن عَمرة بنت عبدالرحمن أنها سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن والديها] وذُكِرَ لها أنّ عبدالله بن عمر يقول: إنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ ببكاء الحَيّ. فقالت - أم المؤمنين عائشة - : يَغْفِرُ اللهُ لأبي

---

952 **المرجع**: "تهذيب الكمال" للحافظ المِزّي، ترجمة سِمّاك ابن حرب، ترجمة رقم **2718**، جزء 4 / ص 210 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

953 أنظر "سنن النسائي" بتعليق الألباني، حديث رقم **3350**.

954 ذَكَرَ ذلك عن الحافظ ابن الجَوْزي مُحقق كتاب "سير أعلام النبلاء"، مجلد 7 / ص 138 مِن طبعة مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت 2001.

955 رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **1824** ، والإمام البخاري في صحيحه برقم **7149**، وبلفظ : « إنا لا نولّي هذا مَنْ سأله ولا حَرَصَ عليه ».

عبدالرحمن - أي عبدالله بن عمر- أما إنّه لم يَكْذِب، ولكنه نسي أو أخطأ. إنمّا مَرّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على يهودية يُبْكَى عليها، فقال: « إنّهم لَيَبكون عليها وإنها لَتُعَذّبُ في قبرها »][956].

فحديث «إنَّ المَيِّتَ ليُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه» ورد في صحيح مسلم - وكذلك في صحيح البخاري- ومع ذلك فهو غير صحيح، قال الإمام النَّوَوي في شرحه على صحيح مسلم ما نصه: « وهذه الروايات مِن رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما**، وأنْكَرَت عائشة ونَسَبَتْهُما إلى النِّسيان والاشتباه عليهما، وأنْكَرَت أن يكون النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال ذلك واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، قالت: وإنّما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم في يهودية «إنّها تُعَذَّب» وهم يَبْكون عليها، يعني تُعَذَّب بِكُفْرها في حال بُكاء أهلها لا بسبب البُكاء»[957].**

وبناءً على ذلك: إذا كان الاشتباهُ والوَهْمُ جائزاً على سيدنا عمر وابنه عبدالله رضي الله عنهما**، وكُلٌّ منهما ثقة وعَدْل ضابط، فجوازه أوْلى على هلال بن أبي ميمونة الذي هو ليس بحجة عند الإمام الحافظ أبي حاتم الرّازي، وليس به بأس عند الإمام الحافظ النَّسائي. فحديث الجارية بلفظ « أين الله » مردودٌ سواءً وَرَدَ في صحيح مسلم أو في غيره لأنّ اللهَ لم يَزَل ولا يزال مُنزّهاً عن الأين (المكان)، فالأينُ مخلوقٌ وللمخلوق، واللهُ هو الخالق ومُنَزَّهٌ عن صفات الخَلْق، قال الرسول** صلى الله عليه وسلم**: « وأنتَ الظاهِرُ فليس فَوْقكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليس دونكَ شيء » ، وقال أيضا: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّث عن مَلَكٍ قد مَرَقتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرش على مَنكبه، وهو يقول: "سُبحانك أين كنت وأين تكون" »، فسبحانه:**

هو لا أيْنٌ ولا كَيْفٌ له وهو رَبُّ الكَيْفِ والكَيْفُ يحول[958].

"والكيفُ يحول" معناه: الكَيْفُ مُستحيلٌ في حَقِّ الله لأنَّ الكَيْفَ صفةٌ للمخلوق.

---

[956] أنظر "صحيح مسلم"، كتاب **11**: "الجنائز" برقم **27**.

[957] "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي"، جزء 4 / ص 2598 مِن طبعة دار الفكر، ط1 ، بيروت 1996، عند شرح الحديث رقم **938** (باب 11: **نهي النِّساء عن اتّباع الجنائز**).

[958] البيت للإمام الغزالي، سبقَ ذِكْر المرجع في الحاشية رقم 704.

فصل

حديثُ النُّزول

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنّ الرسولَ** عليه الصلاة والسلام **قال: « يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتعالى كُلَّ ليلة إلى السّماء الدُّنيا حين يَبقى ثُلُثُ الليل الآخِر، فيقول: مَن يَدعوني فأستجب له؟ ومَن يَسألني فأعطيه؟ ومَن يَستغفرني فأغفر له؟ »[959].**

وأيضا حديث النُّزول دليلٌ عند المُجَسِّمَة، ومنهم ابن تيمية، على وجود اللهِ في السّماء وفوق العرش. وحديث النُّزول ثَبَتَ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام **مِن وجوه صحيحة، ولكن ما هو المَعْنى المُراد بذلك؟ ولقد قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُواْ لِقآءَ يَوْمِهِمْ هذا ﴾[960] ، فما هو المقصود بلفظ النِّسيان المُضاف إلى اللهِ القائل: ﴿ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾[961]. المقصود بلفظ النّسيان المُضاف إلى الله: التَّرك** (راجع ص **22** إن شئت)**، وعلى هذا فَمَفهومُ اللفظ المُضاف إلى الله الخالق له معنى مخالفٌ لمعناه في حَقِّ الخلوق. وكذلك الأمر بخصوص لفظ النُّزول المُضاف إلى الله الخالق.**

المُجَسِّمَة يأخذون حديث النُّزول على ظاهره، فيقولون: اللهُ ينزل بذاته! سبحانه. حكى الإمام الحافظ ابن الجَوْزي في كتابه "دفع شُبَه التَّشبيه" أقوالَ المُجسِّمَة بخصوص حديث النُّزول وعَلَّقَ عليها، فقال: « قال ابن حامد - ت 403 هـ - **هو على العرش بذاته، مُماسٌّ له، ويَنْزِلُ مِن مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل. قلت - أي ابن الجَوْزي -: وهذا رجل لا يعرفُ ما يجوز على اللهِ تعالى. وقال القاضي أبو يعلى: النُّزول صفة ذاتية، ولا نقول نزوله انتقال. قلت: وهذه مُغالطة. ومنهم مَن قال: «يتحرك إذا نَزَل»، ولا يدري أنّ الحركة لا تجوز على الخالق. وقد حكوا عن أحمد ذلك وهو كَذِبٌ عليه. ولو كان النُّزول صفة لذاته، لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة كذاته»[962].**

وفيما يلي عقيدة أحد مُجَسِّمَة العصر في حديث النُّزول، قال الشيخ الوهابي ابن عُثَيْمين في شرحه على "العقيدة الواسطيّة" في تفسير حديث النُّزول ما نصه: « هذا الحديث في إثبات

---

[959] رواه مسلم في صحيحه برقم **758** ، وكذلك البخاري في صحيحه برقم **1145** و **7494** ، وأبو داود في سننه برقم **4732** (كتاب السُّنَّة، باب 21)، والطَّبراني في "المعجم الأوسط" برقم **5362** (**الناشر**: دار الفكر، عَمّان 1999)، وغيرهم.

[960] سورة الأعراف: آية رقم 51.

[961] سورة مريم: آية رقم 64 .

[962] "دفع شُبَه التَّشبيه"، ص 197 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

نُزولِ اللهِ سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ... قوله: «ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا» نزوله تعالى حقيقي ... فعلينا أن نؤمن به ونصدق ونقول: يَنْزِلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا، وهي أقرب السماوات إلى الأرض ... وقوله: «كُلَّ ليلة» يشمل جميع ليالي العام ... بهذا يَتبيَّن لكل إنسان قرأ هذا الحديث أنّ المُرادَ بالنُّزول هنا نُزولُ اللهِ نفسه ... وقال آخرون: بل الذي يَنْزِل رحمة الله. وقال آخرون: بل الذي يَنْزِل مَلَكٌ مِن ملائكة الله، وهذا باطل»[963]،

بل الباطل في الحقيقة هو قوْل المُجسِّم ابن عُثَيمين: «أنّ المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه » ، والحقّ هو أنّ المُرادَ بالنُّزول نُزولُ مَلَكٍ، كما سيأتي بيانه بالنَّص الشَّرعي في موضعه إن شاء الله.

وفيما يلي أقوال علماء أهل السُّنة في تفسير حديث النُّزول:

● **قال الإمام الحافظ أبو بكر البَيْهَقي في كتابه "الأسماء والصفات"[964] نَقْلا عن الإمام أبي منصور الحمشاوي: [وقد اختلف العلماء في قوله: يَنْزِلُ الله، فسُئِلَ أبو حنيفة عنه فقال: «يَنْزِلُ بلا كَيْف»[965]، وقال حمّاد بن زيد - ت 179 هـ - : «نُزوله: إقباله»، وقال بعضهم: «ينزل نزولا يليق بالرّبوبية بلا كَيْف»][966].**

النَّصُّ السّابق يَتضمَّنُ مذهبين في تفسير النُّزول: مذهب التَّفويض، وفحواه إثباتُ اللفظ المُضاف إلى اللهِ مع نَفْي معناه المَفْهوم في حَقِّ البشر، وتَفويضُ معناه الحقيقي إلى الله تعالى، وَيُعَبَّرُ عن ذلك بالقول: بلا كَيْف، ومذهب التّأويل، وهو صَرْفُ اللفظ المُضاف إلى الله تعالى عن المعنى المفهوم في حَقِّ المخلوق إلى معنى جديد على مُقتَضى اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآن الكريم.

فالقول: «يَنْزِلُ بلا كَيْف» هو تفويض، والقول: «نُزوله: إقباله» هو تأويل.

● **ولقد ذَكَرَ الإمام الحافظ ابن الجَوْزي المذهبين بخصوص حديث النُّزول ، فقال: « وقد سَبَقَ القَوْلُ أنه يَستحيلُ على الله عَزَّ وَجَلَّ الحركة والنُّقْلَة والتَّغَيُّر. فيبقى الناسُ رجليْن، أحدهما المُتَأوِّل له بمعنى: أنه يُقرِّبُ رحمته ... والثاني: الساكتُ عن الكلام في ذلك مع**

---

963 ص 391 – 393 مِن "شرح العقيدة الواسطيّة"، مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 124.

964 الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 572 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

965 وقد ذَكَرَ ذلك عن الإمام أبي حنيفة أيضا المُلّا علي القاري في "شرح الفقه الأكبر"، ص 60 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

966 الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 572 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

اعتقاد التَّنْزيه. روى أبو عيسى التِّرْمِذيّ عن مالك بن أنس وسُفيان بن عُيَيْنَة وابن المُبارك أنهم قالوا: أمِرُّوا هذه الأحاديث بلا كَيْف»[967].

● **وأخرَجَ الإمام البَيْهَقي بإسناده عن الوليد بن مسلم** (ت 196 هـ)، **قال: [سُئِلَ الأَوْزاعي ومالك وسُفيان الثَّوْريّ واللَّيث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التَّشبيه فقالوا: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْفِيَّة»][968].**

قَوْلُ الإمام البَيْهَقي: «هذه الأحاديث التي جاءت في التَّشبيه» معناه الأحاديث التي يُوهم ظاهرها التَّشبيه، كحديث النُّزول مثلا، فظاهرُ لَفظِ النُّزول هو الانتقال والتَّحرك مِن مكان عالٍ إلى مكان مُنخفض، والانتقال والحركة مِن صفات المخلوق، واللهُ مُنَزَّهٌ عنهما. لهذا قال الأئمة المذكورون عن أمثال هذه الأحاديث التي جاءت في التَّشبيه: أمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْفِيَّة، والمعنى: عَدَمُ رَدِّ هذه الأحاديث - إن كانت صحيحة - ويُؤمن بها مع نَفْي الكَيْف، أي نَفْي المعنى المَفهوم في حَقّ البَشر، لأنَّ الكَيْف هو صِفة معهودة في المخلوق، ولهذا المعنى قال أيضا الإمام أحمد بن حنبل عن هذه الأحاديث: « نُؤمن بها ونُصَدِّقُ بها، ولا كَيْف ولا معنى »[969].

● **وأيضا الإمام النَّوَوي نقل لنا المذهبين في تفسير حديث النُّزول، فقال: « هذا الحديثُ مِن أحاديث الصِّفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء، سبق إيضاحهما في كتاب "الإيمان" ومختصرهما أنَّ أحدهما: وهو مذهب جمهور السَّلَف وبعض المُتَكَلِّمين أنّه يُؤمَن بأنّها حَقّ على ما يليق بالله تعالى وأنَّ ظاهرها المُتعارف في حَقِّنا غيرُ مُراد، ولا يُتكَلّم في تأويلها مع إعتقاد تَنْزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتِقال والحركات وسائر سِمات الخَلْق[970]، والثاني: مذهبُ أكثر المُتَكلِّمين وجماعات مِن السَّلَف وهو مَحكيٌ هنا عن مالك والأَوْزاعيّ أنّها <u>تُتَأَوّلُ</u> على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأوّلوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويلُ مالك بن أنس وغيره، معناه: تَنْزلُ رحمتُه وأمْرُه وملائكته[971]، كما يُقال: فَعَلَ السُّلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره. والثاني: أنّه على الاستعارة ومعناه: الإقبالُ على الدَّاعين بالإجابة واللُّطف، واللهُ أعلم »[972].**

---

967 "دفع شُبه التشبيه"، ص 194 – 196 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 108.

968 "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 569 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

969 ذَكَرَ ذلك عنه أبو بكر الخَلّال في كتاب "السُّنَّة"، **المرجع**: "تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 377 ، وجزء 2 / ص 1168.

970 هذا هو فحوى **مذهب التَّفويض**.

971 وتفسير "نُزول الله" بنزول أمْرِه نَقَلَه أيضا الحافظ أبو عمر ابن عبد البَرّ (ت 463 هـ) عن الإمام **مالك بن أنس**، قال ابن عبدالبّر: « وقد روى محمد بن علي الجبلي، وكان مِن ثقات المسلمين بالقيروان، قال: حدثنا جامع بن سوادة بمصر، قال: حدثنا مطرف عن مالك بن أنس: أنه سُئِلَ عن الحديث: « إنّ اللهَ يَنْزِلُ في الليل إلى سماء الدنيا »، فقال مالك:←

فالإمامُ النَّوَوي نَقَلَ لنا قولين في تأويل النُّزول: 1. نُزول الرَّحمة والملائكة، وهو مَرْوِيٌّ عن مالك بن أنس وغيره، 2 . كناية عن الإقبال على الدَّاعين بالإجابة، أي إقبال اللهِ على عباده المُستغفرين بالرَّحمة والغُفران. ولهذا المعنى قال الإمام حماد بن زيد، كما ذُكِرَ سابقا،: «نُزوله: إقباله». والحقيقة أنه لا فرق في المعنى بين التّأويلين عند التَّحقيق.

● **وكذلك الإمام الحافظ ابن حَجَر العسقلاني نقل لنا في كتابه "فتح الباري" أقوالَ العلماء والفِرَق في حديث النُّزول فقال: [قوله: «يَنْزِلُ رَبُّنا إلى السّماء الدنيا» استَدَلَّ به مَن أَثْبَتَ الجهة وقال: هي جهة العُلُوّ، <u>وأَنْكَرَ ذلك الجمهور</u>، لأنّ القولَ بذلك يُفْضي إلى التَحَيُّز، تعالى اللهُ عن ذلك. وقد أُخْتُلِفَ في معنى النُّزول على أقوال: فمنهم مَن حَمَلَه على ظاهرِه وحقيقته وهم المُشَبِّهَة، تعالى اللهُ عن قولهم.**
ومنهم مَن أنْكَرَ صِحّة الأحاديث الواردة في ذلك وهم الخوارج والمُعتزلة وهو مُكابَرَة، والعجب أنَهم أوّلوا ما في القرآن مِن نحو ذلك، وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإمّا عِناداً.
ومنهم مَن أجْراهُ على ما وَرَدَ مؤمناً به على طريق الإجمال مُنَزِّهاً اللهَ عن الكَيْفِيّة والتَّشبيه[973] وهم جمهور السَّلف، ونقله البَيْهَقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسُفْيانَيْن والحَمّادين والأَوْزاعي واللَّيث وغيرهم.
ومنهم مَن أوَّلَهُ على وجهٍ يليق مُستعملٌ في كلام العرب، ومنهم مَن أفْرَطَ في التّأويل حتى كادَ أن يخرج إلى نوعٍ مِن التَّحريف ... وقال ابن العربي: «حُكِيَ عن المُبْتَدِعَة رَدَّ هذه الأحاديث، وعن السَّلف إمرارها، وعن قوم تأويلها، وبه أقول. فأمّا قوله: " يَنْزِلُ"، فهو راجعٌ إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عِبارة عن مَلَكِه الذي يَنْزِلُ بأمْره ونَهْيه، والنُّزولُ كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإنْ حَملته في الحديث على الحِسّي فَتلكَ صفةُ المَلَكِ المَبعوث بذلك، وإن حَمَلْتَهُ على المَعْنوي بمعنى أنه لم يَفْعَل ثُمّ فعلَ فيُسَمّى ذلك نُزولاً عن مَرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة» انتهى. والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بالمعنى: يَنْزِلُ أمره أو المَلَكُ بأمره، وإما أنه استعارة بمعنى التَّلَطّف بالدّاعين والإجابة لهم ونحوه. وقد حَكَى أبو بكر بن فُورَك أنّ بعضَ المَشايخ ضَبَطه بِضَمٍّ أوّله على حَذْف المفعول أي يُنْزِلُ مَلَكاً، ويُقَوّيه ما رواه النَّسائي مِن طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي

←"**يَتَنَزّلُ أمْره**"، وقد يُحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه اللهُ على معنى أنه تتنزّلُ رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة، وذلك مِن أمره، أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت، واللهُ أعلم » ("**التَّمهيد**" لابن عبدالبَّر، مجلد 6 / ص 134 بتحقيق أسامة بن علي، **الناشر**: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 2 ، القاهرة 2001).

[972] "صحيح مسلم بشرح النَّوَوي" للإمام النَّوَوي، مجلد 3 / ص 2236، **الناشر**: دار الفكر، ط1، بيروت 1996.

[973] وهذا هو مضمون **مذهب التّفويض**.

سعيد بلفظ: « إنَّ اللهَ يُمْهِلُ حتى يَمضي شَطرُ الليل، ثُمَّ يَأمُرُ مُنادياً يقول: هل مِن دَاعٍ فيُستجابُ له » الحديث. وفي حديث عُثمان بن أبي العاص: « يُنادي مُنادٍ هل مِن داعٍ يُستجاب له » الحديث. قال القُرْطُبي: وبهذا يَرْتفعُ الإشكال، ولا يُعكر عليه ما في رواية رفاعة الجُهَنيّ: « يَنْزِلُ اللهُ إلى السّماء فيقول: لا يَسْأل عن عبادي غيري » لأنه ليس في ذلك ما يَدْفعُ التّأويل المذكور. وقال البيضاوي: «ولَمّا ثَبَتَ بالقواطع أنه سُبحانه مُنَزَّهٌ عن الجِسْمِيَّة والتَّحَيُّز امتنعَ عليه النُّزول على معنى الانتقال مِن موضع إلى موضع أخفض منه، فالمُرادُ نورُ رحمته، أي ينتقل مِن مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مُقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرَّأفة والرّحمة»][974]. انتهى

● ومِمّن أوّلَ حديثَ النُّزولِ الإمامُ الفقيه أبو سليمان الخَطّابي (ت 388 هـ)، فقال: « وإنّما هو خبرٌ عن قُدْرته ورأفته بعباده، وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء، لا يَتَوجهُ على صفاته كَيْفِيّة ولا على أفعاله كَمّيّة، سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ »[975].

● وقال الإمام ابن حَزْم الأندلسي في تأويل حديث النُّزول، كما نقله عنه الإمام ابن حَجَر العسقلاني: « وتَأوّلَ ابن حَزْم النُّزول بأنه فِعْلٌ يفعله اللهُ في السّماء الدُّنيا كالفَتْح لقبول الدُّعاء وأنّ تلكَ الساعة مِن مَظان الإجابة، وهو مَعهود في اللغة، تقول: فلانٌ نَزَلَ لي عن حقه، بمعنى وَهَبَه، قال: والدّليلُ على أنها صفة فِعل تعليقه بوقت مُحَدَّد ومَنْ لم يَزَل لا يَتَعلَّقُ بالزّمان، فَصَحَّ أنه فِعلٌ حادث »[976].

● ومِمّن جَعَلَ النُّزول صفة فِعل الإمام أبو الحسن الأشعري، حيث قال، كما نَقَلَ ذلك عنه الإمام البَيْهَقي: « وهكذا قال - أي الإمام الأشعري- في أخبار النُّزول: إنَّ المُرادَ به فِعلٌ يُحْدِثُه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سماء الدنيا كل ليلة يُسَمّيه نُزولا بلا حركة ولا نُقْلَة، تعالى اللهُ عن صفات المخلوقين»[977].

وهذا الفِعل الذي يُحدثه اللهُ في السماء الدنيا كُلّ ليلة هو نِداءُ مَلَكٍ بأمْر الله، كما أشار إليه الإمام ابن حَجَر العسقلاني مُستدلاً على ذلك بالحديث النّبوي الذي رواه الحافظ النّسائي في السنن الكبرى (برقم **10316**) مِن حديث أبي سعيد الخُدْري وأبي هريرة

---

[974] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **1145**، جزء 3 / ص 37 – 38 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.

[975] "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي - رحمه الله - ، ص 569 – 570 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[976] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7494**، جزء 13 / ص 572.

[977] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 564 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

مرفوعا، قال الإمام النّسائي: « أخبرني إبراهيم بن يعقوب، حدثنا عمر بن حفص بن غِياث، حدثني أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو إسحاق، حدثنا أبو مسلم الأغر، سمعت أبا هريرة وأبا سعيد يقولان: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « إنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حتى يمضي شطرُ الليل الأوّل ثُمَّ يأمر مُنادياً يُنادي، يقول: هل مِن داعٍ يُستجاب له؟ هل مِن مستغفرٍ يُغفَرُ له؟ هل مِن سائل يُعطى؟»][978]**، وهذا حديث صحيح، وبنحو هذا اللفظ، رواه أيضا الإمام أبو يعلى الموصلي مِن حديث أبي سعيد الخُدْريّ وأبي هريرة، حيث قال: « حدثنا أبو هشام الرّفاعي، حدثنا حفص، حدثنا الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا مضى شَطْرُ الليل أو ثلث الليل أمَرَ مُنادياً فنادى: هل مِن داعٍ يُستجابُ له ؟ هل مِن سائلٍ فيُعطى سؤله؟ هل مِن مُستغفر فأغفر له ؟ هل مِن تائب فيُتابُ عليه ؟»]**[979]**، ومثله (برقم 5911) مِن طريق حفص عن**

---

[978] "السُّنَن الكبرى" للنّسائي، مجلد 6 / ص 124، كتاب "عمل اليوم والليلة"، رقم الحديث **10316** مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت1991. وهذا الحديث ذَكَرَه محقق مجلد 26 مِن "مسند الإمام أحمد بن حنبل" بإشراف شعيب الأرنؤوط، ص 208 في الحاشية، عند سَرْد الحديث رقم **16280**، وقال عنه: « **وهذا إسناد صحيح »، ولكن** الألباني **ضَعّف** في كتابه "سلسلة الأحاديث الضعيفة" مجلد 8 / ص 355 حديث رقم **3897**، **حفص** بن غِياث، أحد رواة الحديث، كونه تغير حفظه قليلا بأخَرَة ، حيث قال (ص 355): « مُنْكرٌ بهذا السياق. أخرجه النَّسائي في "اليوم والليلة" (رقم 482) مِن طريق **عمر بن حَفص بن غِياث** - ثم ذكَرَ السَّند - . قلت - أي الألباني - : **وهذا إسنادٌ ظاهرهُ الصِّحَة،** فإنّ رجاله **كُلهم ثقات رجال الشيخين، لكن** في عمر بن حفص بن غِياث **شيءٌ** مِن الضّعف، كما يُنبئك به الحافظ ابن حَجَر في "التّقريب"، فقال في عمر: " **ثقة، ربما** وَهِم". وقال في حفص: " **ثقة** فقيه، تغير حفظه قليلا في الآخِر" ».

الرَّد: **1.** تَغيُّرُ حِفظِ حفصٍ قليلا بأخَرة **لا** يُضَعِّف الحديث، **لأنّ** أحاديثَ حفص عن الأعمش **كانت مكتوبة عنده في كتاب***، « لذلك اعتمد البخاري على حفص في – تثبيت- حديث الأعمش لأنه كان يُميِّز بين ما صرّح به الأعمش بالسّماع، وبين ما دلّسه، نبّهَ على ذلك أبو الفضل بن طاهر» كما قال مُحَقِّق كتاب "**تهذيب الكمال**" د. بشار عواد معروف عند ترجمة حفص بن غياث (ترجمة رقم **1415** ، مجلد **7**) في الحاشية، ص 61 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

2. وعلاوة على ذلك: لو كان الحديثُ أعلاه ضعيفاً لتَغَيّر حِفظ حفص قليلا في الآخِر لَمَا استشهد به الحافظ ابن حَجَر العسقلاني كما مر آنفا (ص 235). أنظر إن شئت ترجمة الفقيه الثقة الثّبت المأمون **حفص بن غياث** في "**تهذيب الكمال**" للمِزّي، ترجمة رقم **1415** ، مجلد 7 / ص 56 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

3. هذا الحديث، الذي قال عنه الألباني: "مُنْكرٌ بهذا السياق"، هو في معنى الحديث الذي رواه الإمام الطَّبراني في "المُعجم الكبير"(برقم **8391**) **وقد صححه الألباني !** (أنظر الصفحة التالية - ص **238** -). **لهذا أقول**: لو كان الألباني نزيها في الحُكم على الحديث أعلاه لقال عنه على الأقل: حديث حسن، أو صحيحٌ لغيره بدلاً مِن أن يورده في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"، ولكن الألباني كان واقعاً تحت تأثير عقيدة التّجْسيم التي كان يؤمن به.

* أُنظر بخصوص ذلك قول الإمام علي ابن المديني في "تهذيب الكمال"، مجلد 7، ص 60 – 61 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683.

أمّا قول الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في عمر بن حفص: "**رُبّما** وهِم"، **لا** يُضَعِّفه، فقد قال: **ربما**، وهذه ليست بصيغة جَزْم.

[979] "مُسنَد أبي يعلى الموصلي"، حديث رقم **5910**، مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 677.

محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبيّ عليه الصلاة والسلام، وزاد فيه: "حتى يطلع الفجر".

وهذا الحديث رواه أيضا الإمام أحمد في مُسنده (برقم 16280) عن عثمان بن أبي العاص الثّقفي مرفوعاً، باللفظ التالي، قال: « حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حمّاد بن سَلَمة، عن علي بن زيد، عن الحسن - البصري- عن عثمان بن أبي العاص، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُنادي مُنادٍ كُلّ ليلة: هل مِن داعٍ فيُستجاب له؟ هل مِن سائل فيعطى؟ هل مِن مُستغفر فيُغفر له؟ حتى يَنفجر الفجر»][980]، وهذا الحديث صحيح لغيره (أنظر أدناه، الحديث الذي رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم 8391).

وحديث النُّزول بنفس السّنَد السابق، ولكن مِن طريق رَوح بن عبادة، رواه الإمام أحمد في مسنده (برقم 17904) باللفظ التالي، قال: « حدثنا رَوح بن عبادة، حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: »يُنادى كل ليلة - ساعة فيها-[981] منادٍ: هل مِن داعٍ فأستجيب له، هل مِن سائل فأعطيه، هل مِن مستغفر فأغفر له»][982].

وحديث النُّزول مِن طريق عثمان بن أبي العاص رواه كذلك الطبراني في "المعجم الكبير" (برقم 8391)، قال: « حدثنا ابراهيم بن هاشم البغوي، حدثنا عبدالرحمن بن سلام الجُمَحيّ، حدثنا داود بن عبدالرحمن العطّار عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عثمان بن أبي العاص الثَّقَفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « تُفْتَحُ أبواب السماء نصف الليل، فيُناد منادٍ: هل مِن داع فيستجاب له؟ هل مِن سائل فيُعطى؟ هل مِن مَكروب فيُفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوةٍ إلّا استجاب الله له، إلّا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً»][983] ، وهذا حديث صحيح، قال الحافظ نورالدين الهَيْثَمي عنه: «رواه الطَّبراني ورجاله رجال الصحيح»[984]، وأيضا الألباني قد صَحَّحَ هذا الحديث[985].

---

[980] أنظر "مُسند الإمام أحمد بن حنبل" بإشراف شعيب الأرنؤوط ، رقم الحديث **16280**، مجلد 26 / ص 206- 207 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 349، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: **صحيح لغيره**، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جُدْعان.... **وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح**.

[981] ما بين الشرطتين هكذا في النسخة المطبوعة.

[982] أنظر "مُسند الإمام أحمد بن حنبل" بإشراف شعيب الأرنؤوط، رقم الحديث **17904** ، مجلد 29 / ص 434، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جُدعان.
قوله: " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف ..." معناه أنَّ مَتنَ الحديث صحيح، ولكن إسناده ضعيف لأنَّ أحد رواته، وهو علي بن زيد، ضعيف.

[983] "المعجم الكبير" للطبراني، رقم الحديث **8391** ، جزء 9 / ص 59 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 945.

[984] أنظر "مَجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ، جزء 10 / ص 212 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 677.

[985] أنظر "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني، رقم الحديث **1073** ، مجلد 3 / ص 62، **الناشر**: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض 1995.

ففي هذه الأحاديث الأربعة الآنفة الذِّكْر (رواية النَّسائي في "السُّنَن الكبرى" برقم 10316، ورواية أحمد في مسنده برقم 16280 -وبرقم 17904-، **ورواية أبي يعلى الموصلي في مُسْنَده برقم 5910** - وكذلك برقم 5911 -، **ورواية الطَّبَراني في "المُعَجَم الكبير" برقم8391) دليلٌ قاطعٌ على أنّ النّازِلَ والمُنادي هو مَلَكٌ مِن الملائكة، وليس اللهُ سبحانه تعالى، وإنمّا أُضيفَ الفِعلُ إليه، كما في صحيحي البُخاري ومسلم والمُوَطأ، لأنه هو الآمِرُ به. والرُّواة يَروون الأحاديث في الغالب بالمعنى، فمنهم مَن روى الحديث بلفظ "يَنْزِلُ ربُّنا" ومِنهم مَن رواه بلفظ: "يأمر مُناديا ..." . قال الإمام الحافظ والفقيه أبو سليمان الخَطّابي: « وليس كُلُّ الرُّواة يُراعون لفظ الحديث حتى لا يَتَعدّوه، بل كثيرٌ منهم يُحدِّث على المعنى، وليس كُلّهم بفقيه»[986]، وقال أيضا: « وأنّ مذهبَ كثيرٍ مِن الصحابة وأكثر الرّواة مِن أهل النَّقْل الاجتهاد في أَداء المعنى دون مُراعاة أعيان الألفاظ، وكُلٌّ منهم يرويه - أي الحديث- على حسب معرفته ومقدار فهمه وعادة البيان مِن لغته»[987]. ومِن الدّليل على صحة قول الإمام الخَطّابي أنّ حديث النُّزول في "صحيح مسلم" وَرَدَ فيه أنّ النُّزولَ يكون حين « يَبْقى ثُلُثُ الليل الآخِر» (حديث رقم 1741)، وفي رواية: «حين يمضي ثُلُثُ الليل الأول» (حديث رقم 1742 ، 1746)، وفي رواية: «إذا قضى شَطْرُ الليل أو ثلثاه» (حديث رقم 1743).**

وعلاوة على ذلك: ألأئمة البخاري ومسلم ومالك بن أنس رووا حديثَ النُّزول مِن حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه الصلاة والسلام، وفيه جاء: «يَنْزِلُ رَبُّنا ... »، ورواه أيضا الإمامان النَّسائي وأبو يعلى الموصلي مِن حديث أبي سعيد الخُدْريّ وأيضا مِن حديث أبي هريرة، فلا يُعْقل البَتّة أن يروي أبو هريرة الحديث مرة بلفظ: « يَنْزِلُ ربّنا ...» ومرة بلفظ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمهلُ حتى يمضي شطر الليل الأول ثُمَّ يأمر مُناديا يُنادي ... »، فأحدُ رُواة الحديث رَواه كما فهمه.

ولقد أحاطَ ابنُ تيمية بروايات "أمَرَ مُنادياً فنادى، يأمر مُناديا يُنادي، يُنادي مُنادٍ"، فقال في "مجموعة الرسائل والمسائل" له ما نصه: [وفي نِداء الرَّبِّ يقول: «مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟» فإن قيل: فقد رُوِيَ أنه يأمُرُ

---

[986] "الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 365 – 366 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[987] المرجع السابق، ص 377.

مناديا يُنادي، قيل: هذا ليس في الصحيح، فإن صَحّ أمكن الجمع بين الخبريْن بأن يُنادي هو ويأمر مُنادياً يُنادي][988].

الرَّد: ● **قوْلُ ابن تيمية: «فإن صَحَّ» لا قيمة له، لأنَّ الحديثَ صحيح، وقد صححه الحافظ نورالدين الهَيْثمي والألباني -وكان مِن أنصار ابن تيمية- .**

● **وكلامُ ابن تيمية الآنف الذِّكْر يُوهم أنه لا يأخذ إلّا بالأحاديث الصحيحة، وهذا غير صحيح، فلقد استشهد بأحاديث ضعيفة لإثبات ما هو ليس بثابت، بل لإثبات ما هو مخالفٌ لأصل مِن أصول العقيدة[989].**

● **وقوْلُ ابن تيمية: «أمكن الجمع بين الخَبَريْن بأن يُنادي هو ويأمر مناديا يُنادي» هو مُغالطة، لأنّ الجَمْعَ بين الخبرين، بل بين الأخبار الثلاثة، هو أن يُفَسِّرَ بعضها بعضا. فالحديث الذي رواه الإمام النَّسائي بلفظ: «يأمر مُناديا يُنادي» والحديث الذي رواه الإمامان أحمد والطَّبراني، وغيرهما بلفظ: «فينادي منادٍ» يُفسران الحديث بلفظ : «يَنْزِلُ رَبُّنا»، أي أنّ اللهَ يأمُرُ مَلَكاً بالنُّزول إلى السماء الدنيا، فيُنادي: «هل مِن داعٍ فيُستجاب له؟»، ولكنّ الفِعل نُسِبَ إلى اللهِ تعالى: «يَنْزِلُ رَبُّنا» لأنه هو الآمِرُ بالنُّزولِ والنِّداء، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ﴾[990]، والمؤمنون - والملائكة - هم الذين باشروا قَتْل الكُفار يوم بدر، ولكنّ اللهَ نَسَبَ الفِعلَ إلى نفسه لأنّ القَتْلَ تَمَّ بأمْره وبمشيئته وكان هو مُسَبِّبُ قَتْلهم. وهذا الأسلوبُ مألوفٌ في اللغة العربية، كالقول: عبدالملك بن مروان بنى قبة الصَّخرة مع أنه لم يُباشر البناء بنفسه، ولكن نُسِبَ الفعلُ إليه لأنه هو الذي أمَرَ به.**

خلاصة ما تقدم: حديث النُّزول بلفظ: «يَنْزِلُ رَبُّنا ... » معناه أنّ اللهَ يأمرُ مَلَكاً بالنُّزول إلى السّماء الدنيا في الثلث الأخير مِن الليل، فيُنادي: «هل مِن داعٍ فيستجاب له؟...»، واختير هذا الوقت بالذّات لأنه الوقت الذي يحلو فيه النوم، فالذي عنده حاجة، عليه أن

---

[988] "مجموعة الرسائل والمسائل"، مجلد 1 / ص 359 – 360 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

[989] على سبيل المثال: استشهد ابن تيمية بحديث مِن رواية إمامه في التّجسيم أبي سعيد الدارمي لإثباتِ وجودِ اللهِ في السماء، والحديث مِن طريق **شَبيب بن شَيْبَة** عن الحسن عن عمران بن حُصيْن، وفيه أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم سأل الحُصين، فقال: « يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحدا في السماء ... » الحديث، "تلبيس الجهمية"، جزء 1 / ص 374 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194. وهذا الحديث **ضعيف:** شبيب بن شيبة ضعّفه النَّسائي وغيره، وقال عنه ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو داود: ليس بشيء ("تهذيب الكمال" للمِزِّي، ترجمة رقم 2691 ، مجلد 12 / ص 362 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 683] . وذَكَرَ ابن تيمية هذا الحديث أيضا في كتابه "درء التّعارض"، جزء 2 / ص 59، **وحَكَمَ عليه** مُحَقِّق الكتاب د. محمد رشاد سالم **بالضعف**، وأيضا الألباني ضَعّفَ هذا الحديث (أنظر "سُنَن الترمذي" بتعليق الألباني، حديث رقم **3483**). وكما سبق ذِكْره استشهد ابن تيمية كذلك بحديث تالف سنده، ومُنْكر متنه: «إنّ الله فوق عرشه فوق سماواته... »، راجع ص 217 إن شئت.

[990] سورة الأنفال: آية رقم 17.

يبذل جهدا لكي تتحقق حاجته: فما عليه سوى أن ينهض والناس نيام، ويستحضر النِّيّة ويكون موقناً بالإجابة. فلهذا الدّاعِ، المُستيقظ في وقت يحلو فيه النّوم، وضعٌ خاص: فاللهُ الرَّحمنُ الرحيم سَيمُنُّ عليه بالاستجابة إن شاءَ الله، واللهُ أعلم.

فصل

حديثُ النُّزول وكُرَويّة الأرض

لقد فَسَّرَ المُجَسِّمَة، ومنهم ابن تيمية، نُزولَ الله إلى السماء الدنيا بحركة قائمة بذاته- سبحانه-، ومع ذلك قال ابن تيمية: « إنه - أي الله- يَنْزِلُ ولا يَخلو منه العرش »[991]، ونَسَب هذا القول إلى جمهور أهل السُّنّة كالمُعتاد، وكأنّ جُمهورَ أهل السُّنّة كانوا يعتقدون اعتقاده الفاسد بأنّ اللهَ مستقرٌ على العرش، والحقيقة، والتي كان ابن تيمية يُخفيها دائما، هي أنَّ هذا هو مُعتقد جمهور طائفته المُجَسِّمَة كما تقدم بيانه.

الأرضُ كُرَوِيّة، هذه حقيقة علمية ثابتة، وقد عرفها علماؤنا الأوائل[992] بِنَصِّ قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ﴾[993].

وحديثُ النُّزول يَنُصُّ على أنّ النُّزولَ يكون في الثُّلُث الأخير مِن الليل، ويبقى حتى طلوع الفجر، كما في رواية في صحيح مسلم والبخاري. ولكنّ ثُلُث الليل - وكذلك الفجر- لا ينتهي بتاتا على وجه الأرض كونها كُرَويّة، ففي اللحظة التي ينتهي فيها ثُلُث ليل في بُقعة مِن الأرض يَبدأ في نفس اللحظة ثُلث ليل آخر في بُقعة أخرى - وهكذا الحال في الفجر- لأنّ الأرض الكُرَويَة تدور حول نفسها -بعكس دوران عقارب الساعة- ، وعلى هذا فثُلث الليل، وكذلك الفجر، مُستمران على وجه الكُرَة الأرضيّة طوال الأربع والعشرين ساعة. وبناءً على ذلك لا ينتهي النُّزولُ مطلقا، ولا النِّداءُ كذلك. فعلى عقيدة ابن تيمية وطائفته المُجَسِّمَة يكون اللهُ دائما في حالة نُزول ونِداء مُستمرّان، أو في حالة نُزول وصعود في آنٍ واحد! وهذه الحُجّة العقلية - أي استمرارية ثُلث الليل ولوازم ذلك بخصوص حديث النُّزول - أوردها علماء أهل السُّنة للاستدلال على بُطلان مفهوم النُّزول اللُّغوي الوارد في الحديث

---

[991] "منهاج السُّنّة النبوية" لابن تيمية، جزء 2 / ص 638 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[992] راجع "الفِصَل في المِلَل" لابن حَزْم، مجلد 1/ جزء 2 / ص 167 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 18.

[993] سورة الزمر: آية رقم 5.

الشريف والمُضاف إلى اللهِ تعالى، وهو الحَرَكة مِن فوق إلى أسفل، لأنّ اللهَ الخالق مُنَزَّهٌ عن الحركة والانتقال والمكان، فقالوا: « فلو كان النُّزولُ هو النُّزولُ المعروف لَلَزِمَ أن يَنْزلَ في جميع أجزاء الليل، إذ لا يزال في الأرض ليل. قالوا: أو لا يزال نازلا صاعداً، وهو جمع بين الضّديْن»[994].

ولكنّ الشيخ ابن تيمية لم تكن تعوزه الأمثالُ الباطلة لِترويج الباطل، فضربَ مِثالا للرَّد على هذه الحُجّة العقلية الآنفة الذِّكْر، فيه قاس اللهَ الخالقَ على الشَّمس التي تدور حول الأرض[995]، فقال: « يُقال لهؤلاء - أي لعلماء أهل السُّنّة-: أنتم تعلمون أنّ الشَّمس جسمٌ واحد، وهي مُتحركة - بحركة - واحدة متناسبة لا تختلف، ثُمَّ إنها بهذه الحركة الواحدة تكون طالعة على قوم وغاربة عن آخرين، وقريبة مِن قومٍ وبعيدة مِن آخرين، فيكون عند قوم عنها ليل، وعند قوم نهار، وعند قوم شتاء، وعند قوم صيف، وعند قوم حَرّ، وعند قوم برد، فإذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين، وشتاء وصيف في وقت واحد لطائفتين، فكيف يمتنعُ على خالق كُلِّ شيء الواحد القهار أن يكون نُزوله إلى عباده ونداؤه إياهم في ثُلُث ليلهم وإن كان مختلفا بالنسبة إليهم، وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ولا يحتاج أن يَنْزل على هؤلاء، ثُمَّ يَنْزلُ على هؤلاء، بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثا عند هؤلاء وفجرا عند هؤلاء، يكون نزوله إلى سماء هؤلاء الدنيا وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا، فسبحان اللهِ الواحد القهار ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلينَ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ﴾[996] »[997].

---

[994] ذَكَرَ هذه الحُجّة ابن تيمية في "تلبيس الجهميّة"، جزء 1 / ص 613 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[995] هكذا كان يعتقد ابن تيمية، أنّ الشمسَ تدور -حول الأرض-، وهو معذورٌ في ذلك لأنّ معرفةَ دوران الأرض حول نفسها - فينشأ عن ذلك الليل والنهار- ودورانها حول الشمس - فينشأ عن ذلك الفصول الأربعة - مِن الإكتشافات العلمية الحديثة. ولا عذرَ للشيخ الوهابي ابن عُثيمين، حيث اعتقد أنّ الشمسَ تدور حول الأرض! حيث قال في تفسير حديث النُّزول ما نصه: « وأورد المتأخرون الذين عرفوا أنّ الأرضَ كُرَويّة، **وأنّ الشمسَ تدور على الأرض** إشكالا، فقالوا: كيف يَنزلُ في ثلث الليل؟! وثُلث الليل إذا انتقل عن المملكة العربية السعودية **ذهبَ** إلى أوروبا وما قاربها؟! أفيكون - اللهُ- **نازلاً دائما؟! فنقول**: آمِن أولا بأنّ اللهَ يَنزلُ في هذا الوقت المُعيّن، وإذا آمنت، ليس عليك شيء وراء ذلك، لا تقل كيف؟ وكيف؟ بل قُل: إذا كان ثلث الليل في السعودية فاللهُ نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل، يكون نزولُ اللهِ أيضا، وإذا طلع الفجر انتهى وقت النُّزول في كُلّ مكان بحسبه » ("شرح العقيدة الواسطيّة"، ص 394 مِن النسخة المشار إليها في الحاشية رقم 124) **التعليق**: كانت هذه عقيدة ابن عثيمين: إذا كان ثلثُ الليل في السعودية فاللهُ نازل - سبحانه-، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل، يكون اللهُ نازلاً أيضا ...**ولكنّ** ابن عُثيمين لم يُجِب على الإشكال الذي أوره المتأخرون، على حدّ تعبيره، وهو أنّ اللهَ يكون **نازلا دائما**، لأنّ ثلثَ الليل لا ينتهي بتاتا! مشكلة مِن المشاكل الرئيسية للمُجَسِّمَة هي تعطيلهم للعقل في فهم نُصوص الشّرع، مع أنّ العقلَ هو مناط التكليف.

[996] سورة الصافات: آية رقم 180 – 182.

[997] "تلبيس الجهمية" لابن تيمية، جزء 1 / ص 613 – 614 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

كان هذا رأي الشيخ ابن تيمية: فكما أنَّ الشمس جسمٌ واحد، وبحركة واحدة تكون طالعة على قوم وغاربة عن آخرين، فهكذا اللهُ الواحد القهار يكون نازلا إلى سماء قومٍ وصاعداً عن سماء آخرين في نفس الوقت، أي يكون نازلا صاعداً في آنٍ واحد، - ومع ذلك يبقى على العرش، والعرشُ لا يخلو منه - كُلُّ هذا جائزٌ على مذهب ابن تيمية. ولكنّ الحقيقة هي أنّ ابن تيمية لم يُبْطل حُجّة علماء أهل السُّنّة بمثاله السابق، بل التزمها!! وبناءً على ذلك أقول: المثال الذي ضربه ابن تيمية يُضربُ به عرض الحائط، وهذا هو حال أمثلته ورُدوده على أئمة أهل السُّنّة: هي لا شيء في صورة شيء.

ومِن باب ذَرِّ الرّمادِ في العيون استشهد ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾! ومعنى الآية الكريمة هو: مُنَزَّهٌ رَبُّكَ عمّا يصفه الواصفون بما لا يليق بجلاله كخالق[998]. فبماذا وصفَ ابن تيمية اللهَ؟ قال: اللهُ جسم، وله أعضاء: وجه، ويدان، وعينان، وساق وقدم، وسَمَّى الأعضاءَ مِن باب الخِداع "صفاتٌ عَيْنِيّة"!

وقال: لله مكانٌ ومكانه العرش، وقال: اللهُ محدود، وقال: اللهُ بذاته محيطٌ بالعالم مِن جميع جوانبه، وقال: لا محذور أن يكون اللهُ تحت بعض عباده. وقال: أنَّ اللهَ مَحَلٌ للحوادث، وجَوّز أن يكون اللهُ نازلا صاعدا، وأن يستقرَّ على ظهر بعوضة، وأن يَمسّ المخلوقات وتمسه، وأنْ يَمسّ الشياطين والنّجاسات!! وبسبب هذه العقائد الفاسدة قام ضده أئمة أهل السُّنّة، فاشتهر أمره، وحُكِم عليه بالسِّجن مِرارا فذاع صيته، وأدّى هذا إلى انتشار أفكاره، غالبا بين بُسطاء الناس، قال الحافظ الذَّهبي في رسالته "النّصيحة الذهبيّة"[999] موجها كلامه إلى ابن تيمية: « يا خيبة مَن اتّبعَك، فإنه مُعرّضٌ للزَّندقة والانحلال، لا سيما إذا كان قليلَ العِلْم والدّين باطولياً شهوانياً، لكنه ينفعك ويُجاهد عنك بيده ولسانه، وفي الباطن عدوٌ لك بحاله وقلبه، فهل مُعظم أتباعك إلّا قعيدٌ مربوط خفيف العقل؟ أو عاميٌّ كَذّابٌ بليد الذهن؟ أو غريب واجِم قويّ المَكْر؟ أو ناشفٌ صالح عديم الفَهْم؟ فإن لم تُصَدِّقني ففتشهم وَزِنْهُم بالعَدْل ...- إلى أن قال ناصحا ومُنتقدا له -: إلى متى تمدحُ كلامك بكَيْفِيّة لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين؟ ...أما حان لك أن تتوب وتُنيب؟ ... ما أذكر أنك تَذكر الموت، بل

---

[998] قال الرسول ﷺ في تفسير "سبحان الله" ما نصه: « تنزيهُ الله عَزَّ وجَلَّ عن كُلِّ سوء »»، أخرجه الإمام أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 55 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15. والمُراد بالسّوء في الحديث أعلاه النَّقائص، ومنها: كُلُّ صفة أو وصف للمخلوق كالجلوس والقيام والهبوط والارتفاع والجِسْمِيّة والأعضاء.

[999] "النَّصيحة الذّهبيّة" معروفة أيضا باسم "القبّان"، ذَكَرَها الإمام الحافظ والمؤرخ السَّخاوي (ت 902) في كتابه "الإعلان بالتّوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ"، ص 307 ، بتحقيق وتعليق فرانز روزنثال، ترجمة د. صالح أحمد العلي، **الناشر**: دار الكتب العلمية، بيروت.

تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل عليّ قولي ولا تُصغي إلى وعظي، بل لك هِمّة كبيرة في نَقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصرُ لكلامك حتى أقول لك: والبَتَّة سكت»[1000].

وقال الإمام ابن حَجَر الهَيْتَمي المَكّي (ت 974 هـ) **في كتابه "الفتاوى الحَديثيّة"، تحت عنوان: "مَطلب في عقيدة الإمام أحمد"، مُحَذِّرا مِن ابن تيمية وكتبه: « وإياك أن تُصغي إلى ما في كُتب ابن تيمية وتلميذه ابن قَيِّم الجَوْزيّة وغيرهما مِمّن اتخذ إلهه هواه وأضَلّه اللهُ على عِلم وخَتَمَ على سَمْعِه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء المُلحدون الحدودَ وتعدوا الرّسوم وخرقوا سِياج الشّريعة والحقيقة فظنوا بذلك أنهم على هُدىً مِن ربهم وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضّلال وأقبح الخِصال وأبلغ المَقت والخُسران وأنهى الكذب والبُهتان، فخَذَلَ اللهُ مُتَّبعهم وطَهَّر الأرض مِن أمثالهم»[1001].**

وقال الإمام الفقيه، قاضي القضاة أبو الحسن تقي الدّين السُّبْكي (ت 756 هـ) **في كتابه "السَّيف الصقيل في الرَّد على ابن زفيل" ما نصه: « ثُمَّ جاء في أواخر المائة السابعة رجلٌ - يقصد ابن تيمية - له فضلُ ذكاء واطّلاع، ولم يجد شيخاً يهديه، وهو على مذهبهم - يقصد على مذهب المُجَسِّمة - وهو جسورٌ مُتجرد لتقرير مذهبه ويجد أمورا بعيدة فبجسارته يلتزمها، فقال بقيام الحوادث بذاتِ الرَّبِّ سبحانه وتعالى، وأنّ اللهَ سبحانه ما زال فاعلا، وأن التّسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي، وشَقّ العصا، وشَوّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر ضَرَرهُ على العقائد في عِلم الكلام حتى تعدى وقال إنَّ السَّفرَ لزيارة النّبي صلى الله عليه وسلم معصية، وقال إنّ الطلاقَ الثلاث لا يقع، وأنّ مَنْ حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق، واتّفقَ العلماء على حبسه الطّويل فحَبَسهُ السُّلطان... »[1002].**

[1000] **المرجع**: "بيان زغل العلم والطلب" للحافظ الذّهبي، ص 36 -37 بتعليق الشيخ المُحدِّث الكَوْثري، **الناشر**: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

[1001] "الفتاوى الحديثيّة" للإمام ابن حَجَر الهَيْتَمي المَكّي (ت 974 هـ)، ص 203 - 204، ، **الناشر**: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 3 ، القاهرة 1989.

[1002] "السّيفُ الصقيل في الرد على ابن زفيل" للإمام تقي الدين السُّبْكي، ص 23 – 24 بتعليق الشيخ الكَوْثري، **الناشر**: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. المقصود بابن زفيل ابن القَيِّم الجَوْزيّة.

ومِن عقائد ابن تيمية

خامسا: قِدَمُ العالم بالنَّوع

سُبحانَ اللهِ القائل: ﴿هُوَ الأوّلُ والآخِرُ﴾[1003]، فلا بداية ولا نهاية لوجوده، وما سواه له بداية ونهاية، والصلاةُ والسلام على سيِّدنا محمد القائل: « اللهُمَّ أنتَ الأوّلُ فلَيْسَ قبلكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدكَ شيء »[1004]. وقال ﷺ أيضا: « كان اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ولم يَكُن شيءٌ غَيْرُه»[1005]، وفي رواية: « كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ قبْلَهُ »[1006]، وفي رواية: « كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ معه »[1007]. ولا اختلاف في المعنى بين هذه الروايات الثلاث، فقوله ﷺ: «ولم يَكُن شيءٌ غيرُه» معناه أنه لم يَكُن شيءٌ موجوداً سوى الله، ثُمّ خَلَقَ الخَلْقَ، وهذا هو في معنى قوله ﷺ: «ولم يَكُن شيءٌ معه»، وقوله ﷺ: «ولم يَكُن شيءٌ قبله» هو في معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوّلُ﴾، إذ لو كان هناك شيءٌ قبله لم يَكُن هو الأوّل، ولو كان هناك شيءٌ معه لم يَكُن وحْدَه الأوّل، فقوله عليه الصلاة والسلام: «ولم يَكُن شيءٌ قبله» هو في معنى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «ولم يَكُن شيءٌ معه».

ولقد نَقَلَ الإمام ابن حَزْم الأندلسي في كتابه "مَراتب الإجماع" تحت عنوان: "بابٌ مِن الإجماع في الاعتقادات يَكْفُرُ مَن خالفه بإجماع"، فقال: « اتَّفقوا - أي أهل السُّنة - أنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وحدَه لا شريكَ له، خالقُ كُلِّ شيءٍ غيرِه، وأنه تعالى لم يَزَلْ وحدَه ولا شيءَ غيرُه معه، ثُمّ خَلَقَ الأشياءَ كُلّها كما شاء، وأنّ النّفسَ مخلوقة، والعرشَ مخلوقٌ، والعالمَ كُلّه مخلوق»[1008]. ولكنّ ابن تيمية خالفَ هذا الإجماع، فقال في كتابه "نقد مراتب الإجماع" مُنتقداً ورَادّاً للكلام السابق الذي أجمعت الأمة عليه ما نصه: « وأعجبُ مِن ذلك حكايته الإجماع على كُفْرِ مَن نازع أنه سبحانه لم يَزَل وحدَه ولا شيءَ غيرُه معه، ثُمَّ خَلَقَ

[1003] سورة الحديد: آية رقم 3.

[1004] سبق تخريجه في الحاشية رقم 438.

[1005] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (برقم **3191**)، والإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 478 واللفظ له، وكذلك الإمام النَّسائي في السُّنن الكبرى (برقم **11240**)، والإمام ابن جرير في تفسيره بلفظ: « كان اللهُ ولا شيءَ غيره »، أنظر تفسير ابن جرير الطبري، جزء 12 / ص 9 بتعليق محمود شاكر ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكانَ عَرْشُهُ على المآءِ ﴾ [سورة هود: آية رقم 7].

[1006] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **7418**.

[1007] سبقَ تخريجه في الحاشية رقم 737.

[1008] "مراتب الإجماع" للحافظ ابن حَزْم الأندلسي، ص 267 مِن الطبعة التي جُمع فيها كتاب "مراتب الإجماع" للإمام الحافظ ابن حزم وكتاب "نقد مراتب الإجماع" لابن تيمية في كتاب واحد، بعنآية حسن أحمد أسبر، **الناشر**: دار ابن حَزْم، ط 1 ، بيروت 1998.

الأشياء كما شاء، ومعلومٌ أنَّ هذه العِبارة ليست في كتاب الله، ولا تُنْسبُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بل الذي في "الصحيح"[1009] عنه حديثُ عمران بن حُصَيْنٍ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: « كان اللهُ ولا شَيءَ قبلَه، وكان عَرْشُهُ على الماء، وكَتَب في الذِّكْرِ كُلَّ شيء، وخَلَقَ السماوات والأرض». وفي لفظ ثُمّ خَلَقَ السماوات والأرض ». ورُوِيَ هذا الحديث في البخاري بثلاثة ألفاظ: رُوِيَ «كان اللهُ ولا شيءَ قَبْلَه» ورُوِيَ: «ولا شَيءَ غيره»[1010] ورُوِيَ: «ولا شيءَ معه»[1011] والقصة واحدة. ومعلومٌ أنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم إنّما قال واحداً مِن هذه الألفاظ، والآخران رُوِيا بالمعنى، وحينئذ فالذي يُناسب لفظ ما ثبت عنه في الحديث الآخَر الصحيح، أنه كان يقول: «أنتَ الأولُ فلَيْسَ قبلكَ شيء، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهِرُ فليس فوقكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليس دُونَكَ شَيء». فقوله في هذا: « أنتَ الأولُ فلَيْسَ قبلكَ شيءٌ » يُناسب قوله: «كان اللهُ ولا شيءَ قبْلَه»][1012].

التَّعليق: أولا: لقد اعتمدَ ابن تيمية فقط رواية: «كان اللهُ ولا شيءَ قبْلَه» لأنها تُناسب قوله ﷺ في حديث آخر: «أنت الأوّلُ فليس قبلكَ شيء»، مع أنّ الروايتين الأخريين: «ولم يَكُن شيءٌ غيرُه» ، «ولم يَكُن شيءٌ معه» لا تُخالفان في المعنى الرِّواية التي اعتمدها ابن تيمية كما سبق بيانه. ولقد تَوَهَّمَ ابن تيمية، بل زَيّنت له نفسُه أنه باعتماده فقط رواية: «ولم يَكُن شَيءٌ قَبْله» يستطيع أنْ يُثبِت شيئا قديماً آخرَ مع الله، كما سيأتي بيانه.

ولقد انتقد الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني ابنَ تيمية لِرَدِّه الروايتين المذكورتين، فقال: « قوله - أي الرسول ﷺ -: «كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ قَبْله» تَقَدَّمَ في بَدْءِ الخَلْق بلفظ: «ولم يَكُن شيءٌ غيرُه»، وفي رواية أبي معاوية: «كان اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيء»، وهو بمعنى «كان اللهُ ولا شيءَ معه»، وهي أصْرَحُ في الرَّدِّ على مَن أثْبَتَ حوادث لا أوّل لها مِن رواية الباب، وهي مِن مُسْتَشْنَع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يُرَجِّحُ الرواية التي في هذا الباب[1013] على غيرها، مع أنّ قضية الجَمْع بين الرِّوايتين[1014] تقتضي

[1009] أشار مُحَقق الكتاب في الحاشية إلى ما يلي: « أخرجه البخاري في (97) كتاب التوحيد، (22) باب وكان عَرْشُهُ على الماء، حديث رقم: (**7418**) ».

[1010] أشار محقق الكتاب في الحاشية إلى ما يلي: « أخرجه البخاري في (59) بَدْءِ الخَلْق، (1) باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُاْ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، حديث رقم (**3191**) ».

[1011] وهذا وَهْمٌ مِن ابن تيمية، فهذا اللفظ: **« ولا شيء معه » ليس في صحيح البخاري.**

[1012] "نقد مراتب الإجماع"، ص 303 – 304 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 1008.

[1013] أي رواية: «ولم يَكُن شيءٌ قبله».

[1014] أي رواية: «ولم يَكُن شيءٌ قبله» و «ولم يَكُن شيءٌ غيرُه».

حَمْلَ هذه[1015] على التي في بَدْءِ الخَلْق[1016] لا العكس، والجَمْعُ يُقَدَّم على التَّرجيح بالاتفاق»[1017].

ثانيا: قوْلُ ابن تيمية: « ومعلومٌ أنَّ هذه العِبارة ليست في كتاب الله، ولا تُنسَبُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم » حَقّ، فعبارةُ الإمام ابن حَزْم بهذا اللفظ : «وأنه تعالى لَمْ يَزَلْ وحدَه ولا شيءَ غيرُه معه، ثُمّ خَلَقَ الأشياءَ كُلها كما شاء» ليست في كتاب اللهِ ولم تَرِدْ في سُنَّة رسوله ﷺ، ولكن: ليست كُلُّ عبارة لم تَرِدْ في القرآن الكريم ولا في سُنّة الرسولِ ﷺ هي عبارة باطلة، فأئِمَّةُ أهلِ السُّنّة أجمعوا على أنَّ "القرآنَ غيرُ مخلوق"، وهذه العبارة ليست في كتاب الله، ولا تُنسَبُ إلى رسول الله ﷺ، ومع ذلك فهي حَقّ. واستدَلَّ علماؤنا عليها بنصوص نَقْليّة وأدلّة عقلية، فقالوا: القرآنُ كلامُ اللهِ لقوله تعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ مِّنَ المُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فأجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾[1018]، أي حتى يَسمعَ القرآن. وكلامُ اللهِ صفة أزلية له قائمة بذاته كباقي صفاته الذاتيّة[1019]، فكلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، والقرآنُ كلامُ الله، فهو إذن غيرُ مخلوق[1020].

وعلاوة على ذلك: قوْلُ ابن تيمية أعلاه يُوهم أنّه إنسانٌ ورِعٌ، لا يقول إلّا ما يقوله اللهُ وما قاله رسولُه ﷺ، وهذا غيرُ صحيح، فابن تيمية قال: «للهِ حَدٌّ لا يعلمه غيره»، وهذه العبارة لم تَرِدْ لا في القرآن الكريم ولا في السُّنّة النبوية، ولا نَطَقَ بها أحدٌ مِن الصحابة ولا التّابعين لهم بإحسان، وبذلك خالفَ ابنُ تيمية القرآنَ والسُّنّة وإجماع الأُمّة، قال الإمام أبو منصور البغدادي (ت 429 هـ)**: « وقالوا - أي أهلُ السُّنّة - بِنَفْيِ النِّهاية والحَدِّ عن صانع العالم »[1021].**

- **وقال ابن تيمية: «اللهُ جسمٌ لا كالأجسام»، وهذه العبارة لم تَرِدْ لا في القرآن الكريم ولا في السُّنّة النبوية، ولا نَطَقَ بها أحدٌ مِن الصحابة ولا التّابعين لهم بإحسان، ولم يَقُل بها إلّا طائفة المُجَسِّمَة مِن الشيعة وغيرهم، وبذلك خالفَ ابنُ تيمية القرآنَ والسُّنّة وأهلها، قال**

[1015] أي رواية: «ولم يَكُن شيءٌ قبله».
[1016] أي رواية: «ولم يَكُن شيءٌ غيرُه».
[1017] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7418**، مجلد 13 / ص 504 – 505 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72.
[1018] سورة التوبة: آية رقم 6.
[1019] أنظر "الأسماء والصفات" للإمام البَيْهَقي، ص 306 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15 .
[1020] أخرج الإمام البَيْهَقي بإسناده مِن طريق حسين بن علي الأسود أنّ وكيع بن الجراح (ت 197 هـ) قال: « القرآنُ كلامُ اللهِ تعالى ليس بمخلوق، فمَن زَعَمَ أنه مخلوق فقد كَفَرَ بالله العظيم » ("الأسماء والصفات"، ص 320).
[1021] "الفَرْقُ بين الفِرَق"، لأبي منصور البغدادي، ص 356 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 418.

الإمام أبو الحسن الأشعري ناقلا عقيدة أهل السُّنّة في الله: « وقال أهلُ السُّنَّة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يُشْبِه الأشياء »[1022].

● وقال ابن تيمية أيضا: « فكذلك لَمّا وصف ـ اللهُ ـ نفسَه أنّه خَلَقَ آدمَ بيديه لَمْ يوجب ذلك أنْ يكون ظاهره غيرَ مُراد، لأنّ مفهومَ ذلك في حَقِّه كمفهومه في حقّنا »[1023]، وهذه العبارة ليست في كتاب اللهِ ولَمْ تَرِدْ لا في حديث صحيح ولا حتى في حديث موضوع، ومع ذلك نَسَبَ ابن تيمية لله الأعضاءَ وسَمّاها مِن باب التّلبيس "صفات عَيْنِيَّة"، وخالفَ بذلك عقيدة أهل السُّنّة، قال الإمام أبو منصور البغدادي: « وأجمعوا ـ أي أهل السُّنة ـ على إحالة وصفه ـ تعالى ـ بالصّورة والأعضاء »[1024].

● وقال ابن تيمية كذلك: « فما مِن الإرادة والمَحبة والمشيئة والرِّضا والغضب والمَقت وغير ذلك مِن الأمور، لو كان مخلوقا في غيره لم يَكُن الرب تعالى مُتّصفا به، بل يكون صفة لذلك المَحَل، فإنّ المعنى إذا قام بمحل كان صفةً لذلك المَحَل ولم يَكُن صفة لغيره»[1025]، وهذه العبارة ليست في كتاب الله ولا تُنسَبُ إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، ولا إلى أحدٍ مِن سَلَف أهل السُّنّة. وابن تيمية يُصَرِّحُ في عبارته السّابقة بأنّ صفاتَ الله مخلوقة في ذاته -سبحانه-، ومعنى عبارته أيضا أنَّ اللهَ مَحَلٌ للحوادث، وهذا مخالفٌ لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، قال الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه "أُصول الدّين": « وأما جِسْمِيّة خراسان مِن الكَرَّامِيّة فتكفيرهم واجب لقولهم: بأنَّ اللهَ له حَدٌّ ونهاية مِن جهة السُّفل ومنه يماسُّ عرشه، ولقولهم بأنَّ اللهَ مَحَلٌ للحوادث][1026]**.**

وفيما ذُكِر كِفاية للدلالة على أنّ ابن تيمية كان يقول ما يُخالف قولَ الله تعالى وقول رسولِه ﷺ. والحقيقة هي أنّ ابن تيمية كان يَرُدُّ كُلَّ عبارة لا توافق مذهبه بِحُجّة أنها لم تَرِدْ في القران الكريم ولا في السُّنة، وكان يَدَّعي عَدَمَ الإجماع في مسألة مُجْمَعٌ عليها ليُبَرِّرَ لنفسه الخروج على الإجماع، كما في مسألة "إثبات قديم غير الله" كما سيأتي بيانه إن شاءَ الله.

فقَوْلُ الإمام ابن حَزْم: «وأنه تعالى لم يَزلْ وحدَه ولا شيءَ غيرُه معه،...» حَقّ، لأنه موافقٌ في المعنى لقوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ﴾، ومطابقٌ بالمعنى لقوله ﷺ في رواية عنه: «كانَ اللهُ ولم يَكُن شَيءٌ معه»، وفي رواية: «كانَ اللهُ ولم يَكُن شَيءٌ قَبْله»، وهذه أدلة

1022 "مقالات الإسلاميين"، 125 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية 198.

1023 سبق تخريجه في الحاشية رقم 150.

1024 "الفَرْقُ بين الفِرَق" لأبي منصور البغدادي، ص 356 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 418.

1025 "مجموعة الرسائل والمسائل"، مجلد 1 / ص 349 – 350 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

1026 "أصول الدين" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 337 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 542.

شرعية قطعية الدَّلالة على عَدَم وجودِ قديم[1027] سوى الله، ولكن كان لابن تيمية رأيٌ آخر، حيث ادّعى وجودَ قديم غير اللهِ معه، فقال في "تلبيس الجهميّة" له موجها كلامه إلى الإمام الرّازي الذي نَفَى وجود قديم سوى الله: « لا يَصِحُّ أن تَحتجَّ بالإجماع على نَفْي قديم غير الله ... فقد ثبت أنّ في الأُمّة مَن يقول بثبوت قديم غير الله »[1028].

التَّعليق: قوْلُ ابن تيمية: « فقد ثَبَتَ أنّ في الأُمّة مَن يقول بثبوت قديم غير الله » حَقّ، أرادَ به باطلا، لأنّ الفارابي (ت 339 هـ) **وابن سينا** (ت 428 هـ) **مِن الفلاسفة، والمحسوبين على أُمّة محمد** عليه الصلاة والسلام**، قالوا بِقِدَمِ العالم، ومِن الفلاسفة مَن قال أنّ العالمَ قديمٌ بمادته، وصورته حادثة، وبهذه الضلالة أخذ ابن تيمية بتعديل طفيف، حيث ادّعى أنّ العالمَ قديمٌ بالنَّوع، حادث الأفْراد، ومعنى هذا الكلام هو: أنَّ هذا العالمَ المشاهد الآن كان قبله عالمٌ آخر، وقبل ذلك عالم آخر أيضا وهكذا إلى ما لا بداية، وكُلُّ عالمٍ مِن هذه العوالم السّابقة حادث، أما نوعها فقديم لا بداية لوجوده! وبناءً على ذلك قال ابن تيمية بوجود «حوادث لا أوّل لها»، بمعنى: أنه ما مِن حادث إلّا وهو مسبوق بآخر إلى ما لا بداية، حيث يكون جِنْسُ الحوادث قديماً، أي لا بداية لوجوده، وكُلُّ فَرْدٍ منها حادث.**

ونظرية ابن تيمية هذه مُتهافتة لأنها باطلة شرعا وعقلا: لأنَّ كُلَّ شيءٍ حادثٍ فهو مخلوق لله القائل: ﴿ اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾[1029]، وقال اللهُ تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ ﴾[1030]. فكُلُّ شَيءٍ سوى الله فهو مخلوق، وكُلُّ مخلوق حادث، وما مِن حادثٍ إلّا وله بداية ونهاية، فإذا كانت الأفراد حادثة، فَنَوْعها أيضا حادث لا مَحالة.

والقَوْلُ بِقِدَمِ النَّوْع يوجب قديماً مع اللهِ غيره، وهذا ضِدُّ التَّوحيد، ومُخالفٌ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ﴾، لأنه لو كان مع اللهِ قديمٌ آخر، سواءً بالنَّوْع أم بالعَيْن، لم يكن اللهُ وحَدَه الأوّل. وعلى هذا: فالقَوْلُ بِقِدَم النَّوْع، أو بِقِدَم شيءٍ آخر سوى الله، هو شِرْك، لأنه إشراكٌ لشيءٍ مع اللهِ في وجوده الأزَلي. ولقد حَذَّر اللهُ مِن الشِّرك أشدّ تحذير، فقال عزّوجلّ**: ﴿ إنَّ**

[1027] معنى "**قديم**" في لغة علماء الأصول: هو الذي لا بداية لوجوده، وهذا موافقٌ في المعنى لقوله تعالى: ﴿هُوَ الأوّلُ﴾ ، ويُعَبَّر عن ذلك أيضا بلفظ: "الأزَليّ". و"**القديم**" مِن أسماء الله، كما ذَكَرَ ذلك الإمام البَيْهَقي في "الأسماء والصفات" له، ص 23 بتعليق الشيخ الكَوْثري. ولفظ القديم وَرَدَ في الحديث النّبوي الذي أخرجه أبو داود بسند جيد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّ النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا دَخَلَ المسجد قال: « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسُلطانه **القديم** مِن الشّيطان الرجيم ... »، **المرجع**: "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي، ص 44، حاشية رقم 1، مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 209.

[1028] "تلبيس الجهميّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 545 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194.

[1029] سورة الرعد: آية رقم 16.

[1030] سورة الفرقان: آية رقم 2.

اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ ﴾[1031]، وقال اللهُ تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [1032].

وفيما يلي بعضٌ مِن أقوال ابن تيمية التي صَرَّحَ فيها بِقِدَم نَوْع المخلوقات وحدوث أفرادها، وبوجود حوادث لا أوّل لها، وما توفيقي إلّا بالله:

1. قال ابن تيمية: « إذ يُمكن أن يُقال: إنَّ الحادثَ بعد أن لم يَكُن هو كُلُّ شخصٍ مِن أعيان الحوادث، وأما النَّوْع فلم يَزَل »[1033]، أي لا بداية لوجوده! وقد تقدم بُطلان ذلك قبل أسطر في الصفحة السابقة.

2. وقال أيضا: « بل لا يَزالُ جِنْسُ الفِعل موجوداً، فهذا يُسَلِّمه لهم - أي لِلفلاسفة- أئمَّةُ المسلمين. لكن ليس في هذا ما يقتضي صحة قولهم - أي قوْل الفلاسفة- بقدم شيءٍ مِن العالم، بل هذا يقتضي حدوثَ كُلِّ ما سوى الله، فإنه إذا كان جِنْس الفِعل لم يَزَل، لَزِمَ أنه لا تزالُ المفعولاتُ تَحْدثُ شيئا بعد شيء »[1034].

- **قول ابن تيمية: « فإنه إذا كان جِنْسُ الفِعل لم يَزَل ... » يقتضي قِدَمَ جِنْس (نَوْع) المفعول، أي يقضي بأزلية المفعول (المخلوق).**

- **وقول ابن تيمية: «بل هذا يقتضي حدوث كُلّ ما سوى الله» لا ينفي قوله بِقِدَم المَخلوق بالنَّوْع، فابن تيمية كان يقول بِقِدَم النَّوْع، وبحُدوث العَيْن حيث قال: «لزم أنه لا تزال المفعولات تَحْدثُ شيئا بعد شيء ».**

3. وقال أيضا في كتابه "مِنهاج السُّنّة": « وما ذَكَرناه هنا هو مِمّا يُعلم به حُدوث كُلّ ما سوى الله، وامتناع قِدَم شيءٍ بعينه مِن العالم بِقِدَم الله، .. - إلى أن قال- وأنّ كُلَّ ما سوى الله حادثٌ كائنٌ بعد أن لم يَكُن، سواءً قِيل بدوام نَوْع الفِعل كما يقوله أئمة الحديث وأئمة الفلاسفة، أو لم يقل »[1035]، بل القوْلُ بدوام نَوْع الفِعل هو قوْل أئمة الفلاسفة فقط، وتبعهم في ذلك ابن تيمية.

[1031] سورة النساء: آية رقم 48 ، 116.

[1032] سورة الزمر: آية رقم 65.

[1033] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 303 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1034] المرجع السابق، جزء 1 / ص 368 – 369.

[1035] "منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 301 – 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

4. وقال ابن تيمية أيضا في "منهاج السُّنّة": « فلا يلزمُ مِن دوام النَّوْع قِدَمُ شيءٍ بعينه»[1036]،

وقال أيضا: « وكذلك إذا وُصِفَ كُلُّ واحدٍ مِن المُتعاقبات بفناءٍ وحدوث، لم يلزم أن يكون النَّوْعُ منقطعاً أو حادثاً... فليس إذا كان هذا المُعيّن لا يدوم، يلزمُ أن يكون نوعه لا يدوم، لأنّ الدّوامَ تعاقب الأفراد »[1037].

في هذا النَّص يُصَرِّحُ ابن تيمية بحدوث الفَرْد وبإمكانية أزلية النَّوْع، وكلامه هذا مُخالفٌ للشَّرع وللعقل: فالنَّوْعُ والفَرْد خلقهما الله، إذن فهما حادثان، وإذا كان كُلُّ فَرْدٍ مِن المُتعاقبات حادثا لزم مِن ذلك حدوث النَّوْع لا مَحالة.

5. وقال ابن تيمية في "مجموعة الرسائل والمسائل" له ما نصه: « وأنّ كَوْنَ الفاعل لَمْ يَزَل يَفعلُ فِعلاً بعد فِعْل فهذا مِن كمال الفاعل. فإذا كان الفاعل حَيّا وقيل إنّ الحياةَ مستلزمة الفِعل والحركة كما قال ذلك أئمة أهل الحديث كالبخاري والدّارمي وغيرهما، ... - إلى أن قال- : كان كونه متكلما أو فاعلا مِن لوازم حياته، وحياته لازمة له، فلم يَزَل مُتكلِّما فَعّالا»[1038]، وقال أيضا: « الوجه الخامس عشر: إنّ الإقرارَ بأنّ اللهَ لم يَزَل يَفعل ما يشاء ويَتَكلَّم بما يشاء هو وصف الكمال الذي يليق به، وما سوى ذلك نَقْصٌ يجب نَفْيه عنه»[1039].

التَّعليق: أولا: قوْلُ ابن تيمية بأنّ اللهَ لم يَزَل مُتكَلِّما حَقّ، وكذلك لا يزال متكلما.

ثانيا: وقوله بأنّ الحركة والفِعل مِن لوازم حياةِ الله، أي لم يَزَل اللهُ متحركا وفاعلا، هو الباطل بعينه، ونَسَبَ ابن تيمية هذا القول القبيح إلى الإمام البُخاري، وهذا افتراءٌ عليه. وأين يوجد في كتاب الله أو في سُنّة رسوله ﷺ أنّ مِن لوازم حياةِ الله الحَرَكةَ والفِعْل؟ لا يوجد بتاتا. ومَن قال بأنَّ الحركة والفِعلَ مِن لوازم حياة الله فقد قاسَ حياةَ اللهِ الخالق الذي لا يموت على حياة المخلوق الفانية.

نعم، لقد نَسبَ اللهُ الفِعلَ لذاته، فقال: ﴿فَعّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1040]، وهذا لا يعني أنه لم يَزَل فَعّالاً، أي يَخْلُقُ مخلوقا بعد آخر مُنذ الأزل، كما ادعى ابن تيمية ونسبَ ذلك إلى الإمام البخاري زوراً وبهتانا. أما الدّارمي، فهو أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت 280 هـ) **، إمام ابن**

[1036] "منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 390 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[1037] المرجع السابق، جزء 1 / ص 427.

[1038] "مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 2 / ص 361 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

[1039] المرجع السابق، مجلد 2 / ص 369.

[1040] سورة هود: آية رقم 107، وسورة البروج: آية رقم 16.

تيمية في عقيدة التَّجسيم، فقد نَسَبَ لله صفاتَ البشر مِن حركة وقيام وقعود، فقال: « لأنّ الحَيَّ القيّوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويَرْتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط، ويقوم ويجلس إذا شاء[1041]، لأنَّ ذلك أمارة ما بين الحيّ والميّت »، ذَكَرَ ذلك عنه ابن تيمية مُقراً ومستحسنا في كتابه "دَرْء التّعارض"[1042].

فأبو سعيد الدّارمي هو الذي أثبتَ الحركةَ للهِ وليس الإمامُ البخاري رَحِمَهُ.

وليعلم مَن لا يعلم: أنّ الإمامَ البخاري كان مُنَزِّها لله، وغير مُجَسِّم كأبي سعيد الدارمي وابن تيمية، وأنه كان في الفِقه يأخذ مِن الإمام الشافعي رَحِمَهُ، وفي العقائد مِن الإمام حُسين الكَرابيسي والإمام عبدالله بن سعيد القَطّان بن كُلاّب، قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري": « مع أنَّ البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما يَنقلهُ عن أهل ذلك الفَن كأبي عبيدة والنّضر بن شُمَيْل والفَرّاء وغيرهم، وأما مباحثه الفقهية فغالبها مُستمدة له من الشّافعي وأبي عبيد وأمثالهما، وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكَرابيسي وابن كُلاّب ونحوهما »[1043]، والمذكورون أعلاه كانوا مُنَزِّهين للهِ عن الجِسْمِيّة ولوازمها مِن أعضاء وحَدٍّ.

ثالثا: والقول بأنّ اللهَ لم يَزَل يفعلُ معناه أنَّ المخلوق مُلازمٌ للهِ مُنذ الأزل، وهذا يقضي بِقِدَم المخلوق - وعند ابن تيمية بقدم نَوْعه وحدوث أفراده- ولقد صَرّحَ ابن تيمية بذلك في موضع آخر مِن المرجع السابق فقال: « وإذا قيل لم يَزَل يَخلق، كان معناه لم يزل يخلق مخلوقا بعد مخلوق، كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقا بعد مخلوق»[1044].

● **قوْلُ ابن تيمية عن الله تعالى: «لم يَزَل يَخْلُقُ مخلوقا بعد مخلوق» هو في معنى القول بِـ "التَّسَلْسُل في الآثار - أي في الماضي-"، وبوجوده كان يعتقد ابن تيمية، حيث قال في**

[1041] إنّ اتخاذَ **مشيئة** الله كَحُجّة لإثبات النّقائص له تعالى هو ضلال مُبين، ولا يفعل ذلك إلّا مَن لم يعرف ما يجوز وما لا يجوز في حقّ الله **كخالق**. فأبو سعيد الدّارمي سمحَ لنفسه أن يَنْسبَ لله الحركة والهبوط والإرتفاع والقبض والبَسط والقيام والجلوس **باسم مشيئة الله**، ولو جاز إثبات صفات لله باسم مشيئته تعالى لنُسِبَ لله صفة الظُّهور في صُوَر البَشر، وصفة المُصافحة، والزّيارة والبكاء والغناء ... **فربما يقول ضال**: اللهُ يُصافح أولياءه **إذا شاء**، ويزورهم **إذا شاء**، ويبكي عليهم إن أماتهم **إذا شاء** ...، **فإذا قيل له**: هذه صفاتُ بشر ولازمها الحُلول والمُماسّة وأنّ اللهَ ينتقل مِن حال إلى آخر، وهذا لا يجوز في حَقّ الخالق، لأنّ هذه الأمور المذكورة مِن سمات الحُدوث، وما لا يخلو عنها فهوحادثٌ مخلوق، لأجاب - واللهُ أعلم- : «أتعترضون على مشيئة الله؟!، فاللهُ يَفعلُ ذلك **إذا شاء !** »**.** ومِن هذا القبيل قول أبي سعيد الدّارمي: «لأنَّ ذلك أمارة ما بين الحَيّ والميّت»، فكَوْن الله حيّاً لا يعني تلقائيا أنْ نُثبِتَ له صفاتَ كُلّ شيءٍ حيّ كالإنسان مثلا. فالإنسان ككائن حيّ يَتّصِفُ بصفة الشّم والذّوق والتلذذ والحُزن ...فهل نصفُ اللهَ بهذه الصفات كَوْن الله يَتّصفُ بصفة الحياة؟ مَن أجاب بنعم، فهو غير مُكَلّف، أو مُجَسِّم.

[1042] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء2 / ص 51 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1043] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **142**، جزء 1 / ص 323.

[1044] " مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 2 / ص 371 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

كتابه "مِنهاج السُّنّة" موضحا معناه: « فأمّا التَّسَلسُل في الآثار وهو أن لا يكون الشيءُ حتى يكون قبله غيره، أو لا يكون إلّا ويكون بعده غيره »[1045].

● أما قوله: «كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقا بعد مخلوق» فهو في معنى القول بـِ "التَّسَلْسُل في المستقبل"، وهذا جائز وقوعه عند أهل السُّنّة لقوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمونَ﴾ [1046]، ولقوله سبحانه وتعالى عن نعيم الجنّة: ﴿ أُكُلُها دآئِمٌ وَظِلُّها ﴾[1047] ، ﴿عَطآءً غَيْرَ مَجْذوذٍ﴾[1048]، ﴿غَيْرَ مَجْذوذٍ﴾ أي غير منقطع.

ثُمَّ واصلَ ابن تيمية كلامه السابق، فقال: «وليس في ذلك إلّا وصفه بدوام الفِعْل لا بأنّ معه مفعولا مِن المفعولات بعينه، وإنْ قُدِّر أنَّ نَوْعَها لم يَزَل، فهذه المَعِيّة لم يَنْفِها شَرْعٌ ولا عقل، بل هي مِن كماله، قال اللهُ تعالى: ﴿أفَمَنْ يخلُقُ كَمنْ لا يخلُقُ، أفَلا تَذَكَّرونَ ﴾[1049]، والخَلْقُ لا يزالون معه، وليس في كَوْنهم لا يزالون معه في المُستقبل ما ينافي كماله، وبين الأزل في المستقبل، مع أنه في الماضي حدث بعد أن لم يَكُن إذ كان كُلُّ مخلوق فله ابتداء، ولا نُجْزم أن يكون له انتهاء، وهذا فرق في أعيان المخلوقات، وهو فرق صحيح لكن يَشتَبِه على كثير مِن الناس النَّوْع بالعَيْن»[1050].

التَّعليق: ● قوْلُ ابن تيمية: «وإنْ قُدِّر أنَّ نوعها لم يزل» هو تصريحٌ منه على أنَّ نَوْعَ المخلوقات ملازمٌ لوجود الله، فالنّوْعُ قديم، أي لا بداية لوجوده، وعَيْنُ المخلوق حادث، كان بعد أن لم يَكُن، ولكن هذا يَشتبِه على كثيرٍ مِن الناس، ولا يُفرِّق بينهما إلّا ابن تيمية ومَن اتّبعه في المُعتقد. واستشهد ابن تيمية على نظريته العقائدية بقوله تعالى: ﴿ أفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾! نعم، اللهُ مُتَّصِفٌ بالقُدْرة على التَّخليق، ولكن لا يعني هذا أنَّ اللهَ منذ الأزل وهو يَخْلُق.

● وقوْلُ ابن تيمية: «فهذه المَعِيّة لم ينفها شَرْعٌ ولا عقل» هو افتراءٌ على الشَّرع ومُخالفٌ لصريح العقل السّليم، لأنّ الاعتقادَ بأنّ نَوْعَ المخلوقات مع اللهِ مُنذ الأزل مخالفٌ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ﴾، لأنه لو لازمَ وجود اللهِ أيُّ مخلوق مِن المخلوقات، سواء بِنَوْعه أم

[1045] "منهاج السُّنة" للابن تيمية، جزء 2 / ص 392 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.
[1046] سورة النحل: آية رقم 8.
[1047] سورة الرعد: آية رقم 35.
[1048] سورة هود: آية رقم 108.
[1049] سورة النحل: آية رقم 17.
[1050] " مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 2 / ص 371 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

بعينه، - ولو للحظة واحدة - لَمَا كان اللهُ وحْدَهُ الأوّل، بل لكان ذلك المخلوق معه في الأوّليّة -ولو للحظة واحدة -.

ومَعيّة نَوْع المخلوق - أو عينه - مع الله مخالفة أيضا لقوله ﷺ: « كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ غيرُه »، وفي رواية: « ولم يَكُن شيءٌ معه »، لا بالنّوْع ولا بالعَيْن.

● **وقوله أنَّ ملازمة نَوْع المخلوق للهِ «هي مِن كماله» هو ضلال، بل شِرك، لأنه إشراك لنَوْع المخلوقات مع اللهِ في صفة القِدَم، ولا قديمَ سوى الله.**

ولخطورة هذا الاعتقاد، أي أزَليّة المخلوق، سواءً بِنَوْعه أم بعيْنِه، أوَدُّ أن أنقل حُكْمَ الحافظ ابن حَزْم الأندلسي (ت 456 هـ) **في ذلك، حيث ذَكَرَ الحافظ ابن حَزْم في كتابه "الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل" أنّ الفِرَقَ المخالفة لدين الإسلام ست، ثُمّ ذكَرَ مراتبها، وذكَرَ منها: «القائلون بإثبات الحقائق وأنَّ العالمَ لَمْ يَزَل وأنّ له مُدَبِّراً لَمْ يَزَل»[1051]. وبناءً على ذلك: فالذي يقول أنَّ العالمَ، بِنَوْعه أم بِعَيْنِه، لَمْ يَزَل مع الله فهو خارجٌ عن دين الإسلام.**

6. وقال ابن تيمية في "منهاج السُّنّة" ما نصه: « وإنما النِّزاع في دوام نَوْع الحوادث لا في قِدَم حادثٍ مُعَيّن، وفي الجملة، فإذا قيل بجواز دوام الحوادث وأنّ نَوْعها قديم، لم يُقل إنّ نَوْعها حادث بعد أن لم يَكُن ... فما كان واجبا بنفسه، أو لازما للواجب بنفسه لَزِم كَوْنه قديما، وامتنع كونه معدوما، لأنّ الواجبَ بنفسه - وهو الله - يجب قِدَمه، ويَمتنعُ عَدَمُه، ويمتنع وجود الملزوم بدون اللازم، فيجبُ قِدَمُ لوازمه ويمتنع عدمها. وإذا قيل بجواز دوام الحوادث جاز قِدَمُ نَوْعها، وإنما يجوز قِدمها ويمتنعُ عَدَمُ نَوْعها إذا كان له موجبٌ أزَليّ، وحينئذ فيجبُ قِدَمُ نَوْعها ويَمتنعُ عَدَمُ نَوْعها »[1052].

التَّعليق: أولا. قَوْلُ ابن تيمية: « وإنما النِّزاع في دوام نَوْعِ الحوادث لا في قِدَم حادث مُعَيّن » مغالطة، لأنه لم يوجد نِزاعٌ بين أئمة أهل السُّنّة في حدوث كُلّ شيءٍ - سواء بالنَّوْع أم بالعَيْن - سوى الله، خالق كُلّ شيء. وإنّما النِّزاع بين أئمَّةِ أهل السُّنّة وبين الفلاسفة المحسوبين على المسلمين، هذا مِن ناحية، والناحية الأُخرى: قَوْلُهُ هذا يوهم به القارئ بأنَّ القوْلَ بجواز قِدَمِ النَّوع أو عدمه هي قضية غيرُ متَّفق عليها بين أهل السُّنّة، وبهذا التَّلبيس يُعطي ابن تيمية لنفسه مُبَرِّراً بأن يَنحاز إلى رأي القائلين بجوازه.

1051 "الفِصَل في المِلَل" للحافظ ابن حَزْم ، مجلد 1 / ج 1 / ص 3 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.
1052 "منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 233 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

ثانيا: وقولـه: « فما كان واجباً بنفسه، أو لازمـا للواجب بنفسه لَزِمَ كَوْنـه قديماً، وامتنـع كونـه معدوما .. فيجبُ قِدَمُ لوازمه ويمتنع عدمها... وحينئذ فيجبُ قِدَمُ نَوْعها » هو نَصٌّ صريحٌ منه على قِدَم المخلوق بالنَّوْع.

ثالثا: وقولـه: « ويمتنع وجود الملزوم بدون اللازم، فيجب قِدَم لوازمه » كَرَّرهُ بالمعنى في كتابه "دَرْء التّعارض"، حيث قال: « فليست أعيانُ الحوادث مِن لوازم الواجب بنفسه - أي الله -، وإذا كـان النَّـوْعُ مِـن لـوازم الواجب امتنـعَ وجـودُ الواجـب بنفـسه بـدون النَّوْع، ونَوْعُ الحوادث ممكن بنفسه ليس فيه واجب بنفسه، فيكون نَوْعُ الحوادث صادراً عن الواجب بنفسه، فلا يجبُ قِدَمُ شيءٍ مُعَيّن مِن أجزاء العالم، لا الفَلَك ولا غيره، وهو نَقيضُ قولهم »[1053].

التّعليق: ● قول ابن تيمية: «وهو نَقيضُ قولهم» معناه: نَقيضُ قول الفلاسفة الذين قالوا بِقِدَمِ عَيْنِ العالم أو بِقِدَمِ أجزاءٍ منه، وابن تيمية خالفهم في هذا، فقال بِقِدَمِ نَوْع العالم وبحدوث أعيانه، والحقيقة هي أنه لا فَرْقَ بين القولَيْن في ميزان العقيدة الإسلامية، لأنّ القَوْلَ بِقِدَمِ عَيْنِ العالم أو نَوْعه معناه وجودُ أشياءٍ قديمة مع الله، وهذا شِرْك، وعلى رأي الإمام ابن حَزْم الأندلسي: كُفْر[1054].

● وقوله: « وإذا كان النَّوْعُ مِن لوازم الواجب » معناه أنّ نَوْعَ المخلوقات مُلازمٌ لله، وهذا مُخالفٌ لقوْل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾، وقد تَقَدّم بيان ذلك في صفحة 253 - 254.

● أما قوله: « امتنعَ وجودُ الواجبِ بنفسه بدون النَّوْع » معناه أنه يَستحيلُ وجود اللهِ (الواجب بنفسه) بدون وجود نَوْع المخلوقات! أليس هذا كُفراً؟ وأين يوجد هذا الكلام أو حتى معناه في كتاب الله أو في سُنَّة رسوله ﷺ ؟ لا يوجد البَتّة، ولا يوجد في كلام السَّلَف الصالح، وابن تيمية كان يُؤكِّدُ ويُكَرِّرُ في كتبه أنه لا يقول إلّا ما يقوله اللهُ أو ما قالهُ رسولُه ﷺ أو ما قاله السَّلَف، والحقيقة هي أنه كان يقول ذلك في كتبه ليَخدعَ عَوامَّ الناس ليتقبلوا أفكاره الفلسفية باسم الدين والسَّلَف.

● وقوْلُ ابن تيمية: « ونَوْعُ الحوادث مُمْكنٌ بنفسه ليس فيه واجب بنفسه، فيكون نَوْعُ الحوادث صادراً عن الواجب بنفسه » يتناقض مع قوله: « فما كان واجبا بنفسه، أو لازماً للواجب بنفسه لَزِمَ كَوْنه قديماً ». هذا مِن ناحية، ومِن ناحية أخرى: فإذا كان نَوْعُ

[1053] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 2 / ص 151 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1054] راجع "الفِصَل في المِلَل" للإمام ابن حَزْم، مجلد 1/ ج 2 / ص 117 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 18.

الحوادثِ صادراً عن الواجب بنفسه، أي عن الله، فلا بُدَّ مِن بِداية لهذا الصُّدور، وعلى هذا يَستحيلُ أن يكون نَوْعُ الحوادثِ قديماً، أي لا ابتداء له. وكُلُّ شيءٍ له ابتداء فهو مخلوقٌ لا مَحالة.

وابن تيمية كان يقول[1055] بِخَلْقِ كُلِّ شيءٍ سوى الله، ولكنه كان يُفَرِّقُ بين شَخْصِ (عَيْن) المخلوق وبين نَوْعه، فعَيْنُ المخلوق له ابتداء، أما نَوْعه فقديم، أي لا ابتداء له! ومع ذلك فهو مخلوق كونه صادراً عن الواجب بنفسه!! ونَوْعُ المخلوق مُلازمٌ لله منذ الأزل، وكان هذا عند ابن تيمية موافقٌ لصحيح النَّقل وصريح العقل! حيث قال، كما سبق ذِكْره (في ص 253) **«وإنْ قُدِّرَ أنَّ نَوْعها لَمْ يَزَل، فهذه المَعِيّة لم يَنْفِها شَرْعٌ ولا عقل، بل هي مِن كماله»!**

والحقيقة التي يجب أن تُذْكَر هي أنَّ ابن تيمية لَمْ يَبْتَدِع هذه الأقوال كُلّها، بل الفلاسفة مِن قبله، مِن أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ذكروها في كتبهم، وابن تيمية قامَ، بما أتاه اللهُ مِن قُدْرَة على البَيان وسَبْكِ العبارات، بتجميعها وصياغتها في قالب جديد باسم الكتاب والسُّنّة والسَّلَف، وفيما يلي، على سبيل المثال، نَصٌّ يُبَيّنُ مصادر ابن تيمية في القول بحوادث لا أول لها (التَّسلسل في الآثار) وبقدم العالم بالنَّوْع، وباللهِ التّوفيق:

أوْرَدَ ابن تيمية في كتابه "درء التّعارض" حُجَجاً عقلية للإمام الرّازي في نَقْضِ القوْل بأزَلِيّة الأجسام، منها قوله: « أنَّ الأجسامَ لو كانت أزَلِيّة، فإمّا أن تكون مُتحركة في الأزَل أو ساكنة، والقِسمان باطلان »[1056]، ثُمَّ أخذ الإمام الرّازي يُعَدِّدُ أدلته على ذلك، ومِما قاله: « أنها - أي الأجسام الأزَلِيّة- لو كانت متحركة في الأزَل لكانت بحالٍ لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وإلّا لكان الحادث أزليّاً، هذا خُلف[1057] »[1058].

ثُمَّ أوْرَدَ ابن تيمية، مُستحسنا، رَدَّ الفيلسوف الأثير الأبْهَري (ت 633 هـ) **على حُجّة الإمام الرّازي الآنفة الذِّكْر، قال الأبهري: « قُلنا: لِمَ لا يجوز أن تكون - الأجسام الأزلية - متحركة؟ ... فإن قال: إذا كانت الحركة أزَلِيّة كانت الحركة مِن حيث هي، هي غيْرُ مسبوقة بالغير، لكنَّ الحركة مِن حيث هي، هي مسبوقة بغير، لأنها تَغَيُّرٌ وانتقال، فتقتضي المَسبوقيّة بالغير، فيلزمُ الجمع بين المسبوقيّة بالغير وعَدَمِ المسبوقيّة بالغير في الحركة. قُلنا - الأبْهري-: إذا ادّعَيْتم ذلك فنقول: لا نُسَلِّم أنَّ الجسمَ لو كان أزليّاً لكانت الحركة مِن حيث هي، هي حركة أزليّة. ولِمَ لا يجوز أن يكون الجسمُ أزَليّاً ويَصْدُقُ عليه أنه متحركٌ**

[1055] والله أعلم بما كان يعتقد.

[1056] "درء التّعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 385 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1057] هنا شرح مُحقق الكتاب كلمة خُلف، فقال: وهو الرّديء مِن القوْل.

[1058] "درء التّعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 386 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

دائماً بأن تتعاقبَ عليه الحركاتُ المُعَيّنة، ولا يَصْدُقُ على الحركات الموجودة في الأعيان أنها أزليّة، ضرورة اتصاف كُلِّ واحد منها بكونها مسبوقة بالغير». قلت - ابن تيمية -: «هذا مضمونه ما نَبّه عليه في غير هذا الموضع: أنّ حُدوثَ كُلٍّ مِن الأعيان لا يستلزم حدوث النَّوْع الذي لَمْ يَزَل ولا يزال». وأما قوله - هنا يتكلم الأبْهري ناقلا حُجّة الإمام الرّازي -: «لو كانت الأجسامُ متحركة لكانت لا تخلو عن الحوادث»، قلنا - الأبهري-: نعم، ولكن لِمَ قُلْتم بأنّ ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث؟ قوله: «لو لم يكن كذلك لكان الحادث أزليّاً»، قلنا: لا نُسَلِّم، وإنما يلزم ذلك لو كان شيءٌ مِن الحركات بعينها لازماً للجسم، ولكن ليس كذلك، بل قبلَ كُلِّ حركة حركة، لا إلى أوَّل[1059]، إلى ما لا نهاية. قلت - ابن تيمية -: هذا مِن نمط الذي قبله، فإنَّ الأزَليَّ اللازم هو نَوْعُ الحادث، لا عَيْنَ الحادث»[1060].

التَّعليق: 1. النَّصُّ السّابق - وأيضا غيره مِن النُّصوص - يَكشفُ عن مصادر ابن تيمية بالقول بحوادث لا أوّل لها، وبقِدَمِ العالم بالنَّوْع لا بالعَيْن، وكلا القولين مِن مُعتقدات الفلاسفة، وليس مِن عقيدة أهل السُّنّة.

● وقَوْلُ ابن تيمية: « أنّ حُدوثَ كُلٍّ مِن الأعيان لا يستلزم حدوث النَّوع الذي لَمْ يَزَل ولا يزال» وقوله: «هذا مِن نَمَط الذي قبله، فإنَّ الأزَلي اللازم هو نَوْعُ الحادث، لا عَيْن الحادث» نَصّان صريحان على قوله واعتقاده بِقِدَمِ المخلوقات بالنَّوع ومشاركتها للهِ في صفة الأزَليّة، وهذا شِرْك.

2. قَوْلُ الفيلسوف الأبهري: «ولكن لِمَ قُلْتم بأنَّ ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث؟ قوله: "لو لم يَكُن كذلك لكان الحادث أزَليّاً"، قلنا: لا نُسلّم، وإنَّما يلزم ذلك لو كان شيءٌ مِن الحركات بعينها لازماً للجسم، ولكن ليس كذلك، بل قبلَ كُلِّ حركة حركة، لا إلى أوّل» هو

[1059] " **لا إلى أوّل** " هو نفس معنى القول **بحوادث لا أوّل لها،** وبه قال ابن تيمية. ولقد **رَدَّ** الشيخ محمد ناصرالدين الألباني في كتابه "سلسلة الأحاديث الصحيحة" عند الكلام على الحديث رقم **133**: «إنّ أوّلَ شيءٍ خلقه اللهُ تعالى القلم...» **القَوْلَ** بحوادث لا أوّل لها، فقال: « وفيه رَدٌّ أيضا على مَن يقول بحوادث لا أوَّلَ لها، وأنه ما مِن مخلوق إلّا وهو مسبوق بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يُمكن أن يُقال: هذا أوّلُ مخلوق. فالحديث يُبطل هذا القَوْل، ويُعيّن أنَّ القلمَ هو أوّلُ مخلوق، فليس قبله قطعا أيُّ مخلوق. ولقد أطال **ابن تيمية** رحمه الله في الكلام في رَدِّهِ على الفلاسفة **مُحاولاً إثباتَ حوادث لا أوَّلَ لها، وجاء في أثناء ذلك بما تَحارُ فيه العقول، ولا تقبله أكثر القلوب،** ... **فذلك القول منه غير مقبول، بل هو مرفوضٌ بهذا الحديث،** وكم كنّا نودُّ أنْ لا يَلِجَ ابن تيمية رحمهُ اللهُ هذا المَوْلج، لأنّ الكلامَ فيه شبيهٌ بالفلسفة وعِلْم الكلام » ("سلسلة الأحاديث الصحيحة"، مجلد 1 / ص 258، حديث رقم **133**، **الناشر**: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض 1995).

ولقد ردَّ الإمام العلّامة الإخميمي (ت 764 هـ)، وكان معاصراً لابن تيمية، في رسالة مستقلة على ابن تيمية بقوله بحوادث لا أوّل لها، وهي الرسالة مطبوعة.

[1060] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 387 – 388 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

مغالطة ومخالفٌ للحِسِّ وللعقل السليم، لأنَّ الشيءَ الأزَليَّ هو أزَليٌّ بصفاته الأزَليّة، فلا يُعْقَلُ وجودُ شيءٍ أزليٍّ بصفات حادثة، وكذلك الأمرُ في الحادث: لا يُعقلُ وُجودُ حادث، أي كان بعد أن لم يَكُن، بصفات أزَليّة، أي لا ابتداء لوجودها. فالشيءُ الحادث هو حادث لاتصافه بالحوادث وليس لاتصافه بالأزَليّة. فإذا كان الجسمُ الأزليُّ متصفا بالحركة، وهي شيءٌ حادث، فهو حادثٌ لا مَحالة، ومن يَدَّعي غير ذلك فهو إمّا مرفوعٌ عنه القَلَم، أو فيلسوف - وكُلُّ فيلسوف ضال -.

3. وقَوْلُ الأبهري: «لا إلى أوّل» هو في معنى القول بـ "حوادث لا أوّل لها"، ويُطلق على ذلك أيضا: "<u>التَّسَلْسُل في الآثار</u> - أي في الماضي-"، وبهذا قال أيضا ابن تيمية، حيث قال: « وأمَا التَّسَلسُل في الآثار كوجود حادثٍ بعد حادث، فهذا فيه الأَقوالُ الثَّلاثة المُتقدِّمة: إمّا مَنْعُهُ في الماضي والمُستقبل، كَقَوْل جَهْم وأبي الهُذَيْلِ. وإمَّا مَنْعُهُ في الماضي فقط، كَقوْلِ كَثيرٍ مِن أهل الكلام. وإمّا تَجْويزُهُ فيهما - أي في الماضي والمُستقبل - ، كقول أكثر أهل الحديث والفلاسفة»[1061].

● وقال ابن تيمية أيضا: « وإنّما النِّزاعُ في نَوْعِ الحوادثِ هل يُمكنُ دوامُها في المُستقبل والماضي، أو في المستقبل فقط، أو لا يُمكن دوامُها لا في الماضي ولا في المستقبل على ثلاثة أقوالٍ معروفة عند أهل النَّظَرِ مِن المسلمين وغيرهم، أضعفها قَوْلُ مَن يقول: لا يُمكنُ دوامها لا في الماضي ولا في المُستقبل كقول جَهْم بن صَفْوان، وأبي الهُذَيْلِ العَلَّاف، وثانيها قول مَن يَقول: يُمكن دوامها في المستقبل دونَ الماضي كقول كثيرٍ مِن أهل الكلام مِن الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة، ومَن وافقَهُم مِن الكرَّامِيَّة والأَشْعَرِيَّة وَالشِّيعَة، ومَن وافَقَهُم مِن الفُقَهاءِ وغَيْرِهم، والقَوْلُ الثالث قَوْلُ مَن يَقول: - يُمْكِنُ- دَوامُهَا في الماضي والمُستقبل. كما يَقولُهُ أَئمَّةُ أهل الحديثِ وأَئِمَّةُ الفلاسفة وغيرهم »[1062].

التَّعليق: 1. قَوْلُ ابن تيمية أعلاه فيه تَلْبيس -كالمعتاد-، فالذي جَوّزَ التَّسَلْسُل في الماضي، أي جَوّزَ حوادث لا أوّلَ لها، هم الفلاسفة، كالأثير الأبْهَري (ت 633 هـ) **وأبي الثَّناء الأُرْمَوي** (ت 682 هـ)**، وتبعهم في ذلك فيلسوف عصره ابن تيمية، وأهلُ الحديث بريئون مِن ذلك.**

قال ابن تيمية في كتابه "دَرْء التّعارض" ما نصه: « والأَبْهَري والأُرْمَوي وغيرهما يقولون بتسلسل الآثار ... وقول الأبهري يقتضي أن يكون اللهُ هو رَبُّ العالمين، وهو

[1061] "منهاج السُّنّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 437 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[1062] المرجع السابق، جزء 1 / ص 176.

مُحْدِثٌ لكُلِّ شيءٍ مِمَّا يقوم به مِن الأفعال المُتعاقبة »[1063] ، وهذا النَّص يُظهر أيضا بأنّ الأبْهري كان يقولُ بقيام الأفعال (الحوادث) بذات الله ـ سبحانه ـ، وبهذا كان يعتقد أيضا ابن تيمية.

2. وقوْلُ ابن تيمية أنّ تَجْويزَ التَّسلسل في المُستقبل دون الماضي هو قَوْلُ كثيرٍ « مِن أهل الكلام مِن الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة، ومَن وافقَهُم مِن الكرَّامِيَّة والأَشْعَرِيَّة ... » يهدف مِن ورائه تشويه صورة الأشاعرة (الأشعرية). فأهلُ السُّنّة ومنهم الأشاعرة والماتُرِيدِيّة[1064]، ومَن وافقهم مِن الفِرَقِ المُبْتَدعة كالجَهْمية والمُعتزلة والكَرَّامِيّة مِن المُجَسِمَّة، قالوا بِعَدَم جواز حوادثٍ لا أوّلَ لها، أي بعدم جواز التَّسلسل في الماضي. ومِمّن جوّز ذلك فقط الفلاسفة، وفيلسوف عصره ابن تيمية.

- **وفي النَّص السابق يُصَرِّحُ ابن تيمية بأنّ الأشاعرة والمعتزلة لَمْ يُجَوِّزوا التَّسلسل في الماضي، أي لَمْ يُجَوِّزوا وقوع حوادث لا أوَّل لها، وهذا صحيح، بينما نَسَبَ ابن تيمية في كتابه "درء التّعارض" إلى الأشاعرة والمعتزلة زوراً وبهتانا القولَ بحوادث لا أول لها، حيث قال: «... وقد وافق هؤلاء على إمكان وجود ما لا يتناهى في الماضي والمستقبل طوائف كثيرة مِمّن يقولُ بحدوث الأفلاك مِن المُعتزلة والأشعرية والفلاسفة وأهل الحديث وغيرهم، فإنّ هؤلاء جوّزوا حوادث لا أوّل لها، مع قولهم بأنّ اللهَ أحْدثَ السماوات والأرض بعد أنْ لم يكونا »[1065].**

- **ولقد نَسبَ ابن تيمية إلى أهل الحديث القول بحوادث لا أوّل لها ليدعم نظريته في قِدَمِ العالم بالنَّوْع، وليُسَهِّل على نفسه نشرها باسم أهل الحديث، وباسم أهل السُّنّة، وباسم السَّلَف[1066]، وباسم أساطين الفلاسفة، وكان هذا أسلوبٌ مِن أساليب ابن تيمية في نشر عقائده الفاسدة.**

[1063] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 379 – 380 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1064] نِسبة إلى الإمام أبي منصور الماتريدي، ت 333 هـ.

[1065] "درء التعارض" لابن تيمية، جزء 1 / ص 304 – 305 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 76.

[1066] قال ابن تيمية في "منهاج السُّنة" له (جزء 2 / ص 392 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.): « فأما **التَّسَلْسُل في الآثار** وهو أن لا يكون الشيءُ حتى يكون قبله غيره، أو لا يكون إلّا ويكون بعده غيرُه، فهذا للناس فيه ثلاثة أقوال: قيل هو مُمْتَنِعٌ في الماضي والمستقبل، وقيل: بل هو جائز في الماضي والمستقبل، وقيل: ممتنع في الماضي جائز في المستقبل. **والقول بجوازه مطلقا** – أي في الماضي وفي المُستقبل - **هو معنى قول السَّلف وأئمة الحديث** »، إنَّ القول بامتناع التّسلسل في الماضي وجوازه في المستقبل هو قول أهل السُّنّة، والقول بجوازه مطلقا هو قول الفلاسفة، وأطلق ابن تيمية عليهم هنا مِن باب التَّلبيس اسم السَّلف وأئمة الحديث.

فمَن مِنْ أئمة السَّلف والحديث قال بجواز حوادث لا أوّل لها حسب ادعاء ابن تيمية؟ لقد صَرَّحَ ابن تيمية بأسمائهم في مواضع عِدّة مِن كتبه، حيث قال في "مجموعة الرسائل والمسائل": « **وأما جنس الحوادث شيئا بعد شيء فهذا تنازع فيه الناس، فقيل: أنّ ذلك ممتنع في الماضي والمستقبل كقول الجَهْم وأبي الهُذَيْل. فقال الجَهْمُ بفناء الجنّة والنار، وقال أبو الهذيل بفناء حركات أهلهما، وقيل: بل هو جائز في المستقبل دون الماضي، لأنّ الماضي دخل في الوجود دون المستقبل، وهذا قَوْلُ كثير مِن طوائف النُّظار[1067]. وقيل: بل هو جائز في الماضي والمستقبل، وهذا قول أئمة أهل المِلَل وأئمة السُّنّة كعبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما مِمّن يقول بأنّ اللهَ لَمْ يَزَل متكلماً إذا شاء وأنّ كلمات الله لا نهاية لها وهي قائمة بذاته وهو متكلم بمشيئته وقدرته»[1068].**

- **قَوْلُ الإمام أحمد بن حنبل في رواية عنه «بأنّ اللهَ لَمْ يَزَل متكلماً إذا شاء» لا يصحُّ ذلك عنه كما سبق بيانه في صفحة 197. كما لا يصح عن الإمام عبدالله بن المبارك.**

ولقد استدل ابن تيمية بالقول السابق على قيام الحوادث في ذات الله[1069]، وعلى أنّ القرآنَ الكريم مُحدَثٌ كما سيلي بيانه إن شاء الله.

[1067] بل هو قول أهل السُّنة، ومنهم الأشاعرة والماتُريديّة.

[1068] "مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 374، طبعة دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1983.

[1069] قال ابن تيمية في "منهاج السُّنّة"، جزء 1 / ص 381 : « وإن قيل: بل **لم تزل تقوم به الإرادات للحوادث**، كما يقول ذلك مَن يقوله مِن أهل الحديث والفلاسفة الذين يقولون: لم يزل يتكلم إذا شاء، ولم يزل فَعّالاً لِما يشاء » ، وهذا الكلام يدل على أنّ ابن تيمية كان يعتقد أنّ الحوادث تكون بإرادات متجددة، أي **حادثة**.

فصل

ابن تيمية كان يعتقد أنَّ القرآنَ الكريم مُحْدَث

قال ابن تيمية في "منهاج السُّنّة" له: [ثُمَّ إذا قيل: هو - أي القرآن- مُحْدَث، لم يلزم مِن ذلك أن يكون مخلوقا بائناً عن الله، بل إذا تكلم به بمشيئته وقُدْرته وهو قائمٌ به، جازَ أن يُقال: هو مُحْدَث، وهو مع ذلك كلامه القائم بذاته وليس بمخلوق، وهذا قَوْلُ كثير مِن أئمة السُّنة والحديث. وقد احْتَجَّ البُخاري وغيرُه على ذلك بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن اللهَ يُحْدِثُ مِن أمْره ما يشاء، وإنَّ مِمّا أحْدَثَ أن لا تكلموا في الصلاة». ومعلوم أنَّ الذي أحْدَثَهُ هو أمْرُهُ أن لا يتكلموا في الصلاة، لا عدم تكلمهم في الصلاة، فإنَّ ذلك يكون باختيارهم. ومِنهم من تكلَّمَ بعد النَّهي، لكن نُهوا عن ذلك، ولهذا قال: يُحْدِثُ مِن أمْرِه ما يشاء »[1070].

التّعليق: في النَّصِّ أعلاه يُصرِّحُ ابن تيمية بأنَّ القرآنَ الكريم مُحْدث.

● وقَوْلُ ابن تيمية عن القرآن الكريم: «هو مُحْدَث، وهو مع ذلك كلامُه القائم بذاته وليس بمخلوق» قَوْلٌ متناقض، لأنَّ المُحْدَثَ هو ما كان بعد أن لم يَكُن، وكذلك المخلوق، فالمُحْدث مخلوق، والمخلوق مُحْدث، ولكن ابن تيمية كان يَتَهَيَّب -خوفا مِن تكفيره مِن قِبَلِ علماء أهل السُّنة- أن يقول مباشرة: "القرآنُ مخلوق"، ولكن كلامه يدل على اعتقاده بذلك، حيث قال: «لَمْ يلزم مِن ذلك أن يكون مخلوقاً بائناً عن الله -أي مُنفصلاً عن الله، بل إذا تكلم به بمشيئته وقُدْرته وهو قائم به ...»، وكما هو معلوم، كُلُّ شيءٍ تَعلَّقَ بمشيئة اللهِ وقُدْرته فهو مخلوق، وهذا لا خلاف فيه حتى بين الفِرَقِ الضالّة كالمُعتزلة والمُجَسِّمَة. وابن تيمية كان يُفرِّق بين المُحْدَث والمخلوق، فالمُحْدَث عنده هو ما يُحْدِثُه اللهُ في ذاته - سبحانه -، والمخلوق هو ما يُحدثه اللهُ في غيره، أي منفصلاً عنه. والحقيقة أنه لا فرق بين اللفظين في المعنى، والعبرة بالمعنى الذي يدلُّ عليه اللفظ، فالمُحدث والمخلوق لهما ابتداء وانتهاء، وما له بداية ونهاية فهو مُحْدثٌ ومخلوق[1071].

[1070] "منهاج السُّنة" لابن تيمية، جزء 2 / ص 256 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 38.

[1071] أخرج الإمام الحافظ البَيْهَقي بإسناده مِن طريق محمد بن إسحاق الصاغاني عن حسين بن علي الأسود، قال: **[**سمعت وكيعاً - ت 197 هـ- يقول: « القرآنُ كلامُ الله تعالى **ليس بمخلوق**، فمَن زَعَمَ أنه مخلوق فقد كَفَرَ باللهِ العظيم»**]**، وقال الإمام البَيْهَقي عقب ذلك مباشرة: **[** وفي رواية محمد بن نصر المَرْوزي عن أبي هشام الرفاعي عن وكيع قال: «مَن زَعمَ أنّ القرآنَ **مخلوق** فقد زَعمَ أنّ القرآنَ **مُحْدَث**، ومَن زعمَ أنّ القرآنَ مُحدَثٌ فقد كَفَر» **]** ("الأسماء والصفات" للحافظ البَيْهَقي، ص 320 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15).

● وقوله: «جاز أن يُقال: هو مُحْدَث، وهو مع ذلك كلامه القائم بذاته» معناه أنَّ ذاتَ اللهِ مَحَلٌ للحوادث - سبحانه - وهذا مِن عقيدة الشيعة الأوائل والكَرَّامِيّة مِن طائفة المُجَسِّمَة كما سبق بيانه (راجع إن شئت ص 195).

● وأما ادعاؤه أنَّ القوْلَ بحدوث القرآن الكريم، أي كلام الله، هو قوْلُ أئمة السُّنة والحديث فهو ادعاءٌ باطل، بل هو قول أئمة الضَّلال مِن الكَرَّامِيّة والمُعْتَزلة[1072]. والفَرْقُ بين قوْلِ ابن تيمية وقول المُعتزلة هو أنّ المُعْتَزلة قالوا أنَّ اللهَ يُحْدِثُ كلامَهُ في غيره، وليس في ذاته، على عكس قول ابن تيمية والكَرَّامِيّة تماما.

● وقول ابن تيمية: [وقد احْتَجَّ البُخاري وغيره على ذلك بقول النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -: «إن اللهَ يُحْدِثُ مِن أمْرِه ما يشاء، وإنَّ مِمّا أحْدَثَ أن لا تكلموا في الصلاة ...»] يوهِمُ أنّ الإمامَ البُخاري قال بحدوثِ القرآن الكريم، وهذا افتراءٌ عليه، ومن الدّليلِ عليه أنَّ الإمامَ البخاري نفسَهُ قد ذَكَرَ في كتابه "خَلْق أفعال العِباد" أنَّ الجَهمية فيما احْتَجّوا به لإثبات خَلْقِ القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ما يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَبِّهِم مُّحْدَثٍ إلّا اسْتَمَعوهُ وَهُمْ يَلْعَبونَ ﴾[1073]، وأوْرَدَ الإمامُ البخاري لِدَحْضِ حُجْتهم رَدَّ الإمامِ الفقيه أبي عُبَيْد القاسم بن سَلّام (ت 224 هـ) **عليهم، فقال الإمامِ أبو عُبَيْد في تفسير قوله تعالى: ﴿ ما يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَبِّهِم مُّحْدَثٌ﴾: «فإنّما حَدَثَ عند النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابِهِ لِما عَلَّمَهُ اللهُ ما لَمْ يَكُن يَعْلَم»[1074]. فالإمامُ أبو عُبَيْد بَيَّنَ أنَّ صِفةَ الحُدوثِ مَنسوبة إلى عِلْمِ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما ازدادوا به عِلماً مِن الوَحْي، أي مِن كلامِ الله، أمّا كلامُ اللهِ، وهو صفة من صفاته الذّاتيّة، فليس بمُحْدث - ولا مخلوق-، ولم يعترض الإمامُ البخاري على تفسير الإمام أبي عُبَيْد.**

وقال الإمام ابن حَجَر العسقلاني ناقلا عن الإمامُ البخاري: « والقُرآنُ كلامُ اللهِ غَيْرُ مَخلوقٍ، ثُمَّ سَاقَ – أي البُخاري- الكلامَ على ذلك إلى أن قال: سَمِعتُ عُبَيْدَ اللهِ بن سعيد يَقول: سَمِعتُ يَحْيَى بن سعيد يَعني القَطَّانَ يَقولُ: ما زِلْتُ أسمَعُ أصْحابَنا يَقولونَ إنَّ أفْعالَ العِبادِ مَخلوقةٌ، قالَ الْبُخَارِيُّ: حَرَكَاتُهُم وأصْواتُهُم وأكسَابُهُم

[1072] أنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الأحاديث رقم **7481- 7484** ، جزء 13 / ص 557 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 72 .

[1073] سورة الأنبياء: آية رقم 2.

[1074] أُنظر "خَلْق أفعال العِباد" للإمام البخاري، ص 44 – 45 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22، وانظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الأحاديث رقم **7522**، و **7523**، باب (42): قوْل الله تَعَالَى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأنٍ ﴾ [سورة الرّحمن: آية رقم 29]، جزء 13 / ص 498 مِن طبعة دار المعرفة ، بيروت.

وَكِتابَتُهُمْ مَخلوقةٌ فأمَّا القُرْآنُ المَتْلُوُّ المُبِينُ المُثْبَتُ في المَصَاحِفِ المَسطورُ المَكتُوبُ المُوعَى في القُلوبِ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِخَلْقٍ »[1075].

وهناك عُلماءٌ أضافوا الإحداثِ إلى الإتيان (أي إلى التَّنزيل)، لأنّ جبريل عليه السلام **كان يَنزلُ بالوَحْي على فترات، أما المُنْزَل، فهو القرآنُ الكريم، وهو كلامُ اللهِ، فليس بمُحْدَثٍ ولا مخلوق. وفيما يلي تفسير بعض أئمة أهل السنة للآية الآنفة الذِّكْر: ﴿ما يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَبِّهِم مُحْدَثٍ ﴾:**

- **قال الإمامُ ابن جرير الطَّبَري**(ت 310) **في تفسيره: « ما يُحْدِثُ اللهُ مِن تَنزيل شيءٍ مِن هذا القرآنِ للناس، ويُذكرهم به ويعظهم »، فالإحداثُ راجعٌ إلى التّنزيل وليس إلى المُنْزَل، وهو كلام الله.**

وروى الإمام ابن جرير في تفسيره عن الإمام قتادة (ت 118 هـ) **قوله في تفسير هذه الآية الكريمة: « ما يَنزِلُ عليهم مِن شيءٍ مِن القرآن إلّا استمعوه وهم يلعبون ».**

- **وقال الإمامُ البَغَوي** (ت 516 هـ) **في تفسيره: « يَعْنِي مَا يُحْدِثُ اللهُ مِنْ تَنْزِيل شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُذَكِّرُهُمْ وَيَعِظُهُمْ بِه ».**

- **وقال الإمامُ ابن عطية** (ت 541 هـ) **في تفسيره: « مِمّا يَنْزِلُ مِن القرآن، ومعناه: مُحْدَثٌ نُزولُه وإتيانه إياهم لا هو في نفسِه ».**

- **وقال الإمامُ ابن الجَوْزي** (ت 597 هـ) **في تفسيره "زادُ المَسير": « مُحْدَث إلى إنزاله له، لأنه أُنْزِل شيئاً بعد شيء ».**

- **وقال الإمامُ العِز بن عبدالسّلام** (ت 660 هـ)**: « نَزّلَهُ سورة بعد سورة وآية بعد آية».**

- **وقال الإمامُ البيضاوي** (ت 685 هـ) **في تفسيره: « مُحْدَث تَنزيلُه لِيُكَرِّرَ على أسماعهم التَّنْبيه كي يَتَّعِظوا ».**

فكلام الأئمة أعلاه واضحٌ جليٌّ في أنَّ الإحداثَ راجعٌ إلى التّنزيل، شيئاً بعد شيء، أي سورة بعد سورة وآية بعد آية مِن القرآن الكريم، أما القرانُ نفسُهُ فليس بمُحْدث، بل هو كلامُ اللهِ الأزَلي، وهذا التّفسيرُ موافقٌ لِما نقله الإمامُ الحافظ والفقيه وكيع بن الجَرّاح (ت 197 هـ) **أنَّ عُلماء السَّلَف قالوا أنَّ معنى الآية: [إنّه أحْدَثَ إنزالَه إلينا، وكذا ـ أي كذلك**

[1075] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الأحاديث رقم **7522**، و **7523**، باب (42): قوْل الله تَعَالَى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأنٍ ﴾ [سورة الرّحمن: آية رقم 29]، جزء 13 / ص 498 **مِن طبعة دار المعرفة** ، بيروت.

المعنى- في الحديث الصحيح: « إنَّ اللهَ يُحدِثُ مِن أمْرِهِ ما شاء، وإنّ مِمّا أحْدثَ أن لا تَكلّموا في الصَّلاة، فالقرآنُ العظيم كلامُ اللهِ ووحْيِهِ وتنزيله، وهو غير مخلوق][1076].

وعلى هذا يكون معنى الحديث أعلاه: إنَّ اللهَ يُشَرِّعُ بأمْرِهِ ما يشاء - ومتى شاء-، ومِمّا شَرَعَ النَّهْيَ عن التَّكَلُّم في الصَّلاة، بعد أن كان مباحاً فيها كإلقاء السّلام وردِّه.

وأمرُ اللهِ كلامُهُ، وكلامهُ تعالى ليس بمُحْدَث، أي ليس مخلوقاً، بل صفة مِن صفاته الذَّاتيّة، وصفاتُهُ غيرُ مُحدثة ولا مخلوقة، قال إمامنا أبوحنيفة النُّعمان في كتابه "الفقه الأكبر": «لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِهِ، لم يَحْدُث له اسمٌ ولا صفةٌ، ... وصفاتُهُ في الأزلِ غيرُ مُحْدَثةٍ ولا مخلوقة، فمَن قالَ إنها مخلوقةٌ أو مُحْدَثةٌ، أو وَقفَ أوْ شَكَّ فيها فهو كافرٌ باللهِ تعالى»[1077]. وكما هو معلوم، القرآنُ الكريمُ كلامُ اللهِ، فهو إذن ليس بمُحْدَث ولا مخلوق.

وابنُ تيمية حَرَّفَ معنى الحديث أعلاه فقال: « ومعلوم أنَّ <u>الذي أحْدَثه هو أمْرُهُ</u> أن لا يتكلموا في الصلاة » وهذا يعني أنَّ اللهَ أحدثَ أمْرَهُ، أي كلامَهُ، أي القرآنَ الكريم، مع أنَّ الحديثَ يَنُصُّ: « إنَّ اللهَ يُحدِثُ <u>مِن أمْرِهِ</u> »، <u>ولا</u> يَنُص: إنَّ اللهَ يُحدِثُ <u>أمْرَهُ</u>، كما افترى ابن تيمية. فالمُحْدَثُ إلينا هو النَّهْيُ عن التَّكَلُّم في الصَّلاة وليس الأمْرُ نفسُه.

ومعنى «مِن أمْرِه» هو بأمْرِه، ومِن الدّليلِ عليه قولُ الله: ﴿ بإذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أمْرٍ ﴾[1078]، ومعنى ﴿ مِن كُلِّ أمْرٍ ﴾ هو: بكُلِّ أمْر - مِن الخَيْرِ والبَرَكة- (راجع تفسير الإمام البَغَوي)**، وقوله تعالى: ﴿يَحْفَظونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ ﴾[1079]، أي بأمْرِ الله** (راجع تفسير الإمامين ابن جرير الطَّبري والقُرْطُبي)**.**

● ولقد اسْتغلَّ ابنُ تيمية ذِكْرَ الإمام البُخاري لهذا الحديث وللآية الكريمة الآنفة الذِّكْر في صحيحه، باب: قوْل اللهِ تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأنٍ ﴾ فادّعى أنَّ الإمامَ البخاري وصف القرآنَ الكريم بالحُدوث، وأنه احْتَجَّ على ذلك بالحديث النّبوي الآنف الذِّكْر! وكلامه هذا غير صحيح بتاتا. ولقد بَيَّنَ الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني في كتابه "فتح الباري" مُرادَ الإمام البُخاري مِن ذِكْر ذلك، وهو إثباتُ صفة الحدوث إلى التَّنْزيل (الإتيان)، قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني: « والاحتمالُ الأَخيرُ - وهو إرجاعُ الإحداث إلى الإتيان لا إلى القرآن الكريم- أَقربُ إلى مُرَادِ البُخارِي لِمَا قَدَّمْتُ قَبْل أنَّ مَبْنَى هذهِ التَّراجِم عِندهُ على إثباتِ أنَّ أَفعالَ العِبادِ

[1076] "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان" للحافظ الذَّهبي (ت 748 هـ)، مجلد 4 / ص 1236 – 1237 بتحقيق بشّار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003.

[1077] "شرح الفقه الأكبر"، ص 301 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

[1078] سورة القَدْر: آية رقم 4.

[1079] سورة الرّعد: آية رقم 11.

مَخلوقةٌ، وَمُرَادُهُ هنا الحَدَثُ بالنِّسبَةِ للإنْزالِ وبذلك جَزَم ابن المُنيرِ ومَن تَبِعَهُ»[1080].
ويُؤَيِّدُ ما قاله الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني هو أنَّ الإمامَ البُخاري ساقَ أيضاً أثَرَيْن مرفوعين عن الصحابيِّ ابن عباس رضي الله عنهما **في نفس الباب (حديث رقم 7522، و 7523): قال ابن عباس** رضي الله عنهما**: « كَيْفَ تَسألونَ أهلَ الكِتابِ عن كُتُبِهِم، وعندكُم كِتابُ اللهِ، أقْرَبُ الكُتُبِ عَهْداً باللهِ، تَقرَؤونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ»** (حديث رقم 7522)**، وقال: « يا مَعشَرَ المُسلمين، كَيْفَ تَسألونَ أهلَ الكِتابِ عن شَيءٍ، وكِتابُكُمُ الَّذي أنْزَلَ اللهُ على نَبِيِّكُم** عليه الصلاة والسلام **أَحْدَثُ الأخبارِ باللهِ، مَحْضًا لَمْ يُشَبْ[1081] ...»** (حديث رقم 7523)**.**
قَوْلُ حَبْرِ المسلمين ابن عباس رضي الله عنهما**: « أقْرَبُ الكُتُبِ عَهْداً باللهِ »، وقوله: « وكِتابُكُمُ الَّذي أنْزَلَ اللهُ على نَبِيِّكُم** عليه الصلاة والسلام **أَحْدَثُ الأخبارِ باللهِ،» يَدُلّان على أنّ المُرادَ بالإحْداث هو التَّنزيل، وليس القرآن نفسه.**

- **وقول ابن تيمية: « وقد احْتَجَّ البُخاري وغيرُه » تضليلٌ إذا قصَدَ بكلمة "غيره" أئمةً آخرين مِن علماء أهل السُّنة، أما إذا قصد بذلك سَلَفه فرقة الكَرّامية الضالّة ـ وكذلك الجَهْمية والمُعتزلة- فصحيح، لأنَّ هؤلاء قالوا أنَّ القرآنَ الكريم مخلوق (محدث).**

وفيما يلي أقوال سَلَفِ الإمام البُخاري في نَفْي الحُدوث عن القرآن الكريم، قال الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني: « وأخرجَ ابن أبي حاتِمٍ مِن طريق هشام بن عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيِّ (ت 221 هـ) **أنَّ رجلًا مِن الجَهْمِيَّةِ احْتَجَّ لِزَعْمِهِ أنَّ القرآنَ مَخلوقٌ بهذه الآية[1082] فقال له هشام: مُحْدَثٌ إلينا، مُحَدَّثٌ إلى العِباد، وعن أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيِّ** (ت 246 هـ) **نَحْوُهُ، ومِن طريق نُعَيْم بن حَمَّاد** (ت 228 هـ) **قال : مُحْدَثٌ عندَ الخَلْقِ لا عند الله، قال: وإنَّما المُرَادُ أنَّهُ مُحْدَثٌ عندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعْلَمُهُ بعد أن كان لا يَعْلَمُهُ[1083]، وأمّا اللهُ سُبْحانَهُ فَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا، وقال في مَوْضعٍ آخر: كَلامُ اللهِ لَيْسَ بِمُحْدَثٍ لأنّهُ لَمْ يَزَل مُتَكَلِّمًا لا أنّهُ كان لا يَتَكَلَّمُ حتّى أحْدَثَ كَلامًا لِنَفسهِ فَمَن زَعَمَ ذلك فقد شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ لأنَّ الْخَلْقَ كانوا لا يَتكَلَّمونَ حتّى أَحْدَثَ لهُم كلامًا فَتكَلَّموا به. ... وقد نَقَلَ الهَرَوِيُّ في الفاروقِ بِسَنَدِهِ إلى حَرْبٍ الكِرْمَانِيِّ** (ت 280 هـ) **سَألتُ إسحاق بن إبراهيم الحنْظَلي يعني بن رَاهْوَيْهِ** (ت 238 هـ) **عن قَوْلِهِ تعالى: ﴿ ما يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾، قال: قَديمٌ مِن رَبِّ**

[1080] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، جزء 13 ، ص 497 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 1075.
[1081] "لَمْ يُشَبْ" أي لم يُخلط بغيره مِن كلام البشر، أي لم يَطرأ عليه تحريفٌ ولا تبديل.
[1082] يقصد قولَ اللهِ تعالى: ﴿ ما يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾
[1083] وهذا التَّفسيرُ موافقٌ لتفسير الإمام أبي عُبَيْد القاسم بن سلّام (راجع إن شئت ص 262).

العِزَّةِ مُحْدَثٌ إِلَى الأرضِ، - قال الإمامُ ابن حَجَر مُعَلِّقاً :- فهذا هو سَلَفُ الْبُخَارِيِّ في ذلك »[1084].

● وفي "مجموعة الرسائل والمسائل" قال ابن تيمية: « وكما لَمْ يَقُل أحدٌ مِن السَّلف إنه - أي القرآن - مخلوق، فلم يَقُل أحدٌ منهم إنه قديم، لم يَقُل واحداً مِن القولين أحدٌ مِن الصحابة ولا التّابعين لهم بإحسان ولا مِن بعدهم مِن الأئمة الأربعة ولا غيرهم، بل الآثارُ متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون: القرآنُ كلامُ الله، ولَمّا ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا رداً لكلامه: إنه غيرُ مخلوق ...- إلى أن قال - : وأوّلُ مَن عُرِف أنه قال مخلوق الجَعْد بن دِرْهَم وصاحبه الجَهْمُ بن صفوان، وأوّلُ مَن عُرِف أنه قال هو قديمٌ عبدالله بن سعيد بن كُلّاب»[1085].

التّعليق: قوْلُ ابن تيمية: « لَمْ يَقُل واحداً مِن القولين - أي مخلوق أو قديم - أحدٌ مِن الصحابة ولا التّابعين لهم بإحسان ولا مِن بعدهم مِن الأئمة الأربعة » حَقٌّ مخلوط بباطل: والحَقُّ هو أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلامه تعالى صفة أزليّة قائمة بذاته، ولهذا يستحيل أنْ يكون القرآنُ مخلوقا، وبناءً على ذلك: يستحيلُ أن يقول الصحابةُ والتّابعون لهم بإحسان بِخَلْقِ القرآن الكريم.

وكذا لفظ قديم، أي أزَليّ، في حَقِّ القرآن الكريم لَمْ يُؤثر عن أحدٍ مِن الصحابة لأنَّ بِدْعةَ القَوْلِ بخَلْقِ القرآن لم تكن قد ظهرت في وقتهم بعد، وأوّلُ مَن قال بذلك الجَعْد بن دِرهم المقتول سنة 118 هـ .

أما الباطلُ في كلام ابن تيمية أعلاه فهو ادّعاؤهُ بأنَّ أحداً مِن الأئمة الأربعة لَم يَقُلْ أنّ القرآنَ قديم، لأنّ الإمامَ أبا حنيفة رَحِمَهُ قد نَفَى عن صفاتِ اللهِ الحُدوث، ووصَفَ القرآنَ المجيد بالقِدَم، حيث قال في كتابه "الفِقه الأكبر" ما نصه: « وصفاته – تعالى - في الأزَل غير مُحْدَثة ولا مخلوقة[1086]، فَمَن قال إنّها مخلوقة أو مُحْدَثة، أو وقف، أو شَكّ فهو كافرٌ بالله تعالى. والقرآنُ كلامُ اللهِ تعالى في المصاحف مكتوبٌ، وفي القلوب محفوظ وعلى

[1084] "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، جزء 13 ، ص 497 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 1075.

[1085] "مجموعة الرسائل والمسائل" لابن تيمية، مجلد 1 / ص 352 – 353 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 214.

[1086] أراد الإمام أبو حنيفة بقوله: «غير مُحدَثة ولا مخلوقة» أن يقطع الطريق على مَن يُحاول أن يُفرِّق بين لَفظ مُحْدث وبين لفظ مخلوق، فيقول قائل مثلا: "صفاتُ اللهِ مُحْدثة، ولكن غير مخلوقة"، لهذا ذَكَر اللفظين معاً، واللهُ تعالى أعلم.

الألسن مَقروء، وعلى النَّبيّ عليه الصلاة والسلام مُنَزّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق[1087]، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتُنا له مخلوقة، <u>والقرآنُ غيرُ مخلوق</u>. وما ذَكَرَ الله تعالى في القرآن حكايةً عن موسى وغيره مِن الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام، وعن فرعون وإبليس فإنَّ ذلك كُلّه كلامُ اللهِ تعالى إخباراً عنهم، وكلامُ اللهِ تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره مِن المخلوقين مخلوق، <u>والقرآن كلامُ اللهِ تعالى فهو قديمٌ</u>، لا كلامُهُم »[1088].

فهذه نُصوصٌ صريحة مِن الإمام السَّلَفي أبي حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَدْحضُ ادِّعاءَ ابن تيمية مِن أنّ الإمامَ أبا محمد عبدالله بن سعيد بن كُلّاب، وكان معاصراً للإمام أحمد، هو أوّلُ مَن قال أنّ القرآنَ قديم، وأنّ أحداً مِن الأمَّة الأربعة لم يتلفظ بذلك.**

والنُّصوصُ السابقة تُبيّن أيضا أنّ ابن تيمية لم يَكُن أمينا في نَقْل أقوال السَّلف - وليس للمرة الأولى - بخصوص نَفْي الحُدوث عن القرآن الكريم وإثبات قِدَمِه كَوْنه كلامَ الله وصفةً مِن صفاته الأزَلَيّة.

[1087] قوْلُ الإمام أبي حنيفة: «ولفظنا بالقرآن مخلوق» معناه **قراءتنا** بالقرآن **مخلوقة**، والقرآنُ غير مخلوق، فعندما يقرأ القارئُ القرآنَ، فصوتُ القارئ، أي قراءته وتلاوته مخلوقة، والمقروءُ والمَتلو هو القرآن، وهو غيرُ مخلوق، وهذا عقيدة أهل السُّنة، قال الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد" (ص 109 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22): [وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا في الجَنّة سمعتُ **صوتَ** رجلٍ بالقرآن»، فبَيَّنَ أنّ الصَّوتَ غيرُ القرآن]. وقال أيضا (المرجع السابق، ص 109): [قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « نَهَى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الرُّكوع »، فبيّنَ أنّ القراءةَ غيرُ المَقروء]. وقال أيضا (المرجع السابق، ص 115 – 116): [قال أبو عبدالله - البخاري- : وقال اللهُ عزّ وجل: ﴿ بَلِّغْ مآ أُنْزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (سورة المائدة: آية رقم 67)، فذلك كله مِمّا أمَرَ به، ولذلك قال: ﴿ وَأقيمواْ الصَّلاةَ﴾ فالصلاةُ بجملتها طاعةٌ لله، **وقراءةُ** القرآن مِن جملة الصَّلاة، فالصّلاةُ طاعةٌ لله، **والأمْرُ** بالصّلاة قُرآن وهو **مكتوبٌ** في المصاحف، **محفوظ** في الصُّدور، **مقروءٌ** على اللسان، **والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق، وما قُرِئَ وحُفِظَ وكُتِبَ ليس بمخلوق**، ومِن الدّليل عليه أنّ الناس يكتبون **الله** ويحفظونه، ويَدْعونه، فالدُّعاء والحِفظ والكتابة مِن الناس مخلوق، ولا شك فيه، **والخالقُ اللهُ بصفته**].

[1088] "شَرْح الفِقه الأكبر" لِمُلّا علي القاري، المتن / ص 301 – 302 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 196.

ومِن عقائد ابن تيمية

سادساً: فناءُ نارِ جَهَنّم

تمهيد:

مِن المعلوم عند أهل العِلم أنَّ الشيخَ ابن تيمية كان يقولُ بفناء النار، وأنَّ الكُفارَ ستنالهم رحمةُ الله بعد عذابٍ في نار جَهَنّم، وهذه البِدْعة الشّنيعة المُخالفة للقرآن والسُّنّة ثابتة عن ابن تيمية، ولا شَكَّ في ثُبوتها عنه، فقد رَدَّ عليه الإمامُ الحافظ، قاضي القضاة، تقي الدين علي بن عبدالكافي السُّبْكي (ت 756 هـ) **في رسالته "الاعتبارُ ببقاء الجنّة والنّار"[1089]، وكذلك رَدَّ عليه الإمامُ أبو بكر تقي الدين الحِصْنيّ** (ت 829 هـ) **باختصار في كتابه "دفع شُبَهِ مَن شَبّهَ وتمَرّد ونَسَبَ ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد"[1090]. وذَكَرَ هذا الأمر عنه كُلٌّ مِن الإمام الإخميمي** (700- 764هـ)**، وكان مِن مُعاصري ابن تيمية كالإمام السُّبْكي، في رسالة له في الرَّد على ابن تيمية في "مسألة حوادث لا أوَّلَ لها"[1091]، والإمام ابن حَجَر الهَيْتمي** (ت 974 هـ) **في كتابه "الفتاوى الحَديثيّة"[1092].**

ومِن الذين رَدّوا على ابن تيمية أيضا محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت 1182 هـ)**، وكان مِن أنصار ابن تيمية، في كتابه " رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار". وهذا الكتاب مطبوع بتحقيق وتعليق الشيخ الألباني[1093]، ولقد نَقَل الشيخ الألباني جُزءاً مِن رسالة ابن تيمية في القوْلِ بفناء النار في مقدمة تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" الآنِف الذِكْر، اعتماداً على مخطوطة مُختصرة[1094] مِن مخطوطات المكتب الإسلامي، ولقد انتقد**

[1089] وهي مطبوعة ضِمن كتاب "الدُرة المُضِيّة في الرَّدِّ على ابن تيمية" للإمام تقي الدين السُّبْكي، نشر القُدسي، مطبعة الترقي، دمشق - سوريا، 1347 هـ، ويشمل هذا الكتاب مجموعة مِن رسائل للإمام السُّبْكي في الرَّدِّ على ابن تيمية.

[1090] مِن ص 331 – 340 بتحقيق وتعليق عبدالواحد مصطفى، طبعة دار الرّازي، ط 1، عَمّان – الأردن 2003.

[1091] ص 68 بتحقيق وشرح الشيخ سعيد عبداللطيف فودة، طبعة 1997، الرصيفة – الأردن.

[1092] ص 116 مِن طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 3، القاهرة 1989.

[1093] الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1984، **وهذه الطبعة هي المُعتمدة في هذا الكتاب**.

[1094] توجد مخطوطة تامة من رسالة ابن تيمية هذه ضِمن مجموع محفوظ في مكتبة تشستربتي تحت الرقم 3406 (06)، ذَكَرَ ذلك الشيخ سعيد فودة في تحقيقه لرسالة الإمام الإخميمي في الرَّدِّ عل ابن تيمية في **مسألة حوادث لا أوّلَ لها**. وبعد كتابة هذا البحث بعدة أشهر وقفت على رسالة تامة لابن تيمية بخصوص ذلك بين كُتب "المكتبة الشاملة" (نُسَخ إلكترونية)، وهي بعنوان: "الرَّدُ على مَن قال بفناء الجَنّة والنار"، مطبوعة بتحقيق محمد بن عبد الله السمهري، **الناشر**: دار بلنسية الرياض، الطبعة: الأولى 1415هـ - 1995م، وذَكَرَ المُحَقّق أنه اعتمد على مخطوطة (عدد صفحاتها 12 صفحة) محفوظة في "دار الكُتب المصرية"، تقع ضمن مجموع تحت رقم 1899، مِن عِلم الكلام. **توضيح**: رسالة ابن تيمية: "الرَّدُ على مَن قال بفناء الجَنّة والنار" هي رَدٌّ على الجَهْمِيّة القائلين بفناء الجنة والنار معاً، وخالفهم ابن تيمية وقال بفناء النار فقط، دون الجنة.

الشيخُ الألباني في مقدمة "رفع الأستار" الشيخَ ابن تيمية انتقاداً شديداً وَرَدَّ عليه قولَه، فقال ("رفع الأستار"، ص 25): « فكيف يقول ابن تيمية: "ولو قُدِّرَ عَذابٌ لا آخِرَ له لَمْ يَكُن هناك رحمة البَتّة"، فكأنّ الرَّحمة عنده لا تتحقق إلّا بشَملها للكُفار المُعاندين الطاغين! أليس هذا مِن أكبر الأدلّة على خطأ ابن تيمية وبُعْدَهُ ومَن معه عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة؟! فغفرانك اللهم!»، ثُمَّ استطرد الشيخ الألباني مُدافعاً عن ابن تيمية، ومُبرِّراً له خطأه، فقال: «ولَعلَّ ذلك كان منه إبان طلبه العِلم، وقبل توسعه في دراسة الكِتاب والسُّنّة، وتضلعه بمعرفة الأدلّة الشّرعية، في الوقت الذي كان يُحسن الظنّ بابن عربي الصوفي القائل بأنّ عذابَ الكُفار في النار لا يستمر، بل ينقلب عليهم إلى عذوبة يتلذذون بها كما في "حادي الأرواح" (2/ 168)، فلما تبين له حاله رجع عنه ...».

التَّعليق: **لازمُ قول الألباني: « ولَعَلَّ ذلك كان منه إبان طلبه العِلم، وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسُّنّة...» هو أنّ ابن تيمية كان يُفتي ويقول بهواه قبل أن يَتمكّن مِن العِلم، هذا مِن ناحية، والناحية الأخرى، قوله هذا باطل، لأنّ الألباني نفسه قد ذكَرَ في مقدمة تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" (ص 8) أنّ ابن القَيِّم الجَوْزيّة كان قد سألَ شيخَه ابن تيمية عن هذه المسألة، أي عن فناء النار[1095]، فكتب ابن تيمية في ذلك رسالته: "الرَّدُّ على مَن قال بفناء الجَنّة والنار"، والمقصود: الرّدُّ على مَن قال بفناء الجنة والنّار معاً، وابن تيمية كان يقول بفناء النار فقط، دون الجنّة، كما هو ظاهر في رسالته هذه. وابن القَيِّم لازَمَ ابن تيمية بعد عودة هذا من مصر إلى دمشق عام 712 هـ، حيث سُجِن هناك مرتين بسبب مخالفته لعقيدة أهل السُّنّة، وهذا يعني أنَّ عُمْرَ ابن تيمية كان آنذاك 51 سنة، أي أنه كان على سعةٍ مِن العِلم، مُتضلِّعاً بمعرفة الأدلة الشرعيّة، وخيرُ دليل على ذلك كتابه "مِنهاج السُّنّة النّبوية"، فقد كتبه بعد عام 710 هـ ، وكذلك كتابه "دَرْءُ التّعارض"، وألّفه ما بين 713 - 717 هـ ، وهذا الأخير يُظهر بشكل جَليّ تَضَلع ابن تيمية أيضا في عِلم الفلسفة وتأثره بها، وبناءً**

[1095] قال ابن القيِّم الجَوْزيّة، كما في كتابه "شفاء العليل" (ص 252 – 264) ما نصه « وكنت سألت عنها - أي عن مَسألة فناء النار - شيخ الإسلام قدّس الله روحه - يقصد شيخَهُ ابن تيمية - ، **فقال لي**: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يُجب فيها بشيء. ومضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار فأرسلت إليه الكتاب **وهو في مجلسه الأخير**، وعَلّمتُ على ذلك المَوْضع، وقلت للرسول: قُل له هذا الموضع يُشكل عليه، ولا يدري ما هو؟ فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله عليه »، انتهى، ذكَرَ ذلك الشيخ الألباني في مقدمة تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ص 8، **ما بين الشرطتين في هذا النَّص- وفي أي نص يُستشهد به في هذا الكتاب - هو إضافة مني للتوضيح. قوْلُ ابن القيِّم الجَوْزيّة**: « فأرسلت إليه الكتاب وهو في **مجلسه الأخير**» ، أظن أنه قصد بذلك عندما كان ابن تيمية في **سجنه الأخير**، من سنة 726 – 728 هـ، حيث توفي مسجونا في قلعة دمشق، لأنه أفتى بأنّ السفرَ لزيارة قبر الرسول ﷺ **معصية!**

على ما تقدم يَتبيَّن بُطلان تبرير الشيخ الألباني لخطأ ابن تيمية في قوله بفناء النار وأنَّ اللهَ سَيَرحم الكفار في الآخرة بعد أن يُخلَّصوا مِن خبثهم بتعذيبهم بالنار!

ولقد اقتفى ابن القَيِّم الجَوْزيّة أثَرَ شيخه فقال مثله بفناء النار، وأفرَدَ لذلك فصلاً مستقلا في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، ولقد رَدَّ الشيخ لألباني عليه قولَه وانتقده، فقال: « هذا ثُمَّ إنّ ابن القَيِّم عفا اللهُ عنا وعنه، لم يقنع بميله إلى القول بفناء نارِ الكُفار، وتخلصهم به مِن العذاب الأبدي في تلك الدار، حتى طمِعَ لهم في رحمة الله أن يُنزلهم منازل الأبرار، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾! وذلك ما يظهر لنا مِن بعض الأدلّة التي ساقها - في كتابه "حادي الأرواح"- تأييداً للقوْل بفناء النار، وهو مِمّا نَبّه عليه المُؤلف - يقصد الأميرَ الصَّنعاني - رحمه الله مُعقباً على قوْل ابن القَيِّم: "ثُمَّ تَفْنى ويزول عذابها"، فقال - الصنعاني- (ص 64 - في "رفع الأستار"-): يُريدُ - أي ابن القَيِّم الجَوْزيّة-: ويُدْخل اللهُ مَن كان فيها من الكُفار الجَنّة كما ستعرفه من الأدلة التي ذكرها »، ثُمَّ أرْدَفَ الألباني قائلا: «وإنّ مِمّا لا شَكَّ فيه أنَّ هذا الذي استظهرناه هو في الخطورة والإغراق كقوله بالفناء، إن لَمْ يَكُن أخطرَ منه، لأنه كالثمرة له، ولأنه لا قائلٌ به مُطلقاً مِن المسلمين، بل هو مِن المعلوم مِن الدين بالضرورة، للأدلة القاطعة بأنَّ الجنّة مُحَرَّمَة على الكُفار»[1096]، انتهى.

والمذكور آنفا ينطبق كذلك على ابن تيمية، وابن القَيِّم تلقى ذلك كله عنه. فما الذي حَدا بِهما إلى ابْتِداع ذلك؟ لقد حاول الشيخ الألباني الإجابة على ذلك فقال في مقدمة تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" (ص 48 - 49) ما نصه: « فقد وجدتُ أنَّ الذي فتحَ لابن تيمية وابن القَيِّم باب التَّورط في القَوْل بفناء النار، إنّما هو بعض الآثار المَرْويّة عن بعض الصحابة، والأحاديث المرفوعة، جلَّها لا تَصِحُّ أسانيدها، وعُمْدتهما منها وأبرزها أثر عُمَر رضي الله عنه: " لو لَبثَ أهلُ النار في النار قَدْر رَمْلِ عالج لكان لهم يومٌ يخرجون فيه "، وإن حاولا تقوية إسناده بتكلف ظاهر لمُخالفة ذلك المُقرَّر في عِلم مُصطلح الحديث ...».

وعلاوة على ما قاله الشيخ الألباني أقول: لقد حَرَّف ابن تيمية وتلميذه ابن القَيِّم معاني تلك الآثار، بل ومعاني الآيات النّاصّة على تخليد الكفار في النار أبداً، وهذا يستلزمُ تأبيدَها، وليس فناءها، كما أشار إلى ذلك أيضا الصَّنعاني مِراراً في كتابه "رفع الأستار"، والألباني في تحقيقه، ومِن قبلهما إمامنا الحافظ تقي الدين السُّبْكي في رسالته "الاعتبار ببقاء الجَنّة والنار"، في الرّدِّ على ابن تيمية بقوله بفناء النار.

1096 "رَفْعُ الأستار" لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ص 38- 39 مِن طبعة "المكتب الإسلامي"، ط1، بيروت 1984.

ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ الشيخ الألباني في تحقيقه قد أشار إلى نصوص لابن تيمية ولابن القَيِّم الجَوْزِيّة مِن كتبهما، فيها يُظهران القَوْلَ بِعَدَمِ فناء النار، فبأي القولين قالا بأخَرة؟ الألباني حاول ترجيح رجوعهما عن القول بفناء النار، وذلك مِن باب حُسن الظّن بالمسلمين. وأنا شخصيا أتمنى أن يكونا قد رجعا عن ذلك، ولكن هل رجعا أيضا عن عقيدة جلوس الله على العرش وبأنّ اللهَ سَيُجْلِسُ رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام معه على العرش في اليوم الآخِر! وهل رجع ابن تيمية عن القول بقِدَمِ نَوْعِ المخلوقات مع اللهِ في الأزَل، وبأنه يستحيلُ وجودُ الله بدون وجود نَوْع المخلوق! اللهُ فقط أعلم بذلك، ولهذا أقول: هذه الأمور تُظهر بشكل جليّ أنَّ ابن تيمية وتلميذه ابن القَيِّم الجَوْزِيّة كانا يتخبطان في عقيدتيهما، فهل علينا أن نتبعهما في ذلك ونتخذهما قدوة، أم نتمسك بقوْل الله الخالق، وبأحاديث رسوله ﷺ الصحيحة والثابتة عنه؟ كُلٌ مسلم مُعظم لله حقا، سيأخذ بقوْل الله وبأقوال رسوله ﷺ، وينبذ أقوال ابن تيمية المُخالفة للكتاب والسُّنّة وإجماع المسلمين، وفي هذا المعنى قال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" ما نصه: « فَتَرانا هنا نَرُدُّ على شيخ الإسلام ابن تيمية قولَه بفناء النار، ولا نُداريه مع عظمته في نفوسنا، وجلالته في قلوبنا، فضلا عن أننا لا نقلده في ديننا، خلافا لِمَا عليه عامّة المُقلدة الذين يَحْملهم إجلالهم لإمامهم على تقليده، ونَبْذِ قوْل كُلِّ مَن خالفه حتى ولو كان المُخالِفُ هو النّبيّ محمداً ﷺ ، بديل أن يتخذوه وحده قُدْوة، ولا يُشركوا معه في ذلك أحداً..»[1097]، فليعتبر بهذه النَّصيحة السَّلفيّون وغيرهم، ولكن هل أخذ الشيخ الألباني بنصيحة نفسه؟ الجواب لا، ومن الدّليل عليه أنه كان يعتقد بأنَّ اللهَ بذاته فوق العرش[1098]، مع أنَّ الرسول ﷺ قال: « وأنت الظاهِرُ فَلَيْسَ فوقكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونَكَ - أي تحتك- شيءٌ »[1099]، فإذا لم يَكُن تحت اللهِ شيءٌ فكيف يكون بذاته فوق العرش؟! فسبحان الله القائل: ﴿ أتأمُرُونَ النَّاسَ بالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أنفُسَكُمْ وَأنتُمْ تَتلُونَ الكِتابَ أفلا تَعْقِلونَ ﴾ [1100].

وقبل أن أنتقل إلى إيراد أقوال ابن تيمية في فناء النار، مُعتمدا بالدرجة الأولى على المخطوطة التي أوْرَدَها الألباني في مقدمة تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" للأمير الصنعاني، أوَدُّ أن أشير إلى أنَّ الألباني اعتمد فقط على المخطوطة المذكورة آنفا في نِسْبَة الأقوال إلى

[1097] "رفع الأستار" للصنعاني، ص 28 – 29، طبعة المكتب الإسلامي، ط1، بيروت 1984.

[1098] أنظر "مختصر العُلوّ" للذهبي، ص 17 بتحقيق وتعليق الشيخ الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط 2، بيروت 1991.

[1099] رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم 2713 ، ورواه أيضا بإسناد صحيح كُلّ مِن التِّرمذي في سننه برقم 3400، وابن ماجَه في سننه برقم 3831. **ما بين الشرطتين في الحديث أعلاه هو إضافة للتوضيح.**

[1100] سورة البقرة: آية رقم 44.

ابن تيمية، والنُّصوص التي نَقلها الصنعاني مِن كتاب "حادي الأرواح"، ونَسبَها إلى ابن تيمية، ولم تُذْكَر في المخطوطة المُختصرة المُشار إليها سابقا اعتبرها الألباني من كلام ابن القَيِّم وليس مِن كلام ابن تيمية، وهذا تلبيسٌ على القارئ، ويهدفُ الألباني من وراء ذلك أن يقول: كُلُّ هذه النُّصوص البَشِعة المُخالفة لنصوص القران والسُّنّة ليست لابن تيمية، بل لتلميذه ابن القيِّم الجَوْزيّة، وفيما يلي مثالان للبَرهنة على ذلك:

● **المثال الأول: قال الصَّنعاني ناقلا مِن "حادي الأرواح" لابن القَيِّم ما نصه: [ثُمَّ تَعَرَّضَ - ابن تيمية- لأدلة القائلين بِعَدَم فناء النار فقال: « لهم ست طرق أحدها الإجماعُ على عَدَم فنائها. قال -أي ابن تيمية-: والإجماع غيرُ معلوم، إنما يظنه في هذه المسألة مَن لَمْ يَعْرف النِّزاعَ فيها وقد عرفت[1101] النِّزاع قديما وحديثا ... »][1102]. ولقد أشار الألباني في الحاشية رقم 100، ص 116، إلى موضع الكلام أعلاه في "حادي الأرواح" وهو: (2/ 181 - 189)، ثُمّ عَلقَّ على النَّصِّ أعلاه، فقال: « وليس فيه ذِكْرٌ لابن تيمية أيضا، ولا له ذِكْرٌ في المخطوطة »، انتهى تعليق الألباني.**

وجوابي هو: 1. كَوْن الكلام السابق لَمْ يُذْكَر في المخطوطة لا يعني بالضرورة أنه ليس من كلام ابن تيمية، ويُؤيده أنّ هذه المخطوطة مُختصرة، فقد اختصرها ناسخها من رسالة ابن تيمية، ولقد أشار إلى ذلك الألباني بنفسه (في ص 14) اعتماداً على كلماتٍ للناسخ في المخطوطة نفسها.

2. النَّصُّ الآنف الذِكْر ذَكَرَهُ بنحوه الإمام الحافظ تقي الدين السُّبْكي في رَدِّه على ابن تيمية، قال الإمام السُّبْكي: « قد اعترض هذا المُصَنِّف - يقصد ابن تيمية- على الإجماع لأنه غير معلوم فإنَّ هذه المسائل لا يُقطع فيها بإجماع، نعم قد يُظن فيها الإجماع وذلك قبل أن يُعرفُ النِّزاع وقد عُلِم النِّزاعُ قديما وحديثا بل إلى الساعة»[1103]. وهذا الكلام يَدُلُّ على أنّ النَّصَّ السابق مِن "حادي الأرواح" هو مِن كلام ابن تيمية نفسه، وليس لابن القَيِّم.

● **المثال الثاني: قال الصنعاني** ("رفع الأستار"، ص 168)**: [كما تسمع تصريح ابن تيمية بذلك حيث قال: « وأما كَوْنُ الكفارِ لا يخرجون منها ولا يُخَففُ عنهم مِن عذابها ... فلم يَختلف**

[1101] عرفت، كذا في النسخة المطبوعة مِن "رفع الأستار"، ص 116، والصحيح هو: **عُرِفَ**.
[1102] "رفع الأستار"، ص 116.
[1103] "الدُّرة المُضِيّة"، ص 74.

في ذلك الصحابة ولا التّابعون ولا أهل السُّنّة، وهذه النُّصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البَتّة »][1104]**.**

ولقد أشار الألباني في الحاشية رقم 18، ص 68، إلى موضع الكلام الآنف الذِكْر في "حادي الأرواح" وهو: الحادي (2/ 185)، ثُمَّ عَلقَّ على النَّصِّ، فقال: « ولم يَذكُر - ابن القَيِّم- شيخَه شيخَ الإسلام ابن تيمية، ... فهو مِن كلام ابن القَيِّم، ويُؤيده أنه لَم يُذكَر في المخطوطة المنقولة عن رسالة ابن تيمية المُشار إليها آنفا »، انتهى تعليق الألباني.

قلت: 1. كَوْنُ ابن القَيِّم لم يَعْزُ النّصَّ الآنف الذِّكْر إلى شيخه ابن تيمية لا يعني هذا أنه ليس لابن تيمية، بل هو له، ويُؤيّده أنَّ الإمام السُّبْكي قد ذكَرَهُ بنحوه في رَدّه على ابن تيمية وعَزاهُ إليه)، حيث قال: [قد قال -ابن تيمية-: « أنه ليس في القرآن ما يَدلُّ على أنها لا تفنى، بل الذي يَدلُّ عليه ظاهر القرآن أنهم خالدون فيها أبدا، وأنه يقتضي خلودهم فيها ما دامت باقية، لا يخرجون منها مع بقائها وبقاء عذابها][1105]**، انتهى. فالنَّصُّ الآنف الذِّكْر الذي ساقه الصنعاني نقلا عن "الحادي" هو لابن تيمية، وليس لابن القَيِّم.**

2. لقد قال ابن القَيِّم في "حادي الأرواح" في بداية التَّطرق إلى مسألة فناء النار وأقوال الناس فيها ما نصه: « قال شيخ الإسلام (يُريدُ شيخه أبا العباس ابن تيمية)[1106]**: وقد نُقِلَ هذا القول - أي فناء النار - عن عُمَر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم»**[1107]**.**

قَوْلُ ابن القيِّم في بداية كلامه عن فناء النار: « قال شيخُ الإسلام .... » يكفي للدلالة على أنَّ النُّصوص التي ينقلها بخصوص ذلك راجعة إلى شيخه ابن تيمية، إلّا إذا صَرّحَ بخِلاف ذلك، كقوله مثلا: قُلت، كما هو مُتعارف عليه في التّصانيف.

وعلى أي حال، المخطوطة المُختصرة من رسالة ابن تيمية "الرَّدّ على مَن قال بفناء الجنة والنار" التي اعتمدها الشيخ الألباني في نسبة الأقوال إلى ابن تيمية كافية لإدانة ابن تيمية بقوله بفناء النار، وسوف أعتمد عليها في نقل نصوص ابن تيمية. ولقد نَسبَ ابن تيمية القول بفناء النار إلى أربعة مِن الصحابة، كما في المخطوطة، وناسخها ذكَرَ فقط أثرَ عُمر رضي الله عنه**، لهذا نقلتُ آثار الباقين مِن كتاب "رفع الأستار" للأمير الصنعاني، اعتماداً مِنه في**

[1104] قول ابن تيمية: « وهذه النُّصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البَتّة » معناه أنَّ الكفارَ خالدون في جهنّم ما دامت نارُ جهنم باقية، فإذا ما فَنِيَت نار جهنم فإنهم سيخرجون منها.

[1105] "الدُّرة المُضِية" للإمام تقي الدين السُّبْكي، ص 74.

[1106] الكلام ما بين القوسين أعلاه إضافة مِن الشيخ الصنعاني للتوضيح.

[1107] "رفع الأستار" للصنعاني، ص 64 بتحقيق الألباني.

ذلك على كتاب "حادي الأرواح" لابن القيِّم الجَوْزيّة، وسوف أشير إن شاء الله إلى مواضع هذه النُّصوص في رَدِّ الإمام السُّبْكي على ابن تيمية المُشار إليه سابقا، والله وليُّ التّوفيق:

فناءُ نارِ جَهَنَّم على مذهب ابن تيمية

● **قال ابن تيمية بخصوص فناء النّار: « وأما القوْلُ بفناء النار ففيهما قولان معروفان عن السَّلف والخَلَف، والنِّزاعُ في ذلك معروف عن التابعين ومِن بعدهم ... فإنَّ الذين يقولون: إنَّ عذابهم له حَدّ ينتهي إليه .... قد يقولون: إنها تفنى، وقد يقولون: إنهم يخرجون منها فلا يبقى فيها أحد. لكن قد يُقال: إنهم لم يُريدوا بذلك أنهم يخرجون مع بقاء النار فيها على غير أحد، بل يفنى عذابها، وهذا هو معنى فنائها، وقد نُقِلَ هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخُدْريّ، وغيرهم رضي الله عنهم» ("رفع الأستار"، ص 9).**

الرَّد: أولا: قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾[1108] والزِّيادة تَدُلُّ على الاستمرارية وليس على الانقطاع.

وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1109]، ومعنى ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ هو عذابٌ دائم، وكلامُ الله يَنُصُّ أيضا على عدم خروج الكفار من النار.

وقال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ والَّذِينَ كَفَرُواْ لهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ولا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِها كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾[1110] ، وعدمُ تخفيف العذاب عن الكفار يستلزم دوامَه، وديمومةُ العذاب تستلزم عَدَمَ فنائه، وبالتالي دوام نار جهنم.

وقال اللهُ سُبحانه وتعالى: ﴿ فذوقواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إلَّا عَذابًا ﴾[1111]، وزيادة العذاب تستلزمُ دوامَه ودوامَ النار وليس فناءَها.

وقال اللهُ تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وأعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خالدينَ فيهآ أَبَداً ﴾[1112]، واللَّعنُ هو الطَّرْدُ مِن رحمة الله، وكلامُ اللهِ في هذه الآية يَدُلُّ على خلود الكفار في نار جهنم أبداً، وتأبيدُ الكفار في النار يقضي بأبديّة النار نفسها.

[1108] سورة الإسراء: آية رقم 97.
[1109] سورة المائدة: آية رقم 37.
[1110] سورة فاطر: آية رقم 36.
[1111] سورة النبأ: آية رقم 30.
[1112] سورة الأحزاب: آية رقم 64، 65.

وبنـاءً على ما تقدم أقول: قوْلُ ابن تيمية أنّ للسَّلف والخَلَف في فناء النار قولان، يقصد فناءها أو دوامها، هو افتراءٌ مَحْض، فما كان السَّلفُ ولا الخَلَف ليُخالفوا الآيات الكريمة الآنفة الذِّكْر ويقولوا بفناء النار. ولا قيمة لقول الضّال الجَهْم بن صفوان (قُتِل 128 هـ) **مِن السَّلَف الطالح بفناء النار.**

ولقد ذَكَرَ الإمام السُّبْكي في رَدّه على ابن تيمية نحو ستين آية في النار، وذُكِرَ الخلودُ في النار أو ما اشتق منه في أربع وثلاثين آية. وذُكِرَ تأبيدُ الكفار في النار في ثلاث آياتٍ - حسب علمي-، وهذا يقضي بدوام النار وليس بفنائها. ولو كانت النارُ ستفنى فما كان للتَّأبيد فيها أيُّ معنى.

ثانيا: وقوْلُ ابن تيمية: « والنِّزاعُ في ذلك معروف عن التّابعين ومن بعدهم » هو افتراء، يهدف مِن ورائه إلى إيهام القارئ أنَّ مسألة فناء النار أو بقائها مسألةٌ خلافيّة، وبالتالي يَحِقُّ له أن يُبدي رأيه فيها، وينحاز لرأي القائلين بفنائها، والحقيقة هي أنه لَمْ يقل بفناء النار سِوى الجَهْم بن صَفوان -ومَن تَبِعه- وابن تيمية، وتبعهُ في ذلك ابن القَيِّم الجَوْزيّة[1113]، مع التّنويه أنَّ جَهْمَ بن صفوان قال أيضا بفناء الجنّة.

ثالثا: إنَّ خلودَ الجنّة والنار مِن المعلوم مِن الدين بالضرورة، لهذا ذَكَرَ علماء أهل السُّنّة بقاءَ الجَنَّة والنّار في تصانيفهم في باب الاعتقادات:

- **قال الإمام أبو جعفر الطّحاوي** (ت 321 هـ) **في رسالة عقيدة أهل السُّنّة والجماعة: «والجنّةُ والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان».**
- **وقال الحافظ ، والفقيه أبو منصور البغدادي عبدالقاهر بن طاهر** (ت 429 هـ) **في كتابه "الفَرْق بَيْنَ الفِرَق" في الفصل الثالث (مِن الباب الخامس) في "بيان الأصول التي أجْمَعَ عليها أهل السُّنّة" في "الركن الحادي عشر" ما نصه: « وقالوا بدوام نعيم الجنّة على أهلها، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين،... وقالوا بأنَّ الخلودَ في النار لا يكون إلّا للكفرة »[1114].**

[1113] لقد ذكَرَ الشيخ سعيد فودة في تعليقه على رسالة الإمام الإخميمي في الردِّ على ابن تيمية في مسألة "حوادث لا أول لها" ، ص 71، طبعة 1997، الرصيفة – الأردن، أنَّ أحد المعاصرين واسمه عبدالكريم صالح الحميد قد كتب كتابا يؤيد فيه قولَ ابن تيمية بفناء النار، وسمّى كتابه "القول المختار لبيان فناء النار"!

[1114] " الفرقُ بين الفِرَق" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 258- 259 بتعليق محمد محيي الدين، الناشر: **دار الطلائع**، القاهرة 2005.

● ونقلَ الحافظ ابن حَزْم الأندلسي (ت 456 هـ) **في كتابه "مراتب الإجماع" ، تحت: " باب مِن الإجماع في الاعتقادات يَكْفُرُ مَن خالفه بإجماع"، الإجماعَ على بقاء الجَنّة والنار، فقال: « وأنَّ الجنة حقّ، وأنها دارُ نعيم أبداً، لا تفنى ولا يَفنى أهلها بلا نهاية، ... وأنَّ النارَ حقّ، وأنها دارُ عذابٍ أبداً، لا تفنى ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية »[1115].**

رابعا: زعَمَ ابن تيمية، كما في النَّص السابق، أنّ القولَ بفناء النار قد نُقِلَ عن الصحابة عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخُدْريّ رضوان الله عليهم **أجمعين، فهل قال المذكورون بفناء النار كما ادّعى ابن تيمية؟ بالتأكيد لا كما سيلي بيانه، ويتضح منه بُطلان ادعاء ابن تيمية عليهم:**

1. بخصوص أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه**: لقد ساق ابن تيمية سَنَدَهُ كما في المخطوطة المُشار إليها سابقا، فقال: « وَرَوى عبد بن حميد، وهو مِن أجلّ علماء الحديث، في تفسيره المشهور، قال: أخبرنا سليمان بن حرب، أخبرنا حمّاد بن سَلمة عن ثابت، عن الحَسن البصري قال: قال عمر: " لو لبث أهلُ النار في النار كقدر رَمْل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجونُ فيه". وقال: أخبرنا حَجّاج بن منهال، عن حمّاد بن سَلمة، عن حميد عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب قال: " لو لبث أهل النار في النار عدد رَمْل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه »** ("رفع الأستار"، ص 9)**.**

الرَّد: أولا: إسنادُ هذا الأثر ضعيف كَوْنه مُنقطعاً، فالحسن البصري لم يسمع مِن عمر[1116]. وبناء على ذلك، هذا الأثر مردود.

ثانيا: مَتْنُ هذا الأثر لا يَدُلُّ بأي حال على فناء النار كما حاول ابن تيمية إيهام القُرّاء. ولقد حَمَلَ علماء أهل السُّنّة معنى قول عمر رضي الله عنه**- إن صحّ ذلك عنه - على خروج عُصاة المؤمنين مِن النار بعد تعذيبهم على معاصيهم، فلا يُخَلَّدُ مؤمنٌ في النار، أما الكفار فلهم فيها ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.**

ثالثا: لقد حاول ابن تيمية تحريف معنى قول عمر رضي الله عنه **السابق، فقال: « وقوله - يقصد قول عمر** رضي الله عنه**-: "يخرجون فيه" أي يخرجون من جهنم بعد أن يفنى عذابها وينفدُ**

[1115] "مراتب الإجماع" للحافظ ابن حَزْم الأندلسي، ص 267 – 268، بعناية حسن أحمد إسبر، طبعة دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 1998.

[1116] "الدُّرة المُضيّة" للإمام السُّبْكي، ص 72، و"رفع الأستار" للصنعاني، ص 75 بتحقيق الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

وينقطع، فهم لا يخرجون منها، بل هم خالدون في جهنم كما أخبرَ الله، لكن انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا فلم يبق فيها عذاب...لكن فناؤها بتغير حالها» ("رفع الأستار"، ص 11).

الرّد: كلامُ ابن تيمية السابق مُتهافِت ومُتناقض، وهذا حالُ أقوال كُلِّ مُبْتدع زائغ عن الطريق المستقيم: فمِن ناحية يقول: أنهم، ويقصد هنا الكفار، لا يخرجون مِن النار، بل هم خالدون في جهنم كما أخبرَ الله، ومِن ناحية أُخرى يقول: أي يخرجون مِن جهنم بعد أن يفنى عذابها وينفد، وهذا تناقض واضح لكُلِّ ذي عقل سليم. ولكن كيف سيفنى عذابُ جهنم وينفد وينقطع واللهُ يقول عن عذابها: ﴿عَذابٌ مُّقِيمٌ﴾، أي عذابٌ دائم، ويقول: ﴿ وَلا يُخَفَّفُ عَنهُم مِّنْ عَذابها ﴾، ويقول: ﴿ وَقُودُهَا النّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ ﴾ [1117]، فإذا كان الناسُ - والمقصود الكُفار مِنهم - والحجارةُ وقُوداً لجهنم، فكيف ستفنى النار وتنفد والكفارُ والحجارة فيها؟! ولقد تطرق ابن تيمية إلى الفروق بين الجنة والنار من ناحية البقاء والفناء ليستدل على فناء النار بغير سُلطان غير سلطان هواه، وسوف أذكر هذه الفروق وأرُدُّ عليها في نهاية هذا الموضوع إن شاء الله.

وبناء على ما تقدم يَتبيّنُ عدم صِحّة نِسبة القول بفناء النار إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

2. بخصوص أثر عبدالله بن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما**: لم يُذكَر أثرهما في المخطوطة المُختصرة والمُشار إليها سابقا، وذكَرَ الإمام السُّبْكي أثرَ ابن مسعود** رضي الله عنه **في رَدّه على ابن تيمية، ولفظه: « ليَأتِيَنَّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحدٌ وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا »، قال الإمامُ السُّبْكي مُعلقاً على هذا الأثر: « قلت: إن صحَّ هذا عن ابن مسعود حُمِلَ على طبقة العُصاة، وقوله: "أحقابا"، يُحمل على أحقابٍ غير الأحقاب المذكورة في القرآن حتى يَصِحُّ الحَمْلُ على العُصاة - يقصد عُصاةَ المؤمنين-»[1118].**

وأثر ابن مسعود رضي الله عنه **أوْرَدهُ الصنعاني في كتابه "رفع الأستار"** (ص 75 بتحقيق الألباني) **نقلاً عن ابن القَيِّم الجَوْزِيّة، ولفظه: « ليَأتِيَنَّ على جهنم زمان ليس فيها أحد »، وعن أبي هريرة مثْله، وذكَرَ الصنعاني أنَّ هذيْن الأثرين ذكرهما الإمام البغوي في تفسير سورة هود (آية رقم 107) في قوله تعالى: ﴿ إلّا ما شآءَ رَبُّكَ﴾، ثُمَّ قال البغوي عَقب ذِكْرهما ما نصه: « ومعناه عند أهل السُّنّة -إن ثبَت- أنه لا يبقى فيها أحدٌ مِن أهل الإيمان »[1119].**

[1117] سورة البقرة: آية رقم 24.

[1118] "الدُّرَة المُضِية"، ص 73.

[1119] "رفع الأستار"، ص 75.

فهذان الأثران عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما **لا يدُلان بتاتاً على فناء النّار كما زعَمَ ابن تيمية.**

3. بخصوص أثر أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه**: لم يُذْكَر في المخطوطة المُشار إليها سابقا، وأوْرَدَهُ الصنعاني في "رفع الأستار" (ص 77)، ولفظه: « قال أبو نضرة عن أبي سعيد أو جابر أو بعض أصحاب النبيّ** صلى الله عليه وسلم **: " أتت هذه الآية على القرآن كله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1120] ».**

قوْلُ أبي سعيد أو جابر أو بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم **- شَكَّ الراوي عَمَّن يَروي ! - لا دلالة فيه مطلقاً على فناء النار، وهو مُدّعى ابن تيمية. وذكَرَ هذا الأثر أيضا الإمام السُّبْكي في رَدِّه على ابن تيمية، وعَلقَ عليه فقال: « هذا كلامٌ صحيح، واللهُ يفعلُ ما يُريد، وليس في ذلك أنه يُخْرِجُ الكُفارَ مِن النار»[1121]، لأنَّ اللهَ قد قال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [1122].**

وبناءً على ما تقدم يَتبيَّنُ بشكل جليّ أنَّ نِسبة القوْل بفناء النار إلى الصحابة الأبرار هو افتراءٌ مَحض مِن ابن تيمية ليُروِّجَ بدْعَته بين المسلمين.

[1120] سورة هود: آية رقم 107.
[1121] "الدرة المضية"، ص 71.
[1122] سورة المائدة: آية رقم 37.

فصل

"الفروق بين بقاء الجَنّة والنار عقلا وشرعا" وفق عقيدة ابن تيمية

وَقَبْلَ الشروع في ذِكْر هذه الفروق أوَدُّ أن أذكُرَ أنَّ ابن تيمية قصد بذلك أنَّ الجَنّة تبقى، أما النّار فستفنى! وقوله هذا مُخالفٌ لِما جاءت به النُّصوص القرآنية ولِما اعتقده أهل السُّنّة مِن أنّ النار لا تفنى، كالجَنّة تماما.

● **قال ابن تيمية: « أحدها: أنَّ اللهَ أخبرَ ببقاء نَعيم الجنة ودوامه ... كما أخبر أنَّ أهلَ الجنة لا يخرجون منها، وأما أهلُ النار وعذابها فلم يُخبر ببقاء ذلك، بل أخبر أن أهلها لا يخرجون منها»** ("رفع الأستار"، ص 11).

الرَّد: قوْلُ ابن تيمية: « وأما أهل النار وعذابها فلم يُخبر ببقاء ذلك » هو افتراءٌ على الله، قال اللهُ عزّوجلّ: **﴿والَّذِينَ كَفرُواْ لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فيَمُوتواْ ولا يُخَفَّفُ عَنهُم مِّنْ عَذَابهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفور ﴾[1123] ، وقال** جَلّ ثناؤُه: **﴿ إنَّ الَّذينَ كَفروا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نارًا كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلناهُمْ جُلودًا غيْرَها لِيَذوقواْ العَذابَ إنَّ اللهَ كانَ عَزيزًا حَكيمًا﴾[1124] ، وقال اللهُ** سُبحَانه وَتَعَالى: **﴿ وأمَّا الَّذينَ فَسَقُواْ فَمَأواهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أرَادُوَاْ أن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُواْ فيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقواْ عَذابَ النَّارِ الَّذي كُنتُم بهِ تُكَذِّبونَ ﴾[1125]، وقال اللهُ العزيز الحكيم: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾، فهذه الآيات الكريمة وغيرها تدلُّ على عَدَم زوال العذاب عن أهل النار، إذن كيف يقول ابن تيمية: «وأما أهل النار وعذابها فلم يُخبر ببقاء ذلك»؟!**

● **قال ابن تيمية: « -الفرق- الثاني: أنه أخبر بما يدلُّ على أنه ليس بمؤبد في عدة آيات»[1126].**

الرَّد: قوْلُ ابن تيمية أعلاه هو تلبيس على القارئ، فقد أخبرَ اللهُ في آياتٍ أنّ البقاءَ في جهنم هو خلود، ويأتي الخلود أيضا بمعنى التَّأبيد، وأخبرَ اللهُ أنه لا خروج للكافرين من

[1123] سورة فاطر: آية رقم 36.
[1124] سورة النساء: آية رقم 56.
[1125] سورة السجدة: آية رقم 20.
[1126] "رفع الأستار"، ص 11.

جهنم، فقال: ﴿وَما هُم بِخَارِجينَ مِنَ النَّارِ ﴾[1127]، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجينَ مِنها وَلَهُمْ عَذابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1128]، ومعنى ﴿عَذابٌ مُّقِيمٌ﴾ عذابٌ دائم.

وأخبرَ اللهُ أيضا في آياتٍ أُخَر بأنَّ البَقاءَ في جَهنم مؤبد، فقال عزّوجلّ: ﴿إنَّ الَّذينَ كَفرُواْ وَظلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إلَّا طَرِيقَ جَهَنَّم خالِدينَ فيهآ أبَدًا ﴾[1129]، وقال : ﴿ إنَّ اللهَ لعَنَ الكَافِرينَ وَأعَدَّ لهُمْ سَعيرًا، خالدينَ فيهآ أبدًا ﴾[1130]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيهآ أبَدًا﴾[1131] ، فهذه ثلاثُ آياتٍ تتكلم عن تأبيد أهل النار في النار. والتّأبيدُ في جهنم، وهي دار عذاب، يقضي بتأبيد نارها وعذابها وليس بفنائها.

● قال ابن تيمية: « -الفرق- الثالث: أنَّ النار لم يُذكَر فيها شيءٌ مِمّا يدل على الدّوام»[1132].

الرَّد: إنَّ العقلَ ليحتار مِن جُرأة ابن تيمية في الافتراء على الله، يفتري ابن تيمية بأنَّ النار لم يُذكَر فيها شيءٌ مِمّا يَدلُّ على الدّوام! كيف هذا واللهُ يقول: ﴿إنَّ المُجْرِمينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[1133]. ومعنى ﴿ لا يُفَتَّرُ ﴾ هو لا يُخَفَّف، وهذا يَدلُّ على الدّوام، ومعنى: ﴿ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ﴾ هو: وهم في العذاب آيسون مِن رحمة الله. وقوْلُ اللهِ الحَقّ: ﴿ولا يُخَفَّفُ عَنهُم مِّنْ عَذابها كذلكَ نَجْزِي كُلَّ كَفورٍ ﴾ يَدلُّ أيضا على استمراريّة النار وعدم انقطاعها. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ، أي عذابٌ دائم، ودَيْمومَةُ العذاب تَدُلُّ على دوام النار.

● قال ابن تيمية: « والرابع: أنّ النار قيَّدها بقوله: ﴿لَّابِثِينَ فيهآ أحْقاباً ﴾[1134]، وقوله: ﴿خالِدينَ فيهآ إلّا ما شآءَ اللهُ﴾[1135]، وقوله: ﴿ خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأرْضُ إلَّا ما شآءَ رَبُّكَ ﴾[1136]، فهذه ثلاث آيات تقتضي قضية مؤقتة أو معلقة على شرط ، وذاك - أي نعيم الجنة- دائم ليس بمؤقت ولا مُعَلق » ("رفع الأستار"، ص 12).

[1127] سورة البقرة: آية رقم 167.
[1128] سورة المائدة: آية رقم 37.
[1129] سورة النساء: آية رقم 168، 169.
[1130] سورة الأحزاب: آية رقم 64، 65.
[1131] سورة الجن: آية رقم 23.
[1132] "رفع الأستار"، ص 11.
[1133] سورة الزخرف: آية رقم 74، 75.
[1134] سورة النبأ: آية رقم 23.
[1135] سورة الأنعام: آية رقم 128.
[1136] سورة هود: آية رقم 107.

الرَّد: قوْلُ ابن تيمية الآنف الذِكْر فيه تلبيس وبيانه كالآتي، واللهُ وليُّ التّوفيق:

1. بخصوص قوله تعالى: ﴿ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً ﴾ : الحُقب هو مُدة مِن الزمن، وقد أُخْتلِفَ في مِقداره، وقد حَمَلَ عُلماء أهل السُنّة الأحقابَ في الآية الآنفة الذِكْر على أحقاب الآخرة، وهذه لا نهاية لها، قال الإمامُ القُرْطُبي في تفسيره: « قوله تعالى: ﴿ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً﴾ ، أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تَنقطع، فكُلما مضى حُقْب جاء حُقب.... والمعنى في الآية، ﴿ لَّابِثِينَ ﴾ فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها، فحَذفَ الآخِرة لدلالة الكلام عليه، إذ في الكلام ذِكْرُ الآخِرة وهو كما يُقال: أيام الآخرة، أي أيام بعد أيام إلى غير نهاية، وإنّما كان يَدلُّ على التّوقيت لو قال خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب، ونحوه، وذَكَرَ الأحقاب لأنَّ الحُقب كان أبعد شيء عندهم - أي عند العرب-، فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونها، وهي كِناية عن التّأبيد، أي يمكثون فيها أبداً. وقيل: ذَكَرَ الأحقاب دون الأيام، لأنَّ الأحقابَ أهْوَلُ في القلوب، وأدَلُّ على الخلود. والمعنى متقارب، وهذا الخلود في حَقّ المشركين »، وقال الإمام الحسن البَصْري (ت 110 هـ) **في تفسير هذه الآية: « أمّا الأحقابُ فليس لها عدة إلا الخلود في النار» (راجع تفسير ابن كثير، وتفسير الجَلاليْن، وانظر "الدُّرة المُضِيّة" للإمام السُّبْكي، ص 69).**

لقد أوْرَدَ ابن تيمية الآية الكريمة الآنفة الذِّكْر ليستدل بها على فناء النار بعد مُدة مِن الزّمن! وتجاهل قوْلَ الله في نفس السورة مُخبراً عن حال الكفار في النار: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [1137]، وزيادةُ العذاب تقضي بِدَوام النار وليس بفنائها.

2. في آيتين وَرَدَ خلودُ أهل النار مقرونا بمشيئة الله، قال اللهُ عزّوجلّ **: ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدينَ فيهآ إِلَّا ما شَآءَ اللهُ ﴾[1138]، وقال** جَلّ ثناؤُه**: ﴿ فأَمَّا الَّذينَ شَقُواْ فَفي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفيرٌ وَشَهِيقٌ ، خالِدينَ فيها مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ إِلَّا مَا شَآء رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّما يُرِيدُ ﴾[1139]، ولقد استشهد ابن تيمية بهاتين الآيتين للاستدلال على أنَّ العذابَ في النار هو عذابٌ مؤقت كَوْنه مُعلقا على مشيئة الله، متجاهلا الآيات الأخرى التي تُخبر بتأبيد الكفار في النار، وهذا يقضي بأبدية النار وبعدم فنائها. وتفسير هاتين الآيتين كالآتي واللهُ وليُّ التّوفيق:**

[1137] سورة النبأ: آية رقم 30.
[1138] سورة الأنعام: آية رقم 128.
[1139] سورة هود: آية رقم 106، 107.

أولا: السّماواتُ والأرضُ يوم القيامة غيرُ السّماوات والأرض في الدنيا، قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيْرَ الأرضِ والسَّمَاوَاتُ ﴾[1140]، والتّبَدّلُ فيهما يكون في تغيير صفاتهما، والسماواتُ والأرض في الآخرة أبديتان. وقال الإمامُ الحسن البَصْري في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ ما نصه: « يقول: سماءٌ غيرُ هذه السَّماء وأرضٌ غير هذه، فما دامت تلك السّماء وتلك الأرض» (راجع تفسير ابن كثير)**. وبناءً على ذلك يكون معنى الآية في حَقّ الكُفار: ﴿ خالِدينَ فيها مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ هو خلودهم في النار كخلود السّماوات والأرض في الآخرة، أي أبداً.**

ثانيا: وَرَدَ في الآيتين المذكورتين آنفاً أنّ خلودَ الكفار في النار مُتعلق بمشيئة الله، وهذا حَقّ، والاستثناء فيهما لا يَدلُّ بتاتا على قضية مؤقتة، كما زَعمَ ابن تيمية، بل يُخبرُ اللهُ بأنَّ خلودَ الكُفار في جَهنم، كعقابٍ لهم على كُفرهم في الدنيا، ليس بإلزامي، أي أنَّ اللهَ ليس مُلزَماً على تخليدهم في النار، فلو شاءَ اللهُ أن يُخرجهم منها لفَعَل: ﴿ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّما يُرِيدُ﴾، ولكنَّ اللهَ قد شاءَ أن لا يُخرجهم منها، وقد أخبرنا بذلك فقال: ﴿ وَما هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾. فقوْلُ ابن تيمية السابق: « فهذه ثلاثُ آيات تقتضي قضية مؤقتة » باطل، فالقضيةُ ليست مؤقتة، بل قضية خلود أبدي.

وقوله: « أو معلقة على شرط » حَقّ، أراد به ابن تيمية أن يُثبت باطلا، وهو انتهاءُ عذاب الكفار بعد مدة، فالشّرط هو مشيئة الله: ﴿ إلَّا ما شآءَ اللهُ ﴾، ﴿ إلَّا مَا شَآء رَبُّكَ ﴾ ، وقد شاءَ اللهُ للكفار الخلودَ في النار على وجه التّأبيد، فقال: ﴿ إنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرينَ وأعَدَّ لَهُمْ سَعيرًا خالدينَ فيهآ أَبَداً ﴾[1141].

ثالثا: لقد اسْتَندَ ابن تيمية إلى ذِكْر مشيئةِ اللهِ في آيتين بخصوص عذاب الكفار في جهنم ليَستدلَّ بذلك على فناء النار بعد مُدّة مِن الزّمن، فلو جاز حَمْلُ الاستثناء في الآيتين المذكورتين على صحة دعوى ابن تيمية، لجازَ حَمْله كذلك في حَق نعيم الجنّة، لأنَّ الاستثناء قد وَرَدَ كذلك في حق نعيم أهل الجنة مُباشرة بعد ذِكْره في حَقّ الكفار في سورة هود، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذينَ سُعِدُواْ فَفي الجَنَّةِ خالِدينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إلَّا مَا شَاء رَبُّكَ عَطآءً غيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1142]، فالاستثناء في هذه الآية الكريمة في

[1140] سورة إبراهيم: آية رقم 48.
[1141] سورة الأحزاب: آية رقم 64، 65.
[1142] سورة هود: آية رقم 108.

حَق أهل الجنة هو للدلالة على أنَّ اللهَ ليس بمُلزَمٍ على تخليد أهل الجنة في الجنة، ولو شاءَ اللهُ أن يُميتهم بَعد مُدة لَفَعَل، فقضية التّأبيد في نعيم الجنة هي بمشيئة الله، وليست قضية غير قابلة للتَّغْيير، وقد شاءَ اللهُ لأهل الجنة الخلود الأبدي في نعيمها، فقال في نفس الآية التي وَرَدَ فيها ذِكْر المشيئة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ، أي غير منقطع.
وقال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَناً، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [1143]، وقال اللهُ الذي لا يُخْلِف وعده: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنهَارُ خَالِدينَ فيهآ أبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَمَنْ أصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾[1144]، إلى غير ذلك مِن الآيات.

وبناء على ما تقدم يتبيَّنُ بشكل واضح مَدَى تلاعب ابن تيمية بمعاني النُّصوص الشَّرعية، فهل يوثق بإنسان هذا حاله؟ بالتّأكيد لا.

● قال ابن تيمية: « - الفرق - الخامس: قد ثبَتَ أنه يدخلُ الجَنّة مَن يُنشئه اللهُ لها، ويَدخُلها مَن دخل النار أولا - يقصد عُصاة المؤمنين - ، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء، فثبت أنَّ الجنة يدخلها مَن لَمْ يَعمل خيراً، وأمّا النار فلا يُعَذبُ أحدٌ إلّا بذنوبه، فلا يُقاس هذه بهذه »[1145].

قلت: لا يوجد في كلام ابن تيمية أعلاه برهانٌ على فناء النار. وهذا أسلوبٌ حَشْويٌّ مِن أساليب ابن تيمية، فهو يَحشو في ثنايا كلامه عن موضوعٍ ما كلاماً لا دلالة له على المُدّعى، فيوهم بذلك القارئ البسيط أنَّ عنده "أدلة" كثيرة على ما يقول، وأنا أقول: "أدلته" هذه حالها كحال سراب، يراهُ الإنسانُ بالعيْن، والحقيقة هي أنه خيال.

● قال ابن تيمية: « - الفرق - السادس: أنَّ الجنة مِن مُقتضى رحمته ومغفرته، والنار مِن عذابه، ... فالنّعيمُ من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته، فيجب دوامُهُ بدوام معاني أسمائه وصفاته. وأمّا العذاب، فإنمّا هو مِن مخلوقاته، والمخلوق قد يكون له انتهاء، مِثل الدنيا وغيرها، لا سيما مخلوق خُلِقَ لحكمة تتعلق بغيره »[1146].

قلت: لا بُدّ مِن توضيح كلام ابن تيمية في هذه النقطة قبل الرَّدِ عليه وبيان بُطلانه، وكلامه هذا هو مقدمة لِما أرادَ ابن تيمية أن يقوله في الفرق الثامن، والأخير، ليصل إلى هدفه

[1143] سورة الكهف: آية رقم 2، 3.
[1144] سورة النساء: آية رقم 122.
[1145] "رفع الأستار"، ص 12.
[1146] "رفع الأستار"، ص 12، "الدُّرَة المُضِية"، ص 75.

وهو القول بفناء النار ودخول الكفار ﴿جَناتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾، فأقول وما توفيقي إلا بالله:

الكلامُ الآنف الذِّكْر أوْرَدَهُ ابن تيمية للاستدلال على فناء النار وأبدية النّعيم في الجنة. فاعتبر النّعيمَ في الجنة أبديّ كَوْنه مِن موجب أسماء الله. بينما اعتبرَ العذاب، أي التّعذيب بالنار، مِن مخلوقات الله، والمخلوقُ، كالنار مثلا، يجوز عليه الفناء، خصوصا إذا خُلِقَ لحكمة تتعلق بغيره، أي لعذاب الغير، مِن أجل تخليصه من الشَّر مثلا. وبعبارة أخرى، أراد ابن تيمية أن يقول: لقد خَلَقَ اللهُ النارَ لحِكمة مُعيّنة - وهي تخليص الكفار مِن الشّر، ذكَرَ ذلك ابن تيمية في الفرق الثامن- فإذا ما تحققت هذه الحِكمة لَمْ يَعُد هناك سببٌ لبقاء النار! أي أنها ستفنى، وماذا سيحصل للكُفار الذين فيها؟! سيجيبنا على ذلك ابن تيمية بنفسه. وفيما يلي الرّدُ على كلام ابن تيمية السابق وبيان الخِداع فيه، واللهُ وليُّ التّوفيق:

1. لو كان النَّعيمُ مِن موجب أسماءِ الله، كالمُنْعِم، ويجبُ دوامُهُ بدوام معاني أسماءِ اللهِ وصفاته كما زَعَمَ ابن تيمية، لكان أيضا العذابُ مِن موجب أسماء الله، لأنّ "المُنْتَقِم" مِن أسمائه تعالى، وعلى هذا يجب دوامُ العذابِ وليس انقطاعه. ولكن ابن تيمية قال بأنّ عذابَ الكفار سينقطع، لن يدوم! وبهذا يَتبَيّنُ مَدى خِداع ابن تيمية، فهو يُخالفُ لوازمَ أقواله ونظرياته. والذي يضع نظرية عليه أن يلتزم بها، خصوصا إذا ما طالب الآخرين بالأخذ بها. فابن تيمية يُريدُ أن "يُبَلِّغنا" نظرية فناء عذاب النار مع أن نظريته تَنُصُّ على عدم فنائه!!

2. ومَرّة أُخرى: يقول ابن تيمية أنّ النّعيمَ مِن موجب أسماء الله، كالمُنْعِم مثلا، فيجب دوامُ النّعيم بدوام معاني أسماء الله وصفاته، وعلى هذا يجب دوامُ نعيم الجنّة أبداً، وكلام ابن تيمية هذا غير صحيح مطلقا، لأنّ أسماءَ الله وصفاته ليست أبدية فقط ، بل أيضا أزَليّة، أي لا بداية لها، وعلى هذا يجب أن يكون النَّعيمُ أيضا أزَليّاً، وليس أبَديّاً فقط - وفق نظرية ابن تيمية -! ولكنَّ القوْلَ بأزَليّة النّعيم يقضي بأزليّة الجَنّة، وهي دار نعيم، مع اللهِ في الأزَل! وهذا شِرْك لأنه إشراكٌ لشيءٍ مع اللهِ في وجوده الأزَلي، وهذا مُخالفٌ لقولِ الله: ﴿هُوَ الأوَّلُ﴾: فلو كان نعيمُ الجنة أزَليّاً، لَما كان اللهُ وحْدَه الأوّل، بل لكان ذلك النّعيمُ معه في الأوليّة. والقوْلَ بأزَليّة النّعيم مخالفٌ أيضا لقول رسول الله ﷺ: «كان اللهُ ولم يَكُن شَيءٌ غيرُه»[1147]، وهذا يعني أنه لم يَكُن شيءٌ موجوداً سِوَى الله، فلم يَكُن هواءٌ ولا ماء ولا

[1147] رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم 3191.

عرش ولا سماوات ولا نعيمٌ ولا جنة ولا جَهَنّم ولا عذابٌ موجوداً، لم يكن شيءٌ موجوداً إلا اللهُ الواحد الأحد، وهذه هي وحدانية الله في الأزَل، وبعبارة علماء التّوحيد: لم يَزَل اللهُ وحده ولا شيءَ معه.

وبهذا يتبيَّن مَدى تلاعب ابن تيمية في معاني أسماء الله وصفاته، فمِن ناحية يُريد ابن تيمية أن يُقنعنا بدوام نعيم الجنة كَوْنه مِن موجب أسماء الله، وفي نفس الوقت يتجاهل ابن تيمية أنّ أسماءَ الله وصفاته أيضا أزليّة، وهذا يقضي أيضا بأزلية النَّعيم وليس بدوامه في المستقبل فقط! ولقد تَبَيَّنَ بُطلان أزَليّة أيِّ شيءٍ مع الله. ولكن كان لابن تيمية هدفاً مِن وراء هذا كله، وهو التّمهيدُ للقول بانتهاء عذاب الكفار في النار كَوْنُ العذابِ مخلوقاً، «والمخلوق قد يكون له انتهاء، ... لا سِيَّما مخلوق خُلِقَ لحكمة تتعلق بغيره» كما قال ابن تيمية في النَّصِّ السابق. نعم، العذابُ مخلوق، وهذا حَقّ، والمخلوق له انتهاء، ولكنّ اللهَ الخالق قد قال لنا مِراراً في كتابه الكريم أنّ عذابَ الكفار في النار لن يفنى، أي لن ينتهي، واستناداً إلى كلام الله نقولُ نحن أهل السُّنّة: النارُ لن تفنى، لأنّ اللهَ لمْ يُردْ لها أن تفنى. ولكن ابن تيمية استند إلى رأيه وقال: النّارُ ستفنى!

ونقول: النّعيمُ، كالعذاب تماما، مخلوق، والمخلوق له انتهاء، وبناء على ذلك: النّعيمُ أيضاً يفنى، ولكنَّ اللهَ الخالق قد أخبرنا مِراراً في القرآنِ المجيد أنَّ النَّعيمَ في الجَنّة لن يفنى، واستناداً إلى كلام اللهِ الخالق نقول: نَعيمُ الجنة لن يفنى، لأنّ اللهَ لم يُردْ له أن يفنى.

وللفائدة، لِمَن أرادَ المزيد والاطلاع على مُصطلحات علماء التّوحيد للتَّمييز بين كلام المُبْتدعين وبين كلام المُوَحِّدين المُنَزِّهين، أقول: لقد قَسّمَ علماء التّوحيد صفاتَ الله إلى قسمين: صفات ذات وصفات فِعل. ويجبُ التّفريق بين صفاتِ الله الذاتيّة وبين صفاته الفِعليّة. فصفاتُ اللهِ الذاتيّة، كالعِلم والقُدْرَة والإرادة والسَّمع والبَصَر والكلام، هي صفاتٌ أزليّة وأبديّة، أما صفاتُ الله الفِعليّة، كالإماتة والإحياء والتّخليق والتّرزيق والتّعذيب والإنعام والانتقام، فليست أزليّة ولا أبديّة، بل حادثة، أي مخلوقة، ومُتَوَقفة على مشيئة الله. وصفاتُ الله الفِعلية هي في الحقيقة أفعال، وسُمِّيَت هذه الأفعال صفاتً لأنها تنشأ عن صفاتٍ أزليّة معنوية ملازمة لذات الله كالقُدْرَة والإرادة. أما أسماءُ اللهِ فهي أزَليّة وأبديّة، كصفاته الذاتيّة. فمِن أسماء الله: "الخالق"، وهذا الاسم لا يعني أنّ اللهَ لم يَزَل يَخْلُق، أي "يَخلق منذ الأزل"، بل يعني أنّ لله القُدْرة على التّخليق منذ الأزل. فاللهُ يخلق كما يشاء ومتى شاء. ولكن كان لابن تيمية رأيٌ آخر - كالمعتاد- وهو: أنّ اللهَ لم يَزَل يَخلق! لهذا قال ابن تيمية - علاوة على قوله بفناء النار- بأزليّة نَوْع المخلوق مع الله كما سبق بيانه! وهذا

مخالفٌ لوحدانيّة الله في الأَزَل، وبعد هذا الاستطراد، وهو في صُلب الموضوع، أعود إلى ذِكْر فروق ابن تيمية.

● **قال ابن تيمية: «الوجه السابع: أنه -تعالى- قد أخبرَ أنَّ رحمته وسعت كُلَّ شيء[1148]، وأنه ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ، وقال: سبقت رحمتي غضبي، وغلبت رحمتي غضبي، وهذا عموم وإطلاق، فإذا قُدِّرَ عذابٌ لا آخِرَ له لم يَكُن هناك رحمةٌ البَتَّة»[1149].**

الرَّد: 1. قوْلُ ابن تيمية: « ... وهذا عموم وإطلاق » غيْرُ صحيح، لأنّ اللهَ قد قَيَّدَ رحمته في نفس الآية بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1150]، هذا مِن ناحية، ومِن ناحية أخرى: لو كانت الآية محمولة على العموم لشملت رَحمةُ الله كذلك إبليس لأنه شيءٌ كباقي الأشياء التي خلقها الله، وهذا، أي شُمولُ رحمة الله لإبليس ودخوله الجنة، مُخالفٌ لقوْل الله في حَقِّ إبليس: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1151]، واللّعنُ هو الطَّرْدُ مِن رحمة الله.

2. وقوْلُ ابن تيمية: « فإذا قُدِّرَ عذابٌ لا آخِرَ له لم يَكُن هناك رحمةٌ البَتّة » باطل وضلال، لأنَّ الآخِرة فيها رحمة للمؤمنين، وعذابٌ للكافرين، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ [1152].

فالجنة، وهي دارُ النّعيم الأبَدي، هي رحمة وفضل من الله، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فيهَا نَعيمٌ مُّقِيمٌ، خالدين فيهآ أبداً ﴾ [1153].

وجَهنم، وهي دارُ العذاب الأبدي، هي جزاءٌ وعَدْلٌ مِن الله، قال الله تعالى: ﴿ اصْلَوْهَا فاصْبِرُوا أوْ لا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلونَ ﴾ [1154]، وقال جَلّ ثناؤه: ﴿ يآ أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُواْ لا تَعْتَذِرُواْ اليَوْمَ إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلونَ ﴾ [1155]، وقال عزّوجلّ: ﴿وَذُوقواْ عَذابَ الحريقِ ، ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيكُمْ وَأنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [1156].

[1148] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذينَ يَتَّقونَ وَيُؤْتونَ الزَّكاةَ وَالَّذينَ هُم بآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم 156].

[1149] "رفع الأستار"، ص 12- 13، "الدُّرة المُضِية"، ص 75.

[1150] سورة الأعراف: آية رقم 156.

[1151] سورة ص: آية رقم 78.

[1152] سورة الحديد: آية رقم 20.

[1153] سورة التوبة: آية رقم 20، 21.

[1154] سورة الطور: آية رقم 16.

[1155] سورة التحريم: آية رقم 7.

[1156] سورة الأنفال: آية رقم 50، 51.

• قال ابن تيمية: «-الفرق- الثامن: أنه قد ثَبَتَ مع رحمته الواسعة، أنه حكيمٌ، إنما يخلق لحِكمة ... فإذا قُدِّرَ أنه يُعَذِبُ لحِكمة كان هذا مُمكنا، كما يوجد في الدنيا العقوبات الشرعية فيها حكمة ... فيها تطهيرٌ من الذّنوب، وتزكية للنفوس ... والجَنّة طيبة لا يدخلها إلا طيب ... والنفوس الشريرة الظالمة التي لو رُدَّت إلى الدنيا لعادت لِما نُهيَت عنه، لا تصلح أن تسكنُ دارَ السلام التي تُنافي الكَذب والظلم والشَّر، فإذا عُذِّبوا بالنار عذاباً يُخَلِّصُ نفوسَهم من ذلك الشَّر كان هذا معقولا في الحِكمة، كما يوجد في تعذيب الدنيا - مِن الحِكمة -، وخَلْقُ مَن فيه شَرٌّ يزولُ بالتّعذيب مِن تمام الحكمة ... أما خَلْقُ نفوس تعمل الشَّرَ في الدنيا، وفي الآخرة لا تكون إلّا في العذاب[1157]، فهذا تناقضٌ يظهر فيه من مُناقضة الحكمة والرَّحمة ما لا يظهر في[1158] غيره ... » ("رفع الأستار"، ص 13).

التَّعليق: النَّصُّ أعلاه هو مِن أخطر النُّصوص التي أوْرَدَها شيخ المُجَسِّمة ابن تيمية في رسالته هذه، كما هي في المخطوطة المُختصرة المُشار إليها سابقا، ففي هذا النَّصِّ تلبيسٌ على القارئ وقياسٌ فاسد، فابن تيمية يقيسُ الآخِرة على الدنيا بخصوص العُقوبات! وعلاوة على ذلك يضع فرضيات ما أنزل الله بها مِن سُلطان. وقبل الرَّدّ على نَصِّ ابن تيمية الآنف الذِكْر لا بُدَّ مِن شرح بعض المفردات فيه حتى يتضح المعنى كاملا:

اللهُ حكيمٌ، ومعنى حكيم هو: « الذي لا يقولُ ولا يفعل إلّا الصواب، ومُتقِنُ التَّدبير »[1159]. ومن معاني كلمة "حِكمة": الغاية ذاتُ النَّفع، والقوْلُ والفِعل الصواب، والمعرفة كقوْل الرسول ﷺ: «رأسُ الحِكمة مَخافةُ الله». وعلى هذا، فقوْل ابن تيمية عن اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: «إنّما يَخلقُ لحكمة» معناه إنما يخلق لغاية، والغاية مِن خَلقِ المخلوقات هي العبادة. وقوْل ابن تيمية: « فإذا قُدِّرَ أنه يُعَذِّبُ لحِكمة كان هذا ممكنا » معناه أنَّ اللهَ يُعذِّب لغاية، والغاية مِن العقوبات الشَّرعية في الدنيا هي «تطهيرٌ مِن الذنوب، وتزكية للنفوس» كما قال ابن تيمية، وَرَدْعٌ للفاعل عن مواصلة ارتكاب المحظورات، وردعٌ نفسيّ لآخرين مِمّن تُسَوِّل لهم أنفسهم بارتكاب المُخالفات.

ولقد انطلق ابن تيمية في النَّصِّ الآنف الذِكْر مِن باب الحِكمة مِن العقوبات الشَّرعية في الدنيا وقاس العقوبة في الآخِرة عليها! وهذا قياس فاسد وباطل، وتلبيس. فالدنيا لها

[1157] الجملة في النسخة المطبوعة من "رفع الأستار"، ص 12، كالآتي : " والآخرة لا يكون إلّا في العذاب "، والتصحيح، كما في النص أعلاه، من "الاعتبار ببقاء الجنة والنار" للإمام السُّبْكي، ص 76 في مجموع "الدُّرة المُضِية"، له أيضا.

[1158] "**مِن**" في النسخة المطبوعة من "رفع الأستار"، والتصحيح من المصدر السابق.

[1159] "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ أبي بكر البَيْهَقي، ص 38 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

أحكامها، والآخِرة كذلك. فالدنيا دارُ عمل، والآخِرة دارُ حصاد. والدنيا فيها مؤمن وكافر، وفي الآخرة سيؤمن كذلك الكفار بالبعث وبعذاب النار، قال اللهُ تعالى مُخبراً عنهم: ﴿ وَقَالوَاْ إنْ هيَ إلّا حَياتُنا الدُّنْيا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثينَ، وَلَوْ تَرَىَ إذْ وُقِفواْ على رَبِّهِمْ قالَ أَلَيْسَ هَذا بِالْحَقِّ قَالواْ بَلَى وَرَبِّنا قَالَ فَذوقواْ العَذابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرونَ ﴾[1160].

وفيما يلي الرَّد التّفصيلي، وما توفيقي إلّا بالله:

1. بخصوص قوْلِ ابن تيمية: « فإذا عُذِّبوا - أي الكُفار - بالنار عذاباً يُخَلِّصُ نفوسهم مِن ذلك الشَّر كان هذا معقولا في الحِكمة ».

الرَّد: لا يوجد نَصٌّ شرعي، ولا دليلٌ عقلي، على أنَّ التَّعذيب بالنار يُخَلِّصُ نفوس الكافرين من خبث الكُفر والكَذب والظُّلم والشّر، فتعود نفوسهم بعد التّعذيب صافية طاهرة، هذا مِن ناحية، والناحية الأخرى: أين هو الدَّليلُ الشَّرعي على أنَّ الحِكمة من التَّعذيب بالنار هو تخليصُ نفوس الكُفار من الشَّر، أي مِن خبث الشِّرك والكُفر؟ لا يوجد نَصٌّ شرعي على ذلك، وقول ابن تيمية أعلاه هو تحكيم لرأيه في أفعال الله.

وعذابُ الكفار بالنار في الآخرة إنمّا هو جزاءٌ على كَسبهم في الدنيا، أي على كُفرهم، وليس لتخليص نفوسهم مِن الظلم والكذب والشّر كما ادعى ابن تيمية، قال اللهُ، وقوله هو الحَقّ: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُواْ لا تَعْتَذِرُواْ اليَوْمَ إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلونَ﴾ [1161]، وقال عزّوجلّ : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذينَ ظَلَمُواْ ذوقواْ عَذابَ الخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [1162].

2. وقوْلُ ابن تيمية: « وخَلْقُ مَن فيه شَرٌّ يَزولُ بالتّعذيب مِن تمام الحِكمة » هو تقوُّلٌ مِن رأسه، فلم يأتِ ابن تيمية بدليل شرعيّ واحدٍ، ولا بدليل عقليّ، على أنَّ الشَّرَ في الكُفار، أي الكُفر ولوازمه، يزول بالتّعذيب بالنار، وأنَّ ذلك من تمام الحِكمة، أي مِن تمام فِعل الصواب.

3. وقول ابن تيمية: « أمّا خَلْقُ نفوس تعملُ الشَّرَ في الدنيا، وفي الآخِرة لا تكون إلَّا في العذاب، فهذا تناقضٌ يَظهرُ فيه مِن مُناقضة الحِكمة والرَّحمة ما لا يظهر في غيره » هو اعتراضٌ على إرادةِ اللهِ تحت غطاء الحِكمة والرَّحمة، فتحْتَ سِتار الحِكمة والرَّحمة يُريدُ ابن تيمية أن يُدخلَ الكُفارَ بعد تهذيبِ وتزكيةِ نفوسهم بالنار دارَ الأبرار، لينعموا بجناتٍ ﴿تَجْري مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾، وهذا ليس تقوُّلاً عليه بل يَظهرُ من سِياق كلامه السابق، وسوف أعود لهذه النقطة لاحقا إن شاءَ الله.

[1160] سورة الأنعام: آية رقم 29، 30.

[1161] سورة التحريم: آية رقم 7.

[1162] سورة يونس: آية رقم 52.

وعلاوة على ذلك: قوْلُ ابن تيمية الآنف الذِّكْر معناه: أنَّ خَلْقَ نفوسٍ تعملُ الشَّرَ في الدنيا، كنفوس الكفار، وفي الآخرة لا تجني سوى العذاب الأبدي في النار يُعَدُّ مُناقضاً للحِكمة، أي مُناقضاً لفِعل الصواب!! وبعبارة أخرى: تَعذيبُ اللهِ للكُفار في الآخرة، تعذيبا أبدياً، ليس صواباً!! هذه أفكارُ مَن يُسَمّونه "شيخ الإسلام"! ما هو رأي القارئ الكريم فيما يقوله ابن تيمية؟ وما هو رأي أتباع ابن تيمية بدون عَصَبيّة طائفيّة؟ إن كُنتم تعلمون ذلك، ومع ذلك تَتّخذونه قدوة فهذه مصيبة، ولن يُغني عنكم ابن تيمية يوم القيامة شيئا.

بخصوص دخول الكفار الجنة بعد تخليص نفوسهم من الشر بالنار: هذا هو ظاهرُ كلام ابن تيمية من سياق النَّصِّ السابق: وفي ما يلي النَّصُّ مرة أخرى مع إضافات بين شرطتين للتوضيح: قال ابن تيمية: « الجنةُ طيبة، لا يدخلها إلّا طيب ... والنفوسُ الشِّريرة الظالمة - أي نفوس الكفار - التي لوْ رُدَّت إلى الدنيا - قبل تخليصها مِن الظلم والشَّر بالعذاب - لعادت لِما نُهيَت عنه - أي لعادت إلى الكفر-، لا تصلحُ - هذه النفوس الشريرة - أن تسكنُ دارَ السلام- أي الجَنّة-، التي تُنافي الكَذب والظلم والشر، فإذا عُذبوا بالنار عذاباً يُخَلِّصُ نفوسهم مِن ذلك الشّر كان هذا معقولا في الحِكمة، كما يوجد في تعذيب الدنيا - من الحِكمة، كالتّطهير مِن الذّنوب، وتزكية للنفوس -، وخَلْقُ مَن فيه شَرٌ - كالكفار - يزولُ بالتّعذيب مِن تمام الحِكمة - أي مِن كمال فِعل الصواب - ... أمّا خَلْقُ نفوسٍ - كافرة - تعملُ الشَّرَ في الدنيا، وفي الآخرة لا تكون إلّا في العذاب - الأبدي -، فهذا تناقضٌ يَظهرُ فيه مِن مُناقضة الحِكمة والرَّحمة ما لا يظهر في غيره ...».

كلامُ ابن تيمية الآنف الذِّكْر، كما في المخطوطة المُشار إليها سابقا، له تكملة في نحو عشرة أسطر، لم أرَ جدوى في نقلها، وقد تعرض ابن تيمية في هذا الأسطر إلى الإمام الأشعري والمُعتزلة والقدريّة بخصوص بقاء النار، وآخِرُ كلامه في المخطوطة المُشار إليها هو: « ومِن أعظم ما غَلَّطهم - أي ما غَلّط الأشاعرة والمُعتزلة والقدريّة وغيرهم - اعتقادهم تأبيد جهنم فإنَّ ذلك يَستلزم ما قالوه - أي يَستلزم بقاء الكفار في جَهَنّم-، وفساد اللازم - أي فساد تأبيد جهنم- يستلزم فساد الملزوم - أي تأبيد الكفار في جهنم-»[1163].

الرّد: لقد اعتبر ابن تيمية الاعتقادَ بتأبيد جهنم، أي تأبيد النار، خطأ، وهذا الخطأ هو سببُ القوْلِ بتأبيد الكُفار في النار! فكيف يكون الاعتقادُ بتأبيد جهنم، أي تأبيد النار، خطأ واللهُ قد

[1163] "رفعُ الأستار"، ص 14.

أخبرنا بأبَدِيّتها، فقال: ﴿ إنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وأعَدَّ لَهُمْ سَعيرًا خالدينَ فيهآ أبَداً ﴾، أي خالدين أبداً في سعير جهنم، فسعيرها لن ينطفئ أبداً.

وتأبيدُ جَهنم، أي تأبيد النار، ملزوم لدوام العذاب، قال اللهُ في حَقّ الكفار: ﴿ يُرِيدُونَ أن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجينَ مِنها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ، فعذابُ النار دائم، والكفارُ لن يخرجوا مِن النار، إذن عذابهم لن ينتهي بنصِّ كلام الله، أما ابن تيمية فكان له رأيٌ آخر، وهو فناء النار، وتوقف عذاب الكفار!

ولكلام ابن تيمية السابق: «وفساد اللازم يستلزم فساد الملزوم» تكملة في رسالة "الاعتبار ببقاء الجنة والنار" للإمام، قاضي القضاة، تقي الدين السُّبْكي، فقد رَدَّ الإمام السُّبْكي على ابن تيمية في رسالته هذه، وفيما يلي التكملة مع رَدِّ الإمام السُّبْكي: [- قال ابن تيمية-: « وقد أخبرَ تعالى أنَّ أهلَ الجنة والنار لا يموتون فلا بُدَّ لهم من دار، ومُحال أن يُعَذَّبوا - يقصد الكفار - بعد دخول الجنة، فلم يَبْقَ إلّا دارُ النّعيم، والحَيُّ لا يخلوا من لذة أو ألَم فإذا انتفى الألمُ -بزوال العذاب- تعينت اللّذة الدائمة»[1164]. قلت -أي الإمام السُّبْكي-: قد صرّحَ - ابن تيمية- بما صَرّح به في آخر كلامه، فيقتضي أنَّ إبليسَ وفرعون وهامان وسائر الكُفار يصيرون إلى النّعيم المُقيم واللّذة الدائمة، وهذا ما قالَ به مُسلم ولا نصراني ولا يهودي ولا مشرك ولا فيلسوف، أما المسلمون فيعتقدون دوامَ الجنة والنار، وأما المُشرك فيعتقد عدم البعث، وأما الفيلسوف فيعتقد أنَّ النفوس الشريرة في ألم، فهذا القوْلُ الذي قاله هذا الرجل ما نعرف أحداً قاله وهو خروج عن الإسلام بمقتضى العِلم إجمالاً، ولا أُكَفِّرُ أحَداً مُعيّناً مِن أهل القبلة بلساني ولا بقلبي ولا بقلمي إلّا أن يعتقد مُشاققة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا ضابط التّكفير عندي، وسُبحان الله، إذا كان اللهُ يقول: ﴿ أُولئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتي ﴾ ، وكذلك يقول: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعيرًا ﴾ ، ونَبِيُّهُ صلى الله عليه وسلم يُخبرُ بذبحِ الموت بَيْنَ الجَنّة والنار، ولا شك أنَّ ذلك إنما يُفعَل إشارة إلى إياسهم وتحققهم البقاء الدائم في العذاب، فلو كانوا ينتقلون إلى اللّذةِ والنّعيم لكان ذلك رجاءً عظيما لهم، وخيراً مِن الموت ولم يَحْصُل لهم إياس. فمَن يُصَدِّقُ بهذه الآيات والأحاديث

[1164] وهذا الجزء مِن كلام ابن تيمية موجودٌ أيضا في المخطوطة المُشار إليها في الحاشية رقم 1094، والنّص فيها كالآتي: « فإذا كانوا لا يموتون – يقصد الكفار في جهنم- فلا بد لهم من دار يكونون فيها، ومُحال أن يُعَذّبوا بعد دخول الجنة، فلم يبق إلا دارُ النّعيم، والحَيُّ لا يخلو من لذة أو ألم، فإذا انتفى الألمُ تعينت اللّذة الدائمة » (ص 87 مِن النسخة المُحَققة).

كيف يقول هذا الكلام؟ ...][1165]، إلى آخر كلام الإمام السُّبْكي في رَدِّهِ على ابن تيمية، وما بين الشرطتين في النَّص هو إضافة مني للتوضيح.

قلت: قوْلُ ابن تيمية: « فإذا انتفى الألمُ تعينت اللّذة الدائمة »، أي اللذة الدائمة في الجنة، يُبطله قوْلُ اللهِ في حَقّ الكُفار: ﴿ أُولئِكَ الَّذينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرةِ إلّا النَّارُ ﴾[1166]، فالكُفارُ ليس لهم إلا النار بنصِّ قوْلِ اللهِ الخالق، إذن كيف يقول ابن تيمية: « تعينت - لهم- اللذة الدائمة »؟!

خلاصة الكلام بخصوص فناء النار ودخول الكُفار ﴿ جَنّاتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾ على مذهب ابن تيمية:

لقد تجاهل ابن تيمية نحو ستين آية في النار، وقد ذُكِرَ الخلود فيها أو ما اشتق منه في أربع وثلاثين آية، وتأبيدُ الكفار في النار وَرَدَ ذِكْرُه في ثلاث آياتٍ - حسب علمي-، وهذا يقضي بأبَدِيّة النار، ولكنَّ ابن تيمية أخذ برأيه وقال بأنَّ النار ستفنى، ونَسَبَ ذلك زوراً وبُهتانا في بداية رسالته إلى أربعة مِن الصحابة رضوان الله عليهم.

واستند ابن تيمية في قوله بفناء النار إلى فرضية ما أنزل الله بها مِن سُلطان، وهي أنّ الحِكمة من تعذيب الكفار بالنار هي تخليص نفوسهم من الظلم والشر وخبث الكفر، فإذا ما تحققت هذه الحِكمة لم تعد هناك حاجة إلى النار، عندها ستفنى، وبما أنّ الكُفار، كأهل الجنة، في الآخرة لا يموتون، فلا بد لهم من دار يُقيمون فيها بعد خراب دارهم (أي جهنم)، «فلم يبق - لهم - إلا دارُ النّعيم »، أي الجنة، «ومُحال أن يُعذبوا بعد دخول الجنة»، فإذا انتفى العذاب «تعينت -لهم- اللذة الدائمة » في ﴿ جَنّاتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأنْهارُ﴾ ، وهل سيُزوَّجونَ بحورٍ عين؟ لم يَقُل ابن تيمية ذلك صراحة، ولكن حصولهم على اللذة الدائمة بعد دخولهم الجنة يقضي بذلك.

[1165] "الدُّرَة المُضِيّة" للإمام تقي الدين السُّبْكي، ص 76 – 77.

[1166] سورة هود: آية رقم 16.

فصل

موقف علماء أهل السُّنة مِن ابن تيمية

الشيخ ابن تيمية كان عالما، وهذا مما لا شكّ فيه، ولكنه لم يكن أعلمَ أهل زمانه كما يدّعي أتباعه، فمثلا الإمامُ قاضي القُضاة ابن دقيق العيد، والإمامُ قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي كانا معاصرين له وقد بلغا رتبة الاجتهاد، وهذا مِمّا لا شكَّ فيه. ولقد قام علماء أهل السُّنة ضد ابن تيمية وحكموا عليه بالسجن مِرارا بسبب عقائده المُنْحرفة عن عقائد أهل السُّنة، ودعوته إليها، وليس حسداً كما يُشِيْع أتباعه المعاصرون كالوهابيين وغيرهم. ومِن أعجب ما سمعت: أنّ إحدى مدرسات مادة التربية الإسلامية في إحدى مدارس بيت لحم الثانوية قالت أمام تلميذات الصف الثاني عشر أنّ ابن تيمية سُجِنَ لأنه كان يدعو إلى الجهاد!! وهذا كذبٌ مَحْض، بل سُجن لأنه كان يدعو إلى عقيدة التّجسيم المُخالفة للقرآن والسُّنة، ولفتاويه المخالفة للإجماع، قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني: « واسْتَشْعرَ - ابن تيمية - أنه مجتهدٌ فصارَ يَرُدُّ على صغير العلماء وكبيرِهم قولَهُم وحَديثَهم حتى انتهى إلى عمر - ابن الخطاب - فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فأنكر عليه، فذهب - ابن تيمية - إليه واعتذر واستغفر.

وقال في حقّ علي - بن أبي طالب- أخطأ في سبعة عشر شيئا ثُمَّ خالف فيها نَصَّ الكتاب، منها اعتداد المتوفي عنها زوجها أطول الأجلين. وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة حتى أنه سَبّ الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه[1167].

ولَمّا قدم غازان بجيوش التَّتَر إلى الشام خرج إليه وكلمه بكلام قوي فَهَمّ بقتله ثم نجا واشتهرَ أمْرُه مِن يومئذ ... وافترق النّاس فيه - أي في ابن تيمية - شِيَعاً: فمنهم مَن

[1167] قوله: « وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة ..» المقصود منه - واللهُ أعلم - لتعصبه لمذهب **المُجسِّمة** مِن الحنابلة، وهؤلاء كانوا وما زالوا يأخذون بظواهر الألفاظ المُضافة إلى الله، ويفهمون معانيها في حَقِّ الله كما يفهمونها في حق المخلوق، فوقعوا في التّشبيه والتّجسيم. **أما الأشاعرة** فمنهم مَن **فوض** معنى النُّصوص المتشابهة إلى الله، ومنهم مَن **أوّل،** وابن تيمية رفض كِلا المذهبين كما سبق بيانه، لهذا كان ابن تيمية يطعن في الأشاعرة ويُشَوِّه صورتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فمثلا، في كتابه " تلبيس الجهمية" (جزء 1 / ص 745 مِن مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194) استشهد ابن تيمية بأبي اسماعيل الأنصاري الهَرَوي ليطعن في الإمام أبي الحسن الأشعري، قال ابن تيمية ناقلاً، ومستحسنا غير مستنكر: « قال: - أي أبو إسماعيل الهروي- : وقد شاع في المسلمين أنَّ رأسهم – أي رأس الأشاعرة- علي بن إسماعيل الأشعري كان **لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يُصلي -!- »،** كان هذا **افتراءُ المجسِّم أبي إسماعيل الهَرَوي، الذي كان يؤمن كذلك بعقيدة الإتحاد،** أي أنَّ الخالقَ هو عين المخلوق، وبسبب ذلك طعن فيه ابن تيمية (راجع إن شئت الحاشية رقم 800).

نسبه إلى التَّجسيم لِما ذُكِر في العقيدة الحَمويّة والواسطيّة وغيرهما، مِن ذلك قوله أنَّ اليَدَ والقَدَمَ والسّاق والوجه صفاتٌ حقيقية لله، وأنه مستوٍ على العرش بذاته، فقيل له: يَلزمُ مِن ذلك التَّحَيُّز والانقسام[1168]، فقال أنا لا أُسَلِّم أنّ التَّحَيُّزَ والانقسام مِن خواص الأجسام[1169]، فأُلْزِمَ بأنه يقول بتَحَيُّزٍ في ذاتِ الله[1170].

ومنهم مَن يَنسبه إلى الزَّندقة لقوله أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يُستغاث به، وأنَّ ذلك تنقيصا ومنعا مِن تعظيم النبيّ صلى الله عليه وسلم. وكان أشدَ الناس عليه النورُ البكري ...

ومنهم مَنْ ينسبه إلى النِّفاق لقوله في عليّ - بن أبي طالب - ما تقدم، ولقوله أنه كان مخذولا حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها، وإنما قاتل للرِّياسة لا للدِّيانة ولقوله أنه كان يُحبُ الرِّياسة، وأنَّ عثمان كان يُحِبُ المال. ولقوله أبو بكر أسلم شيخا - لا- يدري ما يقول[1171]، وعليٌّ أسلمَ صبيا والصَّبيُّ لا يصح إسلامه على قول ... وله وقائع شهيرة وكان إذا حُوقِق وأُلزِم يقول: لَم أُرِدْ هذا، إنّما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً[1172]»

(مِن كتاب "الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، مجلد 1 / ص 155 - 156).

[1168] معنى الانقسام في لغة علماء التّوحيد **التّركيب**، وابن تيمية قال بالتّركيب في ذاتِ الله كما سبق بيانه.

[1169] وهذا الجواب مخالفٌ للحِس، فكُلُّ جسم مُتَحَيِّزٌ **في** أو **على** مكان، وكُلُّ جسم مركبٌ مِن أعضاءٍ وأدوات، وابن تيمية صرّح بذلك كما سبق بيانه.

[1170] المقصود بذلك هو أنَّ لذات الله حدودٌ محيطة بها، فَحَيِّزُ ذاتِ الله هو حدودها وجوانبها ونهاياتها المُحيطة بها، قال ابن تيمية في "تلبيس الجهمية"، جزء 1 / ص 534 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 194، ما نصه: « وكذلك جميع الموجودات حَيِّزُها إما حدودها المحيطة بها ونهاياتها وهي منها، فتلك لا توصف بالاستغناء عنها، وإما ما يحيط بها منفصلا عنها »، والحقيقة هي أنّ الحَيِّزَ هو المكان، أو الفراغ الذي يشغله الجسم، ولكن ابن تيمية زاد على هذا التّعريف مُبتدعا لكي يسمح لنفسه أن يقول بتحيّز الله - في ذاته!- . وقال أيضا في المرجع السابق (ص 537): « فالحَيِّزُ الذي هو مِن لوازم وجوده - تعالى- كالصفة الذاتيّة اللازمة له لا يفارقه في زمان ولا مكان »، وقال في صفحة 538 (المرجع السابق): « فإنَّ الحَيِّزَ الوجودي الذي يلزمه ليس مما تجوز مفارقته له »، ومعنى كلامه هذا أنَّ الحَيِّزَ دائما ملازمٌ لذات الله، وفي صفحة 544 (المرجع السابق) قال على لسان طائفته المُجَسِّمَة، موجها كلامه إلى الإمام الرّازي: «يُقال له: هؤلاء - يقصد المُجسّمة- إذا قالوا بأنه - أي الله- مُختصٌ بحيّزٍ وجودي أزلا وأبدا فليس ذلك عندهم شيئا **خارجا عن مُسَمّى الله** كما أنَّ الحيّزَ الذي هو نهايات المُتحيّز وحدوده الداخلة فيه ليس مفارقا عنه **بل هو منه**، وعلى هذا التقدير فيكون إثباتهم لِقِدَم هذا الحَيِّزِ كإثبات سائر الصّفاتية للصفات القديمة مِن علمه وقدرته وحياته، **لا فرق بين تَحَيُّزِهِ** وبين قيامه بنفسه وحياته وسائر صفاته اللازمة، **والحَيِّزُ** مِثل الحياة والعِلم، بل **أبلغ منه في لزومه للذات]، انتهى.**

قول ابن تيمية: « فيكون إثباتهم - أي المُجَسّمَة- لِقِدَم هذا الحَيّز كإثبات سائر الصفاتية للصفات القديمة » هو **افتراءٌ** مَحض، **فالصفاتية** مِن أهل السّنة نزّهوا الله عن الحَيِّز **مطلقا**، ولم يفتروا بأنَّ الحيّزَ صفةٌ ذاتيةٌ قديمة لله، كالعِلم والقدرة والحياة. واعتبر ابن تيمية الحَيِّزَ أبلغ في ملازمته للذات الإلهية مِن صفة العِلم! في أيِّ وادٍ كان يهيمُ هذا الإنسان؟!

[1171] كلمة **لا** سقطت مِن النُّسخة المطبوعة، وسياق النَّص يدل على وجوب وجودها.

[1172] كان هذا أحدُ أساليب ابن تيمية، ومِن أساليبه أيضا أنه كان في أثناء التّحقيق معه يُخفي عقيدته، بل يُنكرها، خوفا مِن إدانته بوجود شهود - لجنة التّحقيق- ، فعلى سبيل المثال، عندما ضاق الخِناق عليه في أثناء التحقيق معه عام 705 هـ بسبب "العقيدة الواسطية"، أعلن أنه على عقيدة الإمام الشافعي ! قال الإمام أبو بكر تقي الدين الحِصْنيّ (ت 829 هـ) في ذلك، ناقلا عن ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ"، ما نصه: « ثم اجتمعوا - أي الفقهاء - يوم الجمعة ثاني عشر رجب وحضر المجلس صفي الدين الهندي. وبحثوا ثم اتفقوا على أنَّ كمال الدين بن الزَملكاني يُحاقق ابن تيمية، ورضوا←

وقال الإمامُ، قاضي القضاة، تقي الدين علي بن عبدالكافي السُّبْكي (ت 756 هـ) **في مقدمة كتابه "الدُّرَّة المُضِيّة في الرَّدِّ على ابن تيمية"، بخصوص الطّلاق المُنجز والمُعَلَّق، ما نصه: « أمّا بعد: فإنه لَمّا أَحْدَثَ ابن تيمية ما أحدث في أُصول العقائد، ونَقَضَ مِن دعائم الإسلام الأركانَ والمعاقد، بعد أن كان مُسْتَتِراً بتَبَعِيّة الكِتاب والسُّنّة، مُظهراً أنه داعٍ إلى الحَقِّ هادٍ إلى الجَنّة، فخرجَ عن الإتباع إلى الابْتِداع، وشَذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يَقتضي الجِسْمِيّة والتّركيب في الذّاتِ المُقَدّسة، وأنّ الافتقارَ إلى الجُزء ليس بمُحال، وقال بحدوث الحوادث بذاتِ اللهِ تعالى، وأنَّ القرآنَ مُحْدَثٌ تكلَّمَ اللهُ به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت، ويُحْدِثُ الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قدم العالم[1173]، والتزامه بالقول بأنه لا أوَّلَ للمخلوقات، فقال بحوادث لا أول لها، فأثبت الصفةَ القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ... وكُلَّ ذلك وإن كان كُفْراً شنيعاً مِمّا تَقِلُّ نسبته إلى ما أحدثَ في الفروع، فإنَّ مُتَلَقِّي الأُصول عنه وفاهِمُ ذلك منه هُم الأقلون، والدَّاعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حُوقِقوا في ذلك أنكروه، وفرّوا منه كما يَفِرّون من المَكروه، ونُبهاء أصحابه ومُتَدَيِّنوهم لا يَظهرُ لهم إلّا مُجرد التّبعيّة للكِتاب والسُّنّة والوقوف عند ما دَلَّت عليه مِن غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل ...»[1174].**

وقال الإمامُ ابن حَجَر الهَيْتَمي (ت 974 هـ) **في كتابه "الفتاوى الحديثية" ناقلا المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الإجماع ما نصه: « واعلم أنه - أي ابن تيمية - خالفَ الناسَ في مسائل نَبَّه عليها التاج السُّبْكي وغيره، فمِمّا خَرَقَ فيه الإجماع قوله في "عليَّ الطلاق" أنه لا يقع عليه - إنْ حَنَثَ - بل عليه كَفّارة يمين، ولم يَقُل بالكَفّارة أحدٌ مِن المسلمين قبله، وأنَّ الصَّلاةَ إذا تُركَت عمداً لا يجب قضاؤها،... وأنَّ الطلاقَ الثلاث يُرَدُّ إلى واحدة[1175]**

← كلهم بذلك، **فأَفْحَمَ كمال الدين ابن تيمية، وخافَ ابن تيمية على نفسه، فأشهدَ على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي**، فرضوا منه بذلك وانصرفوا. ثم إنَّ أصحاب ابن تيمية أظهروا أنّ الحَقَّ ظهرَ مع شيخهم وأنّ الحق معه، فأُحْضِروا إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني، وأحْضَروا ابن تيمية وصفعه ورسمَ بتعزيره فَشُفِعَ فيه، وكذلك فعل - القاضي- الحنفي باثنين مِن أصحاب ابن تيمية ...» (مِن كتاب: "دفعُ شُبَهِ مَن شَبّهَ وتمرّد "، ص 265 – 266 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 575 ، وذَكَرَ هذا الأمر بنحوه أيضا الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني في كتابه "الدُّرَر الكامنة" في ترجمة ابن تيمية، ترجمة رقم 409).

1173 يقصد قِدَمَ العالم **بالنَّوْع**.

1174 "الدُّرة المُضِيّة في الرَّدِّ على ابن تيمية" للإمام تقي الدين السُّبْكي، نشر القُدسي، مطبعة الترقي، دمشق - سوريا، 1347 هـ،

1175 وقد رَدَّ على ابن تيمية شيخُ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي رَدّاً كافيا وشافيا وبين تلبيسه وضلاله في هذه المسألة وفي مسألة الكفّارة عند الحَنْثِ بيمين الطلاق (راجع "الدُّرّة المُضِيّة في الرَّد على ابن تيمية" للإمام تقي الدين السُّبْكي).

وكان هو قبل ادّعائه ذلك نَقَلَ إجماعَ المسلمين على خلافه، وأنّ المكوس حلال لمن أقطعها وأنها إذا أُخذت مِن التُّجار أجزأتهم عن الزّكاة وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها،

وأنَّ المائعات لا تَنجس بموت حيوان فيها كالفأرة ...

وأنَّ مُخالفَ الإجماع لا يَكْفُر ولا يَفْسُق،

وأنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون عُلُوّاً كبيرا مَحَلٌّ للحوادث، تعالى اللهُ عن ذلك وتَقَدّس،

وأنه مُرَكَّبٌ تفتقرُ ذاته افتقار الكُلّ للجزء[1176]، تعالى اللهُ عن ذلك وتَقَدّس ،

وأنَّ القرآنَ مُحْدَثٌ في ذاتِ الله، تعالى اللهُ عن ذلك،

وانّ العالمَ قديمٌ بالنَّوْع ولَمْ يَزَل مع الله مخلوقاً دائما، فجعله موجبا بالذّات لا فاعلا بالاختيار[1177]، تعالى اللهُ عن ذلك،

وقوله بالجِسْمِيّة والجهة والانتقال، وأنه - تعالى- بقَدْر العرش لا أصغر ولا أكبر[1178]، تعالى اللهُ عن هذا الافتراء الشَّنيع القبيح والكُفْر البواح الصّريح، وخَذَلَ مُتَّبعيه وشَتَّتَ شَمْلَ معتقديه،

وقال إنَّ النّار تفنى، وأنَّ الأنبياءَ غيرُ معصومين، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا جاه له ولا يُتَوَسّلُ به،

وأنَّ إنشاءَ السَّفر إليه بسبب الزِّيارة مَعْصِيةٌ لا تَقْصُر الصلاة فيه[1179] وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسّة إلى شفاعته،

وأنَّ التّوراة والإنجيل لم تُبدّل ألفاظهما وإنما بُدِّلت معانيهما»[1180]، انتهى مختَصَرا.

[1176] قولُ ابن تيمية بأنّ ذاتَ اللهِ مركبة مِن أعضاء (مِن صفاتٍ عَيْنِيّة) قد تقدم بيانه، أمّا القولُ بأنَّ ذاته تفتقرُ افتقار الكُلّ للجزء فهو لازمٌ لقوله بالتّركيب في ذاتِ الله. والمقصود بالإفتقار هنا هو أنَّ ذاتَ اللهِ تحتاج إلى كُلِّ جزء مِن أجزائها حتى تتحقق ذاتها،لأنّ الذّاتَ الإلهية مُركّبة مِن أجزاءٍ مختلفة كاليد والوجه والعين - على مذهب ابن تيمية- .

[1177] ابن تيمية يُصرِّح في كتبه بأنَّ اللهَ فاعلٌ بالاختيار، **ولكن لازم قوله**: « وإذا كان النَّوْعُ مِن لوازم الواجب امتنعَ وجودُ الواجب بنفسه بدون النَّوْع » **وقوله:** « وليس في ذلك إلّا وصفه بدوام الفِعْل لا بأنّ معه مفعولا مِن المفعولات بعينه، وإنْ قُدِّر أنَّ **نَوْعَها لم يزَل**، فهذه المَعِيّة لم يَنْفِها شَرْعٌ ولا عقل، بل هي مِن كماله،» **هو أنَّ اللهَ موجبٌ بالذّات، أي أنه لا اختيار له في أن يَخلق أو لا يَخلق، بل يجب أن يخلق لأنَّ التّخليق من صفاته ومِن كماله، ولقد تقدّمَ الرَّدُ على ذلك في ص 251 وما بعدها، فراجعه إن شئت.**

[1178] الظاهرُ أنَّ الإمامَ تقي الدين الحِصْنيّ وقف على نصٍّ لابن تيمية يقول فيه ما ذكره الإمامُ الحِصْنيُّ أعلاه، ولكن قولَ ابن تيمية أنَّ اللهَ يوم القيامة سَيُجلسُ رسولَه محمد عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام معه على العرش، يقضي بأنَّ اللهَ أصغرُ مِن العرش. فربما غيَّرَ ابن تيمية رأيه، أقصد أنه كان في البداية يقول أنّ اللهَ على قَدْر العرشِ تماما، ثُمَّ غيَّرَ رأيه وقال بأنَّ اللهَ سيُجلسُ رسوله محمد عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام معه على العرشِ يوم القيامة.

[1179] وبسبب هذه الفتوى الضلالة سُجن ابن تيمية عام 726 هـ في قلعة دمشق، وبقي مسجونا فيها إلى أنْ توفي عام 728هـ.

[1180] "الفتاوى الحديثية"، للإمام ابن حَجَر الهَيْتَمي المكي، ص 116 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية رقم 1001.

للأسباب المذكورة آنفا قام أئمة أهل السُّنة ضد ابن تيمية وحكموا عليه بالسَّجن مرارا، وليس حسداً له، أو لأنه كان يدعو إلى الجهاد.

ولقد صدرت مراسيم سُلطانية ضد ابن تيمية تأمر بحبسه لمخالفته عقيدة جمهور المسلمين، وفيما يلي نسخة عن أحدها، للسُّلطان محمد بن قلاوون (ولد 684 هـ، ت 741 هـ)، **قُرِئ على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة 705 هـ :**

مرسوم مِن السُّلطان محمد بن قلاوون ضد ابن تيمية

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرّحيم

« الحمدُ لله الذي تَنَزّهَ عن الشَّبيهِ والنَّظير، وتعالى عن المِثل، فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾[1181]. أحمدهُ على ما ألهمنا مِن العَمل بالسُّنّة والكِتاب، ورفعَ في أيامنا أسبابَ الشّك والارتياب. وأشهدُ أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له، شهادة مَن يرجو بإخلاصه حُسن العُقْبى والمَصير، ونَزَّهَ خالِقَهُ عن التَّحَيُّزِ في جهة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَ ما كُنتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ﴾[1182]. *

وأشهدُ أنّ سَيِّدنا محمداً عبده ورسوله، الذي نهجَ سبيل النَّجاة لِمن سَلكَ طريق مرضاته، وأمَرَ بالتَّفكر في الآيات ونَهى عن التّفكر في ذاته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذي علا بهم مَنارُ الإيمان وارتفع، وشَيَّد اللهُ بهم قواعد الدّين الحنيف ما شرع، وأخمدَ بهم كلمة مَنْ حاد عن الحَقِّ ومال إلى البِدع، وبعد:

فإنَّ القواعدَ الشَّرْعيّة، وقواعد الإسلام المَرْعيّة، وأركانَ الإيمان العليّة، ومذاهبَ الدِّين المَرْضِيّة، هي الأساسُ الذي يُبنى عليه، والمُؤمِلُ الذي يَرجعُ كُلُّ أحدٍ إليه، والطريقُ التي مَن سلكها فقد فاز فوزاً عظيما، ومَن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً. ولهذا يجب أنْ

[1181] سورة الشورى: آية رقم 11.

[1182] سورة الحديد: آية رقم 4.

* لقد استدلَّ السُّلطان محمد بن قلاوون رَحِمَهُ اللهُ بالآية الكريمة أعلاه لتنزيه اللهِ عن التَّحَيُّزِ في جهة، وَوَجْهُ الاستدلال أنه لو كان اللهُ تعالى في جهة مُعَيَّنة (فوق مثلا) لَمَا قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَ ما كُنتُمْ ﴾ ، فظاهرُ الآية أنَّ اللهَ حالٌ بذاته في كُلّ مكان، وهذا مُحال، وباطلٌ أيضا. وعلى هذا فمعنى الآية: أنه عالمٌ بنا وبأحوالنا أينما كنا. وبناءً على ذلك فظاهر الآية غيرُ مُراد، **وكذا** الأمرُ في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾، فَفَوْقِيّة اللهِ فَوْقَ عِبادِهِ هي فَوْقِيّة الرّبوبيّة والسُّلطان والعَظَمَة والقَهْر، وليس فوقية المكان، التي تستلزم أنه مُتَحَيِّزٌ وأنه محدود، تعالى اللهُ عن ذلك.

تُنفذ أحكامها، ويُؤكد دوامها، وتُصان عقائد هذه الأُمَّة عن الاختلاف، وتُزان بالرَّحمة والعطف والائتلاف، وتخمد توانية البِدع، ويُفَرَّقُ مِنْ فِرَقها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المُدّة قد بَسَطَ لسان قلمه، ومَدَّ بجهله عنان كلمه، وتَحدَّثَ بمسائل الذّات والصِّفات. ونَصَّ في كلامه الفاسد على أُمورٍ مُنكَرات. وتَكَلَّمَ فيما سَكَتَ عنه الصحابة رضي الله عنهم والتّابعون. وَفاهَ بما اجتنبه الأئمةُ الأعلام الصّالحون، وأتى في ذلك بما أنْكَرَهُ أئمةُ الإسلام وانعقد على خلافه إجماعُ العلماء والحُكّام. وشَهرَ مِن فتاويه ما استخف به عُقولَ العَوامِّ وخالفَ في ذلك فُقهاءَ عَصْره وعِلْمَ عُلماء شامِه ومِصْره. وبَثَّ به رسائله إلى كُلِّ مكان وسَمَّى فتاويه بأسماءٍ ما أنْزَلَ اللهُ بها مِن سُلطان.

ولَمّا اتَّصلَ بنا ذلك وما سَلَكَ به هو ومُريدوه مِن هذه المَسالك الخبيثة، وأظهروه مِن هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه اسْتَخفَّ قومَه فأطاعوه، حتى اتَّصلَ بنا أنهم صَرّحوا في حَقِّ الله سبحانه بالحَرْف والصَّوت[1183] والتَّشْبيهِ والتَّجسيم، فَقُمنا بِنُصْرة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُشفقين مِن هذا النَّبَأ العظيم، وأنْكَرْنا البِدْعة، وعَزّنا أن تَشيعَ عَمّن تضمنه ممالكنا هذه السُمْعة، وكرهنا ما فاه به المُبطلون وتلونا قوله تعالى: ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ﴾، فإنهُ سبحانه وتعالى مُنَزّهٌ في ذاته وصفاته عن العَديل والنَّظير: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ ﴾[1184]. فَتقدَّمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى أبوابنا حينما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومِصرنا، وصَرَّحَ فيها بألفاظٍ ما سَمعها ذو فَهْم إلّا وتلا قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾[1185].

ولَمّا وصل إلينا جُمِعَ أُوْلي العَقْدِ والحِلِّ وذوو التَّحقيق والنَّقْل، وحَضَرَ قُضاة الإسلام وحُكّام الأنام وعُلماء المسلمين وأئِمَّة الدُّنيا والدِّين، وعُقِدَ له مَجْلِسٌ شَرْعِيٌّ في مَلأ مِن الأئمة وجمع، ومَن له دِراية في مَجال النَّظَر وَدَفع، فَثَبَتَ عندهم جميع ما نُسِبَ إليه بقول مَنْ يُعْتَمَدُ وَيُعَوّل عليه، وبمُقتضى خَطِّ قلمه الدّالُّ على مُنْكَرِ مُعْتَقَده. وانفَصَلَ ذلك الجَمْعُ وهم لعقيدته الخبيثة مُنْكِرون، وواخذوه بما شهد به قلمه، تالين ﴿ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْألونَ﴾[1186].

[1183] المقصود بذلك نِسْبة الحَرْف والصَّوت لكلام اللهِ تعالى.
[1184] سورة الأنعام: آية رقم 103.
[1185] سورة الكهف: آية رقم 74.
[1186] سورة الزخرف: آية رقم 19.

وَبَلَغَنا أنه كان قد اسْتُتيبَ مِراراً فيما تقدم، وأخّرَهُ الشَّرْعُ الشَّريف لَمّا تعرض لذلك وأقْدَم، ثُمَّ عاد بعد مَنْعه، ولَم يَدْخلْ ذلك في سمعه. ولَمّا ثَبَتَ ذلك عليه في مَجلس الحُكم المالكي حَكَمَ الشَّرْعُ الشَّريف أنْ يُسْجَنَ هذا المذكور، ويُمْنع مِن التَّصرف والظُّهور. ومرسومنا هذا بأنْ لا يَسْلكَ أحدٌ ما سَلَكُه المَذكور مِن هذه المسالك، ويُنهى عن التَّشبيه في اعتقاد مِثل ذلك. أو يَعْدو له في هذا القَوْل مُتَّبعاً، أو لهذه الألفاظ الخبيثة مُسْتَمِعاً أو يَسري في التَّشبيه والتَّجسيم مَسْراه، أو يَفوهُ بجهة العُلُوِّ[1187] بما فاه، أو يَتَحدَّثُ أَحَدٌ بحرفٍ أو صوت، أو يفوه بذلك إلى الموت، أو يَنْطقُ بِتَجسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأي الأئمة، أو ينفرد به عن علماء الأُمَّة، أو يُحَيِّزَ اللهَ سبحانه وتعالى في جهة، أو يَتَعَرَّضَ إلى حيث وكيف[1188]، فليس لمُعْتَقِد هذا إلّا السَّيْف. فَلْيَقِف كُلُّ واحدٍ عند هذا الحَدّ، و﴿للهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ ومِن بَعْدُ﴾[1189]. وليُلزَم كُلُّ واحدٍ مِن الحنابلة[1190] بالرُّجوع عن كُلِّ ما أنْكَرَهُ الأئمّة مِن هذه العقيدة. والرُّجوع عن الشُّبهات الزائغة الشديدة، ولُزوم ما أمَرَ اللهُ تعالى به والتّمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنه مَنْ خرجَ عن أمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبيلِ ﴾[1191]. ومِثْلُ هذا ليس له إلّا التّنكيل، والسِّجن الطويل مستقره ومقيله وبئس المقيل.

وقد رَسَمنا بأنْ يُنادى في دمشق المَحروسة والبلاد الشامِيّة، وتلك الجهات الدنية والقصيّة بالنّهي الشّديد، والتّخويف والتّهديد لِمَن تَبِعَ ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه. ومَنْ تابعه تركناه في مِثل مكانه وأحللناه، ووضعناه مِن عيون الأُمّة كما

[1187] المقصود بذلك العُلُوّ المكاني، وليس المَعْنوي.

[1188] المقصود بذلك نِسبة المكان والكَيْفِيّة إلى الله سبحانه وتعالى.

[1189] سورة الروم: آية رقم 4.

[1190] **المقصود بذلك المُجَسِّمَة منهم، وقد فشا فيهم التّشبيه والتَّجسيم، وفي ذلك قال الإمامُ الحَنبليّ المُنَزِّهُ ابن الجَوْزيّ** (ت 597 هـ) **قصيدةً طويلة ذَكَرها في نهاية كتابه "دفعُ شُبَه التَّشبيه بأكُفِّ التَّنزيه"، اخترت مهنا الأبيات التالية، وهي دفاعٌ عن الإمام أحمد بن حنبل ومهاجمةٌ للمُجَسِّمَة مِن الحنابلة الذين شَوّهوا مذهب الإمام أحمد بما نسبوه إليه زورا وبُهتانا مِن التَّشبيه والتَّجسيم:**

ومَذْهَبَهُ ألّا يُشَبِّهَ رَبَّهُ ... ويَتْبعُ في التَّسليم مَن قد مَضى قَبل
وكان له أتباعُ صِدْقٍ تتابعوا ... فكم أرشدوا نحو الهُدى وكم دَلّوا
وجاءكَ قَوْمٌ يَدَّعونَ تَمَذُهباً ... بمذهبه ما كُلُّ زَرعٍ له أُكُل
ومالوا إلى التّشبيه أخْذاً بصورة ... لِما نقلوه في الصفات وهم غُفّل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد ... فمال إلى تصديقهم من به جَهل
وصار الأعادي قائلين لكُلنا ... مُشَبِّهة قد ضَرّنا الصّحبُ والخِل
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ... ومذهبه التَّنزيهُ لكن هم اخْتَلّو

[1191] سورة البقرة: آية رقم 108، وسورة المائدة: آية رقم 12، وسورة المُمتحنة: آية رقم 1.

وضعناه. ومَن أصَرَّ على الامتناع، وأبى إلّا الدِّفاع، أمرنا بعزلهم مِن مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم مِن مَراتبهم مع إهانتهم. وأنْ لا يكون لهم في بلادنا حُكمٌ ولا ولاية، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة. فإنّا أزلنا دعوة هذا المُبْتَدِع مِن البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضلَّ بها كثيراً مِنَ العباد أو كاد، بل كم ضَلَّ بها مِن خَلْقٍ وعاثوا بها في الأرض الفساد، ولتثبت المحاضر الشَّرعية على الحنابلة بالرُّجوع عن ذلك وتسير المحاضر بعد إثباتها على قُضاة المالكية. وقد أعذرنا وحَذَّرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا. ولْيُقرأ مرسومنا الشّريف على المنابر، ليكون أبلغُ واعظٍ وزاجر، لكُلِّ باد وحاضر، والاعتماد على الخَطِّ الشّريف أعلاه.

وكُتبَ ثامن وعشرين مِن شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة. كُتِبَ بعد أنْ قرئ بسنة وشيء»[1192].

[1192] المرجع: "دفع شُبَه مَن شَبَّهَ وتَمَرَّد" للإمام تقي الدين أبي بكر الحِصْني، ص 251 – 256 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 575.

فصل

عقيدةُ أهل السُّنّة

فيما يلي عقيدة أهل السُّنّة - بإيجاز-، ومتنها مُقتبسٌ مِن كلام اللهِ الأزَليّ، وأحاديث نبويّة وشرحها - إما باللّفظ الحرفي أو بالمعنى-، ومِن أقوال علماء أهل السُّنّة، ومِن مَتْن العقيدة الطَّحاويّة، التي أجمع علماء أهل السُّنّة على صِحّتها، للإمام السّلفي أبي جعفر الطّحاوي (ت 321 هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ**. وعقيدةُ الإمام الطّحاوي هي عقيدة السَّلف الصالح، حيث قال الإمام الطّحاوي في بداية رسالة العقيدة، المعروفة باسم "العقيدة الطحاوية، ما نصه: « هذا ذِكْرُ بيانِ عقيدة أهل السُّنّة والجماعة على مذهب فُقهاء المِلّة: أبي حنيفةَ النُّعمان بن ثابت الكوفيّ، وأبي يوسُف يعقوب بن إبراهيم الأنصاريّ، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشَّيبانيّ** رِضْوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ **أجمعين، وما يعتقدون مِن أصول الدين، ويدينون به لربِّ العالمين »، فالعقيدة الطّحاوية هي عقيدة الإمام السَّلفي أبي حنيفة النُّعمان** (ت 150 هـ) **وصاحبيه القاضي أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشّيباني، فالذي يريد أن يكون سَلَفياً بحقّ - وليس إدعاءً - فعليه إتّباع العقيدة الطَّحاويّة[1193].**

[1193] **وأود هنا أن أحذِّر مِن كتاب "شرح العقيدة الطحاويّة" لعلي بن علي الدمشقي، المشهور بابن أبي العز الحنفي،** فابن أبي العز (ت 792 هـ) شَرَحَ العقيدة الطحاوية بأفكار شيخه ابن تيمية، لهذا يحرص مجسِّمة العصر - كالوهابيين وغيرهم- على طبع الكتاب ونشره. وفيما يلي بعضٌ مِن العقائد الفاسدة التي أثبتها الشارح في كتابه (ط 9 ، بتحقيق الألباني، **الناشر**: المكتب الإسلامي، بيروت 1988): **1.** لقد نَسَبَ ابن أبي العز في شرحه على العقيدة الطحاوية **الحدّ** لله الخالق (ص 218- 219)، مع أنّ الإمام الطحاوي نَزّهَ اللهَ عن الحدّ، حيث قال في رسالة عقيدة أهل السُّنّة: « **وتعالى** - أي تنزّه الله- **عن الحدود والغايات** - أي النِّهايات- **والأركان**- أي الجوانب- **والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات** ».
2. وادّعى ابن أبي العز وجود **حوادث لا أول لها،** كشيخه ابن تيمية، حيث قال (ص 129): « فالحاصل أنَّ نَوْعَ الحوادث هل يُمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو في الماضي فقط؟ فيه ثلاثة أقوال معروفة لأهل النّظر مِن المسلمين وغيرهم، أضعفها قول مَن يقول: لا يُمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهُذَيل العلاّف. وثانيها قول مَن يقول: يُمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير مِن أهل الكلام ومَن وافقهم مِن الفقهاء وغيرهم. والثالث قول مَن يقول: يُمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة الحديث »، والنَّصُّ السابق هو نسخٌ - بتصرف بسيط- مِن "منهاج السُّنة" لابن تيمية (جزء 1 / ص 176، بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 1، 1986)، **وفيما يلي النَّصُّ للمقارنة،** قال ابن تيمية: « وإنّما النِّزاعُ في نَوْع الحوادث، هل يُمكن دوامها في المستقبل والماضي، أو في المستقبل فقط، أو لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، على ثلاثة أقوال معروفة عند أهل النظر مِن المسلمين وغيرهم. أضعفها قول مَن يقول: لا يُمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهُذَيْل العَلّاف. وثانيها قول مَن يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي كقول كثير مِن أهل الكلام مِن الجَهْمية والمُعتزلة ومَن وافقهم مِن الكَرّامِيّة والأشْعَرية والشيعة ومَن وافقهم مِن الفقهاء وغيرهم. والقول الثالث قول مَن يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة أهل الحديث وأئمة الفلاسفة وغيرهم ». **3.** وقال ابن أبي العز **بقيام الحوادث بذات الله،** حيث قال (ص 177): « فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادثُ قامت به. قلنا: هذا قول مُجمل، ومَن أنْكَرَ قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى مِن الأئمة؟». يتبع ←

مَتْنُ عقيدة أهل السُّنّة

اللهُ واحدٌ أحد، لا شريكَ له ولا شبيهَ له ولا نظيرَ له. وهو أزَليٌّ، أي لا بداية له، وأبَديٌّ، أي لا نهاية له[1194]، وأنه تعالى لَمَ يَزَلْ وحدَهُ ولا شيءَ غيرُه معه[1195].

هو الرّازقُ الخالق، خَلَقَ كُلّ شيءٍ بقدرته، وكُلّ شيءٍ خَلقه اللهُ مِن ماء[1196]، وخَلَقَ الماء مِن العَدَم[1197]، ثُمّ خَلَق العرشَ على الماء،

ثُمَّ خَلَقَ القلمَ ثُمَّ اللّوْحَ المحفوظ، وأمَرَ القلمَ أنْ يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[1198].

وكُلُّ شَيءٍ يَجري بتقدير اللهِ وعِلْمه ومَشيئته، فما شاءَ اللهُ في الأزَل كان، وما لم يشأ لَمْ يَكُن[1199].

وما أخطأ العبدَ لم يَكُن لَيُصيبَهُ، وما أصابهُ لم يَكُن ليُخطِئَهُ[1200]، لا رادَّ لقضائه ولا مُؤخِّر لحُكْمه[1201].

←**4.** ولمّح تلميذ ابن تيمية، ابن أبي العز، إلى **فناء النار وادّعى** أنّ هذا هو قول "جماعة مِن السَّلف والخَلف" (ص 424، وكذلك ص 427: القول التاسع، وص 430: أول سطر)، مع أنّ الإمام الطحاوي قال في رسالة عقيدة أهل السُّنّة: «والجنّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان».

[1194] قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ﴾ (سورة الحديد: آية رقم 3).

[1195] قال الرسولُ ﷺ: « كان اللهُ ولم يكُن شيءٌ غيرُه »، وفي رواية: « ولم يكن شيءٌ قبله » ، وفي رواية غير البخاري: « ولم يكن شيءٌ معه »، (أنظر صحيح البخاري، حديث رقم: **3191** و **7418**). لقد تقدَّم شرح الأحاديث في صفحة 245.

[1196] قال الرسولُ ﷺ: « كلُّ شيءٍ خُلِق مِن الماء »، أخرجه الإمام أبو بكر البَيْهَقي بإسناده مِن طريق أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 483 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15، ورواه الإمام أحمد في مُسنَده بلفظ : « كُلَّ شيءٍ خَلَقَ اللهُ عزّ وجَلَّ مِن الماء »، أنظر "مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل"، رقم الحديث **8278** ، مجلد 8/ ص 269 من طبعة دار الحديث، ط 1، القاهرة 1995، وذكَرَهُ الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري" وقال عنه: « **إسناده صحيح** »، "فتح الباري"، كتاب رقم 42: المساقاة، بعد شرح الحديث رقم **2350**، مجلد 5 / ص 29 مِن طبعة دار المعرفة، بيروت.

[1197] قال اللهُ تعالى: ﴿ إنّمآ أمْرُهُۥ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾ (سورة يس: آية رقم 82).

[1198] قال الرسولُ ﷺ: « كان اللهُ ولم يكُن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُهُ على الماء، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ، وخَلَقَ السّماواتِ والأرض »، رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **3191** ، وأخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 478. **قوله** ﷺ: « كَتَبَ في الذِّكْرِ ... » معناه أنّ اللهَ أمَرَ القلمَ بالكتابة.

[1199] قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ وَما تَشآءُونَ إلّآ أن يَشآءَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ ﴾ [سورة التكوير: آية رقم 29]، وقال الرسولُ عليه الصلاة والسلام: « ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشَأ لم يَكُن »، أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم **5075**، والإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات" له، ص 208- 209، 210. أنظر كذلك متن العقيدة الطحاوية.

[1200] قال الرسولُ ﷺ: « واعلم أنّ ما أخطأك لم يَكُن ليُصيبك، وما أصابكَ لم يَكُن لِيُخطئك »، جزء مِن حديث نبويّ، رواه بإسناد صحيح كُلّ مِن أبي داود في سُنَنه برقم **4699** ، وابن ماجه في سُننه برقم **77**، والإمام النَّوَوي في كتابه "الأذكار"، ص 411 مِن طبعة "دار الفكر"، بيروت 1998. أنظر كذلك متن العقيدة الطحاوية.

[1201] قال اللهُ تعالى: ﴿ واللهُ يَحْكُمُ لا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَريعُ الحِسابِ ﴾ [سورة الرعد: آية رقم 41]، أنظر كذلك متن العقيدة الطحاوية - وأيضا عقيدة الإمام الغزالي، **ولا فرق بينهما**، ففي موضع يوجز الإمام الغزالي، بينما يُسهب فيه الإمام الطحاوي، والعكس كذلك -.

واللهُ ليس بجسم[1202] وذاتُهُ غيرُ محدودة ولا نهاية لها[1203]، فمن زَعَمَ أنَّ اللهَ محدود فقد جهل الخالق المعبود. واللهُ مُنَزّهٌ عن الأعضاء والأدوات، وكذلك عن المكان والجهات[1204]. لا يُسألُ عنه بكَيْفٍ ولا بأين، لأنّ الكَيْفَ يَدُلُّ على التّشبيه والمِثل، واللهُ يقول: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أحَد ﴾[1205]، والأينُ يَدُلُّ على المكان، واللهُ خالق المكان والزّمان.

هو الظاهرُ فَلَيَسْ َفوقه شَيءٌ، وهو الباطِنُ فَلَيَسْ تحته شَيء[1206]. كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ غيرُه[1207]، كان ولم يَكُن مكان ولا شيء، وهو الآن كما كان[1208]، أي أنه لم يزل ولا يزال موجوداً بلا مكان.

واللهُ مُتصفٌ بصفات منها الحياة والعِلم والقُدْرَة والإرادة والسَّمع والبَصَر والكلام، وهي صفاتٌ قائمةٌ بذاته سبحانه وتعالى، غيرُ مُحْدَثة ولا مخلوقة، «وكما كان - اللهُ - بصفاته أزليّاً، كذلك لا يَزال عليها أبديا، ليس بعد خَلْقِ الخَلْق استفاد اسمَ الخالق، ولا بإحداثه البَرِيَّةَ استفاد اسمَ البارئ، له مَعنى الرُّبوبيّة ولا مَرْبوبَ، ومعنى الخالقِ ولا مَخلوق»[1209]. واللهُ مُتكلِّمٌ بكلام أزَليٍّ قائم بذاته لا يُشْبهُ كلامَ الخَلْق، فليس بِحَرْف ولا صوت[1210]. والقرآنُ

[1202] أنظر "شرح الفقه الأكبر"، ص 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196، و"شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 25 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209، وعقيدة الإمام العِز بن عبدالسّلام كما هي في "طبقات الشافعية الكبرى" للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن علي السُّبْكي، مجلد 8 / ص 219 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 46. **ولا يوجد اختلاف بين عقيدة الإمام العِز بن عبدالسلام وعقيدة الإمام الطحاوي.**

[1203] أنظر "شرح الفقه الأكبر"، ص 302 ، ومتن "العقيدة الطحاوية"، و"شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 25 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[1204] أنظر متن "العقيدة الطحاوية"، و "شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 26.

[1205] أخرج الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"،(ص 50 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15) أنّ الصحابي الجليل أُبَيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عنه قال في تفسير الآية أعلاه: « لم يَكُن له شَبيهٌ ولا عِدْل، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ ».

[1206] قال الرسول ﷺ: « وأنتَ الظاهِرُ فَلَيْسَ فوْقكَ شيء، وأنتَ الباطِنُ فليس دُونكَ شَيء»، سبق تخريجه في الحاشية رقم 438. **وقال الرسول** عليه الصلاة والسلام: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرشُ على مَنْكِبه، وهو يقول: " سبحانك أين كنت وأين تكون " »، سبق تخريجه في الحاشية رقم 677.

[1207] حديث نبوي رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **3191** ، وأخرجه الإمام البَيْهَقي بإسناده في "الأسماء والصفات"، ص 478 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 15.

[1208] قال الإمام السَّلَفي أبو حنيفة في كتابه الفقه الأبسط": « كان اللهُ تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخْلُقَ الخلْقَ، كان ولم يَكُن أينٌ ولا خَلْق ولا شيء، وهو خالِقُ كُلِّ شيء »، **المرجع**: "إشارات المرام"، ص 165 مِن الطبعة المشار إليها في الحاشية 65. وقال الإمام السَّلَفي محمد بن إدريس الشافعي: « أنه تعالى كان ولا مكان، فخَلَقَ المكان، وهو على صفته الأزلية كما كان قبْل خلقه المكان »، **المرجع**: "إتحاف السادة المُتقين"، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 152. وقال الإمامُ الغزالي: « تعالى عن أنْ يَحْوِيهُ مكانٌ كما تَقَدَّسَ عن أنْ يَحُدُّهُ زمان، بل كان قَبْلَ أنْ خَلَقَ الزَّمانَ والمكانَ وهو الآنَ على ما عليه كان » **المرجع:** "شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 26 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[1209] نص حرفي مِن متن العقيدة الطحاوية، وانظر " شرح الفقه الأكبر"، ص 301 - 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

[1210] أنظر "شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 27، وعقيدة الإمام العز بن عبدالسلام كما هي في "طبقات الشافعية الكبرى"، مجلد 8 / ص 219، و"شرح الفقه الأكبر"، ص 302.

كلامُ الله، ليس بمخلوق ولا مُحْدَث، بل قديم[1211]، مقروءٌ بالألسن ومكتوبٌ في المصاحف ومحفوظٌ في القلوب[1212].

وأهلُ الجنّة يَرون الله، لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1213]، يَرونه مِن غير مسافة ولا جهة[1214]، لأنَّ المسافة تكون بين الأجسام، والجهة كذلك، وتَدُلُّ على المكان أيضا، واللهُ مُنَزَّهٌ عن الجِسْمِيّة والمكان والجهات، نؤمن برؤيته تعالى بلا كيف.

والإيمانُ هو الإيمانُ بالله وملائكتهِ وكُتُبِه ورُسُله واليوم الآخِر، والقضاءُ والقَدَر، خَيْرُهُ وشَرُّهُ مِن اللهِ تبارك وتعالى، والعَمَلُ مِن الإيمان.

ومِن الإيمانِ أيضا: الإيمانُ بعذاب القبر وسؤال مُنكَرٍ ونَكيرٍ، والشّفاعةُ والعَرْضُ والحسابُ وقِراءةُ الكتاب والثَّوابُ والعقابُ والميزانُ والصِّراطُ والحوض[1215]. «والجنّةُ والنّارُ مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجنّة والنّارَ قبلَ الخَلْقِ وخَلَقَ لهما أهلاً»[1216]. «وأهلُ الكبائر مِن أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم في النّار لا يَخلُدونَ إذا ماتوا وهم مُوَحِّدون»[1217]، فيُخرِجهُم الله منها برحمته وشفاعة الشافعين مِن أهل طاعته، فلا يَخْلُدُ في النّار مُؤمن[1218].

وأفضلُ الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام أبو بكر ثُمَّ عمر ثُمَّ عثمان ثُمَّ علي رضي الله عنهم أجمعين، وهم الخُلفاءُ الرَّاشدون والأئمة المُهتدون.

[1211] أنظر متن العقيدة الطحاوية، و"شرح الفقه الأكبر"، لمُلّا علي القاري، ص 301 – 302 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196، و"شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 27 – 28 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 209.

[1212] أنظر متن العقيدة الطحاوية، و "خلق أفعال العباد" للإمام البخاري، ص 116 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 22، و "شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 27 – 28.

[1213] سورة القيامة: آية رقم 22 ، 23.

[1214] قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتابه "**الفقه الأكْبَر**": « واللهُ تعالى يُرى في الآخرة، ويَرَاهُ المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كَيْفِيّة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة »، ص 304 مِن كتاب " شرح الفقه الأكبر" لمُلّا علي القاري. وقال أيضا في "**الوصية**" له: « ولقاءُ اللهِ تعالى لأهل الجنة حَقّ بلا كَيْفِيّة ولا تشبيه ولا جِهة»، أنظر: "الوصيّة في التّوحيد" للإمام أبي حنيفة، وهي مطبوعة ضمن رسائل أبي حنيفة في كتاب "العالِم والمُتَعلِّم"، ص 79، **الناشر**: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. وانظر كذلك مَتن العقيدة الطحاويّة.

[1215] أنظر متن العقيدة الطحاوية.

[1216] نص حرفي مِن متن العقيدة الطحاوية، وانظر "شرح الفقه الأكبر"، ص 407 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 196.

[1217] نص حرفي مِن متن العقيدة الطحاوية.

[1218] أنظر متن العقيدة الطحاوية، و "شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 30، وصحيح البخاري، حديث رقم **44** ، و"سنن التِّرْمِذي"، حديث رقم **2593**.

ولا نُفَضّلُ أحداً مِن الأولياء على أحدٍ مِن الأنبياء عليهم السلام، ونقول نَبيٌّ واحدٌ أفضلُ مِن جميع الأولياء. ودينُ اللهِ في الأرض والسّماء واحدٌ وهو دين الإسلام[1219]، قال اللهُ تعالى: ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلامُ﴾[1220]، وقال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾[1221]، وصلى اللهُ على سيِّدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تَمَّ الكتابُ بِعَوْنِ الله، والحمدُ للهِ الّذي يَسّرهُ عليّ.

محمد عوض

1434/12/09 هجري
2013/10/14 ميلادي

الدهيشة - بيت لحم
فلسطين

[1219] أنظر متن العقيدة الطحاوية.
[1220] سورة آل عمران: آية رقم 19.
[1221] سورة آل عمران: آية رقم 85.

الفهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	03
نَبْذَة عن حياة الشيخ ابن تيمية	09
مَذْهبُ السَّلَف في فهم النُّصوص الشَّرعية المُتعلقة بصفات الله	10
تعريف "السَّلَف" و "أهل السُّنّة"	11
السَّلَفُ الصّالح بين مَذْهَبَيّ التَّفويض والتَّأويل في فَهْم آيات وأحاديث الصفات	11
معنى التَّفويض	11 - 12
أقوالُ بعض العلماء بخصوص مذهب التَّفويض	12- 15
تعريف الكَيْف	12/ والحاشية رقم 65
معنى القول: "بلا كَيْف"	13 ، 50
معنى "التَّشبيه" عند المُجَسِّمَة وعند أهل السُّنّة	14- 15، 85- 86
مثال على مذهب التَّفويض - الإمام أحمد بن حنبل يُفَوِّض -	15
مَفهومُ "إجراء اللَّفظ على ظاهره"عند أهل السُّنّة وعند المُجَسِّمَة	15/ والحاشية رقم 74
موقف ابن تيمية مِن مَذْهب التَّفويض	16
مذهب أهل التَّأويل في فَهْم آياتِ وأحاديثِ الصِّفات	20
المَجاز والكِناية والإضمار	21 - 22
أمثلة على التّأويل	22
الشيخ الوهابي صالح بن فوزان الفوزان يَنْسبُ للهِ يَدَيْن حقيقيّتين	26
الشيخ الوهابي ابن عثيمين يَنْسبُ لله عينين حقيقيتين	28
تفسير الحديث النّبوي: « إنّه أعور، وإنّ ربّكم ليس بأعور »	28
مذهب ابن تيمية في فهم النّصوص الشّرعيّة المُتعلِّقة بصفات الله:	
أولا: الأخذُ بظواهر النُّصوص الشَّرْعِيّة حرفيّاً دون مراعاة لأساليب اللغة	30
ثانيا: كُلُّ صفةِ كمالٍ للمخلوق فالخالقُ أوْلى بها	32

أسلوب ابن تيمية في الدعوة إلى عقيدته:

أولا: التّأكيد دائما على أنَّ ما يقوله عن اللهِ مُوافقٌ تماما لكِتاب اللهِ وسُنَّة نَبِيِّه ﷺ 35

ثانيا: الاستشهادُ بنصوصٍ لعلماءٍ مشهورين مِن أهل السُّنَّة 36

أهلُ السُّنّة ينفون الكَيْفِيّة عن الله وعن صفاته 37، 78

مِن عقائد ابن تيمية

أولا: اللهُ جسمٌ ومُرَكّبٌ مِن أعضاء 41

أقوال علماء السَّلَف في نَفْي الجِسْمِيّة عن ذاتِ الله 41 - 42

المُجَسِّمَة يقولون: اللهُ جسم لا كالأجسام 43، 44، 64، 89

ابن تيمية يَدّعي أنّ الله جسم، وأنّ صفاته تعالى أجسامٌ وأعراض 44

ابن تيمية يقول: "ما لا يكون جسما لا يكون إلّا معدوما" 47

فصل: ابن تيمية نَسبَ الأعضاءَ لذاتِ اللهِ الخالق:

تمهيد 49

معنى القول: "بلا كَيْف" و "يدٌ بلا كيف" عند أهل السُّنّة 50، 51

معنى "بلا كَيْف" عند المُجَسِّمَة 51

الفروق بين "أعضاء" الله وبين أعضاء المخلوق عند ابن تيمية 53- 54

أسماءُ علماء مُنَزِّهون للهِ عن الأعضاء 55 - 56

ابن تيمية يستشهد بعقائد اليهود لإثبات الأعضاءِ للهِ تعالى، ويدّعي أنّ صفاتَ التّشبيهِ كاليد والعين في كُتُبِ أهل الكِتاب حقّ 57

ابن تيمية يدّعي أنّ أهل الكتاب يكرهون صفات التّشبيه (كاليد والوجه والعين) الموجودة في كتبهم ! 61

معنى التّركيب في لغة علماء التَّوْحيد 62

ابن تيمية يدّعي أنّ اللهَ جسمٌ مركّبٌ مِن أعضاء، ولكنه مختلف عن سائر الأجسام، فهو جسم لا كالأجسام 63

ابن تيمية يدّعي أنّ "التّركيب لازمٌ لكل موجود" ونَفْيُهُ يستلزمُ نَفْيَ الوجود، وواجب الوجود، أيّ الله!	63 - 65
ابن تيمية يقول: لفظُ التَّركيب والتّأليف ليس مَنْفِيّاً عن الله	66
اسمه تعالى "الواحد" دليلٌ على نَفْيِ التَّركيب في ذاتِ الله	66 - 67
ابن تيمية يقيسُ اللهَ الخالقَ على نَخْلَة لإثبات التّركيب في ذات الله	67 - 68
إثباتُ اليَدِ لله (أي نِسْبَةُ اليد لله)	70
إثبات السّاق لله	71
إثبات القَدَم لله	72
إثبات الوجه لله	75
ابن تيمية يدّعي أنّ اللهَ خَلَقَ آدم عليه السلام على صورة نفسِه	77
حديث: «لا تُقَبِّحوا الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورة الرَّحمن»	81
إثباتُ العَيْنِ لله	83
ابن تيمية يدّعي أنّ التّجسيم والتَّشبيه غيرُ مذمومين	85
معنى التّشبيه والتّجسيم عند أهل السُّنّة	85
معنى التّشبيه والتّجسيم عند المُجَسِّمَة	86
أدلة نقليّة في ذَمّ التّجسيم والتَّشبيه	86 - 89
الشيعة يَنْسبون الأعضاءَ لله	88 - 89
أدلة نَقليّة وعقلية تُثبتُ تَنْزيهَ اللهَ عن الجسم والأعضاء	89 - 98
سَبَبُ عَدَم تراجع المُجَسِّم عن عقيدة التّجسيم	90 - 91
تفسير سورة الإخلاص	91 - 92
الصحابة والتّابعون نَزَّهوا اللهَ عن الأعضاء	93
تفسيرُ قوْلِ الإمام أبي حنيفة عن اللهِ تعالى: "إثباته بلا جسم ولا جَوْهر ولا عَرَض"	94

الإمامُ السَّلَفِيّ أحمد بن حنبل نَزَّهَ الله عن الجِسْمِيَّة والأعضاء والتَّرْكيب والحَدّ 94 - 95

الإمامُ السَّلَفِيّ أبو جعفر الطَّحاوي نَزّهَ الله عن الحَدّ والأعضاء والجهة 95

أهل السُّنّة وأصحاب الحديث نزّهوا الله عن الجِسْميّة 95

الإمام أبو منصور البغدادي ينقل إجماع أهل السُّنّة على تَنْزيهِ اللهِ عن الصّورة والأعضاء 95

الإمام القُرْطُبي نَزَّهَ اللهَ عن الأعضاء والأجزاء 96

الإمام النَّوَوي نَزَّهَ اللهَ عن التّجسيم والانتقال والتَّحَيُّزِ في جهة 96

في حقّ المخلوق: نَقْصُ الذّات وعجزها يستلزم وجود أعضاء لها، وفي حقّ الخالق: مِن لوازم كمال الذّات التّنَزُّهُ عن الأعضاء والأدوات 97

بيان تلبيس ابن تيمية في تأسيس عقيدة التَّجسيم والتّركيب في ذاتِ اللهِ المُقدّسة 99

أولا: إطلاق اسم الجَهْمِيّة على كُلّ مَنْ نَزَّهَ اللهَ عن الجِسم ولوازمه 99

ثانيا: الإدعاءُ بأنَّ نَفْيَ التّجسيم مِن بِدَع الجَهْمِيّة 100

- مِن البِدَعِ العقائديّة للجَهْمِيّة وللمُعْتَزِلة 102 - 103

ثالثا: الإدعاءُ بأنّ مذهبَ التَّجسيم غيرُ مذموم 103

عقيدة التَّجسيم والتّبعيض والتّمثيل مِن بِدَع الشّيعة 104

ابن تيمية يُخالف أهل السُّنّة وأصحاب الحديث 104 - 105

ابن تيمية يدّعي أنَّ نَفْيَ الجِسْمِيّة عن اللهِ يَستلزمُ نَفْيَ صفاته 105

رابعا: الإدعاءُ بأنَّ القولَ: «جسم لا كالأجسام» هو كالقول: «ذات لا كالذّوات» 108

خامسا: الإدعاءُ بأنّ «القوْلَ في بعض الصفات كالقول في بعض» 113

معاني اليد في اللغة	114
فصل: التّشبيهُ والمُماثلة عند ابن تيمية	118
ابن تيمية يدّعي أنّ إبطالَ المُشابهة مِن كُلّ وَجْهٍ بين الموجودات لازِمُهُ إبطالُ الوجود	118
تعريف التَّشبيه في الاصطلاح الشّرعي	118 - 119
ابن تيمية ينفي فقط التَّشبيه المُطلق	119
أقوال بعض أئمة أهل السُّنّة في نفي التَّشبيه بين اللهِ وبين المخلوق	121
ابن تيمية مُخالفٌ لابن عباس في العقيدة	124
فصل: هل المُوافقة في اللّفظ تشبيه ؟	125

ومن عقائد ابن تيمية

ثانيا: اللهُ محدود	127
سَلَفُ ابن تيمية الذين نسبوا الحَدَّ لذاتِ الله	127
ابن تيمية كان يَعتبر المُجَسِّمَة الكَرّامِيّة أقربُ إلى القرآن والسُّنَّة والعقل في عقيدة التَّجسيم مِن المُجَسِّمَة الشيعة	128
لماذا يُطلق المُجَسِّمَة اسمَ الجَهْميّة على المُنَزِّهين للهِ عن الجِسْميّة	130
هل نَسَبَ الإمام أحمد بن حنبل الحَدَّ لذاتِ اللهِ الخالق؟	134 - 135
القاضي أبو يعلى يَنْسبُ الحَدّ لذاتِ الله مِن جِهَة التّحت، الموازية للجهة العليا مِن العَرْش	137
ابن تيمية ينسب الحد لذات الله مِن ست جهات	138 - 139
الإمام أحمد بن حنبل يُنَزِّهُ اللهَ عن الحَدِّ -والمكان-	141 - 142
نصوص مِن القرآن الكريم تُثبتُ تَنْزيه اللهِ عن الحَدِّ	142
بعضٌ مِن أقوال أئمة أهل السُّنَّة في تنزيه الله عن الحَدِّ	143
ابن تيمية يعترف بأنَّ الذين يُنزهون اللهَ عن الحَدِّ والجسم هم أُممٌ كثيرة ولا يُحْصيهم إلّا الله	145

ومن عقائد ابن تيمية
ثالثا: نِسبة الجهة والفَوْقِيّة المَكانِيّة لله 146
نَقْضُ عقيدة الفوقية المكانية المَنسوبة لله 147 / و 150
ابن تيمية يُثبت لله التَّحْتِيّة المكانية! 148
ابن تيمية يدّعي أنّ نَفْيَ الفوقية والتَّحْتِيّة المكانِيَّتَيْن لله
يستلزمُ نَفْيَ وجوده 148
الرسول ﷺ يُنَزِّهُ اللهَ عن الفَوْقِيّة المكانية، وعن المكان مُطلقاً 150
ابن تيمية يَنسِب لذاتِ اللهِ جهةً غير ظاهرة - أي غير عالية- 151
ابن تيمية يدّعي أنّ صفة التَّحتية المكانية لله ليست بنقص،
بل هي صفة كمال في حقه تعالى! 152
ابن تيمية يدّعي أنّ عُلُوَّ اللهِ المكاني على العالم من لوازم وجوده 152
مِن أساليب ابن تيمية في الدّعوة إلى عقيدته تشويهُ صورة
خصومه في العقيدة 153
المُجسِّم يفهم النُّصوص الشَّرعية مِن خلال منظار عقيدة التَّجسيم 155
ابن تيمية كان يعتقد بأنّ اللهَ مُحيطٌ بالعالم مِن جميع الجهات 156
لازمُ القول: أنّ اللهَ محيطٌ بالعالم إحاطة مكانية هو:
- أنّ "الجهة السُّفلى" مِن ذاتِ الله كُرَويّة الشّكل
- وأنّ العالمَ موجودٌ في ذاتِ الله - سبحانه -. 157
لوازمُ نَفْي الجِسْمِيَّة عن ذاتِ الله على مذهب ابن تيمية 158
عقيدةُ أهل السُّنة بخصوص الجهة والفوقية المكانية 161

ومن عقائد ابن تيمية
رابعا: العرشُ مكانٌ للهِ سبحانه وتعالى 163
عقيدةُ جلوسِ اللهِ على العَرْش هي مِن عقائد النّصارى والمُجَسِّمَة 166
عقيدة أهل السُّنَّة بخصوص الاستواء على العرش 169

معنى: استوى بلا كَيْف 169

الإمامُ مالك بن أنس يُفوِّضُ في الاستواء ويُنَزِّهُ اللهَ عن الكَيْف 169

معاني لفظ "الاستواء" في اللغة 171

مِن معاني العَرْش 173 - 174

العرشُ هو سقف العالم 174

مذهب أهل السُّنّة في فهم آيات الاستواء 175

الإمام أحمد ينفي الاستواء بمعنى الجلوس أو الاستقرار 175 - 176

الإمامُ أحمد يُنَزِّهُ اللهَ عن الحَدّ 177

الإمامُ الشافعي يأخذ بمذهب التَّفويض بخصوص آيات الاستواء 177

الإمام أبو حنيفة ينفي الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار 178

الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد كانوا لا يفسرون
الاستواء بالعلو الحِسِّي أو بالاستقرار أو بالجلوس على العرش 179

الإمامُ ابن جرير الطَّبري يُؤوِّل الاستواءَ بعُلُوِّ المُلْك والسُّلطان 179

الإمام أبو الحسن الأشعري يُؤوِّل الاستواء بفعل فعَلَهُ اللهُ في العرش 180

الأئمة أبو سليمان الخطّابي وأبو حامد الغزالي والعز بن عبدالسلام
يأخذون بمذهب التّفويض بخصوص الاستواء 180 - 181

الإمامان أبو المعالي الجُوَيْني وسُفيان الثَّوْريّ يُؤوِّلان الاستواء 181

ما هو الفِعلُ الذي حَدَثَ في العَرْش وسُمِّيَ استواءً؟ 182

قوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ معناه:
ارتفعَ ذِكْرُ اللهِ على العرش 184

خلاصة الكلام في الاستواء على العرش 184

اعتراضُ الـمُجَسِّمَة على تأويل الاستواء بالاستيلاء 187

بيان تلبيس ابن تيمية في القول أنّ اللهَ بذاته فَوْق العرش 188

عقيدةُ الإمام أبي بكر البَيْهَقي الحاشية رقم 784 / ص 188

الإمام القُرْطُبي يُؤَوِّل الاستواء بعُلُوِّ مَجْدِ اللهِ وصفاتِه 190

الإمامُ القُرْطُبي يُنَزِّهُ اللهَ عن المُماسّة والأماكن والجهات والحُدود	191
الإمامُ ابن حَجَر العسقلاني يُنَزِّهُ الله عن العُلُوِّ المكاني	191 - 192
فَوْقِيّةُ اللهِ على العَرْش هي فوقية الرّبوبيّة والعَظَمَة والقَهْر والسُّلطان، وليست فوقية المكان	193
عقيدة ابن تيمية في الاستواء	194
الشيعة وابن تيمية والكَرَّاميّة يُجَوِّزون قيام الحوادث بذاتِ الله	195
عقيدة أهل السُنّة بخصوص الحركة وقيام الحوادث بذات الله، وأدلّة نقليّة وعقلية تُثبت تنزيه الله عن الحركة والانتقال وقيام الحوادث بذاته تعالى	198
ابن تيمية يَدّعي بأنَّ اللهَ يَمسُّ عرشه ويُجَوِّز مماسته للنّجاسات والشّياطين	203
ابن تيمية يدّعي أنّ حَمَلة العرش يحملون الله	206
ابن تيمية يدّعي أنّ اللهَ يحملُ نفسَهُ	208
أدلة ابن تيمية على وجود الله على العرش	209
معنى قوله تعالى: ﴿ بل رَّفَعَهُ اللهُ إليْهِ ﴾	210
معنى قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ المَلآئِكَةُ والرُّوحُ إليْهِ ﴾	210
معنى قوله تعالى: ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	211
معنى قوله تعالى: ﴿ءَأمِنْتُم مَّن في السَّمَآءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾	212
معنى قوله تعالى: ﴿ يَخافونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلونَ ما يُؤْمَرونَ ﴾	213
معنى قوله تعالى: ﴿ إنّا نَحْنُ نَزَّلنا الذِّكْرَ وَإنّا لهُ لَحافِظونَ ﴾	213
حديث: « إرحموا مَنْ في الأرض يَرحمُكُم مَن في السماء »	216
حديث: « إنّ اللهَ فَوْقَ عرشه فوق سماواته »	217
حديث الجارية	219
بيان بُطلان حديث «أين الله»	221
حديث النُّزول	232

حديث النُّزول وكُرَوِيّة الأرض 241

"النّصيحة الذهبية" للحافظ الذهبي، مُوَجّهة إلى ابن تيمية 243

الإمام ابن حَجَر الهَيْتمي يُحَذِّرُ مِن ابن تيمية وكُتبه 244

الإمام تقي الدين السُّبْكي يَذْكُر بعضاً مِن عقائد ابن تيمية التي خالف
فيها عقائد جمهور المسلمين 244

ومِن عقائد ابن تيمية
خامسا: قِدَمُ العالم بالنّوْع 245

الإمام ابن حَجَر العسقلاني ينتقد ابن تيمية لقوله بحوادث لا أوّل لها 246

بعضٌ مِن أقوال ابن تيمية التي خالف فيها الكِتاب والسُّنّة والإجماع 247 ، 248

ابن تيمية يدَّعي وجود قديم سوى الله 249

معنى القول: "العالمُ قديمٌ بالنَّوْع حادث الأفراد"
ومعنى "حوادث لا أوّل لها" 249

نصوص لإبن تيمية صرّح فيها بقدم نَوْع المخلوقات وحدوث أفرادها،
وبوجود حوادث لا أوّل لها 250

مراجع الإمام البُخاري في التّفسير والفقه والعقيدة 252

ابن تيمية يقول "بالتَّسَلْسُلِ في الآثار" 252 - 253

نَقْضُ عقيدة قِدَم نَوْع المخلوقات 253 - 254

ابن تيمية يُصَرِّح بأنّهُ يَستحيلُ وجود اللهِ بدون وجود نَوْع المخلوقات 255

مصادر ابن تيمية بخصوص القول "بالتَّسَلْسُل في الآثار"،
وبأزلية نَوْعِ المخلوقات 256

الشيخ محمد ناصرالدين الألباني ينتقدُ ابنَ تيمية بسبب
قوله بحوادث لا أوّلَ لها حاشية 1059 / ص 257

ابنُ تيمية يَكْذب على الأشاعرة والمُعتزلة 259

ابن تيمية كان يعتقد أنّ القرآنَ الكريمَ مُحْدَث 261

ومِن عقائد ابن تيمية

سادساً: فناءُ نارِ جَهَنّم 268

الفروق بين بقاء الجَنّة والنار عقلا وشرعا وِفْقَ عقيدة ابن تيمية 279

تَبيْينُ تلاعب ابن تيمية في معاني أسماء الله وصفاته 284 - 285

موقف علماء أهل السُّنة مِن ابن تيمية 292

مرسوم مِن السُّلطان محمد بن قلاوون ضد ابن تيمية 296

عقيدةُ أهل السُّنّة 299